

سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد

تأليف

المحدث فقيه أهل البيت

الشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور البحراني

صاحب الحدائق الناضرة

المتوفى 1186هـ

الجزء الأول

تحقيق الشيخ

محمد عيسى آل مكباس

دار العصمة



سلاسل الحديد

في تقييد ابن أبي الحديد

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

دار العصمة/كتب - قرطاسية - ترجمة - طباعة - خدمات أخرى

مملكة البحرين - السنابس

٠٠٩٧٣/١٧٥٥٣١٥٦ - ٠٠٩٧٣/٣٩٢١٤٢١٩ - daralesmah@hotmail.com

سلاسل الحديد

في تقييد ابن أبي الحديد

تأليف

المحدث فقيه أهل البيت

الشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور البحراني قده

صاحب الحدائق الناضرة

المتوفى ١١٨٦ هـ

الجزء الأول

تحقيق

محمد عيسى آل مكباس

دار العصمة



الإهداء

إلى الذي قال فيه رسول الله ﷺ:

يا علي لايحبك إلاّ مؤمن ولايبغضك إلاّ منافق

اقدم هذا الجهد المتواضع راجيًا شفاعته

المحقق



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

ترجمة المؤلف

اسمه: الشيخ يوسف بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن صالح آل عصفور الدرازي البحراني.

مولده: ولد قُدِّسَ سِرُّه سمة ١١٠٧ هـ في قرية الماحوز حيث كان والده ساكنًا هناك لملازمة الدرس عند شيخه الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني.

وفاته: توفي قُدِّسَ سِرُّه يوم السبت رابع عشر ربيع الاول سنة ١١٨٦ هـ في كربلاء المقدسة، وصلى عليه الوحيد البهبهاني، ودفن في الرواق الحسيني الشريف مما يلي رجلي الشهداء.

تصانيفه

١ - اجوبة المسائل البهبهانية.

٢ - اجوبة المسائل الخشتية.

٣ - اجوبة المسائل السيورية.

٤ - اجوبة المسائل الشاخورية.

٥ - اجوبة المسائل الدمستانية.

٦ - اجوبة المسائل الكازرونية.

٧ - اجوبة المسائل النعيمية.

٨ - الاربعون حديثًا في فضائل أمير المؤمنين مستخرجة من كتب العامة.

٩ - اعلام القاصدين الى مناهج الدين.

١٠ - الانوار الحيرية.

١١ - انيس المسافر وجليس الحاضر.

١٢ - تدارك المدارك.

١٣ - الحدائق الناظرة في احكام العترة الطاهرة.

١٤ - الخطب

١٥ - الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية.

١٦ - رسالة الصلاة.

١٧ - رسالة في احكام الصلاة.

١٨ - رسالة في تحقيق معنى الاسلام والايمان.

١٩ - رسالة في الطهارة والصلاة.

٢٠ - رسالة الكنوز المودعة في اتمام الصلاة في الحرم الاربعة.

٢١ - الرسالة المحمدية في احكام المواريث الابدية.

٢٢ - رسالة مناسك الحج.

٢٣ - سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد.

٢٤ – شرح بداية الهداية للحر العاملي.

٢٥ – شرح رسالة الصلاة.

٢٦ – شرح هداية الامة الى احكام الائمة للحر العاملي.

٢٧ – الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب.

٢٨ – الصلاة اليومية.

٢٩ – الصوارم القاصمة لظهور الجامعين بين بنتين من ولد فاطمة.

٣٠ – عقد الجواهر النورانية.

٣١ – قاطعة القال والقيل في نجاسة الماء القليل.

٣٢ – كشف القناع عن صريح الدليل في الرد على من قال في الرضاع بالتنزيل.

٣٣ – اللآلي الزواهر في تتمة عقد الجواهر.

٣٤ – لؤلؤة البحرين في الاجازة لقرتي العين.

٣٥ – المسائل الشيرازية.

٣٦ – معادن العلم.

٣٧ – معراج النبيه في شرح من لا يحضره الفقيه.

٣٨ – ميزان الترجيح في افضلية القول فيما عدا الاوليتين بالتسبيح.

٣٩ – النفحات الملكوتية في الرد على الصوفية.

المترجمون له

١ – روضات الجنات، الميرزا محمد باقر الخوانساري، ٢٠٣/٦.

٢ – انوار البدرين، الشيخ علي بن حسن البلادي البحراني، ص١٩٣.

٣ – اعيان الشيعة، السيد محسن الامين، ٣١٧/١٠.

٤ – منتهى المقال، الشيخ ابو علي الحائري.

٥ – طبقات اعلام الشيعة في القرن الثاني عشر، الشيخ آقا بزرك الطهراني.

٦ – لؤلؤة البحرين للمؤلف نفسه.

نسبة الكتاب لمؤلفه

مما لا شك ولا ريب فيه ان كتاب ﴿**سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد**﴾ من تؤليف المحدث الشيخ يوسف بن احمد آل عصفور البحراني، وقد اشار المؤلف الى ذلك في لؤلؤته بقوله: ومنها كتاب سلاسل الحديد في تقييد ابن ابي الحديد، والرد عليه في شرحه نهج البلاغة الذي رام فيه ان يشرحه على رأي المعتزلة واصولهم ومذاهبهم وقواعدهم، وذكرت في اوله مقدمة شافية في الامامة، تصلح ان تكون كتابًا مستقلاً، ثم نقلت من كلامه في الشرح المذكور ما يتعلق بالامامة واحوال الخلفاء والصحابة ومما يناسب ذلك ويدخل

تحته، وبيّنت ما يه من الخلل والمفاسد الظاهرة لكل طالب وقاصد، خرج منه مجلد، ومن المجلد الثاني ما يقرب من ثلث مجلد، وعاق الاشتغال بكتاب الحدائق عن اتمامه[1].

وما هو محقق من الكتاب عبارة عن الجزء الثاني منه، اما الاول فلم نعثر عليه.

عملنا في التحقيق

الأول: اعتمدنا في مقابلة النسخ على ما يلي:

١ – نسخة مكتبة السيد الحكيم في النجف الاشرف تحت رقم ١٢٦١ وقد رمزنا لها بـ ﴿ح﴾، وهي نسخة تامة الاول، مقطوعة الآخر.

٢ – نسخة موقوفة آل عصفور الموجودة في مكتبة الامام الرضا عليه السلام في مشهد المقدسة ﴿استان قدس رضوي﴾ تحت رقم ١٧٧٤٥، وقد رمزنا له بـ ﴿أ﴾، ناقصة الاول والآخر.

٣ – تتحد كلتا النسختين في نهايتهما.

الثاني: قد جعلنا اصل المتن على نسخة استان قدس رضوي، لانها اصح، مع وجود تعليقات من نفس المؤلف على النسخة، وجعلنا قسمًا من مقدمة الكتاب من نسخة السيد الحكيم في اصل المتن لنقصانه في نسخة مكتبة الامام

١– لؤلؤة البحرين/٤٤٦.

الرضا عليه السلام.

الثالث: اخراج الهوامش مع ذكر المصادر والمراجع.

الرابع: انشاء فهارس موضوعية للكتاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالين، وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

رسول الله ص حين ضربناك واباك على الاسلام حتى ظهر امر الله وانتم كارهون قال معوية اللهم غفرا قال قيس اما
ان رسول الله ص قال ستلقون بعدي اثرة ثم قال معوية تعيرنا بنواضحنا والله لقد لقيناكم عليها يوم بدر و
انتم جاهدون على اطفاء نور الله وان تكون كلمة الشيطان هي العليا ثم دخلت انت وابوك كرها في الاسلام الذي
ضربناكم عليه فقال معوية كانكم تمنون علينا بنصركم ايانا فلنا ولقريش بذلك المن والطول الستم تمنون علينا يا معشر
الانصار بنصركم رسول الله ص وهو من قريش وهو ابن عمنا ومنا فلنا المن والطول ان جعلكم الله انصارنا واتباعنا
فهداكم الله بنا فقال قيس ان الله بعث محمدا ص رحمة للعالمين فبعثه الى الناس كافة والى الجن والانس والاحمر و
الاسود والابيض اختاره لنبوته واختصه برسالته فكان اول من صدقه وامن به ابن عمه علي بن ابي طالب ع
وابوه ابو طالب يذب عنه ويمنعه ويحول بين كفار قريش وبين ان يرعوه ويؤذوه وامره ان يبلغ رسالة ربه فلم
يزل ممنوعا من الضيم والاذى حتى مات عمه ابو طالب وامر ابنه بموازرته فوازره ونصره وجعل نفسه دونه في كل
شديدة وكل ضيق وكل خوف واختص الله بذلك عليا من بين قريش واكرمه من بين جميع العرب والعجم فجمع
رسول الله ص جميع بني عبد المطلب فيهم ابو طالب وابو لهب وهم يومئذ اربعون رجلا فدعاهم رسول الله ص وخادمه
علي ع ورسول الله في حجر عمه ابي طالب فقال ايكم ينتدب ان يكون اخي ووزيري ووصيي وخليفتي في امتي
وولي كل مؤمن من بعدي فسكت القوم حتى اعادها ثلثا فقال علي انا يا رسول الله فوضع راسه في حجره وتفل في فيه
وقال اللهم املأ جوفه علما وفهما وحكما ثم قال لابي طالب اسمع الآن لابنك واطع فقد جعله الله من نبيه بمنزلة
هرون من موسى واخا رسول الله ص بين علي وبين نفسه فلم يدع قيس شيئا من مناقبه الا ذكرها واحتج بها وقال
منهم جعفر بن ابي طالب الطيار في الجنة بجناحين اختصه الله بذلك من بين الناس ومنهم حمزة سيد الشهداء
ومنهم فاطمة سيدة نساء العالمين فاذا وضعت من قريش رسول الله ص واهل بيته وعترته الطاهرين الطيبين
فنحن والله خير منكم يا معشر قريش فخاصمونا بالجنة علي واهل بيته وخاصموها بالحقه وقرابته فما بعد وقريش ان
يكونوا ظلموا الانصار او ظلموا آل محمد ولعمري ما لاحد من الانصار ولا لقريش ولا لاحد من العرب والعجم في الخلافة
حق مع علي بن ابي طالب ع وولده من بعده فغضب معوية وقال يا ابن سعد عمن اخذت هذا وعمن رويته
وعمن سمعته ابوك اخبرك بذلك وعنه اخذته فقال قيس سمعته واخذته ممن هو خير من ابي واعظم علي حقا
من ابي قال من قال علي بن ابي طالب عالم هذه الامة وصديقها الذي انزل الله فيه قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم ومن عنده علم الكتاب فلم يدع آية نزلت في علي الا ذكرها قال معوية فان صديقها ابو بكر وفاروقها
عمر والذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام قال قيس احق بهذه الاسماء الذي انزل الله فيه افمن كان على
بينة من ربه ويتلوه شاهد منه والذي نصبه رسول الله ص بغدير خم فقال من كنت مولاه فعلي اولى به من نفسه وقال
في غزوة تبوك انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وكان معوية يومئذ بالمدينة فعند ذلك
نادى مناديه وكتب بذلك نسخة الى عماله الا برئت الذمة ممن يروي حديثا في مناقب علي واهل بيته ع

اولى بهم من نفسه

صورة من الصفحة الأولى من نسخة مكتبة آل عصفور والتي رمزنا لها بالرمز {أ}

وجعلوها الدطعمة متى تلك الايام مع علمهم بما هو عليه من القبائح والاثام كما مر مشروحا في غير مقام
وقد اعترف الشارح الضال وجملة من علمائهم في هذا المجال بان جعل عمر الامر شورى كان اصل الفتن
في الدين كما تقدم ذكره مشروحا ومن الظاهر البين انه لو ولي الامر من اوله امير المؤمنين لم يكن له
لهذه الفتن بالكلية سبب ولا اساس ولصفي الدين من هذا الخبط والالتباس كما تقدم في كلامه ع في
الخطبة الطالوتية وكلام فاطمة ع في الخطبة المتقدمة التي في مرضها ثم ان قوله ع فامسكت يدي
حتى رأيت راجعة الناس [illegible] صريحا على انه انما انقاد للبيعة وكف يده عن مقابلة القوم نظرا للاسلام
بحدوث ما حدث فيه يومئذ من الانثلام عما يرد ما هدد به هذا الشارح الضال وشقشق به
في غير مجال من انه انما امتنع من البيعة لهم اولا ونازع وجادل حيث لم يظهر له وجه المصلحة في تقديمهم
عليه وانه ظن بهم قصد الملك والرياسة دون المحافظة على الدين ثم لما بين له ذلك جنح الى الطاعة
وبايع طائعا وهذا كلامه ع في ايام خلافته ينادي بانه انما انقاد واطاع لما شرحه ع وهذا الضال
يغمض عينه عن ذلك كالاعمى الذي سدت عليه المسالك ثم ما نقله الطبري من خروج ابي بكر في
جمع من اهل المدينة ورجوعهم منهزمين فهو من يمن ناصيته وجودة رأيه ومزيد شجاعته وفي نسبة
الهزيمة الى قضية الاتكاء لتستر بها عن العار على ذلك الامام واسحاء

صورة من الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة آل عصفور والتي رمزنا لها بالرمز {أ}

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة من الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الحكيم والتي رمزنا لها بالرمز {ح}

صورة من الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة الحكيم والتي رمزنا لها بالرمز {ح}

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد سيد المرسلين وآله الغر المطهرين.

وبعد: فهذا هو المجلد [الثاني] من كتاب ﴿**سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد**﴾ وفق الله تعالى لاتمامه والفوز بسعادة [اكماله]، وقد تقدم في المجلد الأول منه الكلام على عشرة اجزاء من شرح الكتاب، والكلام هنا في ما يتعلق [بالجزء] الحادي عشر.

قال: الاصل ومن كلام له عليه السلام كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة، وقد عتباه على ترك مشاورتهما والاستعانة في الأمور بهما: لقد نقمتما يسيرًا إلى آخره، بعد كلام في المقام[1]، ثم اقسم انه لم يكن له في الخلافة رغبة ولا اربة - بكسر الهمزة - وهي الحاجة، وصدق عليه السلام فهكذا نقل اصحاب التواريخ واصحاب علم السير كلهم، وروى الطبري في التاريخ ورواه غيره أيضًا[2] ان الناس غشوه وتكاثروا عليه يطلبون بيعته وهو يأبى ذلك ويقول: دعوني والتمسوا غيري، فانا مستقبلون امرًا له وجوه وألوان، لا تثبت عليه الأقدام، ولا تقوم له القلوب، قالوا: ننشدك الله ألا ترى الفتنة، ألا ترى إلى ما حدث في الاسلام، ألا تخاف الله، فقال: قد اجبتكم إلى ما ارى منكم، واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم، وان تركتموني فانا كأحدكم، بل انا

١- نهج البلاغة، خطبة ٢٠٥.

٢- تاريخ الطبري ٧٠٠/٢، الكامل في التاريخ ٨٣/٣، االمنتظم ٦٥/٥، الفتنة ووقعة الجمل ٩٣/١.

اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم، فقالوا: ما نحن بمفارقيك حتى نبايعك، فقال: ان كان ولا بد من ذلك ففي المسجد، فان بيعتي لا يكون خفيًا ولا يكون إلاّ عن رضا المسلمين وفي ملأ وجماعة، فقام والناس حوله فدخل المسجد وانثال عليه المسلمون فبايعوه فيهم طلحة والزبير، ثم تكلم في معنى التفضيل والعطاء فقال: اني عملت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك، وصدق فان رسول الله صلى الله عليه وآله سوّى بين الناس في العطاء، وهو مذهب أبي ابكر، والعتبى الرضا، أي لست ارضيكما بارتكاب ما لا يحل في الشرع ارتكابه، وقد تقدم منا ذكر ما عتب به طلحة والزبير على أمير المؤمنين عليه السلام، وأنهما قالا انه لا يستشيرنا في امر، ولا يفاوضنا في رأي، ويقطع الامر دوننا، ويستبد بالحكم عنا، وكانا يرجوان غير ذلك، واما طلحة أراد ان يوليه البصرة، واراد الزبير ان يوليه الكوفة، فلما شاهدا صلابته في الدين، وقوته في العزم، وهجره الادهان والمراقبة، ورفضه المدالسة والمواربة، وسلوكه في جميع مسالكه منهج الكتاب والسنة، وقد كانا يعلمان ذلك قديمًا من طبعه وسجيته، وكان عمر قد قال لهما ولغيرهما: ان الاجلح ان وليها ليحملنكم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم، وكان النبي صلى الله عليه وآله من قبل قال: وان تولوها عليًا تجدوه هاديًا مهتديًا، انه ليس الخبر كالعيان، ولا القول كالفعل، ولا الوعد كالانجاز، حالا عنه وتنكرا له، وعاباه وغمصاه، وتطلبا له العلل والتأويلات، وتنقما عليه الاستبداد، وترك المشاورة، وانتقلا من ذلك إلى الوقيعة فيه بمساواة الناس في قسمة المال، واثنيا على عمر وحمدا سيرته، وصوبا رأيه، وقالا انه كان يفضل

أهل السوابق، وضللا عليًا عليه السلام فيما رآه، وقالا انه اخطأ وخالف سيرة عمر، وهي السيرة المحمودة التي لم تنقصها النبوة مع قرب عهدها منها واتصالها بها، واستنجدا عليه بالرؤساء من المسلمين الذين عمر يفضلهم، وينفلهم في القسم على غيرهم، والناس ابناء الدنيا، ويحبون المال حبًا جمًا، فتنكرت على أمير المؤمنين عليه السلام بتنكرهما قلوب كثيرة، وتقلبت عليه نيات كانت من قبل سليمة، ولقد كان عمر موفقًا حيث منع قريشًا والمهاجرين وذوي السوابق من الخروج من المدينة، ونهاهم من مخالطة الناس، ورأى ان ذلك أس الفساد في الأرض، وان الفتوح والغنائم قد ابطرت المسلمين، ومتى بعد الرؤوس والكبراء منهم عن دار الهجرة، وانفردوا بانفسهم وخالطهم الناس في البلاد البعيدة لم يؤمن منهم ان يحسنوا لهم الوثوب، وطلب الامرة، ومفارقة الجماعة، وحل نظام الالفة، ولكنه رحمه الله نقض هذا الرأي السديد بما فعله بعد طعن أبي لؤلؤة له من امر الشورى، فان ذلك كان سبب كل فتنة، وبقيت إلى ان تنقضي الدنيا، وقد قدمنا ذكر ذلك وشرحنا ما ادى اليه أمر الشورى من الفساد بما حصل في نفس كل واحد من الستة من ترشيحه للخلافة[1].

وروى أبو جعفر الطبري في تاريخه قال: كان عمر قد حجر على اعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلاّ باذن وأجل، فشكوه فبلغه فقام فخطب فقال: ألا اني قد سننت الاسلام سن البعير يبدأ فيكون جذعًا، ثم يثنا، ثم يكون رباعيًا، ثم سديسًا، ثم بازلاً، ألا فهل ينتظر بالبازل إلاّ النقصان، ألا

١- شرح نهج البلاغة ١١/١٠.

وان الاسلام قد صار بازلاً، وان قريشًا يريدون ان يتخذوا مال الله معونات على ما في انفسهم، ألا ان في قريش من يضمر الفرقة، ويروم خلع الربقة، اما فاني قائم دون شعب الحرة آخذ بحلاقيم قريش وحجزها ان يتهافتوا في النار.[1]

وقال أبو جعفر الطبري في التاريخ أيضًا: فلما ولي عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر، فانساحوا إلى البلاد، فلما رأوها ورأوا الدنيا ورآهم الناس انقطع اليهم من لم يكن له طول ولا قدم ولا مزية في الاسلام، فكان مغمومًا في الناس، وصاروا اوزاعًا اليهم، واملوهم وتقدموا في ذلك فقالوا يملكون فنكون قد عرفناهم وتقدمنا في التقرب والانقطاع اليهم، فكان ذلك أول وهن دخل على الاسلام وأول فتنة كانت في العامة[2].

وروى أبو جعفر الطبري عن الشعبي قال: لم يمت عمر حتى ملته قريش، وقد كان حصرهم بالمدينة وسألوه ان يأذن لهم بالخروج إلى البلاد فامتنع عليهم وقال: ان أخوف ما اخاف على هذه الامة انتشاركم في البلاد حتى ان الرجل ليستأذنه في غزو الروم أو الفرس وهو ممن حبسه بالمدينة من قريش ولا سيّما المهاجرين، فيقول: ان في غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وآله ما يبلغك وخير لك من غزو اليوم، وان خيرًا لك ان لا ترى الدنيا ولا تراك، فلما مات عمر وولي عثمان خلى عنهم واضطربوا وانقطع اليهم الناس وخالطوهم، فلذلك كان عثمان احب إلى قريش من عمر، فقد بان لك حسن رأي عمر في منع

١- تاريخ الطبري ٦٧٩/٢، تاريخ مدينة دمشق ٣٠٢/٣٩، شرح نهج البلاغة ١٢/١١.

٢- تاريخ الطبري ٦٧٩/٢، شرح نهج البلاغة ١٢/١١.

المهاجرين وأهل السابقة من قريش من مخالطة الناس والخروج من المدينة، وبان لك ان عثمان ارخى لهم في الطول فخالطهم الناس وفسدوهم وحببوا اليهم الملك والرياسة مع الثروة العظيمة التي حصلت لهم، والثراء مفسدة وأي مفسدة، وحصل لطلحة والزبير ما لم يحصل لغيرهما ثروة ويسارًا وقدمًا في الاسلام، وصار لهما لفيف عظيم من المسلمين يمنونهما الخلافة ويحسنون لهما طلب الإمرة لا سيّما وقد رشحهما عمر لها واقامهما مقام نفسه في تحملها، وأي امرء منى بها قط نفسه فقارن حتى يغيب في اللحد ولا سيّما طلحة الذي كان يحدث نفسه بها وأبو بكر حي، ويروم ان يجعلها فيه بشبهة انه ابن عمه، وسخط خلافة عمر، وقال لابي بكر: ما تقول لربك وقد وليت علينا فظًا غليظًا، إلى ان قال: واما الزبير فلم يكن إلاّ علوي الرأي، شديد الولاء، جاريًا من الرجل مجرى نفسه، ويقال انه عليه السلام لما استنجد المسلمين عقيب يوم السقيفة وما جرى فيه، وكان يحمل فاطمة عليها السلام ليلاً على حمار وابناها بين يدي الحمار وهو عليه السلام يسوقه، فيطرق بيوت الانصار وغيرهم، ويسألهم النصرة والمعونة، اجابه اربعون فبايعهم على الموت وامرهم ان يصبحوا بكرة محلقي رؤوسهم ومعهم سلاحهم، فاصبح لم يوافه إلاّ أربعة الزبير والمقداد وأبو ذر وسلمان، ثم اتاهم من الليل فناشدهم فقالوا: نصبحك غدوة، فما جاءه منهم إلاّ الاربعة، وكذلك في الليلة الثالثة، وكان الزبير اشدهم له نصرة وانفذهم في طاعته بصيرة، حلق رأسه وجاء مرارًا وفي عنقه سيفه، وكذلك الثلاثة الباقون إلاّ ان الزبير هو كان المراس فيهم، وقد نقل الناس خبر الزبير لما هجم عليه ببيت

فاطمة عليها السلام وكسر سيفه في صخرة ضربت به، ونقلوا اختصاص علي وخلواته به، ولم يزل متواليًا له متمسكًا بحبه ومودته حتى نشأ ابنه عبد الله وشب، قرع به عرق من الأم ومال إلى تلك الجهة وانحرف عن هذه، ومحبة الوالد للولد معروفة، فانحرف الزبير لانحرافه على انه قد جرت بين علي عليه السلام والزبير هنات في ايام عمر كدرت القلوب بعض التكدير، وكان سببها قضية مولى صفية ومنازعة علي عليه السلام للزبير في الميراث، فقضى عمر للزبير، فاذل عليًا عليه السلام بقضائه بحكم سلطانه لا رجوعًا عما كان يذهب اليه من حكم الشرع في هذه المسئلة، وبقيت في نفسه، وبقيت في نفس الزبير على ان شيخنا أبا جعفر الاسكافي ﴿رضي الله عنه﴾ ذكر في كتاب نقض العثمانية عن الزبير كلامًا ان صح فانه يدل على انحراف شديد ورجوع عن موالاة أمير المؤمنين عليه السلام حيث تفاخر علي عليه السلام والزبير، فقال الزبير: اسلمت بالغًا واسلمت نهلاً، وكنت أول من سل سيفًا في سبيل الله، وأنت مستخف في الشعب يكفلك الرجال، ويمونك الاقارب من بني هاشم، وكنت فارسًا، وكنت راجلاً، وفي هيئتي نزلت الملائكة، وانا حواري رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: وهذا الخبر مفتعل مكذوب، ولم يجر بين علي والزبير شيء من هذا الكلام ولكنه من وضع العثمانية، ولم يسمع به في احاديث الحشوية ولا في كتب اصحاب السير، ولعلي عليه السلام ان يقول صبي مسلم خير من بالغ كافر، واما سل السيف بمكة فلم يكن في موضعه وفي ذلك

١- شرح نهج البلاغة ١٤/١١، تاريخ الطبري ٦٧٩/٢.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾[1] الآية، وانا على منهاج الرسول في الكف والاقدام، وليس كفالة الرجل والاقارب بالشعب عارًا، فقد كان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في الشعب تكفله الرجال والاقارب، وأمّا حربك فارسًا وحربي راجلاً فلا اغنت فروسيتك يوم عمرو بن عبد ود في الخندق، ولا اغنت فروسيتك يوم طلحة بن أبي طلحة في أحد، ولا اغنت فروسيتك يوم مرحب بخيبر، ما كانت فرسك التي تحارب عليها في هذه الايام إلاّ اذل من العنز الجرباء، ومن سلمت عليه الملائكة افضل ممن نزلت في هيئته، وقد نزلت الملائكة في صورة دحية الكلبي، فيجب من ذلك ان يكون دحية أفضل مني، واما كونك حواري رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فلو عددت خصايصي في مقابلة هذه اللفظة الواحدة لأستغرقت الوقت وافنيت الزمان، ورب صمت ابلغ من نطق، انتهى[2].

أقول: أمّا قوله: ثم اقسم انه لم يكن له في الخلافة رغبة إلى آخره.

ففيه: ان هذا حال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أفضت الخلافة اليه واقبلت بقضها وقضيضها عليه، وقد علمت مما تقدم في اخبار السقيفة مسارعة أبي بكر وعمر اليها وحرصهما عليها وما كادت تضطرم منه نيران الفتن بالتكالب عليها، كل ذلك طمعًا في الملك والرياسة، ونيل الدنيا التي هي اصل كل خساسة، وما اعتذر به اولياؤه من التمويه على ضعفاء العقول وكل بليد جهول من ان ذلك

١- النساء/٧٧.

٢- شرح نهج البلاغة ١٥/١١.

لعدم جواز خلو الوقت من الامام لحظة واحدة، قد اظهرنا ما فيه، وكشفنا عن قبح باطنه وخافيه.

فان قيل: ان أمير المؤمنين انما تأخر وامتنع عن ذلك لما يعلمه من الخلاف المترتب على امامته كما يدل عليه قوله: فانا مستقبلون امرًا له وجوه والوان.

قلنا: ان امير المؤمنين عليه السلام انما توقف وامتنع لخلاف ترتب على البيعة بعد تمامها من نقض من يريد نقضها والاّ ففي حال البيعة كما دل عليه هذا الخبر المنقول، وتقدم مثله في كلام علي عليه السلام قد اتفق الناس كافة عليه ولازموه وطلبوه أتمّ الطلب، وكلما دافعهم وامتنع عليهم لم يزدادوا الاّ رغبة فيه وطلبًا له، وأولئك القوم في مسارعتهم للخلافة قد علمت كيف تقمصوها، وبأي نوع وحيلة استلبوها، بالمكر والخديعة تارة، وبالقهر والزور أخرى، وبالرشاء والبراطيل والمصانعة تارة، فيما بين من قالوا فيه اقتلوا سعدًا قتل الله سعدًا، وآخر داسوا بطنه ودسوا في فيه التراب، وثالث وجئوا عنقه، وآخرون همّوا باحراق بيتهم عليهم وكسروا سيوفهم حتى قال عاقد تلك البيعة نفسه اشارة إلى هذه الفتن التسعة النطاق التي كادت تضرم باهلها على ساق، كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى [الله] المسلمين شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، ومع هذا مضى عليها مماضًا على ناجده، وباسطًا ليده وساعده، ولم يثنه عنها ثان، ولا اتقى الفتن والشنآن، فأي خلاف اشد من ذلك، وأي مهلكة تزيد على هذه المهالك.

فان قيل: انه عليه السلام قد اقسم بانه ليس لـه رغبة في الخلافة مع انه قد جادل الخلفاء المتقدمين ونازعهم وخاصمهم، واستصرخ الناس عليهم وهـمّ بحـربهم لو وجد المساعد عليهم، وهذا كله مما يدل بظاهره على الرغبة، فكما قلت انـه قد تقدم بيان الجواب عن ذلك بما قررناه في غير مقام من ان فعله عليه السلام جميـع ما ذكر يوم السقيفة وكذا في يـوم الـشورى لـيس للطمـع فـي الخلافـة ورجـاء وصولها اليه، فانه عليه السلام على علم ويقين لما اوغره اليه سيد المرسلين واخبره بان الامامـة لا تـصل اليـه ولا ينالهـا فـي زمـن الثلاثـة المتلصـصين، وان النـاس لا يجيبونه ولا يساعدونه عليهم، كل ذلـك معلـوم عنـده، كمـا يـدل عليـه كلامـه المتقدم انه ما من شيء يمر على رأسه الاّ وقد أفضى اليه، وانما كان ما فعله من تلك الأمور المعدودة لاقامة الحجة على تلك الامة المردودة بمخالفة اوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله في حقه عليه السلام.

هذا ولا يخفـى عليـك مـا فـي كلامـه عليه السلام فـي هـذا المقـام مـن الدلالـة الواضحة في الرد على الشارح والالزام حيث انه تأول بتظلماته عليه السلام وشـكاياته من القـوم بالحمـل علـى مخالفـة الاولـى والاحـق بمعنـى انـه لمـا كـان الاولـى والاحق بالامامة، وهم قد عدلوا عنه تظلـم وتـألم لـذلك، ومثـل لـه فـي شـرح الخطبة الشقشقية بما إذا كان في البلد فاضلان أحدهما افـضل واعلـم، ونـصب السلطان المفضول منهما قاضيًا، فان ذلك الفاضل يتـألم ويتوجـد ويـتظلم، فانـه لما تم لـه هذا الحمل البارد والتأويل الـسارد لـم يكـن لكلامـه عليه السلام هنـا معنـى بالكلية، فانه إذا كان كلامه عليه السلام هنا يدل باوضح دلالة على انه لا رغبة لـه فـي

الخلافة حتى انه يقسم على ذلك بالله سبحانه، فكيف يصح حمل تظلمه وتألمه على ما ذكره وهو يرجع بالاخرة إلى الرغبة فيها والمنافسة عليها، بل الحق في تألمه عليه السلام انما هو ما قدمناه من الخوف والشفقة على الدين بما يقع فيه من بدع اولئك المتقدمين والفتن والحروب بين المسلمين كما قد صار ظاهرًا للناظرين.

واما قوله ثم تكلم في معنى التفضيل في العطاء إلى آخره.

فان فيه: ان مقتضى كلامه كما اعترف به هو أيضًا ان الحكم الشرعي والسنة النبوية في القسم هو المساواة بين الناس دون تفضيل بعض على بعض، وحينئذ فمخالفة عمر ذلك وحكمه بخلاف ما انزل الله تعالى وفعله رسوله صلى الله عليه وآله ردًا عليهما مع علمه بذلك قادح في امامته وخلافته لو كان اتباعه ممن يدين بدين الله تعالى ومخالفته لقوله سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ﴾ ﴿ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ﴿ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[1] ولكن القوم قد طبع الله على قلوبهم فلا يبصرون الحق ولا يهتدون.

واما قوله وهو مذهب تنويهًا بشأنه وجبرًا لنقصانه، فان فيه ان التابع لغيره والعامل بطريقة من تقلده ويعتمده وليس بصاحب مذهب، فان العاملين بسنة الرسول والتابعين له يومئذ فيما كان يفعل ويقول ليسوا باصحاب مذاهب بل هم تبعة ونقلة عنه صلى الله عليه وآله، وانما اصحاب المذاهب ارباب الاستنباطات والاجتهادات والقياسات الظنية التي لا تغني من الحق شيئًا، اللهم الاّ ان يقال:

١- المائدة /٤٤-٤٧.

انما فعل ذلك لرأي رآه لا لكونه مقتضى السنة النبوية، وفيه مالا يخفى على كل ذي فطنة وروية.

واما قوله: وكان عمر قد قال لهما ولغيرهما اما ان الاجلح ان وليها ليحملنكم على المحجة البيضاء إلى آخره[1].

ففيه: ان قول عمر ذلك الدال على معرفته له عليه السلام بكنه الحقيقة بانه عليه السلام يحمل من تبعه على المحجة البيضاء ثم غصبه الخلافة منه، ومخالفته له في الاحكام الشرعية وقت خلافته، وعمله على اجتهاداته وقياساته وعدوله عنه وقت موته بأن يجعله سادس ستة، ويولي عليه عبد الرحمن بن عوف اظهر دليل على نفاقه الذي قد ملأ منه الباطن والجوف، وانه لا رهبة له من الله سبحانه ولا خوف.

واما قوله واثنيا على عمر وحمدا سيرته إلى آخره[2].

ففيه أولاً: ان هذا مما يدل على نفاق عمر وقصده تخريب الدين بما يدسه من النفاق الذي لا يعرفه الاّ الحاذق المكين، لان الحكم الشرعي فيه ظاهر لديه بما جرى فيه النبي صلى الله عليه وآله يومئذ عليه، فأي مجال منا للاجتهاد الذي اعتذر به عنه من تبعه من العباد.

وثانيًا: انه انما كانت سيرته عندهم هي السيرة التي تفصحها النبوة، لانهم ليسوا جميعًا من المصدقين بتلك النبوة، وانما كانوا من الداخلين تحت حكمها

١- شرح نهج البلاغة ١٠/١١.

٢- شرح نهج البلاغة ١١/١١.

للطمع أو بالزور والقوة والاّ لو كانوا من المصدقين بنبوته والثابتين على دعوته لجروا على ما رسم لهم من المنهاج النبوي، ولم يميلوا مع كل ناعق غوي، ولأزروا على عمر ولاموه، وانكروا عليه في مخالفته لسيرة نبيهم وعمله بخلاف طريقته بالأحداث والبدع في شريعته، وبذلك يظهر حينئذ فضيحة سيرة النبي صلى الله عليه وآله لسيرته والعلم بقبح باطنه وخبث سريرته.

واما قوله والناس ابناء الدنيا إلى آخره[1].

فهو واضح مؤكد لما ذكرناه والحمد لله اجراه على لسانه ليؤيد ما سطرناه، فان هذا هو المعلوم على القطع واليقين من حال الآمرين يومئذ والمأمورين، ومن هذا وامثاله يعلم مخالفتهم نص الرسول صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين، وعدولهم إلى أبي بكر لما يعلمونه من حال علي عليه السلام وشدته وتصلّبه في الدين، وانه ليس من المجازفين فيه ولا المداهنين، فلا ينالون بولايته ما ينالونه بولاية غيره من الاطماع الدنيوية.

واما قوله: ولقد كان عمر موفقًا إلى آخره[2].

ففيه أولاً: ان تدبير عمر في حفظ ملكه وسلطنته واغراز شوكته ودولته بما يراه من القبض والبسط، والفك والربط، والتقديم والتأخير، والاكرام والتقصير، والتفنيد والتبذير، وان خالف المشروع كلاً أو بعضًا، فهو ظاهر لا ينكر، وهذا شأن من قبله ومن بعده من ملوك كسرى وقيصر، ومثل هذا لا

١- شرح نهج البلاغة ١١/١١.

٢ – شرح نهج البلاغة ١١/١١.

ينسب إلى التوفيق الإلهي والرضا الرباني الاّ لطمح ادعاءه في امثاله من ملوك أهل الدنيا المعدودين، وانما هذا املاء من الله سبحانه له ولأمثاله وخذلان، فان تهيئة الاسباب نحوُ المسببات وامضائها عليها وان كان من الله تعالى الاّ انه قد يكون مع الرضا من الله سبحانه لذلك العبد، وهذا هو التوفيق، وقد يكون عن سخط وخذلان، وهذا هو الاملاء، والكاشف عن كل من الامرين، والمميز لكل من الحالين هو فعل العبد، فان كانت افعاله التي سبب الله تعالى لها تلك الاسباب جارية على نجح الطاعات والقربات، وموافقة للشرع الانور في كل الحالات فهو التوفيق وإلاّ فهو الآخر.

وثانيًا: انه حيث ان خلافته وامامته انما هي بالقهر والغلبة والاّ فهو في اعين الناس ليس بأهل للامامة ولا من ارباب تلك الزعامة لما عرفته من مطاعنه من قبح الاصل الذي منه نشأ وعليه جرى العمر الذي فيه مشى، كان يحافظ عليها لجده وجهده، ويدفع عنها برجله ويده، فان البناء متى كان على غير اساس يخاف عليه سرعة الانتقاض والانعكاس، ويؤيد هذا الوجه ما نقله الشارح في المقام مما طوينا نقله من الكلام.

قال: روى شيخنا أبو عثمان قال: كتب مصعب ابن الزبير إلى عبدالملك، ثم ساق ذكر الكتاب وما اشتمل عليه من الخطاب، إلى ان قال: فكتب اليه عبد الملك من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، إلى ان قال في كتابه: اما ما ذكرت من وفائك، فلعمري لقد وفا ابوك لتيم وعدي بعداء قريش وزعانفها إلى آخره، وهو اظهر ظاهر في شهرة رذالة هاتين الطائفتين.

وثالثًا: ان نقضه هذا الرأي السديد في أمر الشورى بما ترتب على تدبيره فيها من فتح أبواب الحروب والفتن في الدين والتخريب لشريعة سيد المرسلين ليس عن جهل بذلك، وكيف لا وهم يصفونه في المغيبات التي لم يحدث لها أثر ولا ورد بها خبر بصدق الحدس الصائب وقوة الذهن والفهم الثاقب، كإخباره بما يقع من عثمان ومايقع عليه، واخباره عن بني أمية بما يحدثونه في الدين من كل بلية مع انّ هذا الفساد الذي دسه في قضية الشورى اظهر ظاهر لمن له ادنى عقل وروية، بل الحق الذي لا ريب فيه، ان ذلك انما نشأ عن نفاقه الذي يدسه في الدين لتخريب شريعة سيد المرسلين كما هي عادته في حياته، فجرى عليها ما بعد وفاته، ولكن القوم اعمى ابصار بصائرهم بحبه وحميته وانسداد مسامع قلوبهم بما اشربت من وده وعصبيته حيث قد خلقوا من فاضل طينته لا يقدح ذلك ولا يؤثر فيما يدعونه من علو رتبته.

واما قوله: واما الزبير فلم يكن الاّ علوي الرأي إلى آخره[1].

ففيه أولاً: انه لا معنى لكونه علوي الرأي أم شديد الولاء إلاّ القول بامامة علي عليه السلام وتوليه، والخلاف على من خالفه في تقدمه وتعديه، المستلزم لكون علي عليه السلام على خلاف ما يدعيه القوم من الامامة، وانه عليه السلام هو المنصوب للقيام بتلك الزعامة.

وثانيًا: ان نسبة استنجاده المسلمين إلى لفظة يقال مع تقدم روايته لذلك في اخبار السقيفة تستر بما لا يغني التستر به بعد انتشار رائحته الكسيفة التي هي

١- شرح نهج البلاغة ١٣/١١.

انتن من الجيفة.

وثالثًا: ان انحراف الزبير لانحراف ولده حيث نزع به عرق الام ومال إلى تلك الجهة دليل على بغض تلك الجهة التي انحرف اليها عبد الله وانحرف أبوه بانحرافه لعلي عليه السلام وبغض من انحرف اليها، وكفى به دليلاً على نفاق الجميع وخروجهم عن الدين بما وقع عليه الاتفاق من حديث حب علي عليه السلام ايمان وبغضه نفاق.

واما قوله: على انه قد جرت بين علي عليه السلام والزبير هنات في ايام عمر إلى آخره[1].

ففيه أولاً: ما يدل على ضلال الزبير وفسقه بل كفره حيث نازع عليًا عليه السلام بعد سماعه من الرسول الله صلى الله عليه وآله في حق علي عليه السلام ما سمعه مما قدمنا نبذة منه، ولو لم يكن الاّ ما يدل على انه مع الحق والحق معه لن يفترقا إلى يوم القيامة، فضلاً عن الاخبار المتواترة معنى بالتمسك به وولايته ومتابعته، ومثله عمر الذي ينادي في غير محضر لولا علي لهلك عمر.

وثانيًا: ان قضاء عمر على علي عليه السلام بما قضاه لجهله واجتهاده لا بد أن يكون بخلاف الشرع وخلاف ما أنزل الله والاّ لأذعن له علي ولم يخالفه فيه ولم ينازع الزبير بالكلية، فلا يمكن تطرق الخطأ إلى علي عليه السلام لاعتراف الشارح بعصمته، وان لم يكن واجب العصمة كما تقدم، والخبر انه مع الحق والحق معه، فلا بدّ وان يكون الخطأ متطرق إلى عمر في حكمه،

١- شرح نهج البلاغة ١٤/١١.

وقد قال سبحانه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ﴾ ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على استحقاق من حكم بغير علم بحكم الله سبحانه الذي انزله في كتابه وعلى لسان نبيه، بل بمجرد هواه ورأيه، له عذاب النار في دار القرار.

وثالثًا: ان اعترافه هنا بإذعان علي عليه السلام لعمر في قضائه لحكم سلطانه، ظاهر الرد عليه في نحره، ومن أقوى الطعن في صدره لما يشقشق به من ان عليًا هو الاحق بالامامة والاولى والاعلم والافضل ولكنه تركها لغيره، ولم يخرجه تقدم من تقدم عليه عن كونه الافضل والاحق، وأي مزية لهذا التفصيل البارد والتبجح به في جملة الموارد، والمدح بوصفه عليه السلام بما ذكروه من الاوصاف مع جعلهم له عليه السلام سوقة لخلفائهم يحكمون في ماله ودمه بما يرونه كما في

١- الزمر/٦٠

٢- النحل/١١٦ — ١١٧.

٣- الصف/٧.

مثل هذا الموضع، ويجعلونه رغبة لهم وتبعًا، اف لها من قلوب اعينها من الحق مطموسة، ورؤسها إلى اسفل السافلين منكوسة.

واما ما نقله من حديث افتخار الزبير على علي عليه السلام ونقل تكذيبه عن شيخه أبي جعفر الاسكافي فهو باحتماليه حجة لنا في المقام، فان صح فهو اوضح حجة، ومؤيد لاستحقاق الزبير للنار وبئس القرار، وفيه رد لحديث العشرة المبشرة، وان كذب فهو اوضح شاهد في تعمدهم الزور والبهتان في اخبارهم، فكيف يرومون الزام الشيعة بها في مقام الخصام، والله الهادي لمن يشاء.

قال: الاصل، ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قومًا من اصحابه يسبون أهل الشام ايام حربهم بصفين: اني اكره لكم ان تكونوا سبابين إلى آخره[1].

السب الشتم، والذي يكرهه عليه السلام انهم كانوا يشتمون أهل الشام، ولم يكن يكره منهم لعنهم إياهم والبراءة منهم لا كما يتوهم قوم من الحشويّة فيقولون لا يجوز لعن أحد ممن عليه اسم الاسلام، وينكرون على من يلعن، ومنهم من يغالي في ذلك فيقول لا العن الكافرين، ولا العن ابليس، وان الله تعالى لا يقول لاحد يوم القيامة لم لا تلعن وانما يقول لم لعنت.

واعلم ان هذا خلاف نص الكتاب، لان الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ

١- شرح نهج البلاغة ٢١/١١، خطبة ٢٠٦.

ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴾[1]، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[2]، وقال في ابليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[3]، **وقال:** ﴿مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾[4]، وفي الكتاب العزيز من ذلك الكثير الواسع، وكيف يجوز للمسلم ان ينكر التبري ممن يجب التبري منه، ألم يسمع هؤلاء قول الله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[5]، وانما يجب النظر فيمن قد اشتبه حاله فان كان قارف كبيرة من الذنوب يستحق بها اللعن والبراءة فلا ضير على من يلعنه ويبرأ منه، وان لم يكن قارف كبيرة لم يجز لعنه ولا البراءة منه، ويدل على ان من عليه اسم الاسلام إذا ارتكب الكبيرة يجوز لعنه في وقت، قول الله تعالى في قصة اللعان: ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[6]، وقال الله تعالى في القاذف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ

١- الاحزاب/٦٤.

٢- البقرة/١٥٩.

٣- ص/٧٨.

٤- الاحزاب/٦١.

٥- الممتحنة/٤

٦- النور/٧.

ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[1]، فهاتان الآيتان في المكلفين من أهل القبلة والآيات قبلهما في الكافرين والمنافقين، ولهذا قنت أمير المؤمنين عليه السلام على معاوية وجماعة من أصحابه ولعنهم في ادبار الصلوات، انتهى[2].

أقول: لا يخفى من جملة من صرح بهذه المقالة المنبثة فمن صريح الضلالة امامهم وحجة اسلامهم الغزالي مستندًا اليها في المنع من لعن يزيد عليهما من لعاين الله تعالى وخلقه ما يزيد على العدد ويزيد، على ما نقله القاضي بن خلكان في كتاب وفيات الاعيان، ونحن ننقل كلامه هذا بطوله لتطلع على ما فيه من فساد وقبح محصوله، والعناد لله تعالى ولرسوله، ولتعرف ما انعقدت عليه تلك العقايد الخبيثة من الخروج عن جادة الدين المبين.

فنقول: قال ابن خلكان في الكتاب المذكور: سئل الغزالي عن من صرح بلعن يزيد هل يحكم بفسقه أم يكون ذلك مرضيًا له؟ وهل يكون مرتدًا حين قتل الحسين أم كان قصده الدفع؟ وهل يسوغ الترحم عليه أو السكوت عنه؟ أفضل بنعم بازالة الاشتباه مأجورًا.

فأجاب: لا يجوز لعن المسلم اصلاً، ومن لعن مسلمًا فهو الملعون، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المسلم ليس بلعان، ولا يجوز لعن البهائم، وقد ورد النهي عن ذلك، وحرمة المسلم اعظم من حرمة الكعبة، عن النبي صلى الله عليه وآله، ويزيد صح

١- النور/٢٣.

٢- شرح نهج البلاغة ٢١/١١.

اسلامه وما صح قتله الحسين ولا أمره ولا رضاه بذلك، ولما لم يصح ذلك لا يجوز ان يظن ذلك به، فان اساءة الظن بالمسلم حرام، ومن زعم ان يزيد أمر بقتل الحسين أو رضي فينبغي ان يعلم به غاية الحماقة، فان من قتل من الوزراء والاكابر والسلاطين في عصره لو أراد ان يعلم حقيقة من الذي أمر بقتله، ومن الذي رضى به، ومن الذي كرهه لم يقدر ذلك، وان كان قد قتل في جواره وزمانه وهو يشاهده، فكيف لو كان في بلد بعيد وزمن بعيد، وقد تطرق التعصب في الواقعة وكثرت فيها الاحاديث من الجوانب، فهذا امر لا يعرف حقيقته اصلاً، وإذا لم يعرف يوجب احسان الظن، ومع هذا لو ثبت على مسلم انه قتل مسلمًا فذهب أهل الحق إلى انه ليس بكافر، والقتل ليس بكفر، بل هو معصية وان مات القاتل فربما مات بعد التوبة، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، فاذن لا يجوز لعن احد ممن مات من المسلمين، ومن لعنه كان فاسقًا عاصيًا لله تعالى، ولو جاز لعنه فسكت عنه لم يكن عاصيًا، بل لو لم يلعن ابليس طول عمره لا يقال له يوم القيامة لم لا تلعن ابليس، ويقال للاعن لم لعنت، ومن اين عرفت انه مطرود ملعون، والملعون هو المبعد عن رحمة الله عزّ وجلّ، وهو غيب لا يعرف إلاّ فيمن مات كافرًا فان ذلك بالشرع، واما الترحم عليه فهو جايز بل مستحب بل داخل في قولنا في كل صلاة اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، لانه كان مؤمنًا، والله اعلم، كتب الغزالي، انتهى[1].

١- وفيات الاعيان ٢٨٨/٣.

فسرح رحمك الله بريد نظرك في هذا الكلام الذي هو كلام امام اولئك الاقوام، والمعروف عندهم بحجة الاسلام، ويقرب منه ما صرح به في كتاب اللعن من كتابه احياء العلوم حيث قال: ان لعن اليهود واهل الكتاب لا يجوز مطلقًا، نعم يجوز على طريق الشرط والتقييد، فيقال لعن الله فلان اليهودي ان لم يمت على الاسلام، لان صدور الاسلام منه جائز إلى ان قال: نعم يجوز اللعن على الرافضة مطلقًا من غير شرط لحصول القطع بان الرافضي لا يتوب ولا يرجع عن مذهبه ورفضه.

فانظر إلى هذا الآمر النحرير الذي قد فاق على ابليس في هذا التحرير كيف يمنع من اللعن على يزيد وعلى اليهود والنصارى ويبيحه على الرافضة، وليس لذلك سبب ظاهر الا عيب الصحابة ولعنهم والبراءة منهم كما صرحوا به في غير مقام، ومع هذا فقتل الحسين عليه السلام وما فعل به وبأهل بيته من تلك الفضائع العظام لا يجوز اللعن على يزيد ولا يقدح في ايمانه واسلامه وجواز الترحم عليه، إذ قتل الحسين عليه السلام ليس بكفر، ولعن الصحابة وعيبهم كفر.

وأقول: انا قدمنا في الفائدة الثالثة عشرة من الفوائد الملحقة بالمقدمة ما يغني بجواب هذا المطرود والبعيد من رحمة الله سبحانه والمردود، ونزيده هنا ونقول:

أولاً: اما انكاره لقتل يزيد ﴿لعنه الله﴾ الحسين عليه السلام ورضاه به فهو انكار للضروريات، وقد تكفل جملة من علمائهم بالرد لهذه المقالة ولا سيّما ابن الجوزي في كتابه الذي سماه بالرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد،

وصرح هو أيضًا في كتابه المسمى هبة العالمين الذي صنفه في آخر عمره بالرد لها، فقال في الكتاب المذكور ما صورته: وقد زعمت طائفة ان يزيد بن معاوية لم يرض بقتل الحسين عليه السلام وعدوا ان قتله وقع غلطة، وكيف يكون هذا وحال الحسين عليه السلام لا يحتمل الغلط لما جرى من قتاله ومكاتبة يزيد لابن زياد يحثه على قتله ومنعه من شرب الماء، وقتله عطشانًا، وحمل رأسه اليه واهله سبايا على اقتاب الجمال، وقرع ثناياه بالقضيب، قال: ثم استفاض لعن أمير المؤمنين على المنابر الف شهر وذلك بامر معاوية فانه أول من فعل ذلك وسنّه وحث عليه، اتراهم امرهم بذلك سنة أو كتاب أو اجماع، انتهى.

وهو في هذا الكتاب قد رجع عن كثير من تعصبه ونصبه الذي أودعه في إحيائه وغيره، كما قدمنا الاشارة إليه في المقدمة، ومن ذلك توهم بعض من يميل إلى الصوفية من الامامية مثل المحدث الكاشاني في كتاب المحجة البيضاء، والقاضي نور الله الشوشتري في كتاب مجالس المؤمنين، رجوعه إلى مذهب الامامية، وهو غلط كما نبهنا عليه ثمّة.

وثانيًا: ما سيأتي تفصيله وتحقيقه ان شاء الله تعالى باوضح وجه من كلام النقيب أبي جعفر يحيى بن محمّد بن زيد أحد مشايخ الشارح في الجزء العشرين في شرح قوله وقال عليه السلام لعمار بن ياسر رحمه الله وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلامًا إلى آخره.

وثالثًا: ان ما ذكره من عدم جواز اللعن الاّ على من علم موته على الكفر، فلا يجوز لعن مجهول الحال الاّ بالشرط الذي ذكره مردود، بانه لا يخفى على

كل ذي عقل وروية، ومن له بالشرع ادنى معرفة ان الشارع انما بنى الاحكام الشرعية من وجوب موالاة اوليائه ومعاداة اعدائه، وكذا الطهارة والنجاسة، والحل والحرمة، وامثالها على الظاهر، ولم يجعل ذلك منوطًا بما في نفس الامر والواقع، وما اشتملت عليه البواطن والسراير، إذ لو تم ما ذكره من هذه الترهات الباطلة والمزخرفات العاطلة لما صح جهاد المشركين، إذ لعلهم في الباطن من المؤمنين او انهم سيرجعون إلى الايمان ولو بعد حين، ولا كذلك الحكم بنجاستهم وحرمة ذبائحهم الاّ بالشرط المذكور الذي لا يعلمه الاّ المطلع على خفيات الصدور، ولا جاز أيضًا الحكم بالايمان لمن نشاهده من المؤمنين ولا موالاتهم ولا الدعاء لهم الاّ بالشرط المذكور، وهذا الشرط وان امكن اجراءه في الاقوال كيف يمكن اجراءه في الافعال.

ورابعًا: ان ما طعن به على الرافضة الذين رفضوهم ورفضوا ائمتهم فبزعمه اراد ان يذم فمدح، ويفضح فافتضح، وذلك لان الرافضة حيث قد رفضوا الاهواء المبتدعة والآراء المخترعة، وتمسكوا في دينهم بالثقلين الذين لا يضل من تمسك بهما في البين، وركبوا في سفينة النجاة من الضلال، وتمسكوا بأهل بيت نبيهم في الاقوال والافعال، واقتبسوا العلم من باب مدينة العلم النبوي، وارتضعوا من لبن ذلك الثدي العذب الروي، ولم يتبدلوا بهم كل ضال من تيمي أو عدوي واموي كانت عقايدهم كالجبال الراسخة التي لا تزعزعها العواصف ولا تزحزحها من مكانها القواصف، وليست مثل عقايدهم الحائرة، ومذاهبهم البائرة من معتزلة واشاعرة، وامثالها من تلك الفرق الخاسرة

الذين بنوا اصول دينهم على محض عقولهم وافكارهم المضطربة المبتدعة، وفروعه على استحساناتهم وقياساتهم المخترعة، فافترقوا لذلك فيه فرقًا ومزقوه باهوائهم وآرائهم مزقًا، ثقل عليهم العمل بالثقلين بعد ان رووهما ورأوهما نصب العين، فعدلوا عنهما إلى اصول اخترعوها وقواعد ابتدعوها، فتمسكوا باعجاز ليس لها صدور، ورفضوا واضلوا في الورود والصدور، ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[1]، فاصبحوا لذلك في الدين مختلفين متبددين، وفي اصوله وفروعه متعددين، تطعن كل فرقة اتت فيمن تقدمتها، وتقدم علماء كل طائفة علماء الاخرى وائمتها، وكلما دخلت في النار امة لعنت اختها، وقد قدمنا لك في المقدمة تفصيل هذا الاجمال، واوضحناه بما نرفع عنه نقاب الشك والاشكال.

هذا واما قول الشارح ان من قارف كبيرة يستحق بها اللعن فلا ضير على من يلعنه ويبرء منه ففيه: انه لا أكثر من ائمته واتباعهم يومئذ في مقارفة الكباير التي لا يسترها ساتر كما عرفته في فصول المطاعن وما تقدم، ويأتي في ابحاث هذا الكتاب، وإذ رأوا تعظيمها بالتمويهات التي لا تسترها بعد ان كشفوا عنها النقاب والحجاب، والله الهادي لمن يشاء.

قال: الاصل ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن احاديث البدع وعما في ايدي الناس من اختلاف الخبر ان في ايدي الناس حقًا وباطلاً إلى آخره[2].

---

١ -النور/٤٠.

٢- شرح نهج البلاغة ٣٨/١١.

واعلم ان هذا التقسيم صحيح، وقد كان في ايام الرسول صلى الله عليه وآله منافقون وبقوا بعده وليس يمكن ان يقال ان النفاق مات بموته، والسبب في استتار حالهم بعده انه عليه السلام كان لا يزال يذكرهم بما ينزل عليه من القرآن، فانه مشحون بذكرهم، ألا ترى ان أكثر ما نزل بالمدينة من القرآن مملوٌ بذكر المنافقين، فكان السبب في انتشار ذكرهم واحوالهم وحركاتهم هو القرآن، فلما انقطع بموته صلى الله عليه وآله لم يبق من يبغي عليهم سقطاتهم ويوبخهم على اعمالهم، ويأمر بالحذر منهم ويجاهرهم تارة ويجاهلهم اخرى، وصار المتولي للامر بعده يحمل الناس كلهم على كاهل المجاملة، ويعاملهم بالظاهر، وهو الواجب في حكم الشرع والسياسة الدنيوية بخلاف حال الرسول صلى الله عليه وآله فانه كان تكليفه معهم غير هذا التكليف، ألا ترى انه قيل له لا تصل على أحد منهم مات ابدًا ولا تقم على قبره، فهذا يدل على انه كان يعرفهم باعيانهم والاّ كان النهي عن الصلاة عليهم مالا يطاق، والوالي بعده لا يعرفهم باعيانهم وليس مخاطبًا بما خوطب به الرسول صلى الله عليه وآله في أمرهم، ولسكوت الخلفاء عنهم بعده صلى الله عليه وآله خمل ذكرهم، فكان قصارى أمر المنافق ان يستر ما في قلبه، ويعامل المسلمين بظاهره، ويعاملونه بحسب ذلك ثم فتحت عليهم البلاد، وكثرت الغنايم، فاشتغلوا بها عن الحركات التي كانوا يعتمدونها ايام الرسول صلى الله عليه وآله وبعثهم الخلفاء مع الامراء إلى بلاد فارس والروم فألهتهم الدنيا عن الأمور التي كانت تنقم منهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنهم من استقام اعتقاده وخلصت نيته لما رأوا الفتوح والقاء الدنيا افلاد كبدها من الاموال العظيمة والكنوز

الجليلة اليهم، فقالوا لو لم يكن هذا الدين حقًا لما وصلنا إلى ما وصلنا اليه، وبالجملة لما توركوا تركوا، وحيث سكت عنهم سكتوا عن الاسلام الاّ في دسيسة حقه يعملونها نحو الكذب الذي اشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فانه خالط الحديث كذب كثير صدر من قوم غير صحيحي العقيدة قصد به الاضلال وتخبيط القلوب والعقايد، وقصد به بعضهم التنويه بذكر قوم كان لهم بالتنويه بذكرهم غرض دنيوي.

وقد قيل: انه افتعل في ايام معاوية خاصة حديث كثير على هذا الوجه، ولم يسكت المحدثون الراسخون في عد الحديث عن هذا، بل ذكروا كثيرًا من هذه الاحاديث الموضوعة، وبينوا وضعها، وان رواتها غير موثوق بهم الاّ ان المحدثين انما يطعنون فيما دون طبقة الصحابة، ولا يتجاسرون على الطعن في احد من الصحابة، لان عليه لفظ الصحبة على انهم قد طعنوا في قوم لهم صحبة كبسر بن ارطاة وغيره.

فان قلت: من هم ائمة الضلال الذين تقرب اليهم المنافقون الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبوه بالزور والبهتان، وهل هذا الاّ تصريح بما يذكره الامامية وتعتقده.

قلت: ليس الامر كما ظننت وظنوا، وانما يعني معاوية وعمرو بن العاص ومن شايعهما على الضلال كالخبر الذي رواه من رواه في حق معاوية اللهم قِه العذاب والحساب وعلمه الكتاب[1] وكرواية عمرو بن العاص تقربًا إلى قلب

١- تاريخ دمشق ٧٩/٥٩.

معاوية ان آل أبي طالب ليسوا لي اولياء، وانما وليي الله وصالح المؤمنين[1]، وكرواية قوم في ايام معاوية أخبارًا كثيرة في فضايل عثمان تقربًا إلى معاوية، ولسنا نجحد فضل عثمان وسابقته، ولكنا نعلم ان بعض الاخبار الواردة فيه موضوع كخبر عمرو بن مرة فيه، وهو مشهور وعمرو بن مرة ممن له صحبة، وهو شامي وليس يجب من قولنا ان بعض الاخبار الواردة في شخص فاضل مفتعلة ان تكون قادحة في فضل ذلك الفاضل، فانا مع اعتقادنا ان عليًا عليه السلام افضل الناس نعتقد ان بعض الاخبار الواردة في فضائله مفتعل ومختلق.

وقد روي ان أبا جعفر محمّد بن علي عليهما السلام قال لبعض اصحابه: يا فلان ما لقينا من ظلم قريش ايانا وتظاهرها علينا، وما لقى شيعتنا ومحبونا من الناس، إذ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر انا اولى الناس بالناس فتمالأت علينا قريش حتى اخرجت الامر عن معدنه واحتجت على الانصار بحقنا وحجتنا ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت الينا، نكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الامر في صعود وكؤود حتى قتل، فبويع الحسن عليه السلام

١- البخاري ٢٢٣٣/٥، صحيح مسلم ١٩٧/١، الدر المنثور ٦٠/٤، تاريخ دمشق ١٠٩/٤٦، فتح الباري ٤٢١/١٠ وقال فيه: واما عمرو بن العاص وان كان بينه وبين علي ما كان فحاشاه ان يتهم، وللحديث محمل صحيح لا يستلزم نقصًا في مؤمني آل ابي طالب، وهو ان المراد= =بالنفي المجموع كما تقدم، ويحتمل ان يكون المراد بآل ابي طالب ابو طالب نفسه، وهو اطلاق سائغ، مقدمة فتح الباري ٣٣١/١.
أقول: ويظهر ان في نسخ الصحاح ﴿آل ابي طالب﴾ موجودة الاّ انها ابدلت ﴿بآل ابي فلان﴾ كل ذلك خوفًا على شخصية عمرو بن العاص قائد راية الكفر والفجور ولو ادى ذلك للطعن على قرابة الرسول، والاّ ما هو معنى دفاع صاحب فتح الباري عن ابن العاص مع اشتهار فجوره وفسقه وبغيه. ﴿المحقق﴾.

ابنه، وعوهد ثم غدر به واسلم ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، وانتهب عسكره، وعولجت خلاخل امهات اولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل من قليل، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون الفًا ثم غدر به، وخرجوا عليه وبيعته في اعناقهم، ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونقصى ونمتهن، ونحرم ونقتل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء اوليائنا، ووجد الكذابون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعًا يتقربون فيه إلى اوليائهم، وقضاة السوء في كل بلدة فحدثوهم بالاحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله ولم نفعله، ليبغضونا إلى الناس، وكان اعظم ذلك وأكثره من معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الايدي والارجل على الظنة، وكان كل مَن ذكر بحبنا والانقطاع الينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، واخذهم بكل ظنة وتهمة حتى ان الرجل يقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ولعله يكون ورعًا صدوقًا يحدث باحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئًا منها ولا كانت ولا وقعت، وهو يحسب انها حق لكثرة من قد رواها ممن لا يعرف بكذب ولا قلة ورع[1].

١- كتاب سليم بن قيس/١٨٩.

وروى أبو الحسن المدايني علي بن محمّد بن أبي سيف المدائني في كتاب الاحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة ان برئت الذمة ممن روى شيئًا من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كلّ منبر يلعنون عليًا ويزرون منه ويقمصون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من فيها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضمّ اليه البصرة، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف، لانه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، واخافهم وقطع الايدي والارجل وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم من العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ان لا يجيزوا لشيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب اليهم ان انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته الذين يروون فضايله ومناقبه فادنوا مجالسهم، وقربوهم واكرموهم، واكتبوا إليّ بكل ما يروي كل رجل منهم وباسمه واسم ابيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى اكثروا في فضايل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطايع، وبفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء احد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة الاّ كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حينًا ثم كتب إلى عماله ان الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا

الناس إلى الرواية في فضايل الصحابة والخلفاء الاولين ولا تتركوا خبرًا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب الاّ واتوني بمناقض له في الصحابة، فان هذا أحب إليّ واقر لعيني، وادحض لحجة ابي تراب وشيعته، واشد عليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرئت كتبه على الناس، فرويت اخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري في هذا المجرى حتى اشادوا بذكر ذلك على المنابر، والقي إلى معلمي الكتاب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما ينقلون القرآن وحتى علموه بناتهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة بانه من شيعة علي وأهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره، فلم يكن البلاء اشد ولا أكبر منه بالعراق ولا سيما الكوفة حتى ان الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي اليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الايمان المغلظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان اعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون المستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الاحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الاموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الاخبار والاحاديث إلى ايدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فرووها وهم يظنون انها حق،

ولو علموا انها باطلاً لما رووها ولا تدينوا بها، فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن عليه السلام فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذه القبيلة الاّ خائف على دمه، وطريد في الأرض ثم تعامم الامر بعد قتل الحسين عليه السلام وولي عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك والصلاح الذين ينقص علي بن أبي طالب وموالاة اعدائه وموالاة من يدعي قوم من الناس انهم اعداءه، فاكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، واكثروا من النقص من علي بن أبي طالب وعيبه والطعن فيه والشنآن له حتى ان انسانًا وقف للحجاج ويقال انه جد الاصمعي عبد الملك بن مريب فصاح به ايها الامير ان أهلي عقوني فسموني عليًا واني فقير بائس، وانا إلى صلة الامير محتاج، فتضاحك وقال: للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من اكابر المحدثين واعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: ان أكثر الاحاديث الموضوعة في فضايل الصحابة افتعلت في ايام بني أمية تقربًا اليهم بما يظنون انهم يرغمون به انف بني هاشم[1].

قلت: ولا يلزم من هذا ان يكون علي عليه السلام يسوءه ان يذكر الصحابة والمتقدمون عليه بالخير والفضل، لان معاوية وبني أمية كانوا يبنون الامر من هذا على ما يظنونه في علي عليه السلام من انه عدو من تقدم عليه، ولم يكن الامر في الحقيقة كما يظنون، ولكنه كان يرى انه افضل منهم وانهم استأثروا عليه

١- شرح نهج البلاغة ١١/٤٦.

بالخلافة من غير تفسيق منه لهم ولا براءة منهم، انتهى[1].

اقول: في ضروب من الاعوجاج، واللدد واللجاج، والمراوغة عن الحق الواضح المنهاج، وبيان ذلك يقع في مواضع:

الأول: ما ذكره في المنافقين بعده صلى الله عليه وآله والسبب في استتار حالهم بعد موته إلى آخره.

ففيه أولاً: ما قدمنا نقله عن الشهرستاني في كتاب الملل في الفائدة التاسعة من الفوايد الملحقة بالمقدمة واوضحناه بما لا مزيد عليه فليرجع من اراد تحقيق الحال اليه.

وثانيًا: انه لا ريب انه صلى الله عليه وآله في حال حياته قد كشف الحال واوضح المقال فيما تنبأ عن النفاق مما وقع على روايته من الفريقين الاجتماع والاتفاق، فجعل حب علي عليه السلام وولايته دليلاً على الايمان، وبغضه دليلاً على النفاق، ومن الاخبار الواردة في ذلك زيادة على ما قدمناه في المقدمة وغيرها ما رواه ابن بطة من ستة طرق، وابن ماجة، والترمذي، ومسلم[2] والبخاري، وأبو القاسم الاصفهاني، وأبو بكر بن أبي شيبة عن وكيع وأبو معاوية عن الاعمش باسانيدهم عن زر بن حَبيش قال: قال علي عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرئ النسمة انه لعهد النبي الامي انه لا يحبني الاّ مؤمن ولا يبغضني الاّ منافق[3].

١- شرح نهج البلاغة ١١/٤٤ — ٤٧.

٢- صحيح مسلم ٨٦/١.

٣- معجم الشيوخ للذهبي ٢٣٧/١، اعتقاد اهل السنة ٩٣٢/٥. الايمان ٦٠٧/٢ وقال فيه: اسناده صحيح، فتح الباري ٧٢/٧، سير اعلام النبلاء ١٨٩/٥.

البلاذري والترمذي[1] والسمعاني، عن أبي هارون العبدي قال: قال أبو سعيد الخدري: كنا لنعرف المنافقين نحن معاشر الانصار ببغضهم علي بن أبي طالب. ابانه التلعكبري و كتاب ابن عقدة، وفضايل أحمد، باسانيدهم ان جابرًا والخدري قالا: كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ بنقصهم عليًا[2].

أبو بكر بن مردويه، عن أحمد بن محمّد بن الصباح والنيسابوري، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أحمد قال: سمعت الشافعي يقول: سمعت مالك بن انس يقول: قال انس بن مالك: ما كنا نعرف الرجل لغير ابيه الاّ بنقص علي بن أبي طالب. انس في خبر طويل بل كان الرجل من بعد يوم خيبر يحمل ولده على عاتقه ثم يقف على طريق علي، فاذا نظر اليه أومأ باصبعه يا بني تحب هذا الرجل؟ فان قال نعم قبله، وان قال لا حلق به الأرض وقال له ألحق بامك[3].

الهروي في الغريبين قال عبادة بن الصامت: كنا نبرأ اولادنا بحب علي بن أبي طالب، فاذا راينا أحدهم انه لا يحبه علمنا انه لغير رشده.

الطبري في الولاية باسناده عن الاصبغ [بن] نباتة قال: قال علي عليه السلام: لا يحبني ثلاثة، ولد زنا، ومنافق، ورجل حملت به امه في حيضها[4]. إلى غير ذلك من الاخبار، وعلى هذا فكل من ظهر منه البغض له عليه السلام فهو منافق بحكم هذه

١- سنن الترمذي ٦٣٥/٥.

٢- فضائل الصحابة ٦٧١/٢.

٣- تاريخ دمشق ٢٨٨/٤٢.

٤- نهج الايمان لابن جبر/٤٥٦.

القاعدة الكلية والنصوص المروية الجلية، ويعضدها ما اتفق عليه الفريقان من قوله ﷺ: أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجى، ومن تخلف عنها غرق[1]، وما استفاض عنه ﷺ برواية الفريقين من قوله خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما[2] وبموجب ذلك يعلم ان كل من ركب في تلك السفينة وتمسك بذينك الثقلين فهو مؤمن بغير مين، ومن تخلف عن التمسك والركوب المذكورين فهو منافق كما هو رأي العين.

وحينئذ فنقول: ان هذا الداء الدفين الذي ورثه بغاة الجهل والصفين وان كان في بعض اولئك الصحابة كان مخفيًا في زمنه ﷺ على الناس الاّ انه بعد موته قد ارتفع عنه لباس الالتباس، وزالت عنه غشاوة الانطماس، وصار كالشمس الطالعة في جملة الاقطار لا يتجللها غيم الاستتار، كما افصحت عنه اخبار السقيفة والشورى المتقدمة، وما وقع على علي عليه السلام يومئذ من الذل والصغار وهو مصداق تلك الاخبار الدالة على ارتداد الصحابة بعد موته ﷺ، وبذلك يظهر ان ما اطال به الشارح الضال مراوغة عن لزوم النفاق لخلفائه تطويل بغير طائل، وشقشقة لا ترجع إلى حاصل بل رمي في الظلام، ونفخ في غير ضرام.

وثالثًا: ان قوله: وكان المتولي الامر بعده يحمل الناس إلى آخره فيه بما اوضحناه في هذا الكتاب وكشفنا عنه حجاب الاحتجاب ان ذلك التولي هو

١- المعجم الوسيط ٣٠٦/٥، الكامل في الضعفاء ١٩٧/٤.

٢- غريب الحديث ١٩٢/٢، المنتخب من الصحاح الستة/١٢٦، الاحتجاج للطبرسي ٩٠/١.

رأس النفاق بما احدثه في حق امام اولي الوفاق من النزاع والشقاق الذي صار اساسًا لكل فتنة وبلاء على الاطلاق، وعم شره وشراره جملة الاطراف والآفاق إلى يوم التلاق.

ورابعًا: ان قوله بعد ايراد آية النهي عن الصلاة عليهم، فهذا يدل على انه كان يعرفهم باعيانهم ففيه ان قوله عزّ وجل في كتابه المجيد يرد ما ذكره من هذا التخرص البعيد حيث قال سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾[2]، وهما دالتان على انه صلى الله عليه وآله قد خفي عليه معرفة جملتهم، فكيف يصح له دعوى انه كان يعرفهم بأعيانهم، واما ما توهمه من لزوم مالا يطاق بالنهي عن الصلاة عليهم مع عدم العلم بأعيانهم، فيمكن دفعه بتخصيص ذلك بمن ظهر له نفاق او ان الله سبحانه بعد ذلك يوحي اليه ويخبره بعد موت ذلك المنافق بنفاقه قد يصلي عليه حينئذ.

الثاني: قوله: ولم يسكت المحدثون الراسخون في علم الحديث إلى آخره.

فان فيه ما سيأتي فيما رواه من افتعال معاوية وبني امية الاخبار التي في فضايل الصحابة ما يبطل هذا الكلام ويوضح انه من جملة الاوهام السقام بتوفيق الملك العلام.

١- التوبة/١٠١.

٢- محمد/٣٠.

الثالث: قولـه: ان المحدثين انما يطعنون فيما دون طبقة الصحابة، فان فيـه دلالة على صحة ما قدمنا نقله عنهم من حكمهم بعدالة الـصحابة كافـة والمنـع من القدح فيهم، وهـو مـن المواضـع التـي ظهـر فيهـا ضـلالهم وتعـصبهم علـى الباطل الذي لا يستره ساتر ولا يحول دونه حائل، فان هذا الحكم بعد ظهور ما ظهر من اولئك الـصحابة مـن القبـايح والمنـاكر كمـا سيأتي ان شـاء الله تعـالى تفصيله في الجزء العشرين بنقـل الـشارح عـن شيخه النقيـب مـن قتـل بعـضهم بعضًا، ولعن بعضهم بعضًا وامثال ذلك مـا ذكرنـا مجمـلاً منـه فـي آخـر الفـصل الأول من المقصد الثالث من مقاصد المقدمـة ممـا لا يـذهب الامـر، ذهـب الله بنور قلبه، وطبع عليه وتزيّده.

ونقول هنا: ان هذه العبـارة لا تخلـو مـن أحـد معنيـين لا ثالـث لهمـا فـي البين، فاما ان يكـون مـرادهم ان الـذنوب والكبـاير التـي ذكرهـا الله تعـالى فـي الكتاب، وتوعد عليها بأليم العـذاب لا تكـون ذنوبًـا فـي حـق الـصحابة، لانهـا مغفورة لهم بالصحبة، أو انـه لـم يقـع عـنهم شـيء مـن تلـك الـذنوب بالكليـة، والثاني مما يكذبه بديهة العيان والوجدان المستغني عن البيان والبرهان، والاول مـع كونـه محـض كفـر وطغيـان لاستلزامه تكـذيب القـرآن لا يوافـق مـذهب الشارح واصحابه الحاكمين بفسق كل من حارب عليًا عليه السلام في حـرب الجمـل وصفين، ولـم يستثنو الاّ طلحة والزبير وعايشة بدعوى التوبة لهـم، ولا ريـب ان رؤوس الحرب انما هـم الـصحابة مـن قـريش وامثـالهم، فينبغـي بمقتـضى هـذا الكلام ان لا يفسقوهم والحال انهم قد صرحوا بخـلاف ذلـك، كمـا صرح بـه

الشارح في غير موضع من هذا الشرح، وحينئذ فتمثيله ببعض من طعنوا عليهم كبسر بن ارطاة وغيره مما يؤذن بندورهم وشذوذهم عمى أو تعامٍ عن الحق الذي صرح به كما ذكرنا هؤلاء المحدثون الذين نقل عنهم ما ذكره ان كانوا من اصحابه فقد ناقضوا انفسهم في هذا المقام، وان كانوا من علماء الاشعرية فلا تأييد في ذلك لمدعاه لكونه على خلاف ما ذهبوا اليه وصرحوا به كما عرفت.

وثانيًا: انه أي مزية في مجرد الصحبة بعد قوله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله الذي يتسترون بصحبته ﴿قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[2]، ونحو ذلك مما يدل على ان قربه من الله سبحانه وعلو منزلته دائر مدار تقواه وورعه عن محارم الله، وتجنبه لما يسخطه، ثم أي صحبة أشد من صحبة نسائه ﴿صلوات الله عليه وآله﴾ له واعظم خلطة، وقد شرفوا لذلك بأمومة المؤمنين مع انه سبحانه خاطبهم وقال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[3]، فجعل عذابهن على المعصية مضاعفًا لمزيد صحبتهن وقربهن منه صلى الله عليه وآله، لان قيام الحجة عليهنّ اشد، ووضوح

١- الانعام/١٥.

٢- الحاقة/٤٤ — ٤٧.

٣- الاحزاب/٣٠.

المحجة لهن اوكد، وقال سبحانه: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾[1]، فجعل شرفهن في التقوى لا في مجرد الصحبة، وقد عرفت في سورة التحريم في عايشة وحفصه من الذم العظيم لمّا خالفتاه وافشتا سره في قرآن يتلى إلى آخر الزمان في كل صقع ومكان حتى ضربا لهما المثل بالكفار الدال على انهما بالمخالفة من أهل النار[2]، فكيف يدعي هؤلاء الضلال التائهون في أودية الضلال ان مجرد الصحبة مانعة من القدح في اولئك الاصحاب مثالبهم ومطاعنهم في غير باب خلافًا على الله عزّ وجلّ في محكم الكتاب.

الرابع: قوله: فان قلت: من هم ائمة الضلال وجوابه تخصيص ذلك بمعاويه وابن العاص الذين اتخذهما جنة وسترًا له في مثال هذا المجال حيث لا يجد المهرب والمناص دون خلفائه اولي الاحمال والاثقال الذين هم اول مخالف لله تعالى وعاص، فان هذا لا يروج الاّ على ناقصي العقول ومن لا روية له في معقول ولا منقول.

١- الاحزاب/٣٢.

٢- قال في الدر المنثور ٢٢٠/٨: واخرج عبد الرزاق وابن سعد واحمد والعدني وعبد ابن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن حبان وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس ﴿رضي الله عنهما﴾ قال: لم ازل حريصًا ان اسأل عمر ﴿رضي الله عنه﴾ عن المرأتين من ازواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى ﴿ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما﴾ حتى حج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم اتى فصببت على يديه فتوضأ فقلت: يا امير المؤمنين من المرأتان من ازواج النبي اللتان قال الله ﴿ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما﴾، فقال: واعجبا لك يا ابن عباس، هما عائشة وحفصة . ومثله في تفسير ابن كثير ٣٨٩/٤، صحيح البخاري ٨٧١/٢، صحيح مسلم ١١١١/٢، صحيح ابن حبان ٤٩٢/٩، سنن الترمذي ٤٢٠/٥، مسند احمد ٣٣/١. ﴿المحقق﴾.

اما أولاً: فلأن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المقام انما اخبر عن شيء قد مضى وتقدم على وقت هذا الكلام ومع فرض كون ذلك في ايام خلافته عليه السلام فان معاوية وابن العاص يومئذ ليسا بائمة يتقرب اليهما الناس بوضع الاخبار، وهذا التسجيل منه عليه السلام بقوله فولوهم الاعمال وحملوهم على رقاب الناس واكلوا بهم الدنيا إلى آخره انما ينطبق على ائمة وولاة كانت الدنيا تحت ايديهم، والممالك منقادة اليهم، والناس عاكفون عليهم، مذعنة لهم، طامعة فيما لديهم، ومعاوية ليس تحت يده الاّ الشام، ولم يتسم بعد بالامام.

وثانيًا: ان اضافته ابن العاص ونحوه إلى معاوية ناش من الحيرة والبهت والاضطراب واخلال الزمام في هذا الباب، فان كلامه عليه السلام لما كان بلفظ الائمة بصيغة الجمع فسره بمعاوية وابن العاص ومن شايعهما وتابعهما ليتحقق بهم صيغة الجمع، واين ابن العاص وامثاله من اتباع معاوية من الامامة للناس حتى يتقربوا لهم بوضع الاخبار، ثم انه عدّ ابن العاص الذي جعله احد الائمة بتفسيره الشارد من جملة المتقربين إلى معاوية بوضع الاخبار، وكل ذلك من البهت والحيرة كما ذكرناه واغرب من ذلك عده في هذا المكان رواية الاخبار في فضل عثمان في أيام خلافة معاوية بعد موت علي عليه السلام مع انك قد عرفت ان عليًا عليه السلام انما اخبر عن امر قد تقدم ومضى لا انه يأتي بعده.

وثالثًا: انه سيأتي ان شاء الله تعالى في الجزء الثالث عشر بنقل الشارح عن شيخه النقيب ان عمرو بن العاص قد روى لعمر بن الخطاب وارضاه بحديث افتعله واختلعه على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سمعته يقول: ان آل أبي طالب ليسوا

لي باولياء، الحديث، وهو هاهنا ينقل ان ابن العاص افتعل هذا الحديث تقربًا إلى معاوية، وقد تقدم نقلاً من كتاب سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام ان حديث العشرة المبشرة بالجنة اختلق في ولاية عثمان رواه له سعيد بن نفيل [1].

وبالجملة فكلامه عليه السلام انما ينطبق على الائمة الذين تقدموه، وهو الذي اراده ولكن هذا الشارح الضال قد اوقع نفسه بالتعرض لشرح هذا الكتاب في عداد الجهال أو الجاهلين حمية وعصبية لابن الخطاب ومن تبعه من الاصحاب.

الخامس: قوله ليس يجب من قولنا ان بعض الاخبار الواردة في شخص فاضل إلى آخره.

فان فيه: انه مسلّم انه لا يجب ذلك اما مع ثبوت فضله بغير تلك الاخبار المفتعلة بل باخبار صريحة صحيحة في فضله، وانى لهم بذلك في عثمان كما سيأتيك بيانه ان شاء الله تعالى في هذا المكان، واما التنظير هنا بأمير المؤمنين

١- والعشرة المبشرة بالجنة كما ذكر هم: علي بن ابي طالب وابو بكر وعمر وعثمان وابو عبيدة بن الجراح وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد، والعجيب في الامر بأن هؤلاء العشرة المبشرة جرى بينهم من النزاع ما لا يخفى على من قرأ التاريخ حيث لم نر واحدًا منهم الاّ ونازع الآخر في امر، فلقد نارع ابو بكر وعمر عليًا في حقه الشرعي، ونازع طلحة والزبير عليًا وقاتلاه في وقعة الجمل، ولم يبايع سعد بن ابي وقاص عليًا مع اجماع الامة على بيعته، وتنازع عثمان وعبد الرحمن بن عوف، فكيف يمكن الجمع بين هذه الافعال الصادرة من هؤلاء المبشرين مع كونهم من اهل الجنة، فاذا كان اهل الجنة هكذا حالهم فكيف باهل النار، وهذا التناقض الذي لا يخفى على المجانين فضلاً عن العقلاء مما يدلل على وضع هذا الحديث واختلاقه وان واضعه لم يستطع سد هذه الثغرات في كذبه. ﴿المحقق﴾.

عليه السلام فهو غير منطبق على المراد، ولا دافع للايراد، فان فضائله عليه السلام اجمع عليها المخالف والموافق، ورواها المؤمن والمنافق، فلا يقدح كذب بعضها في فضله، ولا يؤثر في علو شرفه ونيله.

السادس: ما نقله من حديث الباقر عليه السلام الذي هو أحدّ عليه من ضرب السهام لو كان ممن يؤمن بالملك العلام ورسوله ﴿عليه وآله أفضل الصلاة والسلام﴾، فان هذا القائل عنده اما ان يكون صادقًا فيما نقله عنه أو كاذبًا وعلى الثاني فلا معنى لنقله هذا الخبر ولا استشهاده بكلامه، ويرده أيضًا ما اتفق عليه المخالف والموالف من فضله وعلو شرفه ونزاهة ساحته من نقل الزور والبهتان، كما صرح به غير واحد من علمائهم الاعيان وعلى الاول فيلزم منه ما تدعيه الشيعة من غصب ائمته للامامة التي هي منصوص بها على أمير المؤمنين ودخولهم بذلك في زمرة المرتدين، إذ لا معنى لقوله عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله قد اخبر انهم اولى الناس بالناس الاّ النص بالامامة عليهم واحدًا بعد واحد، وهذا هو الذي تمالت فيه قريش واخرجت الامر من معدنه، فهل يراد في المقام ما هو اصرح من هذا الكلام، وما ذكره عليه السلام في هذا الخبر مما وقع عليهم وعلى شيعتهم فهو ثمرة تلك المصلحة التي تموه بها هذا الضال في غير مقام من انهم انما تقدموا عليه مع كونه الافضل والاحق حياطة على الاسلام كما تقدم ويأتي، وينقل هنا هذا الخبر ويمر عليه كالاعمى الذي لا يبصر ما بين يديه.

السابع: ما نقله عن المدايني في كتاب الاحداث وعضده بما ذكره اخيرًا من رواية ابن نفطويه، وهو مشتمل على فوايد عديدة:

منها: الدلالة على ارتداد جملة أهل السنة في ذلك الزمان زيادة على ما تقدم وكشفهم القناع وابراز ذلك النفاق الذي كان مخفيًا أو ظاهرًا ظهورًا ما رغبة في نيل الزخارف الدنيوية والاطماع من علمائهم وقضاتهم وخطباءهم واصحاب النسك والورع منهم، ومن يتلوهم من الاتباع، ولا ريب انه لو كان القوم قبل ذلك اليوم على ايمان مستقر ثابت الاساس لما عراه مجرد من مزخرفات معاوية وبذله الاطماع الانتقاض والانعكاس، وهؤلاء كلهم اتباع اولئك الخلفاء المتقدمين، فمنهم من كان من أصحابهم الموجودين، ومنهم من التابعين المتأخرين، ولولا علمهم جميعًا بان اولئك الخلفاء كانوا على هذه الطريقة بل أول من سن هذه السنة، وتخلق بهذه الخليقة لما سلكوها ولا استغراهم معاوية بل وان وافقه ضعفاء العقول وساير الناس من الاتباع طمعًا في تلك الاطماع، فلا يوافقه العلماء منهم وذوا الديانة ولا سيّما من كان من الصحابة العارفين بالاحوال، وكيف كان فهل يستبعد من اقوام هذه حالهم في حب الدنيا الدنية وزخرفاتها الوبية بحيث يخلعون من اعناقهم ربقة الايمان ويبيعون دينهم على معاوية بأبخس الاثمان ان ينكروا النص على علي عليه السلام الذي يعلمون انه على الحق القاطع، ويميلون عنه إلى غيره ممن يرجون منه المطامع، وهذا بحمد الله ظاهر لمن نظر في المقام بعين الانصاف، وجانب الحمية والعصبية والاعتساف.

ومنها: الدلالة الواضحة على ان جميع ما يروونه في حق الخلفاء الثلاثة وسائر الصحابة فانه لا يجوز الوثوق به ولا الاعتماد عليه، ولا الركون له ولا

الرجوع اليه، وذلك فانه إذا كان الامر قد بلغ في وضع الاحاديث في فضائلهم وافتعالها لهم إلى هذه الحال بحيث استمر مدة ولاية الاموية في كل قطر وكل ناحية وكل بلدة من ولايات الاسلام، فمن المعلوم انه قد بلغ في الكثرة إلى مالا نهاية له ولا حد، ولا حصر له ولا عد، ثم ان تلك الاخبار انتقلت إلى الثقات وارباب الديانة ورووها وتدينوا بها وصنفوها في كتبهم وضبطوها وصححوها من غير علم لهم بالحال، واستمرت على هذه الحال الاعصار خلفًا بعد سلف في جملة الامصار، فلو فرضنا وسلمنا ان ثمة أخبارًا صحيحة واقعية في فضايل الخلفاء والصحابة فانى لهم بالتمييز بين الصحيح والسقيم والغث عن السمين بعد بلوغ الامر إلى ما شرحه في الخبر، وغاية ما يمكن معرفته من ذلك عند من انصف منهم بعض الانصاف، وساعف إلى الرجوع إلى الحق بعض الاسعاف، هو الاخبار المشتملة على الغلو في تفضيل بعض اولئك الخلفاء زيادة على ما كانوا يعتقدونه في حقهم كما تقدم نقل جملة هاهنا عن الفيروزآبادي في كتاب سفر السعادة، وغيره في الفصل السادس من المقصد الثاني من المقدمة ومعارضته اخبار متفق على صحتها وارجحيتها كما سيأتي في كلام الشارح في المقام، واما غير ذلك فلا يمكن معرفته ولا تمييزه بوجه، ومعرفة ذلك بالنظر إلى الراوي غير ممكن هنا، لان هذه الاخبار كما عرفت انما زورتها قضاتهم واصحاب النسك المشهورون بينهم بالورع والزهد، ولو كان هؤلاء ممن لا يوثق برواياتهم عندهم لما تدينت بهذه الروايات من اتى بعدهم من القوم الذين اشار اليهم في الخبر بانهم من الديانين الذين لا

يستحلون الكذب والبهتان، ومن المعلوم انه لولا وثوقهم باولئك الرواة واعتقادهم عدالتهم لما نقلوا اخبارهم وتدينوا بها وقابلوا الله تعالى بصحتها والاعتماد عليها، وبذلك يظهر انه لو احتجوا على فضايل احد من خلفائهم وصحابتهم بخبر فطلبت منهم الشيعة تمييزه من هذه الاخبار التي زورتها الاموية والحال فيها على ما وصفناه، فانى لهم بتمييزه وإثبات صحته ولو قابلوهم بان جميع ما يروونه في فضائل ائمتهم فكله من مخترعات الاموية والاّ فليس لهم فضيلة تذكر ولا منقبة تسطر، فانى لهم بالجواب بعد انفتاح هذا الباب وانهتاك السرّ والحجاب، بما اعترفوا به مما هو حقيقة الحق والصواب، وهذا هو ما احلنا عليه في سابق هذا الكلام من هذا المقام.

ومنها: الدلالة على كفر معاوية وبني امية كلاًّ، فان هذا الشارح وان اعترف به وجملة من أصحابه الاّ ان جل علمائهم على القول بصحة خلافتهم وثبوت امامتهم كما عليه جملة الاشعرية كما تقدم في المقدمة.

ومنها: الدلالة على صحّة ما ذكرناه في الفائدة الثامنة من الفوائد الملحقة بالمقدمة من انقسام الناس يومئذ إلى شيعة وهو من قال بامامة أمير المؤمنين واولاده الغر الميامين بعد الرسول صلى الله عليه وآله وطعن فيمن تقدم عليه وتبرأ منه و[شيعته] وهم القائلون بامامة الخلفاء الثلاثة؛ وحديث الباقر عليه السلام المنقول في المقام اظهر شاهد واوضح عاضد، إذ لو كان الامر على ما يدعيه الشارح الضال في غير موضع واشار إليه هنا بقوله قلت ولا يلزم إلى آخره من ان عليًا عليه السلام كان مصححًا لخلافة من تقدم عليه وغير مكفّر لهم ولا متبريء منهم، وان

شيعته واتباعه يجب ان يكونوا كذلك، إذ من المعلوم متابعته له في جملة اعتقاداته واحواله وافعاله، فعلام يحمل فعل معاوية وبني امية بالشيعة من الافعال الشنيعة التي عدها في هذا الخبر ويزيدها بسب علي واولاده ﴿صلوات الله عليهم﴾ على رؤوس المنابر ثمانين شهرًا، ويسعون في تزوير الاخبار للخلفاء المتقدمين واتباعهم مراغمة لاهل البيت عليهم السلام حتى يزورون في مقابلة كل خبر ورد فيهم بأمر خاص خبرًا مثله في الصحابة، وهل لذلك جميعه محمل غير ما ذكرناه، هب ان معاوية كان عداوته لعلي عليه السلام انما هو في الخلافة وحربه له، فما هذه العداوة التامة لشيعته من بعده مع أن الذين قاتل بهم أمير المؤمنين عليه السلام في صفين كانوا سنة وشيعة فلم اختصت هذه العداوة بالشيعة منهم دون أهل السنة لو كان منشأ العداوة انما هو ذلك الحرب والفتنة، ومن اوضح ذلك قوله في الخبر المذكور فاستعمل عليهم زياد بن سمية فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف إلى آخره.

الثامن: قوله: وقد روى ابن عرفة الى آخره.

فانه مؤيد لما ذكرناه بأوضح تأييد ويزيده تأييدًا أيضًا ما تقدم في كلام الشارح نقلاً من شعبة امام المحدثين انه قال: تسعة اعشار الحديث كذب[1]، وعن الدارقطني انه قال: ما الحديث الصحيح في الحديث الاّ كالشعرة البيضاء في الثور الاسود[2].

١- شرح نهج البلاغة ١٠٥/٩.

٢- شرح نهج البلاغة ١٠٥/٩.

وحينئذ فاذا كان هذا شأنهم وشأن احاديثهم فيما لا يتعلق به غرض من احكام دينهم وحلالهم وحرامهم، فكيف بما تعلقت به الاغراض الدنيوية والمطامع الردية وما كان للحمية والعصبية، ومن هنا يظهر ان ما وصفوا به بعض كتبهم وموهوا به من التسمية بالصحاح، فانما هو من قبيل تسمية الشيء بضده كما هو واضح صراح.

التاسع: قوله: قلت ولا يلزم من هذا إلى آخره.

فان فيه أولاً: ما عرفت في المقام ولا سيّما حديث الباقر عليه السلام الدال على تظاهر قريش عليهم وغصبهم الخلافة والامامة منهم، وما اسسوه من البلاء عليهم وعلى شيعتهم، فأي عداوة اصرح من ذلك في المقام لولا انه يخبط خبط عشواء الظلام.

وثانيًا: ان من الظاهر المعلوم ان معاوية وبني أمية يومئذ أقرب عهدًا منه بتلك الاحوال التي جرت تلك الايام وما توجبه من محبة أو عداوة في ذلك المقام، فهم لا يظنون ذلك ظنًا كما زعمه بوهمه الفاسد وخياله الكاسد، بل يجزمون ويقطعون لما ذكرنا من قرب العهد وحضور من حضر منهم لما وقع من القيل والقال واطلاعهم وعلمهم بما جرت عليه الحال، وانما الظان هو واصحابه الآخذين امورهم والبانين عقائدهم على مجرد التخرص ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّاصُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾[1]، ويدل على ما ذكرنا ما قدمه في هذا الشرح وذكره عليه السلام كما نقل في كتاب النهج من كتب معاوية إليه يوبخه

---

١ - الذاريات/١٠-١١.

وينسبه إلى عداوة الخلفاء والحسد لهم وهو عليه السلام لا يكذب ذلك، ومن جملتها ما نقله ابن عبد ربه في كتاب العقد في المجلد الرابع، وسيأتي مثله ان شاء الله تعالى في كتبه عليه السلام وذكرت ابطائي عن الخلفاء وحسدي اياهم وكرهي لهم والبغي عليهم، فاما البغي فمعاذ الله ان يكون، واما الكراهية لهم فوالله ما اعتذر إلى الناس من ذلك،[1] وكتاب معاوية إلى محمّد بن أبي بكر ﴿رضي الله عنه﴾ المتقدم نقله ثم أي تفسيق اظهر من كلماته عليه السلام المتكررة في هذا الكتاب من خطبته الشقشقية وغيرها الدالة على خروجهم عن جادة الشرع الشريف والدين المحمدي المنيف.

وثالثًا: ان هذا لو تم له في نقل الاحاديث كما زعمه فلا يتم له في قتل معاوية للشيعة، وفعله بهم تلك الافعال الشنيعة، فانه لا سبب له كما ذكرناه الاّ متابعتهم عليًا وأهل بيته عليهم السلام في بغض الخلفاء المتقدمين والبراءة منهم والعداوة لهم.

وحينئذ فكيف يتمّ له ما ادعاه حتى يحمل ذلك على محمله المنكوب المنكور ولكن من لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

---

١ - نهج البلاغة، خطبة ١٥٤.

تذنيب

اعلم ان ما نقله الشارح هنا عن المدايني قد ورد مثله من طريق الشيعة الامامية نور الله برهانهم، رواه سليم بن قيس في كتابه في حديث نحن ننقله هنا بطوله لجودة محصوله وحجية منقوله واشتماله على مزيد البسط في المقام تهتدي به بصائر ذوي العقول والافهام.

عن ابان بن عياش، عن سليم بن قيس، وعمر بن أبي سلمة قالا: قدم معاوية حاجًا في خلافته المدينة بعد ما قتل أمير المؤمنين عليه السلام وصالح الحسن عليه السلام وفي رواية اخرى وبعد ما مات الحسن عليه السلام واستقبله أهل المدينة، فاذا الذي استقبله من قريش أكثر من الانصار، فسأل عن ذلك، فقالوا: انهم محتاجون ليست لهم دواب، فالتفت معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة فقال: يا معشر الانصار ما لكم لا تستقبلوني مع اخوانكم من قريش؟ فقال قيس، وكان سيد الانصار وابن سيدهم: اقعدنا يا أمير المؤمنين ان لم يكن لنا دواب، فقال معاوية: فأين النواضح؟ فقال قيس: افنيناها يوم بدر ويوم أحد وما بعدهما في مشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله حين ضربناك واباك على الاسلام حتى ظهر امر الله وانتم كارهون، قال معاوية: اللهم غفرًا، قال قيس: أما ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سترون بعدي اثرة، ثم قال: يا معاوية تعيّرنا بنواضحنا، والله لقد لقيناكم عليها يوم بدر وانتم جاهدون على اطفاء نور الله وان تكون كلمة الشيطان هي العليا، ثم دخلت انت وابوك كرهًا في الاسلام الذي ضربناكم عليه، فقال معاوية: كأنكم تمنون علينا بنصركم ايانا، فالله ولقريش بذلك المنّ والطول، ألستم

تمنون علينا يا معشر الانصار بنصرتكم برسول الله ﷺ وهو من قريش، وهو ابن عمنا ومنا، فلنا المنّ والطول ان جعلكم الله انصارنا واتباعنا، فهداكم الله بنا، فقال قيس: ان الله بعث محمّدًا ﷺ رحمة للعالمين فبعثه إلى الناس كافة وإلى الجن والانس، والاحمر والاسود، والابيض، اختاره لنبوته واختصه برسالته، فكان أول من صدقه وآمن به ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام وأبوه أبو طالب يذب عنه ويمنعه ويحول بين كفار قريش وبين ان يروعوه ويؤذوه، وأمر أن يبلغ رسالة ربه، فلم يزل ممنوعًا عن الضيم والاذى حتى مات عمه أبو طالب، وأمر ابنه بموازرته فوازره ونصره، وجعل نفسه دونه في كل شديدة وكل ضيق وكل خوف، واختص الله بذلك عليًا من بين قريش، واكرمه من بين جميع العرب والعجم، فجمع رسول الله ﷺ جمع[1] عبد المطلب فيهم أبو طالب وأبو لهب، وهم يومئذ أربعون رجلاً فدعاهم رسول الله ﷺ وخادمه علي عليه السلام ورسول الله في حجر عمه أبي طالب فقال: أيكم ينتدب ان يكون أخي ووزيري ووصيي وخليفتي في أمتي، وولي كل مؤمن بعدي، فسكت القوم حتى اعادها ثلاثًا، فقال علي عليه السلام: انا يا رسول الله فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه، وقال: اللهم املأ جوفه علمًا وفهمًا وحكمًا، ثم قال لأبي طالب: اسمع الآن لابنك واطع، فقد جعله الله من نبيه بمنزلة هارون من موسى، وآخا رسول الله ﷺ بين علي وبين نفسه، فلم يدع قيس شيئًا من مناقبه الاّ ذكرها واحتج بها، وقال: منهم جعفر بن أبي طالب الطيار في الجنة بجناحين اختصه

١- في (ح) جميع.

الله بذلك من بين الناس، ومنهم حمزة سيد الشهداء، ومنهم فاطمة سيدة نساء العالمين[1]، فاذا وضعت[2] من قريش رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وعترته الطيبين فنحن والله خير منكم يا معشر قريش، واحب إلى الله ورسوله وإلى أهل بيته منكم، قد[3] قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فاجتمعت الانصار إلى أبي بكر، ثم قالوا نبايع سعدًا، فجاءت قريش فخاصمونا بحجّة علي وأهل بيته، وخاصمونا بحقه وقرابته، فما يعدو قريش ان يكونوا ظلموا الانصار أو ظلموا آل محمّد، ولعمري ما لاحد من الانصار ولا لقريش ولا لاحد من العرب والعجم في الخلافة حق مع علي بن أبي طالب عليه السلام وولده من بعده، فغضب معاوية وقال: يا ابن سعد عن من اخذت هذا؟ عن من رويته؟ و[عن] من سمعته؟ أبوك اخبرك بذلك؟ وعنه اخذته؟ فقال قيس: سمعته واخذته عن من هو خير من أبي واعظم عليّ حقًا من أبي، قال: من؟ قال: علي بن أبي طالب، عالم هذه الامة وصديقها الذي انزل الله فيه ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[4]، فلم يدع آية نزلت في علي الاّ ذكرها، قال معاوية: فإنّ صديقها أبو بكر، وفاروقها عمر، والّذي عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام، قال قيس: احق بهذه الاسماء الذي انزل الله فيه ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ

١- في (ح) سيدة نساء اهل الجنة.

٢- في (ح) وصفت.

٣- في (ح) فقد.

٤- الرعد/٤٣.

شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[1]، والذي نصبه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بغدير خم، فقال: من كنت مولاه اولى به من نفسه فعلي اولى به من نفسه، وقال: في غزوة تبوك: أنت مني بمنزلة هارون من موسى الاّ انه لا نبي بعدي، وكان معاوية يومئذ بالمدينة فعند ذلك نادى مناديه وكتب بذلك نسخة إلى عماله ألا برئت الذمة ممن يروي حديثًا في مناقب علي وأهل بيته عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ، وقامت الخطبة على المنابر في كل مكان بلعن علي ابن أبي طالب والبراءة منه، والوقيعة في أهل بيته، واللعنة لهم بما ليس فيهم عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ، ثم ان معاوية مرّ بحلقة[2] من قريش فلما رأوه قاموا اليه غير عبد الله بن العباس، فقال: يا ابن عباس ما منعك من القيام كما قام اصحابك الاّ لوجدة عليّ بقتالي اياكم يوم صفين، يا ابن عباس ان ابن عمي عثمان قتل مظلومًا، قال ابن عباس: فعمر قتل مظلومًا، فسلّم الأمر إلى ولده وهذا ابنه، قال: ان عمر قتله مشرك، قال ابن عباس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون، قال: فذلك ادحض لحجتك وأحل لدمه ان كان المسلمون قتلوه وخذلوه فليس الاّ بحق، قال: فانا قد كتبنا إلى الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته، فكف لسانك يا ابن عباس واربع على ظلعك، قال: فتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا، قال: فتنهانا عن تأويله؟ قال، نعم، قال: فنقرأه ولا نسأل عن ما عنى الله به، قال: نعم، قال: فايما أوجب علينا قراءته او العمل به؟ قال: العمل به، قال: فكيف نعمل حتى نعلم ما عنى الله بما انزل الله علينا؟ قال: يسأل عن ذلك من يتأوله

١- هود/١٧.

٢- في (ح) بجماعة.

على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك، قال: انما نزل[1] القرآن على أهل بيتي فأسال عنه آل أبي معيط واليهود والنصارى والمجوس؟ قال: فقد عدلتني بهؤلاء، قال: لعمري ما اعدلك بهم الاّ إذا نهيت الامة ان يعبدوا الله بالقرآن وما فيه من أمر أو نهي، أو حلال أو حرام، أو ناسخ أو منسوخ، أو عام أو خاص، أو محكم أو متشابه، وان لم تسأل الامة عن ذلك هلكوا واختلفوا وتاهوا، قال: معاوية فأقرؤا القرآن ولا ترووا شيئًا مما أنزل الله فيكم وما قال رسول الله، وارووا ما سوى ذلك، وقال ابن عباس: قال الله تعالى في القرآن: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2]، قال معاوية: يا ابن عباس اكفني نفسك وكف عني لسانك وان كنت لا بد فاعلاً فليكن سرًا ولا يسمعه أحد علانية ثم رجع إلى منزله، فبعث اليه بخمسين ألف درهم[3] وفي رواية أخرى مائة الف درهم، ثم اشتد البلاء بالامصار كلها على شيعة علي وأهل بيته، وكان أشد الناس بلية أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة،

---

١ – في (ح) انما انزله الله على اهل بيتي.

٢– التوبة/٣٢.

٣ – أقول: هذا المضمون قد رواه الزبير بن بكّار في كتاب الموفقيات وهو من رؤوس النواصب نقله عنه الوزير السعيد علي بن عيسى الاربلي قدس سره في كتاب كشف الغمة قال حدث الزبير عن حج معاوية فأرسل الى ابن عباس فاعرض عنه ابن عباس، فقال معاوية: لم تعرض فوالله انك لتعلم أني احق بالخلافة من ابن عمك، قال ابن عباس: لم ذلك؟ قال: لانه كان مسلمًا وكنت كافرًا، قال: لا ولكن ابن عمي عثمان قتل مظلومًا، فقال ابن عباس: عمر قتل مظلومًا، قال: ان عمر قتله كافر وان عثمان قتله المسلمون، قال ابن عباس: ذلك أدحض لحجتك فأسكت معاوية، انتهى. ﴿منه﴾.

واستعمل عليهم زيادًا وضم إليه البصرة وجمع له العراقين، وكان يتبع الشيعة وهو بهم عالم، لانه كان منهم قد عرفهم وسمع كلامهم أول شيء، فقتلهم تحت كل كوكب وتحت كل حجر ومدر، واخافهم، وقطع الايدي والارجل منهم، وصلبهم على جذوع النخل، وسمل اعينهم، وطردهم وشردهم حتى انتزحوا عن العراق فلم يبق أحد منهم الاّ مقتول أو مصلوب أو طريد أو هارب، وكتب معاوية إلى عماله وولاته في جميع الارضين والامصار ان لا يجيزوا لاحد من شيعة علي وأهل بيته ولا من أهل ولايته الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادة، وكتب إلى عماله انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل بيته وأهل ولايته الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه فادنوا مجالسهم وأكرموهم وقربوهم وشرفوهم، واكتبوا لي بما يروي كل واحد منهم فيه باسمه واسم ابيه وممن هو، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في عثمان الحديث وبعث اليهم بالغلات[1] والكسى، وأكثر لهم القطايع من العرب والموالي، فكثروا في كل عصر، وتنافسوا في المنازل والضياع واتسعت عليهم الدنيا، فلم يكن احد يأتي عامل مصر من الامصار ولا قرية فيروي في عثمان منقبة أو يذكر له فضيلة الاّ كتب اسمه وقرب وشفع، فلبثوا بذلك ما شاء الله، ثم كتب إلى عماله ان الحديث قد كثر في عثمان وفشا في كل مصر ومن كل ناحية، فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوهم إلى الرواية في أبي بكر وعمر، فان

١- في (ح) بالصلات.

فضلهما وسوابقهما[1] أحب إلي واقر لعيني، وادحض لحجة أهل هذا البيت، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرأ كل قاض وامير من ولاته كتابه على الناس، واخذ الناس في الرواية فيهما وفي مناقبهما، ثم كتب نسخة جمع فيها جميع ما روي فيهم من المناقب والفضائل وانفذها إلى عماله وامرهم بقراءتها على المنابر في كل كورة وفي كل مسجد. وامرهم ان ينفدوا إلى مصلى الكتاتيب[2] ان يعلموها صبيانهم حتى يرووها ويتعلموها كما يتعلمون القرآن حتى علموها بناتهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة انه يحب عليًا وأهل بيته فامحوه من الديوان، ولا تجيزوا له شهادة، ثم كتب كتابًا آخر من اتهمتموه ولم يقم عليه بينة فاقتلوه، فقتلوهم على التهم والظن والشبه تحت كل كوكب حتى لقد كان الرجل ليسقط بالكلمة، فتضرب عنقه، ولم يكن ذلك البلاء في بلد أكثر ولا أشد منه بالعراق ولا سيّما بالكوفة حتى ان الرجل من شيعة علي وممن بقي من اصحابه بالمدينة وغيرها يأتيه من يثق به فيدخل بيته ثم يلقي عليه سره فيخاف من خادمه ومملوكه فلا يحدثه حتى يأخذ الايمان المغلظة ليكتمن عليه، وجعل الامر لا يزداد الاّ شدة، وكثر عددهم واظهروا احاديثهم الكاذبة في اصحابهم من الزور والبهتان، فنشأ الناس على ذلك ولا يتعلمون الاّ منهم، ومضى على ذلك قضاتهم وولاتهم

١- في (ح) ومناقبهما.

٢- في (ح) معلمي الصبيان الكتاتيب.

وفقهاءهم، وكان اعظم الناس في ذلك بلاء وفتنة القراء المراءون المتصنعون الذين يظهرون لهم الحزن والخشوع والنسك ويكذبون ويحملون الاحاديث[1] ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويدنوا بذلك مجالسهم، ويصيبوا بذلك الاموال والقطايع والمنازل حتى صارت احاديثهم تلك ورواياتهم في أيدي من يحسب انها حق وانها صدق، فرووها وقبلوها وتعلموها واحبوا عليها وابغضوا، وصارت بأيدي الناس المتدينين الذين لا يستحلون الكذب، ويبغضون عليه اهله، فقبلوها وهم يرون انها حق، ولو علموا انها باطل لم يرووها ولم يتدينوا بها، فصار الحق في ذلك الزمان باطلاً، والباطل حقًا، والصدق كذبًا، والكذب صدقًا، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لتشملنكم فتنة يربو فيها الوليد وينشو فيها الكبير، تجري الناس عليها ويتخذونها سنة، إذا غيرّ منها شيء قالوا اتى الناس منكرًا غيرّت السنة، فلما مات الحسن بن علي عليهما السلام لم يزل الفتنة والبلاء يعظمان ويشتدان، فلم يبق ولي لله الاّ خائف على دمه انه مقتول او طريد أو شهيد، ولم يبق عدو لله الاّ مظهر الحجة غير مستتر ببدعته وضلالته، فلما كان قبل موت معاوية بسنة حج الحسين عليه السلام، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن جعفر، فجمع الحسين عليه السلام بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم ومن حج منهم، ومن الامصار ممن يعرفه الحسين عليه السلام وأهل بيته، ثم ارسل رسلاً لا تدعو احدًا ممن حج العام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المعروفين بالصلاح والنسك الاّ اجمعوهم لي، فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادقه

١- في (ح) ويكذبون الاحاديث.

عامتهم من التابعين ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فقام فيهم خطيبًا فحمد الله واثنى عليه ثم قال: اما بعد: فان هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم، واني أريد ان اسألكم عن شيء فان صدقت فصدقوني وان كذبت فكذبوني، فاسألكم بحق الله عليكم وحق رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقرابتي من نبيكم عليه وآله السلام لما سترتم مقامي هذا ووصفتم مقالتي واكتبوا قولي، ثم ارجعوا إلى امصاركم وقبائلكم، فمن امنتم من الناس ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا، فاني اتخوف ان يدرس هذا الأمر ويذهب الحق ويغلب، ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[1]، وما ترك شيئًا مما انزله الله فيهم من القرآن الاّ تلاه وفسره، ولا شيئًا مما قاله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في ابيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته الاّ رواه، وفي كل ذلك يقول اصحابه اللهم نعم، فقد سمعناه وشهدناه، ويقول التابع اللهم قد حدثني به من اصدقه وائتمنه من الصحابة فقال: انشدكم الله إلاّ حدثتم به من تثقون به وبدينه، قال سليم: فكان فيما ناشدهم فيه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ان قال: انشدكم اتعلمون ان علي بن أبي طالب كان اخا رسول الله، ثم نقل سليم في الخبر جملة وافرة من هذا القبيل اعرضنا عن نقلها خوف التطويل[2]، وسيأتي ان شاء الله تعالى بنقل الشارح عن شيخه أبي جعفر الاسكافي في كتاب نقض العثمانيّة ما يؤيد هذا المقام.

قال في المقام: واعلم ان اصل الاكاذيب في احاديث الفضايل كان من

١- الصف/٨.

٢- البحار ٣٣/٧٣ – ١٨٢، عن كتاب سليم بن قيس.

حجة الشيعة، فانهم وضعوا في أول الامر احاديث مختلقة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم نحو حديث السطل، وحديث الرمانة، وحديث غزوة البئر التي كان فيها الشياطين كما زعموا بذات العَلم، وحديث غسل سلمان الفارسي وطي الأرض، وحديث الجمجمة ونحو ذلك، فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة، صنعت لصاحبها احاديث في مقابلة هذه الاحاديث، نحو لو كنت متخذاً خليلاً، فانهم وضعوه في مقابلة حديث الاخاء، ونحو سد الأبواب، فانه كان لعلي فقلبته البكرية إلى أبي بكر، ونحو ائتوني بدواة وبياض اكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه اثنان، ثم قال يأبى الله والمسلمون الاّ أبى بكر فانهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي في مرضه ائتوني بدواة وبياض اكتب لكم ما لا تضلوا بعده ابدًا، فاختلفوا عنده وقال قوم لقد غلب عليه الوجع، حسبنا كتاب الله، ونحو حديث انا راض عنك فهل أنت عني راض، ونحو ذلك، فلما رأت الشيعة ما قد صنعت البكريه أوسعوا في وضع الاحايث، فوضعوا حديث الطوق الحديد الذي زعموا انه فتله في عنق خالد، وحديث اللوح الذي زعموا انه كان في عداد الحنفية أم محمّد، وحديث لا يفعلن خالد ما أمر به، وحديث الصحيفة التي علقت عام الفتح بالكعبة، وحديث الشيخ الذي صعد المنبر يوم بويع أبو بكر فسبق الناس إلى بيعته، واحاديث مكذوبة كثيرة تقتضي نفاق قوم من الصحابة والتابعين وكفرهم وعلى ادون الطبقات فسقهم، فقابلتهم البكرية بمطاعن كثيرة في علي عليه السلام وفي ولديه ونسبوهم تارة إلى ضعف العقل، وتارة إلى ضعف السياسة، وتارة إلى حب الدنيا

والحرص عليها، وقد كان الفريقان في غنية عن ما اكتسباه واجترحاه، ولقد كان في فضايل علي عليه السلام الثابتة الصحيحة، وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصبية لهما، فان العصبية لهما اخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذايل، ومن تعديد المحاسن إلى تعديد المساوي والقبايح، نسأل الله تعالى ان يعصمنا من الميل إلى الهوى وحب العصبية، وان يجرينا على ما عودنا من حب الحق اين وجد وحيث كان، سخط ذلك من سخط، ورضي به من رضي، بمنه ولطفه، انتهى[1].

أقول: كأن الشارح الضال التايه في اودية الضلال لمّا نقل في هذا المقام عن معاوية وبني أمية ما فعلوه من وضع الاخبار في فضائل الخلفاء والصحابة، وانها قد روتها علماءهم وفقهاءهم وتدينوا بها وحكموا بصحتها، استشعر ان ذلك موجب للطعن في أخبارهم كما اوضحناه آنفًا، فاراد استدراك ذلك بدعواه على الشيعة هذه الدعوى الكاذبة الشنيعة، ولم يكتف بنسبتهم إلى وضع الاخبار حتى جعلهم الاصل في الوضع والمتقدمين في ذلك المضمار، وهذا من المواضع التي جاهر فيها بضلاله وعناده وتعصبه ولداده، وها نحن بحمد الله سبحانه وعونه نبين ما في كلامه من الخلل والاضطراب الدال على انه لأمير المؤمنين عليه السلام من النصّاب لا كما يدعيه ويتمدح به انه من الاحباب وذلك من وجوه:

الاول: انه قد نقل ان معاوية بعد تمكنه على سرير الخلافة وتقمصه لتلك

---

١ - شرح نهج البلاغة ٤٨/١١ — ٥٠.

الخلافة تبعًا لمن تقدمه ممن عدم من الله تعالى الرهبة والمخافة قد وضع الاحاديث وافتعلها في فضايل الخلفاء على الوجه الذي نقله، وحينئذ فما ذكره مما وقع بين الشيعة والبكرية وهم فرقة شاذة نادرة من أهل السنة قد قالوا بالنص على أبي بكر، وادعى ان الشيعة هم الاصل ان كان قبل ما وقع من معاوية ففيه:

أولاً: ان وضع الاحاديث في مناقبه عليه السلام حال وجوده غير معقول عند ذوي الافهام والعقول، فان جملة الناس في ذلك الوقت مطلعون وعارفون بالاحوال وما كان علي عليه السلام وكذلك اولئك الخلفاء من كمال او اختلال أو هداية أو ضلال، والكاذب انما يقصد الكذب في موضع لا يعرف البين فيه حقيقة الحال حتى ربما يصدقه بعض السابغين لذلك القال، فكيف يجوز ان الشيعة تكذب في ذلك الوقت بنقل هذه الفضائل لمن هو مثلهم في الاطلاع على حقيقة حال علي عليه السلام، نعم هذا انما يتمشى في أهل الاعصار المتأخرة خاصة.

وثانيًا: انه مع الاغماض عن ذلك فلو سلم الكذب في ذلك الوقت فهو حينئذ أدل دليل على ثبوت العداوة بين ذينك الرجلين إذ الانقسام فيهما إلى هاتين الفرقتين وتخاصمهما فيهما ووضع كل منهما لصاحبها ما ترغم به انف الاخرى حتى انتهى الحال إلى ذكر الرذايل والمساوي فرع معرفة عداوة منها للآخر كما لا يخفى على من تأمل بعين الانصاف ونظر، وحينئذ يكون ذلك منافيًا لما يدعيه في غير مقام، ورد به هنا على معاوية وبني أمية من ظنهم

العداوة بين علي عليه السلام ومن تقدم عليه وانهم ليسوا كذلك بل هم اخلاء متصادقون واولياء متوافقون وان كان بعدما وقع من معاوية وبني أمية الذي نقل عنهم ما نقله فقد علم انهم الاصل في وضع الاحاديث لا الشيعة.

الثاني: انه أي حاجة إلى الشيعة في وضع الفضائل والمناقب لصاحبهم والحال ان مناقبه عليه السلام قد بلغت في الاشتهار في جميع الاقطار والامصار حتى صارت كالشمس في دائرة النهار قد اخفاها اعداؤه حسدًا له وبغضًا، واخفاها أولياؤه تقية وخوفًا، فظهر من بين الاخفائين ما طبق الخافقين حتى روت له أهل السنة المنكرون لامامته عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: لو ان الرياض اقلام، والبحر مداد، والجن حساب، والانس كُتّاب، ما احصوا فضائل علي بن أبي طالب، رواه اخطب خوارزم في المناقب[1].

وروى أحمد في المسند عنه صلى الله عليه وآله لولا اني اخاف ان يقول فيك طائفة من أمتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ الاّ أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة،[2] وقد تقدم في الاخبار التي نقلها الشارح في شرح قوله خاضوا بحار الفتن إلى آخره من الجزء التاسع رواية ابن مردويه في كتابه باسناده عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي لو ان عبدًا عبد الله مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل جبل أحد ذهبًا فانفقه في سبيل الله، ومد في عمره حتى حج ألف عام على قدميه، ثم قتل بين

١- المناقب/٣٢، وفيه: لو ان الغياض اقلام.

٢- نهج الايمان/٤٧٩.

الصفا والمروة مظلومًا، ثم لم يوالك يا علي لم يشم رايحة الجنة ولم يدخلها[1].

وروى ابن شبرويه[2] في الفردوس مثله عن علي عليه السلام، إلى غير ذلك من الاخبار التي قدمنا في المقدمة برواياتهم، وحينئذ فمن لم يعترف له خصومه[3] على رغم آنافهم بهذه المناقب والفضايل فأي حاجة إلى شيعته في وضع الفضايل له، إذ لا يخفى على ذي مسكة وروية ان وضع الفضايل لاحد انما هو لابلاغه إلى مرتبة يقصر عنها ولم ينلها، ودرجة لم يحصلها، وليس هو من أهلها ولا يعرفه احد بها، وصاحب الشيعة بحمد الله قد جمع من الفضايل القلبية والقالبية والمعجزات الظاهرة المضيئة ما ادعي له بها مقام الربوبية، ومن يكون هذه حالة كيف يحتاج اولياؤه إلى وضع الفضايل له، وانما يحتاج إلى الوضع من كان عاريًا عن الكمالات والفضايل، ومتصفًا بالنقايص والرذايل مثل أبي بكر الذي لا صيت له في جاهلية ولا اسلام، ولا فضيلة له ولا منقبه بين الانام، فبيته وقبيلته من ارذل البيوت والقبايل، ولا شجاعة له يذكر بها، ولا علم ولا عمل يعرف به، بل هو على الضد من جميع ذلك كما تقدم في فصل مطاعنه، فهذا وامثاله الذين يحتاجون إلى وضع الفضايل بين الانام لاجل ان يبلغوه مرتبة توجب له الإعزاز والاكرام، والستر على ما وقع منه من الخطايا والاجرام كما فعله معاوية وبنو امية للخلفاء والصحابة العارين عن الكمال بل

١- البحار ١٩٤/٢٧، عن مناقب الخوارزمي، البحار ٢٨٠/٣٩، عن بشارة المصطفى.

٢- في نسخة (ح) شيرويه.

٣- في (ح) فمن يعترف له خصومه.

المتصفين بقبح الاقوال والافعال، كما تقدم شرحه وايضاحه بأوضح مقال.

الثالث: ان الطعن بالوضع في هذه الاخبار المعدودة ونحوها لا يخلو عن أحد شيئين لا ثالث لهما في البين، اما من حيث انها من متفردات الشيعة ولم تروها خصومهم، واما من حيث ان صاحب الشيعة وامامها أقل قدرًا أو انزل مرتبة من ان تثبت له هذه الفضايل، ويرد الاول انه لو تم هذا وصح الطعن به في الاخبار ولقام أيضًا للشيعة مثله في الطعن فيما تفردوا به واختصوا بنقله بل لكل فرقة من أرباب المذاهب وأصحاب المقالات على من خالفها، وبطلانه اظهر من ان يحتاج إلى البيان، فان كل فرقة من الفرق اعرف بطرق اخبارها وبما تعتمده ومن تعتمده في ايرادها واصدارها، نعم غاية ما يلزم انه لا يقوم حجة على الخصم من حيث تفردهم بنقله إلاّ انه يتحتم ان يكون كذبًا.

ويرد الثاني:

أولاً: ما قدمناه في المقام.

وثانيًا: ما ذكره الشارح في قصائده التي امتدح بها عليًا عليه السلام حيث قال في بعضها:

تقبلت افعال الربوبية التي	عذرت بها من شك أنك مربوب
وقد قيل في عيسى نظيرك مثله	فخسرًا لمن عادى علاك وتتبيب

وحينئذ فمن هذه حاله كيف يقصر قدره عن هذه الفضايل التي انكرها، وقال أيضًا في بعضها:

لـولا حـدوثك قلـت انـك جاعـل | الأرواح فـي الاشـباح والمـستنزع
لـولا مماتـك قلـت انـك قاسـم | الارزاق تعطـي مـن تـشاء وتمنـع

إلى ان قال:

لـي فيـك معتقـد سأكـشف سـره | فليـصغ اربـاب العـلا وليـسمعوا
هـي نفثـة المـصدور يطفـي بردهـا | حـر الـصبابة فاعـدلو لـي اودعـوا
والله لـولا حيـدر مـا كانـت الـدنيا | ولا جـمـع البـريـة مجمـع
مـن اجلـه خلـق الزمـان وضـوءت | شـهب كـنسّ وجـن ليـل ادرع
علـم الغيـوب اليـه غيـر مـدافع | كالـصبح ابيـن مـسفر لا يرقـع
واليـه فـي يـوم المعـاد حـسابنـا | وهـو المـلاذ لنـا غـدًا والمفـزغ
هـذا اعتقـادي قـد كـشفت غطـاءه | ليـضر معتقـد بـه أو ينفـع

والتقريب ما عرفت اللهم الاّ ان يكون ما ذكره من هذا المدح والاعتقـاد ليس على الحقيقة والواقع، وانما هو لجلب المنافع والمطامع أو عدل عن ذلـك إلى ما صرح به في هذه المواضع.

وثالثًا: ان جملة أهل السنة قد صرحوا في حق علماء الصوفية بما يـبلغهم من مراتب الانبياء، ونقلوا لهم من الكرامات والمعجـزات والفـضايل والمناقـب ما يزيد على مراتب الانبياء عليهم السلام، كما لا يخفـى علـى مـن وقـف علـى كتبهم ومدحهم لهم، ولولا خوف التطويل لنقلت شطرًا مما يريـك العجـب العجيـب،

ويستبعدون لعلي عليه السلام ان تطوى له الأرض، وان يكلم الموتى، ويلين له الحديد ونحو ذلك، ما هذا الاّ قلة انصاف ولا سيّما من هذا الضال الذي يتمدح بالعفاف.

الرابع: ان من الاحاديث التي زعم ان الشيعة اخترعتها وابتدعتها من الادلة على جهله وعناده ليبلغ في ذلك إلى غاية مراده، فاما حديث السطل فقد رواه أهل السنة، ولله الحمد على الوقوف عليه والمنة لنبطل به ما افتراه على الشيعة من التهمة وسوء الظنة، فقد نقل اخطب خوارزم في كتاب المناقب فقال: اخبرنا مهذب الائمة، أخبرنا أبو عبدالله أحمد بن محمّد بن عثمان الدقاق، اخبرنا أبو المظفر مناد بن ابراهيم السيفي، حدثنا أبو الحسن علي بن يوسف بن محمّد بن حجاج الطبري بسارية طبرستان، حدثنا أبو عبدالله الحسين بن جعفر بن محمّد الجرجاني، أخبرنا أبو عيسى اسماعيل وإسحاق بن سليمان النصيبي، حدثنا محمّد بن الكفرثوثى، حدثنا حميد الطويل، عن انس بن مالك، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة العصر وابطأ في ركوعه حتى ظننا انه قد سهى ثم رفع رأسه وقال: سمع الله لمن حمده، ثم أوجز في صلاته، ثم أقبل علينا بوجهه كأنه القمر ليلة البدر في وسط النجوم، ثم جثى على ركبتيه وبسط قامته حتى تلألأ المسجد بنور وجهه، ثم رمى بطرفه إلى الصف الاول يتفقد اصحابه رجلاً رجلاً، ثم رمى بطرفه إلى الصف الثاني، ثم بطرفه إلى الصف الثالث يستفقدهم رجلاً رجلاً، ثم كثرت الصفوف على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: ما لي لا أرى ابن عمي علي بن أبي طالب؟ فاجابه علي عليه السلام من

آخر الصفوف لبيك لبيك يا رسول الله، فنادى النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بأعلى صوته ادن مني، فما زال يتخطى رقاب المهاجرين والانصار حتى دنى المرتضى من المصطفى، فقال النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: ما الذي خلفك عن الصف الاول؟ قال: شككت اني على غير طهر، فأتيت منزل فاطمة فناديت يا حسن يا حسين يا فضة فلم يجبني أحد، فاذا بهاتف يهتف ورائي وهو ينادي يا ابا الحسن يا ابن عم النبي التفت فالتفت فاذا بسطل من ذهب وفيه ماء وعليه منديل، فاخذت المنديل ووضعت على منكبي الايمن، واومأت إلى الماء فاذا الماء يفيض على كفي فتطهرت واسبغت الطهر، ولقد وجدته في لين الزبد وطعم الشهد ورائحة المسك، ثم التفت ولا ادري من أخذه فتبسم رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في وجهه وضمه إلى صدره وقبّل ما بين عينيه، وقال: يا ابا الحسن ألا ابشرك ان السطل من الجنة والماء والمنديل من الفردوس الاعلى والذي هيّأك للصلاة جبرئيل، والذي مندلك ميكائيل، والذي نفس محمّد بيده ان اسرافيل قابض بيده على ركبتي حتى لحقت معي الصلاة وادركت ثواب ذلك افيلومني الناس على حبك والله تعالى وملائكته يحبونك من فوق السماء[1].

وروى حديث السطل أيضًا الفقيه ابن المغازلي الشافعي الواسطي في كتاب المناقب بوجه يشعر ان ذلك وقع مرة أخرى أيضًا فانه روى باسناده إلى انس بن مالك قال: قال رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لأبي بكر وعمر: امضيا إلى علي حتى يحدثكما ما كان في ليلته وانا عى أثركما، قال انس: فمضيا ومضيت معهما،

١- نهج الايمان/٢٩٥ – ٢٩٨.

فاستاذن أبو بكر وعمر على علي عليه السلام فخرج اليهما، وقال: يا أبا بكر حدث شيء؟ قال: لا وما يحدث الاّ خير، قال لي النبي صلى الله عليه وآله ولعمر أمضيا إلى علي يحدثكما ما كان منه في ليلته، وجاء النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا علي حدثهما ما كان منك في الليل، فقال: استحيي يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: حدثهما ان الله لا يستحي من الحق، فقال علي عليه السلام: أردت الماء للطهارة فاصبحت وخفت ان تفوتني الصلاة فوجهت الحسن في طريق ووجهت الحسين في طريق في طلب الماء، فابطأ عليّ فأحزنني ذلك، فرأيت السقف قد انشق ونزل عليّ منه سطل مغطى بمنديل، فلما صار في الأرض نحيت المنديل عنه، فاذا فيه ماء فتطهرت للصلاة واغتسلت وصليت ثم ارتفع السطل والمنديل والتأم السقف.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: اما السطل فمن الجنة، واما المنديل فمن استبرق الجنة، من مثلك يا علي في ليلتك وجبرئيل يخدمك[1].

ورواه بهذه الرواية أيضًا شيخنا الصدوق ﴿عطر الله مرقده﴾ في كتاب المجالس.

واما حديث الرمانة فقد وقفت عليه في كتاب صنفه بعضهم وجمع فيه أربعين حديثًا من رواياتهم قال في صدر الكتاب المذكور بعد البسملة قال الراجي عفو ربه المستغفر لذنبه اسعد بن إبراهيم بن الحسن الاربلي: كنت سمعت على كثير من مشايخ الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله قال: من حفظ على امتي

١- في (ح) مخدمك، المناقب لابن المغازلي/١٥١، وفيه: وجبريل يخدمه.

أربعين حديثًا كنت لـه شفيعًا يوم القيامة[1] ثم ساق الكلام بما يدل على تـصنيفه اربعين حديثًا لهذه العلّة، وقـال الحـديث الثـاني والعـشرون يرفعـه إلـى عبـدالله التنوخي إلى صعصعة بن صوحان قال: امطرت المدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في من خرج فالتحق به علي عليه السلام وساروا قليلاً مسير فرحة بالمطر بعد جدب، فرفع النبي صلى الله عليه وآله طرفه إلى السماء وقال: اطعمنا شيئًا من فاكهة الجنة، فـاذا هـو برمانة تهوي من السماء، فأخـذها رسـول الله صلى الله عليه وآله ومـصها حتـى ارتـوى منهـا

١- أقول: صورة ماورثناه من النبي بعد قولـه يوم القيامة قـال فحفظـت مـا شـاء الله مـن الاحاديـث وانـا لا أعلم الى أي الاحاديث اشار رسول الله صلى الله عليه وآله الى ان لقيت سلطان المحدثين ذي الحـسبين والنـسبين ابي الخطاب عمر بن الحسين بـن دحيـة بن خليفـة الكلبـي وسـمعت عليه موطـأ مالـك وسئلته عـن الاحاديـث الـذي اراد بهـا النبـي صلى الله عليه وآله ان الانـسان اذا حفظهـا بعثـه الله يـوم القيامـة فقيهًـا والـى أي الاحاديث اشار رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ان هذا الـسؤال سـئل عنـه محمـد ابـن ادريـس الـشافعي الامـام المطلبي رحمه الله فقال في مناقب أهل البيت عليهم السلام وروي عن الامام ابي عبدالله احمد بن حنبل انه قال: مـا اعلم ان احدًا عظم وليًا منه في الشافعي واني لادعو الله لـه في أدبار صلواتي انه [من أين عـرف] منـه ان الاربعين يعني حديثًا اراد بها النبي مناقب اهل البيت عليهم السلام ثم قال احمد: وقر في نفسي ان قلت من اين صح عند الشافعي معنى [ذلك]، فرأيت في منامي تلك الليلة رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي: يـا احمـد لا تشك في قول ابن ادريس فما رواه عني، قال سعد: فقرأت عليه جميع الاحاديث المشهورة المروية في مناقب اهل البيت عليهم السلام فأراني فيه جزءاً فيه احاديث= =غريبة سمعتها عليه ورواها لي عـن الثقـات ثم ساق صاحب الكتاب الكلام الى ان قال ثم قال سئلني جملة من المؤمنين ان اجمع لم ماروينا مـن الاحاديث التي ذكرتها مختصرة ومسندة بحذف الاسانيد المطوّلة فأجبته الـى ذلـك اجابـه مـن رغـب في جزيل الثواب ودعوةالاخلاءوالاصحاب وقلـت حـدثني الامـام الـشيخ الحـافظ الفاضـل الحـسب النسب جمال الـدين ابـو الخطـاب عمـر ذي الحـسبين والنـسبين الحـسين بـن دحيـه الكلبـي المغربـي الاندلسي بقرائته مبارك بن مرهوب الاربلي سنة عشر وستمائة في مجلسي وارسل الحديث الاول ثـم ساق جملة من الاحاديث الى ان قال الحديث الثاني والعشرون الى آخر ما في المتن انتهى ﴿منه﴾.

وناولها عليًا فمصها حتى ارتوى منها، والتفت إلى أبي بكر وقال: لولا انه لا يأكل من ثمار الجنة الاّ نبي أو وصي لاطعمتك منها، فقال أبو بكر: هنيئًا لكما[1].

اقول: والمروي في خبر الرمّانة من طريق الشيعة ما نقله شيخنا المجلسي ﴿عطر الله مرقده﴾ في كتاب بحار الأنوار عن كتاب الفضايل وكتاب الروضة قال بالاسناد يرفعه إلى صعصعة بن صوحان قال: امطرت المدينة مطرًا ثم صحت، فخرج النبي ﷺ إلى صحرائها ومعه أبو بكر، فلما خرجا وإذا بعلي مقبل فلما رآه النبي ﷺ قال: مرحبًا بالحبيب القريب، ثم قرأ هذه الآية ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[2] أنت يا علي منهم، ثم رفع رأسه إلى السماء وأومأ بيده إلى الهواء وإذا برمانة تهوي عليه من السماء اشد بياضًا من الثلج واحلى من العسل واطيب من رايحة المسك، فاخذها رسول الله ﷺ فمصها حتى روى ثم ناولها عليًا فمصها، ثم التفت إلى أبي بكر وقال: يا أبا بكر لولا ان طعام الجنة لا يأكله الاّ نبي أو وصي نبي كنا اطعمناك منها[3].

وقد ورد مما يدخل في هذا الباب أيضًا من طرقهم ما رواه الحركوشي في كتاب شرف المصطفى عن زينب بنت حصين في خبر ان النبي ﷺ دخل على فاطمة غداة من الغدوات فقالت: يا أبتاه اصبحنا وليس عندنا شيء فقال: هاتي ذينك الطيرين، فالتفتت فاذا طيران خلفها فوضعتهما فقال لعلي

١-الروضة في المعجزات والفضايل/١٥٦.

٢-الحج/٢٤.

٣-الروضة في المعجزات والفضايل/١٥٦.

وفاطمة والحسن والحسين: كلوا بسم الله، فبينما هم يأكلون إذ جاءهم سائل، فقام على الباب فقال: السلام عليكم يا أهل البيت، اطعمونا مما رزقكم الله، فرد النبي صلى الله عليه وآله يطعمك الله يا عبد الله، فمكث غير بعيد، ثم رجع مثل ذلك ثم ذهب، ثم رجع، فقالت فاطمة: سائل، وقال: يا ابنتاه هذا هو الشيطان جاء ليأكل من هذا الطعام ولم يكن الله ليطعمه، هذا من طعام الجنة[1].

وروى الخطيب الخوارزمي في كتابه بسنده إلى ابن عباس انه هبط جبرئيل ومعه اترجة، فقال: ان الله تبارك يقرئك السلام ويقول لك هذه هدية علي بن أبي طالب، فدعاه النبي صلى الله عليه وآله فدفعها له، فلما صارت في كفه انفلقت الاترجة فاذا فيها حريرة خضراء مكتوب فيها سطران، ثمرة هدية من الطالب الغالب إلى علي بن أبي طالب، ويقال كان ذلك لما قتل عمر[2].

واما احاديث غزوة البئر لم أقف عليه الآن من طرقهم ولكن المتتبع لكتبهم ومصنفاتهم ربما عثر عليه، فانه لا خبر يروى من طرق الامامية في باب من أبواب الفضايل أو المثالب الاّ وقد روي بعينه أو مثله ونظيره في كتب حديثهم كما تتبعته ووجدته في جملة من المواضع، ولكن قد روي نظير هذا الخبر بل أعظم فضيلة منه كما لا يخفى على الناظر فيه، فنقل شيخنا المجلسي ﴿عطر الله مرقده﴾ في كتاب بحار الأنوار عن كتاب الاربعين لمحمّد بن مسلم بن أبي الفوارس، عن علي بن الحسين الطوسي، عن مسعود بن محمّد

١- البحار ١٢٠/٣٩، عن الخركوشي في شرف المصطفى.

٢- المناقب/١٧١ .

العزيزي، عن الحسن بن محمد، عن أحمد بن عبدالله الحافظ، عن الطبراني، عن عبدالله بن أحمد بن جنيد، عن إسماعيل بن موسى الفزاري، عن بليد بن سليمان، عن أبي الجحّاف، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم جالسًا بالابطح وعنده جماعة من اصحابه وهو مقبل علينا بالحديث إذ نظر إلى زوبعة قد ارتفعت فاثارت الغبار، وما زال تدنو والغبار يعلو إلى ان وقعت بحذاء النبي صلى الله عليه وآله فسلم على رسول الله شخص فيها، ثم قال: يا رسول الله اني وافد قومي وقد استجرنا بك فاجرنا وابعث معي من قبلك من يشرف على قومنا، فان بعضهم قد بغوا علينا ليحكم بيننا وبينهم بحكم الله في كتابه، وخذ عليّ العهود والمواثيق المؤكدة اني ارده اليك سالمًا في غداة غد إلاّ ان يحدث عليّ حادثة من قبل الله، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: من أنت ومن قومك؟ قال: انا عرفطة بن شمراخ احد بني كاخ من الجن المؤمنين، وانا وجماعة من أهلي كنا نسترق السمع، فلما منعنا ذلك وبعثك الله نبيًا آمنا بك وصدقنا قولك، وقد خالفنا بعض القوم واقاموا على ما كانوا عليه، فوقع بيننا وبينهم الخلاف وهم أكثر منا عددًا وقوة، وقد غلبوا على الماء والمراعي، واضروا بنا وبدوابنا، فابعث معي من يحكم بيننا بالحق، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: اكشف لنا عن وجهك حتى نراك على هيئتك التي أنت عليها فكشف لنا عن صورته فنظرنا إلى شخص عليه شعر كثير، فاذا رأسه طويل، طويل العينين عيناه في طول رأسه، صغير الحدقتين في فيه اسنان كاسنان السباع، ثم ان النبي صلى الله عليه وآله أخذ عليه العهد والميثاق على ان يرد عليه في غد من يبعث معه به، فلما

فرغ من ذلك التفت إلى أبي بكر وقال: سر مع اخينا عرفطة وتشرف على قومه وتنظر إلى ما هم عليه فاحكم بينهم بالحق فقال: يا رسول الله واين هم؟ قال: هم تحت الأرض، قال: وكيف اطيق النزول في الأرض؟ وكيف احكم بينهم؟ ولا احسن كلامهم، فالتفت إلى عمر بن الخطاب وقال له مثل قوله لأبي بكر، فاجابه بمثل جواب أبي بكر، ثم استدعى بعلي عليه السلام وقال: يا علي سر مع اخينا عرفطة وتشرف على قومه وتنظر إلى ما هم عليه وتحكم بينهم بالحق، فقام علي عليه السلام مع عرفطة وقد تقلد سيفه وتبعه أبو سعيد الخدري وسلمان الفارسي قالا: بحق اتبعناهما إلى ان صارا إلى واد، فلما توسطاه نظر الينا علي عليه السلام فقال: شكر الله سعيكما فارجعا، فقمنا ننظر اليهما فانشقت الأرض ودخلا فيها وعادت إلى ما كانت، ورجعنا وقد تداخلنا من الحسرة والندامة ما الله اعلم به، كل ذلك تاسفًا على علي عليه السلام، واصبح النبي صلى الله عليه وآله وصلى بالناس الصلاة ثم جاء وجلس على الصفا وحف به أصحابه وتأخر علي عليه السلام وارتفع النهار وأكثر الناس الكلام إلى ان زالت الشمس، فقال: ان الجني احتال علي النبي صلى الله عليه وآله وقد اراحنا الله من ابي تراب وذهب عنا افتخاره بابن عمه علينا، وأكثروا الكلام إلى ان صلى النبي صلى الله عليه وآله صلاة الاولى وعاد إلى مكانه وجلس على الصفا، واظهر الفكر في علي، وظهرت شماتة المنافقين بعلي، وكادت الشمس تغرب وتيقن القوم انه هلك إذ انشق الصّفا وطلع علي عليه السلام منه وسيفه يقطر دمًا ومعه عرفطة، فقام النبي صلى الله عليه وآله وقبّل ما بين عينيه وجبينه وقال له: ما الذي حبسك عني إلى هذا الوقت؟ فقال: صرت إلى خلق كثير قد بغوا على عرفطة وقومه

الموافقين فدعوتهم إلى ثلاث خصال فابوا عليّ ذلك، دعوتهم إلى الايمان بالله تعالى والاقرار بنبوتك ورسالتك فابوا، فدعوتهم إلى الجزية فابوا، وسألتهم ان يصالحوا عرفطة وقومه فيكون بعض المراعي لعرفطة وقومه وكذلك الماء فابوا، فوضعت سيفي وقتلت منهم رهطًا ثمانين الفًا، فلما نظر القوم إلى ما حل بهم طلبوا الامان والصلح ثم آمنوا وصاروا اخوانًا، وزال الخلاف وما زلت معهم إلى الساعة فقال عرفطة: يا رسول الله جزاك الله وعليًا خيرًا وانصرف[1].

وقال في كتاب البحار بعد نقل الخبر المذكور من الكتاب المتقدم ذكره ما لفظه: وفي فضايل الشيعة مثله عن سلمان الفارسي وفي كتاب الروضة في الفضايل مثله أيضًا عن أبي سعيد الخدري[2].

أقول: لا يخفى على العاقل اللبيب والموفق المصيب ما في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي بكر أولاً بالمسير مع عرفطة ثم أمره عمر بعد ذلك[3] مع علمه بجبنهما وانهما ليسا ممن يقوم بهذه الأمور من النكتة الجلية، وذلك لعلمه صلى الله عليه وآله بانهما سيتغلبان على مقامه ومحله ويدعيانه زورًا وبهتانًا، ويبعدان وصيّه وخليفته، فاراد ان يبين لهما عدم لياقتهما لو كانا يشعران، وذلك فانه صلى الله عليه وآله مرسل إلى الانس والجن اتفاقًا وحاكم فيهم جميعًا، فلا بد ان يكون وصيه وخليفته الجالس محله مستكمل لهذا المنصب والرياسة على الفريقين، ومن لا

١- نوادر المعجزات/٥٢ – ٥٥، البحار ١٦٨/٣٩ – ١٧٠.

٢- البحار ١٧٠/٣٩ – ١٧١.

٣- في (ح) بذلك.

يحسن كلام الجن ولا يمكنه الوصول اليهم ولا الامر والنهي فيهم، ورد الظالم عن المظلوم كيف يدعي خلافته وقيامه مقامه صلى الله عليه وآله.

واما حديث غسل سلمان الفارسي فليس فيه أزيد من طي الأرض له عليه السلام، وقد رووا في أخبارهم ان الدنيا خطوة مؤمن، وإلى هذا استند امام الشارح أبي حنيفة فقال: لو عقد رجل بالمشرق على امرأة بالمغرب فولدت المرأه أولادًا والحال ذلك الحقت تلك الاولاد به استناد إلى الخبر المذكور، ورووا عن عمر حديث يا سارية الجبل وهو على منبر المدينة وسارية في بلاد الفرس[1]، وأيضًا فقد حكى الله تعالى في كتابه المجيد عن آصف وزير سليمان انه اتى بعرش بلقيس قبل ان يرتد اليه طرفه[2]، وعلي عليه السلام أفضل من آصف عند الشارح، وأيضًا فقد روى الفقيه ابن المغازلي الشافعي في كتاب المناقب، والثعلبي في تفسيره بسنديهما، عن انس انه اهدي إلى النبي صلى الله عليه وآله بساط فاجلس عليه العشرة بعد ان ناجى عليًا طويلاً إلى ان قال في الخبر: فقال علي عليه السلام: يا ريح احملينا فحملتهم ثم قال: ضعينا فوضعتهم على أهل الكهف، فامر علي عليه السلام من معه من الصحابة ان يسلموا على أهل الكهف فسلموا فلم يجبهم أحد، فسلم عليهم علي عليه السلام فردوا عليه، فقال لهم عليكم السلام، ما بالكم لم تردوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: فقالوا: لا نكلم بعد الموت الاّ نبيًا أو وصي نبي، ثم قال: يا ريح احملينا فحملتهم، ثم قال: ضعينا فوضعتهم، فاذا

١- الاعتقاد ٣١٤/١، تاريخ دمشق ٢٥/٢٠، الاصابة في تمييز الصحابة ٦/٣.

٢- النمل/ ٤٠.

هم بالحرة، فقال علي عليه السلام: انكم تدركون النبي صلى الله عليه وآله في آخر ركعة فادركوه فيها، وهو يقرأ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾[1]، وزاد فيه الثعلبي في تفسيره ثم صاروا إلى رقدتهم، ثم إلى آخر الزمان عند خروج المهدي عليه السلام فيحييهم الله، ثم يرقدون إلى يوم القيامة[2].

وقد اشتمل هذا الخبر على تسخير الريح له عليه السلام كما سخرت لسليمان بن داود، ويكلم الموتى وعلى شهادتهم بوصايته وخلافته عليه السلام.

وبالجملة فان استبعاد الشارح لهذه الأمور منه عليه السلام محض مكابرة وعناد، وقد عرفت في صدر الكتاب انكاره لتسميته علي عليه السلام بأمير المؤمنين في زمن النبي صلى الله عليه وآله ونسبة الرواية بذلك إلى الشيعة، وان محدثي أهل السنة لم ينقلوه، وقد اوضحنا ما فيه من الفساد، وانه ناشٍ من مجرد اللدود والعناد.

واما حديث الطوق فليس فيه أزيد من انه تعالى قد لين له عليه السلام الحديد ليصنع به ما يريد كما ألانه لداود عليه السلام، وهذا ليس بمستبعد في حقه عليه السلام بعدما عرفت وما ظهر له من المعاجز العظام، وقد سخر الله تعالى له الشمس فردت لاجله باتفاق الخاص والعام وامثال ذلك[3]، اللهم الاّ ان يكون انكاره لحديث الطوق لتضمنه الازراء بحال أبي بكر لكن العبارة تنافيه.

١- الكهف/٩.

٢- المناقب/٢٣٢، ح ٢٨٠، ينابيع المودة ٤٢٦/١، عن الثعلبي.

٣- الخصال/٥٥، الخرائج والجرائح ٤٩٨/٢، مدينة المعاجز ٢٠٨/١، جواهر المناقب ١٣٥/١.

واما حديث اللوح فليس فيه أزيد من اخباره بغيب لم يعلمه غيره،[1] وقد اعترف في شرحه هذا باخباره بجملة من الملاحم والأمور التي تقع في آخر الزمان، وقال انها وقعت كما اخبر به عليه السلام على ان الحديث المذكور مروي برجالهم فروى شيخنا المجلسي ﴿عطر الله مرقده﴾ في كتاب بحار الأنوار عن كتاب الروضة بسند صورته الحسين بن أحمد المدني، عن الحسين بن عبد الله البكري، عن عبدالله بن هشام، عن الكلبي، عن ميمون [بن] مصعب بمكة، قال: كنا عند أبي العباس بن سابور المكي فاجرينا حديث أهل الردة، فذكرنا خولة الحنفية ونكاح أمير المؤمنين عليه السلام لها، فقال: اخبرني عبدالله بن الخير الحسيني، قال: بلغني أن الباقر محمّد بن علي عليهما السلام كان جالسًا ذات يوم إذ جاءه رجلان فقالا: يا أبا جعفر ألست القائل ان أمير المؤمنين عليه السلام لم يرض بامامة من تقدمه؟ فقال: بلى فقالا له: هذه خولة الحنفية نكحها من سبيهم ولم تخالفهم على أمرهم مدة حياتهم، فقال الباقر عليه السلام: من فيكم يأتيني بجابر بن عبدالله وكان محجوبًا قد كف بصره، فحضر وسلم على الباقر عليه السلام فرد عليه السلام واجلسه إلى جانبه، فقال له: يا جابر وعندي رجلان ذكرا ان أمير المؤمنين رضي بامامة من تقدم عليه فأسألهما ما الحجة في ذلك؟ فسألهما فذكرا له حديث خولة، فبكى جابر حتى اخضلّت لحيته بالدموع، ثم قال: والله يا مولاي لقد خشيت ان اخرج من الدنيا ولا اسئل عن هذه المسئلة، والله اني كنت جالسًا إلى جنب أبي بكر وقد سبا بني حنيفة مع مالك بن نويرة من قبل

١- في (ح) فليس فيه أزيد من غيب لم يعلمه غيره.

خالد بن الوليد وبينهم جارية مراهقة، فلما دخلت المسجد قالت: ايها الناس ما فعل محمّد ﷺ قالوا: قبض، قالت: هل بينة نقصدها؟ قالوا: نعم هذه تربته وبيته فنادت وقالت: السلام عليك يا رسول الله اشهد انك تسمع صوتي وتقدر على رد جوابي، واننا سبينا من بعدك ونحن نشهد ان لا إله الاّ الله وان محمّداً رسول الله، ثم جلست فوثب اليها رجلان من المهاجرين أحدهما طلحة والآخر الزبير وطرحا عليها ثوبيهما، فقالت: ما بالكم يا معشر الاعراب تغيبون حلائلكم وتهتكون حلائل غيركم، فقيل لها: لأنكم قلتم لا نصلي ولا نصوم ولا نزكي، فقال لها الرجلان اللذان طرحا ثوبيهما: انا لغالون في ثمنك، فقالت: اقسمت بالله وبمحمّد رسول الله انه لا يملكني ويأخذ رقبتي الاّ من يخبرني بما رأت أمي وهي حامل بي، وأي شيء قالت لي عند ولادتي؟ وما العلامة التي بيني وبينها؟ والاّ بقرت بطني بيدي فيذهب بثمني ويطالب بدمي، فقالوا لها: اذكري رؤياك حتى نعبرها لك، فقالت: الذي يملكني هو اعلم بالرؤيا مني، فاخذ طلحة والزبير ثوبيهما وجلسوا، فدخل أمير المؤمنين عليه السلام وقال: ما هذا الرجف في مسجد رسول الله ﷺ؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين امرأة حنفية حرمت ثمنها على المسلمين، وقالت: من اخبرني بالرؤيا التي رأت أمي وهي حاملة بي يملكني، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما ادعت باطلاً اخبروها تملكوها، فقالوا: يا أبا الحسن ما منا من يعلم اما علمت ان ابن عمك رسول الله ﷺ قد قبض واخبار السماء قد انقطعت من بعده، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اخبرها بغير اعتراض منكم، قالوا: نعم، قال: يا حنفية اخبرك واملكك؟ فقالت: من أنت أيها المجتري دون

اصحابه؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب، فقالت: لعلك الرجل الذي نصبه لنا رسول الله صلى الله عليه وآله في صبيحة يوم الجمعة بغدير خم علمًا للناس، فقال: انا ذلك الرجل، قالت: من أجلك نهبنا ومن نحوك اتينا، لان رجالنا قالوا لا نسلم صدقات اموالنا ولا طاعة نفوسنا الاّ لمن نصبه محمّد صلى الله عليه وآله فينا وفيكم علمًا، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ان اجركم غير ضايع، وان الله يوفي كل نفس ما عملت من خير، يا حنفية ألم تحمل بك امك في زمان قحط قد منعت السماء قطرها والارضون نباتها، وغارت العيون والانهار حتى أن البهايم كانت ترد المرعى فلا تجد شيئًا، وكانت امك تقول لك: انك حمل مشئوم في زمان غير مبارك، وكأنك تقولين يا أمي لا يتطيرن بي، فاني حمل مبارك نشأ منشأ مباركًا صالحًا، ويملكني سيد وارزق منه ولدًا يكون للحنفية عزًا، فقالت: صدقت، فقال عليه السلام: انه كذلك وبه أخبرني ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: ما العلامة التي بيني وبين امي؟ فقال لها: لما وضعتك كتبت كلامك والرؤيا في لوح من نحاس واودعته عتبة الباب، فلما كان بعد حولين عرضته عليك فأقررت به، فلما كان بعد ست سنين عرضته عليك فاقررت به، ثم جمعت بينك وبين اللوح وقالت: يا بنية إذا نزل بساحتكم سافك لدمائكم، وناهب لاموالكم، وساب لذراريكم وسبيتي فيمن سبي فخذي اللوح معك واجتهدي ان لا يملكك من الجماعة الاّ من يخبرك بالرؤيا وبما في هذا اللوح، فقالت: صدقت يا أمير المؤمنين، ثم قالت: فأين هذا اللوح؟ فقال: هو في عقيصتك، فعند ذلك دفعت اللوح إلى أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب فملكها، والله يا أبا جعفر بما

ظهر من حجته وثبت من بينته، فلعن الله من اتضح له الحق ثم جحد حقه وفضله، وجعل بينه وبين الحق سترًا[1].

ووجه انكار الشارح لهذا الخبر ظاهر منير لاشتماله على النص على أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير.

الخامس: ان ما اعترف به من وضع أهل السنة هذه الاخبار في حق أبي بكر شاهد صدق للشيعة فيما تدعيه عليهم من وضع الاخبار عندهم نصرة للمذهب، وانه ليس لهم من الله تعالى خوف ولا رهبة، وانه ليس لاولئك الخلفاء فضيلة ولامنقبة ولا خبر صدق سوى الاخبار الاموية ونحوها من هذه الاخبار التي اعترف هنا بوضعها، فكيف يرومون الزام الشيعة بها في مقام الاستدلال، وأما دعوته على الشيعة الوضع فهو مردود عليه بما عرفت آنفًا، فاعترافه حجة عليه، ودعواه مردودة اليه.

السادس: ما ذكره من ان الشيعة اخترعوا احاديث كثيرة تقتضي نفاق قوم من اكابر الصحابة والتابعين، فان فيه ان الشيعة لا تحتاج الى وضع الاحاديث في هذا الباب، فانه هو وامثاله من محدثيهم ونقلة السير والاخبار قد كفوا الشيعة المؤنة، واحسنوا لهم المعونة بما نشروه من فضايح خلفائهم واصحابهم وقبايحهم، فالشيعة بحمد الله لا يبطلون مذهبهم الاّ باخبارهم ولا يلزمونهم الاّ بما ورد في سيرهم وآثارهم وكلام علمائهم كما عرفته مما جرينا عليه في هذا الكتاب، واوضحناه بوجه لا يزاحمه الارتياب.

١- البحار ٤٥٧/٢٩ – ٤٦١.

السابع: ما ذكره عن البكرية من المطاعن في علي وولديه ﴿صلوات الله عليهم﴾ وهو شهادة منه على كفرهم لاعترافه في غير موضع بان بغض علي عليه السلام كفر ونفاق بالاتفاق بين ذوي الخلاف والوفاق، وكفى به خزيًا لمذهبه الذي ينازع عليه ويتشبث به بكل حشيشة في الذب عنه والانتصار إليه، ثم لا يخفى عليك ما في هذا الكلام من الرد على قائله واستحقاقه لمزيد الملام، وذلك فانه إذا كان قد انقسم الناس فيها الى فرقتين، وبلغ التعصب بكل منهما لصاحبه في البين الى الظغن، وذكر الرذايل في الآخر فهو ادل دليل على معرفتهما بما بين ذينك الشخصين من العداوة الظاهرة نصب العين، كما شرحناه في الفايدة الثامنة من الفوايد الملحقة بالمقدمة، فكيف يطعن على معاوية وبني امية انهم يظنون العداوة بينهم ظنًا، وانه خلاف الواقع.

الثامن: قوله ولقد كان في فضايل علي عليه السلام الثابتة الصحيحة وفضايل ابي بكر المحققة المعلومة، فان فيه إن صحة فضايل علي عليه السلام انما صارت معلومة لاتفاق الموالف والمخالف على نقلها وروايتها، فلا مجال لانكارها الاّ لمن خلع ربقة الايمان وكفر بالله ورسوله، واما فضايل ابي بكر فأي فضيلة له صارت معلومة، افضيلة الفرار من الزحف في غير موطن، أم فضيلة رده عن اداء سورة براءة، أم فضيلة تخلفه عن جيش اسامة بعد لعن الرسول لمن تخلف عنه، أم فضيلة جهله بالاحكام الشرعية، وغاية ما تدعونه له من الفضايل صحبة الغار، وقد عرفت ما فيها من العار والشنار، نعم له اكاذيب الاموية ونحوهم التي نقلها في هذا المقام والاّ فلا فضيلة له ولا منقبة في جاهلية ولا اسلام بل

هو كما عرفت على الضد في غير مقام على انا لا نرى لهم متى ضاق عليهم الخناق الاّ التستر بحسن الظن الذي ألجأهم إليه ضيق العطن، والتستر بالصحبة للرسول ﷺ والاعتماد عليه والرجوع، وقد عرفت انه لا يسمن ولا يغني من جوع.

التاسع: سؤاله العصمة من الله عن الميل للهوى وهو فيه قد طاح وهوى، حيث ضل عن طريق الحق وغوى، وقد كشف عن حاله في هذا الشرح بما جرى عليه من الضلال من مطالعه الى مقاطعه، وصار بتأويلاته الباردة وتمحلاته الشاردة ممن يحرف الكلم عن مواضعه، وقد اظهر فيه من فضايح ائمته واتباعهم التي لا يسترها ساتر، وما ارتكبوه من عظم القبايح والمناكر مع التزامه بولايتهم وقوله بامامتهم، وتكلف التأويلات السخيفة لسد عثراتهم، والتمحلات البعيدة لتغطية عوراتهم، ومقابلته بالصد عن الحق النيّر الظاهر، كما اوضحناه في هذا الكتاب لكل ناظر، وبذلك يظهر انه في دعائه غادر ماكر.

قال: الاصل، ومن خطبة له عليه السلام، واشهد انه عدل عدل وحكم فصل، الى آخره، الى أن قال: قوله عليه السلام: كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما.

النسخ النقل، وهذا المعنى قد ورد مرفوعًا في عدة احاديث نحو قوله ﷺ: ما افترقت فرقتان من نسل آدم الاّ كنت في خيرهما، وقوله ﷺ: إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل، واصطفى من ولد اسماعيل مضر، واصطفى من مضر كنانة، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش

هاشمًا، واصطفاني من بني هاشم، وفي الكلام رمز الى جماعة من الصحابة في انسابهم طعن كما يقال إن آل سعد بن ابي وقاص ليسوا من بني زهرة بن كلاب، وانهم من بني عذرة من قحطان، وكما يقال إن آل الزبير بن العوام من ارض مصر من القبط وليسوا من بني اسد ابن عبد العزى.

قال الهيثم بن عدي في كتاب مثالب العرب: إن خويلد بن اسد بن عبد العزى كان اتى مصرًا ثم انصرف معه بالعوام فتبناه، فقال حسان بن ثابت يهجوا آل العوام بن خويلد:

بني اسد ما بال آل خويلد	يحنون شوقًا كل يوم الى القبط
متى يذكروا فقهى يحنوا لذكرها	وللرمث المقرون والسمك الرقط
عيون كامثال الزجاج وصبغة	تخالف كعبًا في لحى كثة لطّ
ترى ذاك في الشبان والشيب منهم	مبينًا وفي الاطفال والجلد الشمط
لعمر ابي العوام إن خويلدًا	غداة تبناه ليوثق في الشرط

وكما يقال في قوم آخرين، نرفع هذا الكتاب عن ذكر ما يطعن به في انسابهم كيلا يظن بنا انا نحب المقالة في الناس.

قال شيخنا ابو عثمان في كتاب مفاخرات قريش: لا خير في ذكر العيوب الاّ من ضرورة، ولا تجد كتاب مثالب قط الاّ لدعي او شعوبي، وربما كانت حكاية الفحش افحش من الفحش، ونقل الكذب اقبح من الكذب[1].

١- شرح نهج البلاغة ٦٨/١١.

قال ابو عثمان: وبلغ عمر بن الخطاب إن ناسًا من رواة الاشعار وحملة الآثار يقصبون الناس ويثلبونهم في اسلافهم، فقام على المنبر فقال: اياكم وذكر العيوب والبحث عن الاصول، فلو قلت لا يخرج اليوم من هذه الابواب الاّ من لا وصمة فيه لم يخرج منكم احد، فقام رجل من قريش نكره إن نذكره فقال: إذًا كنت انا وانت يا أمير المؤمنين نخرج، فقال: كذبت بل كان يقال لك يا قين ابن قين اقعد[1].

قلت: الرجل الذي قام هو المهاجر بن خالد بن المغيرة المخزومي، وكان عمر يبغضه لبغضه اباه خالدًا، ولان المهاجر كان علوي الرأي، وكان اخوه عبد الرحمن بخلافه، شهد المهاجر صفين مع علي عليه السلام ويوم الجمل وفقئت ذلك اليوم عينه، ولان الكلام الذي بلغ عمر بلغه عن المهاجر[2].

وروى ابو الحسن المدايني هذا الخبر في كتاب امهات الخلفاء وقال: انه روي عند جعفر بن محمد عليه السلام بالمدينة فقال: لا تلمه يا ابن اخي انه اشفق ان يخرج بقصة نفيل بن عبد العزى وصهاك امة الزبير بن عبد المطلب، ثم قال: رحم الله عمرًا انه لم يعد السنة، ثم تلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

فاما قول ابن جرير الآملي الطبرستاني في كتاب المسترشد ان عثمان

١- شرح نهج البلاغة ٦٩/١١.

٢- شرح نهج البلاغة ٦٩/١١.

٣- النور/١٩.

والد ابي بكر كان من ابنة اخته فليس بصحيح ولكنها ابنة عمه، لأنها ابنة صخر بن عامر، وعثمان هو بن عمرو بن عامر، والعجب لمن تبعه على هذه المقالة من الامامية من غير تحقيق لها من كتب الانساب، وكيف يتصور هذه الواقعة في قريش ولم يكن احد منهم مجوسيًا ولا يهوديًا ولا كان مذهبهم حل بنات الأخ وبنات الاخت[1].

ثم نعود إلى تمام حكاية كلام شيخنا أبي عثمان قال: ومتى يقدر الناس على رجل مسلم من كل دنية ومبرأ من كل آفة وامهاته واسلافه واصهاره حتى لتسلم له اخواله واعمامه، وخالاته وعماته، واخواته، وبناته وامهات نسائه، وجميع من يناسبه من قبل جداته واجداده، واصهاره واخواته، ولو كان ذلك موجودًا لما كان لنسب رسول الله ﷺ فضيلة في النقاء والتهذيب، وفي التصفية والتنقيح، قال رسول الله ﷺ: ما مسني عرق سفاح قط، وما زلت انقل من الاصلاب السليمة من الوصوم، والارحام البريئة من العيوب، فلسنا نقضي لاحد بالنقاء من جميع الوجوه الاّ لنسب من صدقه القرآن واختاره على جميع الانام والاّ فلا بد من شيء يكون في نسب الرجل أو في طرفيه أو في بعض اسلافه أو في بعض اصهاره ولكنه يكون مغطى بالصلاح ومحجوبًا بالفضايل، ومغمورًا بالمناقب، ولو تأملت أحوال الناس لوجدت أكثرهم عيوبًا أكثرهم تعييبًا، انتهى[2].

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ٦٩/١١.

٢- شرح نهج البلاغة ٧٠/١١.

أقول: اما ما نقله من الخبر في معنى قوله عليه السلام كلما نسخ الله الخلق من قوله صلى الله عليه وآله ان الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل إلى آخره، فلا يخفى ما فيه من الدلالة الظاهرة على طهارة آباء النبي صلى الله عليه وآله من الشرك والكفر ردًا على الفرقة الفاجرة، إذ المعلوم من لفظ الاصطفاء من الله عزّ وجل انه لا يقع ذلك على المشرك والكفر، ولفظ الاصطفاء الوارد في القرآن في غير موضع لم يقع الاّ على المعصومين مثل مريم والملائكة وآل إبراهيم وآل عمران وطالوت، ولا أقل هنا ان يحمل على الاسلام والايمان بالله عزّ وجلّ، وسيأتي البحث ان شاء الله تعالى في اسلام آبائه صلى الله عليه وآله وتحقيق ان ذلك هو الحق رغمًا على أنف الشارح واصحابه حيث انكروا ذلك، وزعموا كفرهم وهو مذهب كافة أهل السنة.

واما ما نقله في نسب الزبير والطعن في ابيه، فقد تقدم ما يعضده في الفصل الخامس من المقصد الثاني من المقدمة من شعر عدي بن حاتم في هجاء عبد الله بن الزبير، واما سعد بن أبي وقاص فقد نقل الشارح في موضع من هذا الشرح بعد ان نقل ان عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد وكلم شفتيه وشج وجهه، فقال حسان بن ثابت في ذلك اليوم ثم نقل ابياته في ذم عتبة ومن جملتها:

ومن عاذري من عبد عذرة بعده ... هوى في دجوجي شديد المضايق
واورث عارًا في الحياة لاهله ... وفي النار يوم البعث أم البوايق

ثم قال الشارح: وانما قال عبد عذرة، لان عتبة بن أبي وقاص واخوته واقاربه في نسبهم كلام، ذكر قوم من أهل النسب انهم من عذرة وانهم ادعياء في قريش، ولهم خبر معروف وقصة مذكورة في كتب النسب، وتنازع عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص في أيام عثمان في أمر فاختصما، فقال سعد لعبدالله اسكت يا عبد هذيل، فقال له عبد الله: اسكت يا عبد عذرة، انتهى.[1]

أقول: وقد تقدم الكلام في طلحة وبيان حال امه صعبة، فلينظر العاقل المنصف إلى هؤلاء الذين هم من جملة العشرة المبشرة بالجنة وإلى ما يقذفونهم به عما يوجب التهمة فيهم وسوء الظنة مع هذا يعكسون الامر على الشيعة ويبرؤن منهم ويعادونهم، لانهم يسبون الصحابة، والشيعة غاية ما يدّعونه عليهم بمخالفة الرسول الله صلى الله عليه وآله في جملة من الاوامر والنواهي ولم يرموهم بمثل هذه الدواهي.

واما قوله وكما يقال في قوم آخرين الى آخره، فالظاهر انه اشارة إلى ما تقدم نقله في حق امامه ابن الخطاب الذي قد عرفت آنفًا في المقدمة انه اتفق عليه الاعداء له والاصحاب وهو أيضًا هنا قد كشف عنه الغطاء والحجاب بما نقله من حديث الصادق عليه السلام، وهذا التعفف البارد لا يلايم ما ذكره في آل سعد بن أبي وقاص، ولا ما ذكره في آل الزبير، ولا ما نقله من الحديث المشار إليه، واما ما نقله عن شيخه أبي عثمان الجاحظ العدو لأهل البيت عليهم السلام والباغض، فنقول فيه وبالله المستعان:

١- شرح نهج البلاغة ٥٦/٦.

ان هـذا القايـل انمـا الجأه إلـى التطويـل فـي هـذا المقـال والهـدر بمـا لا محصل[1] لـه عند ذوي الكمال انما هو الذب عن امامه ابن الخطاب ومن ضاهاه في هذا الباب، ممن صار ثبوت الزنا في انسابهم ظاهرًا بين علماء الانساب، ولم ير هذا القايل لمزيد تعصبه وعناده طريقًا إلى الذب عنهم الاّ الطعن فـي جميع الناس والافتراء عليهم بالقذف والسباب، ولعله حق فـي حقـه وحـق امثالـه مـن ذوي الاذناب الذين قد بنى نكاحهم وطلاقهـم علـى خـلاف السنة والكتـاب، مضافًا إلى ما اتصفوا بـه مـن بغـض علـي عليه السلام الـذي هـو لخبـث الـولادة أحـد الاسباب، كما تقدمت اخباره قريبًا واضحة الدلالة مكشوفة النقاب، ثم انه يـرد على هذا القايل ان ما ذكره من هـذا التـصوف البـارد والتعفـف الجامـد مـن ان حكاية الفحش افحش من الفحش إلـى آخـر كلامـه، ان اراد بـه الاشـارة إلـى مصنفي تلك الكتب من اصحابه وناقلي تلك الاخبار، فالكلام ليس موجهًا الينا، والجواب غير واجب علينا، وان اراد به الاشارة إلى الشيعة وإلى طعـنهم بـذلك على امامه واصحابه ففيه:

أولاً: انه قال في صدر كلامه الاخير في ذكر العيوب الاّ من ضرورة.

ونحن نقول: انما الجأنا الى ذكر هذه المطـاعن والعيـوب التـي ذكروهـا وتناقلوها في كتبهم ونشروها هو ضرورة البيان لمن اراد الله تعـالى هدايتـه الـى جادة الايمان بان من كان متصفًا بهذه الاوصاف بنقل اصحابه واوليائه فلا يليق بخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ولا بالمقارنة فضلاً عن التفـضيل لمرتبـة علـي عليه السلام والاّ

١- في (ح) بما لا محصول.

فأولاد الزنا كثيرون معروفون ولسنا نقصد احدًا منهم بالذكر بغير فايدة.

وثانيًا: انه مما اتفق عليه الامة في باب الجرح والتعديل ذكر ما يتعلق بالرجل مما يكون من هذا القبيل او ما يتصف به مما يقابل تلك الاوصاف متى كان من اهل التقوى والعفاف.

وبالجملة انهم يتعرضون لبيان حال الرجل وما هو عليه من حسن وقبح، وما يتعلق بكل منها ويرجع إليه، ليعلم الناس انه ممن يوثق به أو لا يوثق به.

وثالثًا: ان قوله ومتى يقدر الناس على رجل مسلم من كل دنية الى آخره، رمي في الظلام وعمى عن الحق أو تعام، فان البحث والكلام ليس في مجرد اخذ الناس بالظنة والاتهام، إذ هذا بلا خلاف مما نهت عنه شريعة الملك العلام، وانما الكلام فيمن ظهر ذلك فيه ونقلته الرواة والناقلون في مساويه، فانه يجب اظهار ذلك ونشره وسطره في الكتب وذكره، كما يجب اظهار تزكيته وعدالته ووثاقته متى نقل فيه ذلك للغرض الذي ذكرناه في باب الجرح والتعديل، وفخر النبي صلى الله عليه وآله بآبائه وجدوده إلى آدم انما هو باعتبار معلومية صحته لجميع العالم بخلاف من سواه، فانه ما بين مطعون في النسب وما بين مجهول الحال الاّ ان كل من سواه صلى الله عليه وآله لا يخلو من طعن في نسبه كما ذكره هذا، واما ما ذكره الشارح في تعليله الثاني لقول عمر للمهاجر بما قال من ان المهاجر كان علوي الرأي جدًا ففيه ان ذلك ادل دليل على عداوة عمر لعلي عليه السلام، إذ عداوته لاصحابه عليه السلام لذلك واضح الدلالة فيما هنالك، فكيف يدعي في غير موضع مع اعترافه بهذا الكلام انه عليه السلام مع الخلفاء المتقدمين كان من

الاصحاب لهم والموافقين غير القادحين ولا المبغضين، واما ما نقله عن المدايني من قول جعفر بن محمّد عليهما السلام ما يؤذن بالطعن في نسب ابن الخطاب، ففيه:

أولا: انه لو كان هذا النقل عنه عليه السلام من طريق الشيعة لسبوهم وطعنوا عليهم بانهم يقذفون الخلفاء الاطياب، ورموهم بالسباب والطعن في الانساب، وقد عرفت فيما تقدم ما اتفقت عليه روايات الطرفين في هذا الباب، وحينئذ فما ذنب الشيعة بعد رواياتهم الشنيعة في حق امامهم ابن الخطاب، وقد تقدم في كلام هذا الضال في المقالة المتقدمة طعنه على الشيعة بانهم ابتدعوا اخبارًا كثيرة تقتضي نفاق قوم من الصحابة، فان ما طعن به هناك انما هو من هذا القبيل ولكنهم إذا رووه من طرقهم أو صرح به علماؤهم غمضوا عنه العين، وكأنه لم يكن في البين، وإذا سمعوه على ألسنة الشيعة ورأوه في كتبهم قابلوه بما سمعت.

وثانيًا: ان تتمة الخبر من ترحم الصادق عليه السلام على عمر كذب ظاهر أو تقية كما يشهد به صحيح النظر، ثم اني قد وقفت في نسب ابن الخطاب على كلام بنقل بعض الاصحاب لم اذكره فيما سبق فكان ذكره في هذا المقام اولى واحق.

قال: روى محمّد بن السائب الكلبي النسابة، وأبو مخنف يحيى بن لوط الازدي النسابة في كتاب الصلابه في معرفة الصحابة، وكتاب التنقيح في النسب الصريح باسنادهما إلى ابن سيابة عبد الله في نسب عمر بن الخطاب قال:

وكان عمر متولدًا من نجيبين متضادين نفيل هو من نجباء الحبشة، ثم قال: ذاكرًا نسبه اليهما بعد ان قال: ان نكاح الشبهة من أبواب النكاح الحلال، وان المتولد منه ومن الزنا يكون انجب من ولد الفراش، فقال: واعلم انه قد اتفق في نسبه من الكرامات ما يناسب شأنه ويليق بحاله من ارتباط نسبه بعض ببعض، وكانت العرب تفتخر إذا اتفق لهم بعض هذا الاتفاق في انسابهم أو دوابهم من أهل السنة والشيعة حتى قال بعضهم يصف ناقة له شعرًا:

علق أبوها أخوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شمليل

ثم قال: واما تفصيل نسبه وبيانه وهو ان نفيلاً كان عبدًا لكلب من لؤي ابن غالب القرشي فمات عنه فوليه عبدالمطلب، وكان صهاك قد بعثت لعبد المطلب من الحبشة فكان نفيل يرعى جمال عبد المطلب، وصهاك ترعى غنمه، وكان يفرق بينهما في المرعى، فاتفق يومًا اجتماعهما في مراح واحد فهواها وعشقها نفيل، وكان قد البسها عبد المطلب سروالاً من الاديم وجعل عليه قفلاً، وجعل مفتاحه معه لمنزلتها منه، فلما راودها قالت: ما لي إلى ما تقول سبيل وقد البست هذا الاديم ووضع عليه قفل، فقال: انا احتال عليه، فاخذ سمنًا من مخيض الغنم ودهن به الاديم وما حوله من بدنها حتى اسلسه إلى فخذيها وواقعها فحملت منه بالخطاب، فلما ولدته القته على بعض المزابل بالليل خيفة من عبد المطلب فالتقطت الخطاب امرأه بدوية خبازة وربته، فلما كبر كان يقطع لها الحطب فسمى الحطاب لذلك - بالحاء المهملة- فصحف -

بالمعجمة- وكانت صهاك ترتاده في الخفية، فرآها يومًا وقد تطأطأت عجيزتها ولم يدر من هي، فوقع عليها فحملت منه بحنتمة، فلما وضعتها القتها على مزابل مكة خارجها فالتقطها هشام بن المغيرة بن الوليد ورباها فنسبت إليه، فلما كبرت وكان الخطاب يتردد على هشام، فرأى حنتمة فاعجبته فخطبها إلى هشام فزوجه اياها فولدت عمر، وكان الخطاب والد عمر لانه أولد حنتمة اياه حيث تزوجها وحده، لانه سافح صهاك قبل فاولدها حنتمة، وكانت حنتمة أم عمر بنت الخطاب، فكان الخطاب جده وخاله، لان حنتمة والحطاب من أم واحدة وهي صهاك، وكانت حنتمة أمه لانها ولدته، واخته لان عمر وحنتمة من أب واحد وهو الخطاب، وعمته لان حنتمة والخطاب من أم واحدة وهي صهاك، هذا ملخص كلام الكلبي، واما ما ذكره أبو مخنف فهو كلام طويل، انتهى[1].

١- قال ابن كثير في تفسيره ١٨١/١ و ١٠٦/٢ في تفسير قوله تعالى ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ عن ابي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان محمار الوجه حتى جلس على المنبر، فقال اليه رجل فقال: اين ابي؟ قال: في النار، فقام آخر فقال: من ابي؟ فقال: ابوك حذافة، فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله ربًا، وبالاسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، وبالقرآن امامًا، انا يا رسول الله حديثة عهد بجاهلية وشرك والله اعلم من آباؤنا، قال: فسكن غضبه ونزلت هذه الآية.

وقال في جامع العلوم والحكم ٩٠/١ مثله الى ان قال: انا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك والله اعلم بآبائنا. وذكر في فتح الباري ٢٨١/٨ مثله.

اقول: فكيف يتهم الشيعة بالطعن في نسب عمر وان ذلك من متفرداتهم وهم ينقلون ذلك في كتبهم وصحاحهم، والاّ فما معنى قيام عمر مباشرة بعد كلام ذلك الرجل الذي سأل عن نسبه حيث قطع على رسول الله حديثه، وكذلك ما معنى قوله والله اعلم من آباؤنا، وهل يشك انسان في نسبه ويجهله، وهل كل اهل الجاهلية في انسابهم جهالة وشك؟ فهل من يتدبر ويعي ما يقرأ أم على قلوب اقفالها. ﴿المحقق﴾

إذا عرفت ذلك فاعلم انه قد استفاض ذلك في جملة من اخبار الشيعة كما قدمنا بعضًا منها في المقدمة في فصل مطاعنه، وبذلك صرح جملة من علمائهم، واما ما نقله من ابن جرير الآملي مما يشهد أيضًا بفساد نسب أبي بكر، ورده بانه لم يكن أحد من قريش مجوسيًا ففيه انه وان كان كذلك بالنسبة إلى التزويج لكنهم كانوا لا يتحاشون من الزنا ولا يتناكرونه بأجنبية كان أو بذي محرم، فلعله كان ذلك بزنا بابنة اخته لا بتزويجها فيندفع الاستبعاد المذكور.

[قال:] ثم جعل الله سبحانه من حقوقه حقوقًا افترضها لبعض الناس على بعض الى آخره، إلى ان قال: وقد جاء في وجوب طاعة أولي الامر الكثير الواسع، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[1]، وروى عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ الامر والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصيته، فاذا عصى فلا سمع ولا طاعة، وعنه ﷺ ان أمر عليكم عبد أسود مجذوعًا فاسمعوا له واطيعوا، ثم نقل جملة من اخبارهم من هذا القبيل.

أقول: الظاهر من كلام الشارح الضال الذي لم يزل تايهًا في اودية الضلال تفسير اولي الامر في الآية بالامراء كما هو أحد قول علمائهم ومفسريهم، وفيه ما تقدم في الفصل الخامس من المقصد الاول من المقدمة، ولينظر العاقل المنصف إلى هؤلاء الذين ينظمون انفسهم في سلك العلماء الاعلام، ويدعون انهم ارباب ذوي النقض والابرام، كيف تبلغ بهم الجرأة على

١- النساء/٥٩.

الملك العلام في تفسير كلامه بهذه الخرافات الباطلة والترهات العاطلة، وهل يستجيز مسلم يؤمن بالله ورسوله ان يقرن الله عزّ وجلّ بوجوب طاعته ورسوله ووجوب طاعة معاوية بن أبي سفيان الذي قد اعترف هذا الضال بما هو عليه من الزندقة والكفر والطغيان، وابنه يزيد قاتل الحسين وأهل بيته عليهم السلام، وصاحب وقعة الحرة، شارب الخمر، والمتهتك في الفجور، وزياد ابن سمية وابنه عبيد الله بن زياد، والحجاج وامثالهم من ملأ ظلمهم الفجاج من فجرة بني أمية وفسقه بني العباس الذين قد لبسوا ذلك اللباس، وتأمروا بالباطل على الناس، وعظم منهم في الدين المحنة والبأس والالتباس.

فان قيل: انه انما أوجب طاعتهم فيما اطاعوا الله فيه.

قلنا: فيه أولاً: ان هذا مجرد تخرص وتمويه، فان عطف اولي الامر في الآية على الله ورسوله وجعلهم في قرنهما يقتضي كونهم مثليهما في وجوب الطاعة على الاطلاق من غير تقييد أمر دون أمر، ولا حال دون حال، ولا زمان دون زمان.

وثانيًا: ان عد هؤلاء في قرن الله ورسوله مع قطع النظر كما ذكرناه مع ما هم عليه مما عرفت مما لا يتجاسر عيله من يؤمن بهما، وليتأمل المنصف ايما اولى بالمقام عد هؤلاء على ما عرفت منهم أو من ورد في حقهم بالاتفاق انهم كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق، وانهم احد الثقلين المخلفين في الامة، والخليفتين من تمسك بهما اهتدى، ومن لم يتمسك بهما وقع في تيه الضلال والردى، ولا ريب أن هذا هو الظاهر لذوي العقول

والبصاير، وقد تقدم تحقيق القول في الآية المذكورة في الفصل المشار إليه آنفًا، وبيان معناها وصراحة دلالتها على ما قلناه ولكن هذا الضال لغلبة الحمية والعصبية لائمته لا يهتدي إلى حق ولا صواب ولا يبالي بتناقض في كلامه أو اضطراب، كما عرفته منه في غير باب.

قال: الاصل فاجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يذكر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له فقال عليه السلام: ان من حق من عظم جلال الله في نفسه إلى آخره، إلى ان قال: ومنها قوله عليه السلام فاني لست في نفسي بفوق أن اخطيء، ولا آمن ذلك من فعلي الاّ ان يكفي الله من نفسي ما هو املك به مني، فانما انا وانتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره، يملك منا ما لا نملك من انفسنا، واخرجنا الى ما كنا فيه الى ما صلحنا عليه، فابدلنا بعد الضلالة بالهدى، واعطانا البصيرة بعد العمى، الى ان قال: ومنها قوله عليه السلام: فاني لست في نفسي بفوق ان اخطيء، هذا اعتراف منه عليه السلام بعدم العصمة، فاما ان يكون الكلام على ظاهره أو يكون قاله على سبيل هظم النفس كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ولا أنا الاّ ان يتداركني الله برحمته، ومنها قوله عليه السلام: خرجنا مما كنا فيه فابدلنا بعد الضلالة بالهدى، واعطانا البصيرة بعد العمى، ليس هذا اشارة إلى خاص نفسه عليه السلام، لانه لم يكن كافرًا فاسلم ولكنه كلام يقوله ويشير إلى القوم الذين يخاطبهم من افناء الناس، فيأتي بصيغة الجمع الداخلة فيها نفسه توسعًا، ويجوز ان يكون معناه لولا الطاف الله تعالى ببعثه محمّد صلى الله عليه وآله لكنت أنا وغيري على اصل مذهب الاسلاف من عبادة الاصنام، كما قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَوَجَدَكَ

ضَآلاً فَهَدَىٰ﴾[1] وليس معناه انه ﷺ كان كافرًا بل معناه لولا اصطفاء الله تعالى لكنت كواحد من قومك، ومعنى ووجدك ضالاً هي ووجدك بعرضة الضلال، فكأنه ضال بالقوة لا بالفعل، انتهى[2].

أقول: فيه أولاً: ما توهمه من ان قوله عليه السلام ولست في نفسي بفوق ان اخطيء اعتراف بعدم العصمة خطأ منه ووصمته في عصمته عليه السلام، فلما عرفت في الفصل السادس من المقصد الاول من المقدمة من الآيات القرآنية والروايات النبوية مما هو نص في عصمته عليه السلام وعصمة الائمة من ولده ﴿صلوات الله عليهم﴾، ولاعترافه في شرحه كما تقدم نقله عنه بكون علي عليه السلام معصومًا، وان لم يكن الامام بزعمه واجب العصمة.

واما ثانيًا: فان هذا الكلام وما بعده انما خرج مخرج المماشاة والتواضع الباعث للمخاطبين على الانبساط معه بقول الحق وقبوله، ومثله قوله حكاية عن رسوله ﴿وانا اواياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾، ويحتمل ان يكون انما اراد القوم وان نسبه إلى نفسه ليكون ادخل في القبول وبلوغ المأمول، كما روي عنه عليه السلام اني لاكره ان اسلم على المرأة الشابة مخافة ان يعجبني صوتها مع انه عليه السلام منزه عن ذلك بيقين، وانما اراد به وضع غيره ممن يحصل له الفتنة بذلك.

واما ثالثًا: فلما استفاض في ادعيته عليه السلام من الاعتراف بالذنوب والبكاء

١- الضحى/٧.

٢- شرح نهج البلاغة ١١/١٠١ – ١٠٨.

والتضرع إلى الله تعالى منها وطلب النجاة من النار، وقد روي أيضًا من طرقهم عن النبي صلى الله عليه وآله انه ليغان على قلبي واستغفر الله كذا كذا مرة والغين كما ذكره في الفريقين عن أبي عبيدة في تفسير الحديث المذكور ان ينغشي القلب ما يلبسه قال: يقال غينت السماء غينًا، وهو اطباق الغيم السماء، والغيم والغين واحد، انتهى[1].

وحينئذ فكل ذلك بمقتضى كلام الشارح يقتضي عدم العصمة في حقه عليه السلام وفي حق النبي صلى الله عليه وآله ما هذا الاّ جهل محض.

وثانيًا: ما ذكره في معنى الآية وهو قوله عزّ وجلّ ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَىٰ﴾ فانه تخرص وضلال جار على عادته في امثال هذا المجال، كما فسر اولي الامر في الآية المتقدمة في سابق هذه المقالة بامراء السوء من خلفائه واتباعهم مع انه قد رووا عنه صلى الله عليه وآله ان من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار، وحينئذ فلا يجوز تفسيره الاّ بالاثر الصحيح والمروي من طريق أهل البيت عليهم السلام الذين هم قرنا بالقرآن، وامناء الملك المنان بنص اني تارك فيكم الثقلين، وفي آخر خليفتين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض الدال على انه لا يؤخذ تفسير القرآن الاّ منهم، ولا يعتمد فيه الاّ عليهم، ان المراد بالآية ووجدك ضالاً في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم اليك، وحينئذ فالمراد بقوله ضالاً أي ضائعًا من ضلت الدابة أي ضاعت لا بمعنى

١- فلاح السائل للبهائي/١١٨، اعانة الطالبين للبكري الدمياطي ١٣٢/١، كتاب الدعاء للطبراني/٥١٤، صحيح ابن حبان ٢/٣.

الضلال الذي هو ضد الهداية، كما توهمه هو وغيره حتى زعم بعضهم بهذه الآية جواز الكفر على الانبياء وفسرها بانه كان كافرًا، وبذلك يظهر لك ما في قوله انه كان ضالاً بالقوة، فانه ناش عن ضلاله لعدوله عن أهل بيت النبوة.

قال: الاصل، ومن كلام له عليه السلام اللهم اني استعديك على قريش إلى آخره.

العدوى إلى وال ليعديك على من ظلمك ان ينتقم لك منه، وقطعوا رحمي أي قرابتي، أي اجروني مجرى الاجانب، واكفأوا انائي قلبوه وكبوه، واغضيت على كذا صبرت، وجرعت –بالكسر–، والشجى ما يعترض في الحلق، والوحر الطعن الخفيف، وروي من حز الشفار، والجز القطع، والشفار جمع شفرة، وهي حد السيف أو السكين.

واعلم ان هذا الكلام قد نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام وما يناسبه ويجري مجراه، ولم يؤرخ الوقت الذي قاله فيه ولا الحال التي عناها به، وأصحابنا انما يحملون ذلك على انه قاله عقيب الشورى وبيعة عثمان، فانه ليس يرتاب أحد من اصحابنا رحمهم الله في انه تظلم وتألم حينئذ، ويكره أكثر اصحابنا حمل امثال هذا الكلام على التألم من يوم السقيفة.

ولقايل ان يقول لهم: اتقولون ان بيعة عثمان لم تكن صحيحة في قولهم لا.

فيقال لهم: فعلى ماذا تحملون كلامه عليه السلام مع تعظيمكم وتصديقكم لاقواله.

فيقولون: نحمل ذلك على تألمه وامثاله صدر منه عقيب يوم السقيفة واحملوه على انه تألم وتظلم منهم اذ تركوا الاولى والافضل.

فيقال لهم: فلا تكرهوا.

أقول: من يقول من الشيعة وغيرهم إن هذا الكلام وأمثاله صدر منه عقيب يوم السقيفة وحملوه على انه تألم وتظلم من كونهم تركوا الاولى والافضل، فانكم لستم تنكرون انه كان الاولى والافضل والاحق بالامر بل تعترفون بذلك وتقولون ساغت امامة غيره وصحت لمانع كان فيه عليه السلام، وهو ما غلب على ظنون العاقدين للامر من ان العرب لا تطيعه، وانه يخاف من فتنة عظيمة تحدث ان ولي الخلافة لاسباب تذكرونها وتعدونها، وقد روى كثير من المحدثين ان عقيب يوم السقيفة تألم وتظلم واستنجد واستصرخ حيث ساموه الحضور للبيعة، وانه قال وهو يشير إلى القبر يا ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، وانه قال: واجعفراه ولا جعفر لي اليوم، واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم، وقد ذكرنا من هذا جملة صالحة فيما تقدم، وكل ذلك محمول عندنا على طلب الأمر من جهة الفضل والقرابة، وليس بدال عندنا على وجود النص، لانه لو كان هناك نص لكان اقل كلفة واسهل طريقًا وايسر لمن يريد تناولاً، بان يقول يا هؤلاء ان العهد لم يطل، وان رسول الله صلى الله عليه وآله امركم بطاعتي واستخلفني عليكم بعده ولم يقع منه عليه السلام بعد ما علمتموه نص بنسخ ذلك ولا برفعه، فما الموجب لتركي والعدول له، وهو يقبل ويدفع ليبايع وهو يستصرخ تارة بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وتارة بعمه حمزة وأخيه جعفر وهما

ميثاق، وتارة بالانصار، وتارة ببني عبد مناف، ويجمع الجموع في داره، ويبث الرسل والدّعاة ليلاً ونهارًا إلى الناس يذكرهم فضله وقرابته، ويقول للمهاجرين خصمتم الانصار بكونكم أقرب إلى رسول الله ﷺ وانا اخصمكم بما خصمتم به الانصار، لان القرابة ان كانت هي المعتبرة فانا أقرب منكم، وهلا خاف من هذا الامتناع وهذا الاحتجاج، ومن الخلوة في داره باصحابه، ومن تنفير الناس عن البيعة التي عقدت حينئذ لمن عقدت له، وكل هذا إذا تأمله المنصف علم ان الشيعة اصابت في أمر واخطأت في أمر، واما الامر الذي اصابت فيه فقوله انه امتنع وتلكأ واراد الامر لنفسه، واما الامر الذي اخطأت فيه فقولها انه كان منصوصًا عليه نصًا جليًا بالخلافة تعلمه الصحابة كلها أو أكثرها، وان ذلك النبي خولف طلبًا للرياسة الدنيوية وايثارًا للعاجلة، وان حال المخالفين للنص لا تعدوا أحد أمرين اما الكفر أو الفسق، فان قرائن الاحوال واماراتها لا تدل على ذلك، وانما تدل وتشهد بخلافه، وهذا يقتضي ان أمير المؤمنين عليه السلام كان في مبدأ الامر يظن ان العقد لغيره كان من غير نظر في المصلحة، وانه لم يقصد به الاّ صرف الامر عنه والاستيثار عليه، فظهر منه ما ظهر من الامتناع والقعود في بيته إلى ان صح عنده وثبت في نفسه انهم اصابوا فيما فعلوه، وانهم لم يميلوا إلى هوى ولا ارادوا الدنيا، وانما فعلوا الاصلح في ظنونهم، لانه رأى من بغض الناس له وانحرافهم عنه وميلهم عليه، وثوران الاحقاد التي كانت في انفسهم واحتدام النيران التي كانت في قلوبهم، وتذكر التّرات التي وترهم فيما قبلها، والدماء التي سفكها منهم واراقها، وتعلل طائفة

منهم للعدول عنه بصغر سنه واستهجانهم بتقديم الشباب على الكهول والشيوخ، وتعلل طائفة أخرى منهم بكراهة الجمع بين النبوة والخلافة في بيت واحد، فمعجول بالناس كما قاله من قاله، واستصعاب قوم منهم شدته وعلمهم انه لا يداري ولا يحابي ولا يراقب ولا يجامل في شدته، وان الخلافة تحتاج إلى من يجتهد ويعمل برأيه وبموجب استعلامه، وانحراف قوم عنه للحسد الذي عندهم له في حياة رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لشدة اختصاصه له وتعظيمه اياه، وما قال فيه واكثر من النصوص الدالة على رفعة شأنه وعلو مكانه، وما اختص به من مصاهرته واخوته ونحو ذلك من احواله معه، وتنكر قوم آخرين له لنسبتهم إليه العجب والتيه كما زعموا، واحتقاره العرب واستصغاره الناس كما عددوه، فان كانوا عندنا كاذبين ولكنّه قول قيل، وامر ذكر، وحال نسبت اليه، واعانهم عليها ما كان يصدر عنه عَلَيْهِالسَّلَامُ من الاقوال التي توهم نحو هذا، نحو قوله انا صنايع ربنا والناس بعد صنايع لنا، ما صح به عنده ان الأمر لم يكن سيستقيم له يومًا واحدًا ولا ينتظم، ولا يستمر، وانه لو ولي الأمر لفتقت العرب عليه فتقًا يكون فيه استيصال شأفة الاسلام وهدم اركانه، فأذعن البيعة وجنح بالطاعة وامسك عن طلب الامر، وان كان على مضض ورمض، وقد روي عنه عَلَيْهِالسَّلَامُ ان فاطمة عَلَيْهَاالسَّلَامُ حرضته يومًا على النهوض والوثوب فسمع صوت المؤذن يقول اشهد ان محمّدًا رسول الله فقال لها: أيسرك زوال هذا النداء من الأرض؟ فقالت: لا، قال: فانه ما اقول لك.

وهذا المذهب هو اقصد المذاهب واصحها، واليه ذهب اصحابنا المتأخرون من البغداديين وبه نقول.

واعلم ان حال علي عليه السلام في هذا المعنى اشهر من ان يحتاج في الدلالة عليه إلى الاسهاب والاطناب، فقد رأيت انتقاض العرب عليه من اقطارها حين بويع بالخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس وعشرين سنة وفي دون هذه المدة تنسى الاحقاد، وتموت الترات، وتبرد الاكباد الحامية، وتسلوا القلوب الواجدة، ويعدم قرن من الناس ويوجد قرن، ولا يبقى من تلك الشحناء والبغضاء الآ الاقل، فكانت حاله بعد هذه المدة الطويلة مع قريش كأنها حاله لو افضت الخلافة اليه يوم وفاة ابن عمه صلى الله عليه وآله من اظهار ما في النفوس وهيجان ما في القلوب حتى ان الأخلاف من قريش والاحداث والفتيان الذين لم يشهدوا وقايعه وفتكاته في اسلافهم وآبائهم فعلوا به ما لو كانت الاسلاف احياء لقصرت عن فعله، وتقاعست عن بلوغ شأوه، فكيف كانت تكون حاله لو جلس على منبر الخلافة وسيفه بعد يقطر دمًا من مهج العرب لا سيّما قريش الذين بهم كان لو دهمه خطب ان يعتضد، وعليهم كان يحب ان يعتمد، إذاً كانت تدرس اعلام الملة، وتعفى رسوم الشريعة، وتعود الجاهلية إلى حالها، ويفسد ما اصلحه رسول الله صلى الله عليه وآله في ثلاث وعشرين سنة في شهر واحد، فكان من عناية الله بهذا الامر ان ألهم الصحابة ما فعلوه والله متم نوره ولو كره المشركون، انتهى[1].

١- شرح نهج البلاغة ١١/١١٤.

اقول: قد عرفت فيما تقدم في غير مقام جواب ما هدر به وموّه من هذا الكلام ولكن لا علاج عن ارتكاب مرارة التكرار بما يزيد ما قدمناه اظهارًا على اظهار وايضاحًا وبيانًا يجلو البصاير والابصار.

فنقول: اما قوله انه لم يؤرخ الوقت الذي قال فيه هذا القول ولا الحال التي عناها به فهو تستر بما هو اوهن من بيت العنكبوت، وانه لأوهن البيوت، فلا يسمن ولا يغني من جوع، كما لا يخفى على من له إلى الحق ادنى رجوع.

اما أولاً: فان كلامه عليه السلام انما هو في الخلافة التي قد تقمصها دونه أولوا الخلافة، وانه هو صاحبها وقطبها الذي عليه المدار واليه الرجوع في الايراد والاصدار، ولا مظلمة له عند قريش سواها وان كان ثمة شيء فهو من ثمارها وجناها، وهذا انما ينطبق على يوم السقيفة الذي فعل به عليه السلام تلك الافعال الشنيعة المخيفة، والشورى انما هي احد فروع ذلك اليوم المشؤم، وليست الاّ قطرة من قطرات ذلك الكأس المسموم، فشقشقة هذا الضال وسؤاله مع اصحابه وجوابه تطويل بغير طائل، وكلام لا يرجع إلى حاصل، وتعصب اصحابه في العدول بهذا الكلام إلى الشورى انما هو لحفظ قاعدة امامتهم لما في هذا الكلام من هدمها وردمها، فجعله في جانب امامة عثمان اولى لما فيها من المطاعن الظاهرة، فيما ذكره اصحابه انسب بقواعدهم الباطلة واصولهم العاطلة.

واما ثانيًا: فان هذا الكلام بخصوصه وان كان غير معلوم التأريخ الاّ ان خطبته الشقشقية المشتملة على ما يناسب هذا الكلام ويجري مجراه قد وقعت

في أيام خلافته، وهي صريحة في الشكاية والتظلم من الجمع، واما قوله ان هذا الكلام محمول على انهم تركوا الاولى ففيه ان ارتكاب هذه التأويلات السخيفة التي تمجّها الاطباع السليمة والاسماع المستقيمة توجب سد باب تصريح الناس بمطالبهم، فلا يمكن أحد ان يعبر عن مطلوبه ومراده بالكلية أولاً صراحة في تعدي القوم وظلمهم وفسقهم بل كفرهم اظهر من هذه الالفاظ، وكيف يجوز شرعًا أو عقلاً ان يترتب على ترك الاولى والافضل الحرب والقتال الذي صرح به عليه السلام في هذا المجال، ومثله تقدم في غير مقال، وكلماته عليه السلام في هذا الباب تنادي بافصح لسان، وتسمع كل ذي آذان بانه انما ترك الحرب منهم والجهاد لعدم الناصر والمساعد من العباد سوى أهل بيته الذين ظن بهم عن المنية، فصبر على تجرع كل غصة وبلية، ثم انه مع قطع النظر عمّا ذكرنا كيف يكون اولى بالخلافة مع وجود المانع فيه كما يشقشق به ويدعيه، والاولوية كما تكون مشروطة بوجود المقتضي تكون مشروطة أيضًا بفقد المانع، واعلميته وافضليته لا تكفي في ثبوت الاولوية مع ترتب الفساد على خلافته بل خلفائه هم الاولى لانتظام الاسلام بولايتهم مع حصول العلمية والفضيلة كما يزعمه، واما قوله وتقولون صحت امامة غيره وساغت لمانع كان فيه عليه السلام إلى آخره.

ففيه أولاً: ما تقدم من كلامه عليه السلام لعمر يوم الزمه البيعة لأبي بكر من قوله عليه السلام احلب حلبًا لك شطره، اشدده له اليوم ليرده عليك غدًا، وقوله عليه السلام لعبد الرحمن بن عوف يوم الشورى لما عدل عنه إلى عثمان ما في معنى هذا

الكلام، وقد تقدم الجمع في أخبار السقيفة والشورى، وهذا الضال ينقله هناك ويتناساه في هذا المقام لما فيه من مزيد الحجية عليه والالزام، وقوله عليه السلام في غير موضع من أخبار الشورى المتقدمة ان قريشًا لما عدلت بالأمر عنه عليه السلام رجاء لتداول الخلافة بينهم واحدًا بعد واحد لما يعلمونه من دعوى أهل البيت عليهم السلام لها، وانهم اهلها والاحق بها، فلو رجعت اليهم وصارت فيهم لم تخرج منهم بالكلية، فمن أجل ذلك منعوهم منها، وهذه الكلمات كما ترى ظاهرة الدلالة واضحة المقالة في دفع ما تخرصوه وظنوه من ان تأخيره عليه السلام عن الخلافة لمانع فيه، وهذا كله متأخر عن يوم السقيفة، فلا يجري فيه محمله الواهي الدال على ضلالة الغير المتناهي من ان التظلم والتألم ونسبتهم إلى ذلك كان قبل العلم بالمصلحة التي اوجبت استبدادهم بالأمر عنه، وانه لما علم بذلك انقاد لهم بالطاعة ورضي بالبيعة.

وثانيًا: ان هذا المعذر من أين وصل إلى هؤلاء الضُّلال ولم يرد به خبر من اخبارهم في هذا المجال، بل انما اشتملت كما عرفت على ما ينافيه ويؤكده ويزيده تأييدًا ما اشتمل عيله كلام أبي بكر وعمر للعباس ﴿رضي الله عنه﴾ حين اتيا إليه ليخدعاه عن علي عليه السلام ويقطعاه من احتجاجهم عليه باجماع المسلمين حسبما تقدم في احاديث الجوهري في كتاب السقيفة في حديث البرّاء، ويمكن هؤلاء الضُّلال يتخرصون على حسب ما تميل اليه اهوائهم في الدين، وهذا وان وقع في كلام عمر الذي هو أصل الضلال ورأس الفتنة والوبال الاّ انه قد وقع وتكرر في كلامه أيضًا تعليلات أُخر مثل قوله انه

يجحف بالخلافة، وتارة أنهم استصغروا سنة، وتارة لحبه لبني عبدالمطلب، وتارة ان فيه دُعابة. وامثال ذلك من تمويهاته الباطلة ومزخرفاته العاطلة كما سيأتي ان شاء الله تعالى في الجزء الآتي، فان كان اعتماد هؤلاء على تلقيه من كلام عمرو وموافقته والتصديق له فليوافقوه في باقي تعليلاته مع انهم لا يقولون بذلك.

واما قوله وقد روى كثير من المحدثين ان عقيب يوم السقيفة إلى آخره.

ففيه أولاً: ان هذا من المواضع الذي تستند إليه الشيعة في الحكم بنفاق القوم وكفرهم وكفر من تابعهم وقلدهم، لانهم إذا اعترفوا جميعًا بان عليًا مع الحق والحق معه لن يفترقا إلى يوم القيامة فلا يخلوا إمّا أن يكون امتناعه من البيعة واستصراخه بالاحياء والاموات وحده، وسعيه في جمع الجموع لقتالهم على حق أو باطل، والثاني ممتنع البتة بالحديث المذكور فيتعين الاول، واعترفوا أيضًا بانه أحد الثقلين المأمور بالتمسك بهما، وان من لم يتمسك بهما فهو ضال، واعترفوا بانه وأهل بيته كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق، وهؤلاء لم يكفهم عدم التمسك بهم ولا عدم الركوب في سفينتهم حتى فعلوا بهم هذه الافعال الشنيعة، وقد قال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، وهؤلاء لم يكتفوا بترك المودة حتى انزلوا بهم كل عظيمة وشدة، واعترفوا بان حبه عليه السلام ايمان وبغضه كفر، وأي دليل على البغض اظهر مما وقع يومئذ ولا سيّما قصد قتله كما يشير اليه استشهاده بالآية

١- الشورى/٢٣.

المذكورة، وحينئذ فكيف يهدر هذا الضال في غير مقال ويطعن على الشيعة بانهم يفسقون الصحابة ويكفرونهم وهو وامثاله يعترفون وينقلون لامثال هذا الكلام الذي هو أحد في طعنهم من ضرب السهام.

وثانيًا: ان هذا الكلام مناقض لما تقدم منه في شرح قوله فقمت بالامر حين فشلوا إلى آخره من الجزء الثاني حيث قال في معنى قوله عليه السلام وإذا الميثاق في عنقي لغيري ما صورته أي لرسول الله صلى الله عليه وآله أي أخذ عليّ الميثاق بترك الشقاق والمنازعة، فلم يحل اليّ ان اتعدى أمره واخالف نهيه الى آخره، حينئذ[1] فاذا كان هناك ينقل عنه هنا ما نقله من الكلام في امتناعه من البيعة وجمع الجموع في داره، وتنفير الناس عن البيعة التي عقدت لغيره، وهذا عين الشقاق والمنازعة، ولهذا اعترض عليه في كلامه بقوله وهلا خاف إلى آخره، ومقتضى كلامه هنا ان عليًا عليه السلام قد خالف العهد المأخوذ عليه بترك المنازعة والميثاق، وهذا لا يقوله الاّ كافر بالله سبحانه بالاتفاق.

انظر إلى هذا الضال الذي يتمدح فيما تقدم من كلامه انه يسأل الله العصمة عن متابعة العصبية والميل إلى الهوى، وهو أحد من وقع في ذلك وهوى، قد خبط في هذا الشرح خبط عشواء، واحتار في مباحثة الامامية حيرة من اضلته الاهواء واستحوذ عليه الشيطان بالاضلال والاغواء.

واما قوله كل ذلك محمول عندنا على انه طلب الامر من جهة المقصد إلى آخره.

١- هذه الزيادة غير موجودة في (ح).

ففيه: انه إذا كان مذهبه عليه السلام واعتقاده ان استحقاق الامامة والخلافة دائر مدار الفضل والقرابة، وان ذلك هو المدار في ولايتها، وأن من لم يكن كذلك فهو غير أهل لها حتى انه ينسب الاخذ لهما منه عليه السلام لكونه عاريًا عن سبب الاستحقاق المذكور إلى الغصب والظلم والتعدي، ويدعو الله تعالى عليه ويطلب منه الانتقام له منه، ويريد حربه وجهاده على ذلك لو حصل له مساعد وناصر، كما هو صريح كلامه في هذا المقام وامثاله، وهو عليه السلام عند الشارح واصحابه صادق فيما يفعل ويقول ومع الحق والحق معه، فكيف جاز لهم العدول عن مذهبه عليه السلام في الامامة إلى القول بالإختيار تبعًا لعمر بن الخطاب في هذا المضمار، اللهم الاّ ان يقولوا بخطأه في هذا الاعتقاد ولا أراهم يتجشمونه في مادة من المواد.

وثانيًا: انه إذا كان المدار في الامامة واستحقاقها انما هو على الإختيار كما هو مذهبهم وعلي عليه السلام لم يختره يومئذ أحد فلا يكون اهلاً للامامة، فكيف يعتذرون عن كلامه ويجيبون عنه بانه طلبها من جهة الفضل والقرابة، وحينئذ فلا معنى لقولهم انه الاولى بها والاحق بفضله وقرابته.

واما قوله لو كان هناك نص لكان اقل كلفة إلى آخره.

ففيه أولاً: ان النص قد عرفته فيما تقدم بما هو اظهر من الشمس الطالعة وانوارها المشرقة الساطعة ولكن الشمس تطمس اعين الخفاش فيعمى عن الاهتداء بنورها، والحق تظلم نوره على قلب الاوباش فيقع في ديجورها.

وثانيًا: ان القوم ليس على ما يظنه هو واصحابه من الايمان برسول الملك

المنان كما اوضحنا فيما تقدم في غير مكان، وكيف لا وهم قد ردّوا من النصوص على العموم والخصوص في حياته ﷺ ما هو في أخبارهم مصرح به ومنصوص، ولم يقفوا عندها كما وقع في نصه على جيش اسامة الذي قد وقع فيه من التأكيد والزجر الشديد، ولعن من تخلف عنه ما هو ظاهر لكل ناظر، وردوا نصه على ذلك الكتاب بل جبهوه في وجهه بأقبح الجواب، وهو في حال تذوب له الافئدة القاسية، وتخضع لها النفوس العاصية، وتلين لها صم الصخور فضلاً عن القلوب، وامثال ذلك مما تقدم، وحينئذ فاذا كانت هذه حالهم في عدم الاعتبار بنصوصه في حال حياته فبطريق الاولى بعد وفاته ومماته.

وثالثًا: انه ان كانت مخالفة نصوصه ﷺ موجبة لكفر من خالفها أو فسقه فهذه نصوص قد اعترفوا بمخالفتها وعدم الوقوف عليها، ومثلها وامثالها من حديث علي مع الحق والحق معه لن يفترق إلى يوم القيامة، وحديث الثقلين والامر بالتمسك بهما، وحديث أهل بيتي كسفينة نوح ونحو ذلك، وقد خالفوا في الجميع بل زادوا على مجرد المخالفة بما ارتكبوه من كل منكر فضيع، فيلزم بمقتضى ذلك ما فر منه في مخالفة نص الامامة والاّ فلا معنى لانكار هذا النص بخصوصه حذرًا من لزوم الكفر أو الفسق الموجب لبطلان الخلافة والامامة، أليس في هذا وامثاله ما يقطع لسان هذا الضال عن هذا المقال، وسيأتي ان شاء الله تعالى في الجزء الآتي ما ينقله عن شيخه النقيب مما يريك في هذا المقام العجب العجيب.

واما قوله: وكل هذا إذا تأمله المنصف علم ان الشيعة اصابت في أمر واخطأت في آخر إلى آخره.

فان فيه: ان الشيعة بحمد الله سبحانه وتوفيقه قد اصابت في الامرين ولكنه قد غمض عنه العين، لتتمشى له الاعذار الواهية في البين، لما عرفت من تواتر النصوص بالعموم والخصوص على امامة ذلك الامام المخصوص ولا سيّما في ذلك اليوم المنير والعيد الكبير المعروف في الأرض والسماء بيوم الغدير.

واما قوله: وهذا يقتضي ان أمير المؤمنين عليه السلام كان في مبدأ الامر يظن إلى آخره.

فانه تخرص بارد، وتوهم شارد، ناش عن الحيرة والاضطراب في هذه الموارد.

أما أولاً: فلما تقدم من كلماته عليه السلام الدالة على ان الرسول صلى الله عليه وآله قد افضى إليه بجميع ما يمر على رأسه ويقع عليه، وقد وافق هذا الضال ثمة على صحة هذا المقال.

وثانيًا: انه قد اعترف هذا الضال بعلمه عليه السلام بالوقايع والحوادث التي تقع في آخر الزمان، وذكر انه قد وقع جملة منها كما أخبر عليه السلام في هذا الكتاب، فكيف ينسبه هنا إلى جهل هذه الأمور التي صدرت عليه وجرت على رأسه حتى ينسبه إلى الظن المخالف للواقع ويهدر بما ذكره مما هو اشبه شيء بالهجر والهذيان أو المشي على غير طريق كالعميان، واين هذا من مبالغته في

مدحه وتفضيله والاطراء عليه وقوله في قصائده: علم الغيوب اليه غير مدافع، البيت.

وثالثًا: ان ظن أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك الوقت هذا الظن الذي ذكره وامتناعه لاجل هذا الظن من البيعة وجمعه الجموع حتى فعل به تلك الافعال الشنيعة لا تعدو عن حالين لا ثالث لهما في البين، اما ان يكون حقًا أو باطلاً، فان كان حقًا ثبت المطلوب والمراد، واندفع ما اطال به من النقض والايراد، وان كان باطلاً نافى ما صح من الخبر المتفق عليه من انه مع الحق والحق معه لن يفترقا إلى يوم القيامة يدور معه حيث ما دار.

لا يقال: انه كان على الحق بمقتضى ظنه من تمام الامر له ثم انكشف له خلافه.

لانا نقول: ان الرسول صلى الله عليه وآله لم يرد بالحق الذي يكون معه ولا يفارقه الاّ الحق الواقعي النفس امري لا ما يظنه الإنسان حقًا وان كان خلاف الواقع والاّ لم يكن له عليه السلام مزية في ذلك على غيره ولا مدح يقتضي تفضيله على من سواه، ولا منقبة يفتخر بها على من عداه، فان جل الناس باعتبار ما يعرض لهم من الشبه والادلة المفيدة للظن كذلك، وهذا بحمد الله سبحانه واضح ظاهر.

واما قوله: إلى ان صح عنده وثبت في نفسه انهم اصابوا إلى آخره.

فان فيه أولاً:ما عرفت.

وثانيًا: انه متى صح ذلك وثبت امره في وقت خلافه أبي بكر التي اخذ فيها للبيعة يقاد كما [يقاد] البعير، ويهان كما يهان الاسير بعد ان ادير الحطب

على بيته وأريد احراقه عليه كما تقدم في أخبار السقيفة، واعترف به هنا، أم في وقت عمر وخلافته، وستأتي الاخبار الدالة على توجده وبقاء الامر في نفسه بنقل الشارح في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى، أم في وقت عثمان وقد تقدم في أخبار الشورى ما وقع منه عليه السلام ومن أصحابه مثل عمار والمقداد من النزاع والجدال، وقوله عليه السلام يومئذ ان قريش انما عدلت عني رجاء ان يتداولوا الخلافة بينهم، أم في وقت خلافته عليه السلام وهذه خطبته المنقولة في هذا الكتاب وغيره لا سيّما الخطبة الشقشقية تنادي عليهم بالويل والثبور وعظائم الأمور، وقد تقدم ما نقله هذا الضال عن ابن الخشاب في قوله على قول ابن عباس فوالله ما اسفت على كلام إلى آخره، لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له وهل بقي في نفس ابن عمك شيء لم يذكره في هذه الخطبة تتأسف على ان لا يكون بلغ من كلامه ما أراد، والله ما رجع عن الاولين ولا عن الآخرين، ولا بقى في نفسه أحد لم يذكره الاّ رسول الله صلى الله عليه وآله انتهى.

وثالثًا: ما شرحناه واوضحناه في غير مكان ما تقدم ولا سيّما في المقالة المتقدمة قريبًا المتضمنة لما فعله معاوية بالشيعة، اترى ان الشيعة كانوا في ذلك الوقت يطعنون في اولئك الخلفاء ويسبونهم ويعادونهم حتى انهم يحملون هذا الضرر العظيم من معاوية وبني امية، والحال ان امامهم الذي يقتدون به ويدينون الله تعالى بولايته كان مصوّبًا لخلافتهم وقائلاً بها وراضيًا بامامتهم كما يدعيه هذا الضال، إذًا ليسوا له باتباع ولا شيعة، ويؤيد ما قلناه ما نقله هذا الضال فيما تقدم عن شيخ الحنابلة من ان عليًا عليه السلام هو الذي علم الشيعة سب

الصحابة، وجمد عليه هذا الضال وتعدى عنه حيث تعذر عليه الجواب، وحينئذ متى ثبت في نفسه ما يدعيه ولكنه لضلاله يتكلم بما لا يفهمه ولا يعيه، ليت شعري اذهب عنه ان هذا الشرح لا ينظر فيه بعده ناظر حتى تجمع فيه هذه الترهات والمناقضات الظاهرة لجملة ذوي البصاير، ولا تروج الاّ عند كل غبي قاصر.

واما قوله: لانه رأى من بغض الناس وانحرافهم عنه إلى آخره.

ففيه أولاً: ان هؤلاء الناس الذين اجتمعوا على بغضه والانحراف عنه هل هم من الصحابة والمهاجرين والانصار الذين كان بهم قوام الدين والذب عنه في حياة سيد المرسلين أو غيرهم ممن لا يعبأ به وان كان في عداد المسلمين، فان كان الاول فمرحبًا بالوفاق، فان هذا ما تدعيه الشيعة ووقع عليه الاتفاق من تفسيق الصحابة لبغضه عليه السلام الذي هو آية الكفر والنفاق، ففي كلامه حينئذ شهادة عليهم بالكفر، فكيف يطعن على الشيعة بتكفير الصحابة وهو يكفّرهم من حيث لا يشعر، وان كان الثاني فعذره لا يروج ولا يسمع.

وثانيًا: ما نقله عن شيخه النقيب واستحسنه كما قدمنا ذكره من انه عليه السلام لو ولي الخلافة بعد الرسول لكانت عصمة له من كل أمر مهول، لان ابهة الملك، وشوكة السلطنة، وهيبة الرياسة، موجبة لانقياد العباد رهبًا ورغبًا، وقامعة للتعدي والفساد حسبما فعله ذلك النقيب من التفصيل المصيب، والتحقيق النجيب، فكيف يستحسنه ثمة ويعدل عنه هنا.

وثالثًا: انا لم نعرف من هؤلاء الناس الذين جعلهم طوائف وفرقًا وان

كل طائفة قالت قولاً غير ابن الخطاب في هذا المجال، فانه هو الذي كشف القناع والحجال، وبادر بالوقاحة والقباحة في جميع الاحوال، وهو اس الفتنة ورأس الضلال وان تبعه على ذلك من تبعه من اولئك الرجال، وهو الذي قام وقعد وصوّب نظره وصعّد في صرف هذا الامر عنه عليه السلام في حياة رسول الله فضلاً عما بعد موته، وصاحبه واللذان تخلفا عن جيش اسامة خوفًا ان تخلو المدينة لعلي عليه السلام، وبه اعترف هذا الضال فيما تقدم، وهو الذي منعه صلى الله عليه وآله من كتابة الكتاب وقابله باقبح الجواب حين علم انه يريد الوصية على أمير المؤمنين عليه السلام كما اعترف به في أيام خلافته، وسيأتي حديثه في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى، وهذا صورة لفظه المنكوس الصادر عن قبيح رأيه المتعوس، ولقد اراد في مرضه ان يصرح باسمه فمنعته من ذلك اشفاقًا وحيطة على الاسلام إلى آخره، وهو الذي حمل الحطب إلى بيته عليه السلام وأمر بحمله ليحرقه عليه وعلى أهل بيته عليهم السلام، وهو الذي قاده ملببًا وساقه إلى البيعة كرهًا، وهو الذي قال في سعد بن عبادة اقتلوا سعدًا قتل الله سعدًا، وقال للحباب بن المنذر يوم السقيفة ما قال حتى داسوا بطنه ودسوا في فيه التراب، وهو الذي كسر سيف الزبير، وبجميع ذلك اعترف الشارح فيما قدمناه عنه في شرح الخطبة الشقشقية، وهو الذي قال هذه الكلمات التي تعلل بها في العدول عن استحقاق أمير المؤمنين للامامة وان موه هذا الضال بنسبته ذلك إلى اقوام أخر، وستأتي الاخبار بذلك في الجزء الآتي صريحة فيما قلناه، فلا يجديه تستره هنا بالعدول بها عن عمر الذي هو الاصل في كل شر وضرر والاّ فهذا أبو سفيان وهو من

رؤوس المنافقين قد سخط بيعة أبي بكر وقام وقعد في اخراجها من أبي بكر إلى علي عليه السلام أو العباس كما تقدم في أخبار السقيفة، لولا ان عليا عليه السلام امتنع خوف الفتنة لما يعلمه من نفاق المتغلبين ومن تبعهم يخاف سل السيف فيهم الرجوع عن الاسلام إلى حافرتهم الاولى، وقد تقدم أيضًا في اخبار السقيفة ان جملة من المهاجرين والانصار كان هواهم في علي عليه السلام لولا الجبر والقهر، وان الانصار بعد بيعة أبي بكر وتخلف علي عليه السلام في بيته هتفوا باسمه، ولام بعضهم بعضًا في بيعة أبي بكر حتى سمع منافقوا قريش الذين عقدوا لأبي بكر البيعة وساعدوه، فوقعت بينهم وبين الانصار المنازعات والمجادلات والمراسلة بالاشعار حتى كادت الفتنة ان تلتحم حسبما شرحه هذا الضال فيما تقدم، وان اغمض هنا عنه العين كأنه ليس ثمة شيء في البين، ومما يؤيد ذلك ما رواه محمّد بن جرير الطبري الشافعي في كتاب المؤلف عن أبي علقمة، عن سعد بن عبادة، قال أبو علقمة: قلت لابن عبادة وقد مال الناس إلى بيعة أبي بكر ألا تدخل فيما دخل فيه المسلمون؟ قال: اليك عني لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا أنا مت تضل الاهواء، وترجع الناس على اعقابهم، فالحق يومئذ مع علي وكتاب الله في يده، ولا نبايع أحدًا غيره، فقلت: هل سمع هذا الخبر أحد غيرك من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: اناس في قلوبهم احقاد وضغائن، قلت: بل نازعتك نفسك ان يكون هذا الامر لك دون الناس كلهم، فحلف انه لم يهم بها ولم يردها، وانهم لو بايعوا عليًا كان أول من بايع سعدًا.

أقول: واقسم بالله الملك المنان انه لولا ما فعله ابن الخطاب في ذلك

الزمان مما عددنا بعضه هنا، وتقدم في غير مكان ما اختلف على علي عليه السلام في الخلافة اثنان على انا لا ننكر بان صدور قريش كانت مملوءة بغضًا لعلي عليه السلام لكن رأس البغض بل الحسد المملو بالحقد له عليه السلام والحسد [الذي] كان [من] اولئك الذين تصدوا لهذا الامر، وقاموا فيه وقعدوا، وصوّبوا وصعّدوا، وبنوا وشيدوا، وتعاقدوا عليه في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وتعاهدوا وفعلوا بأهل بيت النبوة ما فعلوا، وساير قريش في ذلك الوقت انما كانوا من الاتباع والاذناب لا يخاف منهم رتبة ولا خلاف في هذا الباب، فلو لم يتقدم ابن ابي قحافة وابن الخطاب لم يطمع منهم طامع في ذلك اليوم ولا أبدى صفحة وجهه للخطاب، ولا ريب ان بغض الجميع لعلي عليه السلام انما هو نتيجة البغض للنبي صلى الله عليه وآله، إذ هو الاصل في حربهم وقتلهم وقهرهم، واخراجهم عن دين آبائهم واسلافهم، ولكن لما كان في وقته صلى الله عليه وآله لقوة الشوكة، وابهة الملك، وقيام الدولة لم يقدروا على الانتقام منه واخذ الدحول، انتهزوا الفرصة في أهل بيته، وأقرب الناس اليه واعزهم عليه، فجرعوهم الغصص، وسقوهم النغص، وانتقموا منه بما فعلوه بابن عمه وابنته من تلك المصايب التي تشد لها العصايب.

واما قوله: ان الخلافة تحتاج إلى من يجتهد ويعمل برأيه إلى آخره.

ففيه أولاً: ان هذا رد على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله حيث ان الآيات القرآنية كما سلف جملة منها مانعة من العمل بالرأي والاجتهاد في الدين، آمرة بالوقوف على النصوص الالهية والاوامر الربانية الموجبة للعلم واليقين.

وثانيًا: اعتراف هذا الضال فيما تقدم بان الرسول صلى الله عليه وآله إنما كان يسوس

الرعية بالاوامر الالهية، وتقدم أيضًا عن علي عليه السلام انه انما كان يرفع ويضع بالكتاب والسنة ولا يتجاوزهما إلى سواهما، وهذا هو الذي ايدته الآيات القرآنية ونادت به المحكمات الفرقانية كقوله سبحانه ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[1] في موضعين من الكتاب العزيز مع تضمنها للنهي من اتباع الآراء والاهواء، ففي أحدهما ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[2]، وفي الاخرى ﴿ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[3]، وقوله عزّ وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾[4]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[5]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[6]، وهكذا سيرة من تقدمه من الانبياء وخلفائهم انما كان بالعمل بالاوامر الربانية لا بالاجتهاد والآراء، وقال عزّ وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ

١- المائدة/٤٩.

٢- المائدة/٤٨.

٣- المائدة/٤٩.

٤- الجاثية/١٨.

٥- الاسراء/٣٦.

٦- النساء/١٠٥.

٧- الحديد/٢٥

ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾[1]، نعم خلافتهم التي ابتدعوها، وخلافتهم التي ارتكبوها حيث عدلوا بها عن باب مدينة العلم النبوي الذي هو الصراط السوي، وأحد الثقلين الذين لا يفارق القرآن طرفة عين، وجعلوا مقرها الفسقة والجهال الذين لا معرفة لهم باحكام الملك المتعال في حال من الاحوال، فلا بد لها من التدبير بالآراء والعقول في دين الله او دنيا، وان سموه في احكام الدين بالاجتهاد خلافًا على ربّ العباد، إذ لا يتم لهم النظام بعد جهلهم باحكام الملك العلام الاّ بالتدبير بآرائهم وعقولهم كسائر الملوك والسلاطين في تدبير ملكهم وبلدانهم يسوسون الناس بما يرونه ناظمًا لها عندهم وافق الشرع أو خالفه كما تقدم اعتراف الشارح بذلك في حق ابن الخطاب.

واما قوله واعانهم عليه ما كان يصدر منه عليه السلام إلى آخره.

فان فيه اشارة إلى تصديقهم فيما كانوا يطعنون به عليه من العجب والتيه، وبذلك صرح أيضًا في الجزء السابع عشر في مقام الرد على معاوية حيث ان معاوية كتب إلى علي عليه السلام في جملة كتابه أنك التايه الذاهب بنفسه، فقال الشارح ثم انه قد أسرف في وصفه بما وصفه به، ولا شك ان عليًا كان عنده زهو ولكن لا هكذا، وكان مع زهوه الطف الناس خلقًا، انتهى. وسيجيء الجواب ان شاء الله تعالى عن هذا الطعن في الجزء الآتي.

واما الحديث الذي نقله الشارح هنا فليس المراد من لفظ الصنايع في

١- البقرة/٢١٣.

الموضعين الاّ بمعنى الهداية والارشاد وكونهم عليهم السلام صنايع الله تعالى باعتبار اختيارهم في عالم الأرواح على كل من سواهم واصطفائهم وتخصيصهم بالآيات والهداية وان كان الله سبحانه [فوض] اليهم وجعلهم الموصلين الهادين الناس كما استفاضت به الاخبار من حديث الثقلين وغيره، لا ما توهمه وظنه حتى يكون فيه تيه وزهو.

واما قوله ما صح به عنده ان الامر لم يكن يستقيم له يومًا واحدًا.

ففيه أولاً: انا قد بينا فساد هذه الترهات الباردة والتخرصات الشاردة التي انما صدرت عن قريحة جامدة أو روية معاندة، وكيف كان فهي بالضلال على صاحبها شاهدة، فلا أثر لترتب هذا الكلام عليها ولا جامع يربطه بها ويضمه اليها.

وثانيًا: انه لو لم يصح هذا الأمر عنده لما امتدت خطبه وكلماته مملوة بالتظلم والتألم والشكاية والاستعداء عليهم من يوم غصب الخلافة إلى موته عليه السلام والمشاهد خلافه كما تقدم ويأتي ان شاء الله تعالى.

واما قوله: لو ولي الأمر تفتقت عليه العرب فتقًا إلى آخره.

ففيه أولاً: ما عرفت.

وثانيًا: ما سيأتي ان شاء الله تعالى في المقام في جواب قوله واعلم ان حال علي إلى آخره.

وثالثًا: ان هذا الكلام ظاهره في الطعن عليه ﴿صلوات الله عليه﴾ والقدح فيه عليه السلام وهو مما يخرج صاحبه من ربقة الاسلام، فانه متى كان خلافته تستلزم

استيصال الاسلام وهدم اركانه فانه يلزم التيه لـه عليه السلام بطلبه ذلك ومجادلته ومخاصمته يوم السقيفة ويوم الشورى حتى انه همّ بالقتال لولا عدم المساعد له والناصر يومئذ كان قاصدًا لهدم الاسلام واستيصال الدين، وهذا لا يقوله الاّ كافر مهين او انك تظن ان هذا العذر الذي موه به هذا الضال واصحابه من عدم اهليته للخلافة لذلك في هذه الايام قد خفي عليه في وقت منازعته ومجادلته لاولئك الاقوام، ما هذه الاّ تخرصات بالغة في السماجة واللجاج لما يضيق عنه الفضا والفجاج.

واما قوله: واذعن البيعة وجنح إلى الطاعة فهو من قبيل ما ذكرناه في قلة حياء هذا الضال الذي كشف عنه الستر والحجال فهو غني عن الجواب بما قدمناه في غير باب.

واما قوله: وقد روي ان فاطمة عليها السلام حرضته يومًا إلى آخره.

فهو اوضح واضح في صحة ما ادعيناه، وابين حجة فيما ذكرناه من ان القوم كملاً من غاصبي الخلافة واتباعهم في ذلك اليوم انما بقوا على ظاهر الاسلام لما ملكوه من الحطام وتقمصوه من الرياسة على الأنام، ويؤكد ما قلناه ويشيد ما ذكرناه ما سينقله هذا الضال في الكلمات المفردة التي الحقها في شرحه من كلامه عليه السلام فقال في الكلمة الرابعة عشرة والاربعمائة بعد ان ذكر عليه السلام انهم اجمعوا مذ كان حيًا على صرف الامر عن أهل بيته بعد موته ما لفظه: ولولا ان قريشًا جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة وسلمًا إلى العز والامرة لما عبدت الله بعد موته يومًا واحدًا، ولأرتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعًا،

وبازلها بكرًا إلى آخره، وسيأتي نقله كملاً ان شاء الله تعالى في موضعه وتوضيح ما فيه.

واما قوله وهذا اقصد المذاهب واصحها ففيه: انه انما هو اصلها واقبحها، وذلك لان مذهب الشيعة هو القول بامامة علي عليه السلام والطعن على من تقدمه وخالفه من المتقدمين والمتأخرين، ومذهب أهل السنة هو امامة الثلاثة وتفضيلهم على أمير المؤمنين عليه السلام وانكار جملة من فضائله عليه السلام ومناقبه وسترهم معائب خلفائهم ومطاعنهم فيهم في مذهبهم وغوايتهم من المقتصدين، واما هذا الضال واصحابه فقد صاروا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء بل من المذبذبين، فتراهم في مقام الذب عن خلفائهم وتصحيح خلافتهم يطعنون في حق أمير المؤمنين عليه السلام وينسبونهم إلى أمور يجل قدره عنها، وفي مقام تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام والحماية عنه والانتصار له يطعنون في خلفائهم كما عرفت في غير موضع، وستعرف هنا أيضًا كل ذلك رومًا منهم الجمع بين الضدين والتأليف بين النقيضين.

واما قوله واعلم ان حال علي عليه السلام في هذا المعنى إلى آخره، فهو كلام لامع السراب الذي لا يغني عن الشراب، أو طنين ذباب لما عرفت في غير باب، إذ لا ريب عند من تأمل بعين الانصاف وجانب الحمية والعصبية والاعتساف، واطلع على ما اشتملت عليه الاخبار وكتب السير والآثار ان انتقاض العرب عليه في وقت خلافته انما هو من نتايج بيعة السقيفة وما فعل به عليه السلام من تلك الافعال المخيفة، وبه اعترف هذا الضال في الجزء السابع عشر

من شرحه هذا في مقام الرد على معاوية حيث ان معاوية لعنه الله كتب إليه عليه السلام كتابًا فيه تعنيف، ومن جملته لو وليتها يعني الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله لفسد الامر واضطرب الاسلام حيث قال ثمة.

واما قوله: لو وليتها حينئذ لفسد الامر واضطرب الاسلام فهذا غيب لا يعلمه الاّ الله، ولعله لو وليها حينئذ استقام الامر وصلح الاسلام وتمهد، فانه انما وقع الاضطراب عند ولايته بعد عثمان لا لان أمره هان عندهم بتأخره عن الخلافة وتقدم غيره عليه، فصغر شأنه في النفوس وقرر من تقدمه في قلوب الناس انه لايصلح لها كل الصلاحية والناس على ما يحصل في نفوسهم، ولو كان وليها ابتداء وهو على تلك الحالة التي كان عليها ايام حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وتلك المنزلة الرفيعة والإختصاص الذي كان له لكان الامر غير الامر الذي رأيناه عند ولايته بعد عثمان، انتهى[1].

فانظر إلى هذا الضال ومناقضاته لنفسه في غير مقال، فانه هنا في مقام الانتصار لخلفائه وتصحيح خلافتهم عذر بما عرفت، وثمة في مقام الانتصار لعلي عليه السلام اجرى الله الحق على لسانه فنقض ما شقشق به هنا وهدر، ومزقه شذر بدر، ويؤكد ما ذكرناه أيضًا ما ذكر الشارح أيضًا نقلاً عن بعض مشائخه في شرح قوله ومن كلام له وقد وقعت بينه وبين عثمان مشاجرة من أول الجزء التاسع حيث قال في كلام طويل لان عليًا دحضه الاولان واسقطاه وكسرا ناموسه بين الناس، فصار نسيًا منسيًا، ومات الاكثر ممن يعرف خصائصه

١- شرح نهج البلاغة ٢٥٦/١٧.

التي كانت في أيام النبوة وفضله، ونشأ قوم لا يعرفونه ولا يرونه الاّ رجلاً من عرض المسلمين، ولم تبق له ما يمت به الاّ انه ابن عم الرسول وزوج ابنته وأبو سبطيه ونسي ما روي ذلك كله، انتهى[1].

فهذا هو السبب الكلي والمعتمد الاصلي فيما وقع عليه في أيام خلافته حيث كسروا ناموسه بين الخلايق، واعلنوا بؤسه، وجعلوه سنة لكل سابق، وساموه الذل والصغار، وهدموا من رفيع قدره وشامخ عزه المنار، وهو عليه السلام حياطة على الاسلام قابل بالاصطبار، ما كاده تدبير عمر في الشورى، وما دسه من المكيدة في الاسلام مما تفرعت عليه الفتن إلى يوم القيام، كما تقدم نقل هذا الضال له مفصلاً في الموضع المشار إليه، وذكره هو أيضًا واعترف بصحته بعد ذلك في موضع آخر، وحينئذ فكيف يهدر هنا بهذه الترهات والاباطيل والمزخرفات والاضاليل، فانه إذا كان جميع ذلك انما تفرع على افعال عمر ونفاقه في الدين واهتضامه واذلاله لامير المؤمنين باعترافه واعتراف علمائه، فكيف ينساه هنا أو يتناساه ويرتبه على مجرد جلوس علي عليه السلام في الخلافة، ويبني عليه ما ذكر من تخرصاته وترهاته التي عرفت جوابها في المقام بما يكشف عن وجوه خفائها نقاب الابهام، ولقد كشف عن هذا الداء الدفين القاضي محمّد بن عبدالله المعروف بابن قريعة احد علماء القوم في قوله كما نقله في كتاب مجالس المؤمنين وغيره في غيره حيث قال ولله دره في هذا المقال:

١- شرح نهج البلاغة ٢٨/٩.

يـامن يـسائل دائمًـا عـن كـل معظلـة سـخيفه

لا تكـشفنّ مغطئًـا فلربمـا كـشفت جيفـه

ولرب مستور بدى كالطبـل مـن تحـت القطيفـه

ان الجواب لحاضر لكنني اخفيـه خيفـه

لولا اغتداء رعيـة القى سياستها الخليفه

وسيوف اعـداء بهـا هاماتـنـا ابـدًا نقيفـه

لنشرت من اسـرار آل محمّـد جمـلاً لطيفـه

يُغنيكـم كـمـا رواه مالـك وأبـو حنيفـه

واريتكم ان الحسين اصيب في يـوم السقيفه

ولأي حال ألحدت بالليـل فاطمـة الشريفه

ولما حمت شيخيكم عن وطأ حجرتها المنيفه

آه لبنت محمّـد مـاتت بغصتهـا اسيفـه

ونقل هذه الابيات عن ابن قريعه أيضًا الوزير السعيد علي بن عيسى الاربلي في كتاب كشف الغمة وملخص الكلام في هذا المقام ما قدمنا ذكره من ان مثل هذه المزخرفات لا تصلح لان تكون وجهًا لعدم النص عليه بالخلافة، فانه لا ينحصر ذلك في وجوب متابعة الناس وقبولهم ذلك ورضاهم به، بل قد يكون الغرض منه مجرد الابتلاء والاختبار، وهذه سنة الله عزّ وجل فيمن مضى من الامم السالفة، فانه سبحانه قد ارسل الانبياء والرسل إلى فراعنة

زمانهم واتباعهم مع علمه انهم لا يتبعونهم ولا يصدقونهم بل يؤذونهم ويهينونهم ويقتلونهم، ولم يقدح ذلك في نبوة الانبياء، وكذلك هنا حذو النعل بالنعل، وقد استفاض الخبر عنه صلى الله عليه وآله ان امته لتسلك ما سلكه الامم السالفة.

واما قوله فكان من عناية الله بهذا الدين ان ألهم الصحابة ما فعلوه ففيه ان الاوجه ان يقال بناء على ما اوضحناه في هذا المجال فكان من خذلان الله لاولئك الاقوام ان ابتلاهم الله بقيام هذا الضال الغوي كما ابتلي أمة موسى بعد سفره عنهم ونصبه هارون بالسامري، فنصب لهم العجل ليعبدوه من دون الله كما نصب سامري هذه الامة أبا بكر للامة ليقتدوا به دون ذلك الخليفة الوصي، وهذا معنى الحديث المتفق عليه كما تقدم من ان هذه الامة ستسلك سبيل الامم السالفة ولا سيّما بني اسرائيل حذو النعل بالنعل، وهذه هي الفتنة التي اشار اليها رسول الله صلى الله عليه وآله فيما تقدم وشرحناها ثمة، وقد شرحنا سابقًا ان جميع التكليفات انما بنيت على الابتلاء والاختبار والتفريق بالفتن في ذلك المضمار، ليتميز الفجار من الابرار كما ينادي عليه قوله سبحانه ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[1]، وقال عزّ وجلّ لموسى عليه السلام ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾[2]، وقال سبحانه

١- العنكبوت/١-٣.

٢- طه/٨٥.

﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾[1]، الآية، وهذه سنة الله سبحانه في الامم الخالية والقرون الماضية، فكذا في هذه الامة التالية، ولو كان ما فعله ابن الخطاب من اختياره لابي بكر موافقًا للحق والصواب للزم تكذيب الكتاب وهو كفر بلا ارتياب حيث قال وعزّ وجلّ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[2]، ومما يوضح ذلك أي ايضاح، ويفصح عنه أي افصاح ما رواه الحافاظ محمّد بن مؤمن الشيرازي من علماء القوم في تفسيره في تفسير هذه الآية بسنده إلى انس بن مالك قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾، قال: ان الله خلق آدم من طين كيف شاء، ثم قال: ويختار، ان الله اختارني وأهل بيتي على جميع الخلق وانتجبنا، فجعلني الرسول، وجعل علي بن أبي طالب الوصي، ثم قال: ما كان لهم الخيرة يعني ما جعلت للعباد ان يختاروا ولكني اختار ما اشاء، فانا وأهل بيتي صفوة الله، ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعني تنزيه لله عما يشركون به كفار مكة، ثم قال: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يعني يا محمد يعلم ما تكنّ صدورهم من بغض المنافقين لك ولأهل بيتك، وما يعلنون من المحبة لك ولاهل بيتك.

على انه انما يتم كون ذلك من عناية الله ان لو ترتب على خلافتهم

١- القمر/٢٧.

٢- القصص/٦٨.

صلاح أو اصلاح في دين أو دنيا، والمشاهد خلافه، وذلك لما علم بما احدثوه من البدع المخالفة للسنة والكتاب وان تستروا عنها بالتسمية بالاجتهاد، وخبطهم في الشريعة بآرائهم واهويتهم وقياساتهم حتى تبعهم علماء السوء بعدهم، واستحالت الشريعة حتى صار أصحاب القياس اصحاب شريعة جديدة، كما سيأتي نقل الشارح له عن شيخه النقيب بما يوقفك في هذا الباب على العجب العجيب، وبما اوقعوه بأهل البيت عليهم السلام من الذل والصغار والهوان الذي ترتب عليه سل السيف في ذراريهم وشيعتهم ومن يحبهم ويلوذ بهم في جملة البلدان على طول الزمان، وطردهم وتشريدهم في كل ناحية ومكان، وتقمص الخلافة من كل فاجر فاسق من معاوية ويزيد ومن اتى على اثرهما على ممر الازمان، فان هذا هو الذي تفرع على خلافتهم، وهذا ما ظهر من المصلحة التي يدعيها هذا الضال في تقدمهم، ومن المعلوم انه لو بقيت الخلافة في يد أمير المؤمنين وكان اولئك القوم له من المساعدين دون المعاندين لم يتطرق شيء من هذه للحق في الاسلام بالكلية حسبما نطق به أمير المؤمنين فيما قدمناه من الخطبة الطالوتية، وقد اعترف هذا الضال بنحو ما ذكرناه من هذا المقال، كما سيأتي ان شاء الله في شرح قوله الاصل وانه يقوم بذلك الحسن إلى آخره من الجزء الخامس عشر حيث قال: في هذا رمز وازراء بمن صرف الامر عن أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله مع وجود من يصلح للامر، أي كان الاليق بالمسلمين والاولى ان يجعلوا الرياسة بعده قربة إلى رسول الله وتكريمًا

لحرمته، وطاعة وأنفة لقدره عليه السلام ان تكون ذريته سوقة تليهم الاجانب ومن ليس من شجرته واهله إلى آخره[1].

فانظر إلى هذا الكلام وقابل بينه وبين ما هدر به في هذا المقام ليظهر لك ضلاله وما هو عليه من انحلال الزمام في جميع احواله واختلال النظام، واما اقتباسه الآية التي اوردها وهي قوله عزّ وجلّ ﴿والله متم نوره ولو كره المشركون﴾ اشارة إلى ان ولاية اصحابه من نور الله عزّ وجل، وان الكاره لها مشرك، ففيه:

أولاً: انا قد اوضحنا بحمد الله تعالى ومنّه ان ولايتهم انما هي ظلم محض بل اصل كل ظلمة وظلم في الدين.

وثانيًا: ان أول الكارهين لولايتهم أمير المؤمنين عليه السلام لما اعترف به في غير موضع مما تقدم وزوجته الطاهرة التي اعترف هذا الضال بانها ماتت واجدة على أبي بكر وعمر ومنعت من حضورهما دفنها والصلاة عليها، فدفنت ليلاً وأولادهما كما نطق به حديث الباقر عليه السلام الذي تقدم في هذا الجزء.

وبالجملة فان من تأمل في اضطراب كلامه في هذا الشرح ورواياته التي ينقلها فيه ناطقة بفضايح القوم ومناقضته نفسه مرة بعد أخرى يعلم ان الرجل قد وقع في حيره بالتعرض لشرح هذا الكتاب المملو بقبايح أولئك الاصحاب وإثبات امامة الائمة الانجاب، فهو يخبط خبط عشواء الظلام، ويجادل بالترهات والاباطيل في كل مقام، ويناقض نفسه خوف الوقوع في مضيق

١- شرح نهج البلاغة ١٤٩/١٥، وفيه: ان تكون ورثته سوقة يليهم الاجانب.

الالزام، ولا يخفى على المتأمل المنصف ان من صدق بكلامه عليه السلام في هذا الكتاب فلا مندوحة له اما عن القول بصحة امامته وخلافته بعد الرسول صلى الله عليه وآله والطعن فيمن تقدم عليه أو النصب له عليه السلام والتمسك بخلافه المتقدمين، واما التمسك بذيل هذه التخرصات الباردة والترهات الشاردة فهو غير مسموع ولا معقول عند من له ادنى روية من ذوي الافهام والعقول.

تكميل جميل

روى شيخنا العلامة محمّد باقر المجلسي قدس سره في كتاب بحار الأنوار نقلاً من كتاب ما صورته في كتاب الارشاد لكيفية الطلب في ائمة العباد تصنيف محمّد بن الحسين الصفار قال: وقد كفانا أمير المؤمنين ﴿صلوات عليه﴾ المؤنة في خطبة خطبها اودعها من البيان والبرهان ما يجلي الغشاوة عن ابصار متأمليه والعمى عن عيون متدبريه، وحلينا هذا الكتاب بها ليزداد المسترشدون في هذا الامر بصيرة وهي منة الله جل ثناؤه علينا وعليهم يجب شكر ما خطب ﴿صلوات الله عليه﴾ فقال: ما لنا وما لقريش، وما تنكر منا قريش غير انا أهل بيت شيّد الله فوق بنيانهم بنياننا، وأعلى فوق رؤوسهم رؤوسنا، واختارنا الله عليهم، فنقموا على الله ان اختارنا، وسخطوا ما رضى الله، واحبوا ما كره الله، فلما اختارنا الله عليهم شركناهم في حريمنا، وعرفناهم الكتاب والسنة، وعلمناهم الفرايض والسنن، وحفظناهم الصحف والزبر، وديناهم الدين والاسلام، فوثبوا علينا، وجحدوا فضلنا، ومنعونا حقنا، والتونا

اسباب اعمالنا واعلامنا، اللهم فاني استعديك على قريش، فخذ لي بحقي منها، ولا تدع مطلق لديها، وطالبهم يا رب بحقي، فانك الحكم العدل، فان قريشًا صغرت عظيم قدري، واستحلت المحارم مني، واستخفت بعرضي وعشيرتي، وقهرتني على ميراثي من ابن عمي، واغروا بي اعدائي، ووتروا بيني وبين العرب والعجم، وسلبوني ما مهّدت لنفسي من لدن صباي بجهدى وكدي، وضعوني ما خلفه أخي حميمي وشقيقي، وقالوا انك لحريص متهم، أليس بنا اهتدوا من متاه الكفر، ومن عمى الضلالة، وغي الجهالة، أليس انقذتهم من الفتنة الصماء والمحنة العمياء، ويلهم ألم اُلخصهم من نيران الطغاة، وكره العتاة، وسيوف البغاة، ووطئة الاسد، ومقارعة الطماطمة، ومماحكة القماقمة الذين كانوا عجم العرب، وغنم الحروب، وقطب الاقدام، وجبال القتال، وسهام الخطوب، وسبل السيوف، أليس بي كان تقطع الدروع الدلاص، وتصطلم الرجال الخواص، وفيّ كان يفرى جماجم البهم، وهام الابطال إذا افرعت تيم إلى الفرار وعدي إلى الانتقاص، اما واني لو اسلمت قريشًا إلى المنايا والحتوف، وتركتها فحصدتها سيوف الغوانم، ووطأتها خيول الاعاجم، وكرات الاعادي، وحملات الاعالي، وطحنتهم سنابك الصافنات، وحوافر الصاهلات في مواقف الذل والهزل في ظلال الاعنة وبريق الاسنة ما بقوا لحطمي، ولا عاشوا لظلمي، ولما قالوا انه لحريص متهم، اليوم نتواقف على حدود الحق والباطل، اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق، فاني مهدت مهاد نبوة محمّد صلّى الله عليه وآله، ورفعت اعلام دينك، واعليت منار رسولك، فوثبوا عليّ

وغالبوني وتالوني ووتروني، فقام اليه أبو حازم الانصاري فقال: يا أمير المؤمنين أبو بكر وعمر ظلماك، احقك اخذا وعلى الباطل مضيا؟ اعلى حق كانا أم على صواب اقاما؟ ام ميراثك غصبا؟ افهمنا لنعلم باطلهم من حقهم وحقك، ونعلم حقهما من حقك، امنعاك امرك، أم غصباك امامتك، ام غالباك فيها غرام، أم سبقاك اليها عجلاً، فجرت الفتنة ولم تستطع منها استقلالاً، فان المهاجرين والانصار يظنان انهما كانا على حق وعلى الحجة الواضحة مضيا، فقال: عليه السلام يا اخا اليمن لا بحق اخذا وعلى الباطل مضيا، ولا على اصابة اقاما، ولا على دين مضيا، ولا على فتنة خشيا، يرحمك الله اليوم نتواقف على حدود الحق والباطل، اتعلمون يا اخواني ان بني يعقوب على حق ومحجة كانوا حين باعوا اخاهم، وعقوا اباهم، وخانوا خالقهم، وظلموا انفسهم، فقالوا: لا، فقال: يرحمكم الله، ايعلم اخوانك هؤلاء ان ابن آدم قاتل الاخ كان على حق ومحجة واصابة، وامره من رضى الله؟ فقالوا: لا، فقال: أو ليس فعل كل بصاحبه ما فعله لحسده اياه وعداوته وبغضائه له؟ فقالوا: نعم، قال: وكذلك فعلا بي مافعلا حسدًا، ثم انه لم يتب على ولد يعقوب الاّ بعد استغفار وتوبة واقلاع وانابة واقرار، ولو ان قريشًا تابت إليّ واعتذرت من فعلها لاستغفرت الله لها، ثم قال: انما انطق لهم العجماء ذات البيان، وافصح الخرساء ذات البرهان التي فتحت الاسلام ونصرت الدين، وعززت الرسول، وثبت اركان الاسلام، وبنيت اعلامه، واعليت مناره، واعلنت اسراره، واظهرت آثاره وحاله، وصففت الدولة ووطئت للماشي والراكب ثم قدتها صافية على اني بها مستأثر، ثم قال

بعد كلام: ثم سبقني اليها التيمي والعدوي كسباق الفرس احتيالاً واغتيالاً، وخدعة وغلبة، ثم قال بعد كلام: اليوم انطق الخرساء ذات البرهان، وافصح العجماء ذات البيان، فانه شارطني رسول الله ﷺ في كل موطن من مواطن الحروب، وصافقني على ان احارب لله وانصر رسول الله ﷺ جهدي وطاقتي وكدحي وكدي، واحامي عن حريم الاسلام، وادفع عن اطناب الدين، واعز الاسلام واهله على ان ما فتحت وبنيت عليه دعوة رسول الله ﷺ وقرئت فيه المصاحف، وعبد فيه الرحمن، وفهم به القرآن، في امامته وحله وعقده، واصداره وايراده، ولفاطمة فدك ومما خلفه رسول الله ﷺ النصف فسبقاني إلى جميع نهاية الميدان يوم البرهان، وما شككت في الحق منذ رأيته، هلك قوم ارجفوا عني انه لم يوجس موسى في نفسه خيفة ارتيابًا ولا شكًا فيما اتاه من عند الله، ولم اشك فيما اتاني من حق الله ولا ارتبت في امامتي وخلافة ابن عمي ووصية الرسول، وانما اشفق أخي موسى من غلبة الجهال ودول الضلال، وغلبة الباطل على الحق، ولما انزل الله جل وعز ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[1] دعى رسول الله ﷺ فاطمة فنحلها فدك، واقامني للناس علمًا وامامًا وعهد الـيّ، فانزل الله جل وعز ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[2]، فقاتلت حق القتال، وصبرت حق الصبر على انه أغر تيمًا وعّديًا على دين اتت به تيم وعدي ام على دين اتى به ابن عمي وصنوي وجسمي حتى انصر تيمًا

١- الإسراء/٢٦.

٢- النساء/٥٩.

وعديًا، ام انصر ابن عمي وحقي وديني وامامتي، وانما قمت تلك المقامات واحتملت تلك الشدايد وتعرضت للحتوف على ان نصيبي من الآخرة موفورًا، واني صاحب محمّد وخليفته وامام امته بعده وصاحب رايته في الدنيا والآخرة، اليوم اكشف السريرة عن حقي وأُجلي القذى عن ظلامتي حتى يظهر لاهل اللب والمعرفه اني بذلك مضطهد مغصوب مقهور، وانهم انبزوا حقي واستأثروا بميراثي، اليوم نتواقف على حدود الحق والباطل، من استودع خائنًا فقد غش نفسه، من استرعى ذئبًا فقد ظلم، من ولى غشومًا فقد اضطهد، هذا موقف صدق، ومقام انطق فيه بحقي، واكشف الستر والغمة عن ظلامتي، يا معشر المهاجرين والانصار اين كان سبقة تيم وعدي إلى سقيفة بني ساعدة خوف الفتنة ألا كانت يوم الابواء إذ تكاتفت الصفوف وتكاثرت الحتوف وتقارعت السيوف، أم هلا خشيا فتنة الاسلام يوم ابن عبد ود قد نفح بسيفه، وشمخ بانفه، وطمح بطرفه، ولم لم يشفقا على الدين واهله يوم بواط إذ اسود لون الافق، واعوج عظم الفتق، وانحل سيل العرق، ولم لا يشفقا يوم رضوى إذ السهام تطير، والمنايا تسير، والاسد تزأر، وهلاّ بادر يوم العشيرة، إذ الاسنان تصطك، والآذان تستك، والدروع تهتك، وهلا كانت مبادرتها يوم بدر إذ الأرواح في الصعداء ترتقي، والجياد بالصناديد ترتدي، والأرض من دماء الابطال ترتوي، ولم لا يشفقا على الدين يوم بدر الثانية والرعابيب ترعب، والاوداج تشخب، والصدور تخضب، أم هلا بادرا يوم ذات اللبوث، وقد ابيح التولب، واصطلم الشوقب، وادلهم الكوكب، ولم لا كانت شفقتهما على الاسلام يوم الكدر

والعيون تدمع، والمنية تلمع، والصفايح تترع، ثم عدد وقايع النبي ﷺ كلها على هذا النسق وقرعهما بانهما في هذه المواقف كلها كانا مع النظارة والخوالف والقاعدين، فكيف بادر الفتنة بزعمهما يوم السقيفة، وقد توطّأ الاسلام بسيفه، واستقر قراره، وزال حذاره، ثم قال بعد ذلك كله: ما هذه الدهماء والدهياء التي وردت علينا من قريش، انا صاحب هذه المشاهد، وأبو هذه المواقف، وابن هذه الافعال، يا معشر المهاجرين والانصار اني على بصيرة من أمري، وعلى ثقة من ديني، اليوم انطقت الخرساء البيان، وفهمت العجماء الفصاحة، واتيت العمياء البرهان، هذا يوم [ينفع] الصادقين صدقهم، قد توافقنا على حدود الحق والباطل، وأخرجتكم من الشبهة إلى الحق، ومن الشك إلى اليقين، فتبرؤا رحمكم الله ممن نكث البيعتين، وغلب الهوى به، فضل وابعد، تبرؤا رحمكم الله ممن اخفى العذر وطلب الحق من غير اهله فتاه، والعنوا رحمكم الله من انهزم الهزيمتين إذ يقول الله: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾[2]، واغضبوا رحمكم الله على من غضب الله عليهم، وتبرؤا رحمكم الله ممن يقول فيه رسول الله ﷺ ترتفع يوم القيامة ريح سودا تختطف من دوني قومًا من

١- الأنفال/١٥-١٦.

٢- التوبة/٢٥.

أصحابي من عظماء المهاجرين فاقول أصحابي فيقال: يا محمّد انك لا تدري ما احدثوا بعدك، وتبرؤا رحمكم الله من النفس الضال من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال فيقولوا ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾[1] ومن قبل ان يقولوا ﴿يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ﴾[2] ويقولوا ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[3] أو يقولوا ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[4]، وان قريشًا طلبت السعادة فشقيت، وطلبت النجاة فهلكت، وطلبت الهداية فضلت، ان قريشًا قد اضلت أهل دهرها ومن يأتي بعدها من القرون، ان الله تبارك اسمه وضع امامتي في قرآنه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾[5] ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[6] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[7].

١- فصلت/٢٩.

٢- الزمر/٥٦.

٣- الشعراء/٩٩.

٤- الأحزاب/٦٧.

٥- الفرقان/٦٤.

٦- الفرقان/٧٤.

٧- الحج/٤١.

وهذه خطبة طويلة، وقد قال ﴿صلوات الله عليه﴾ في بعض مقاماته كلامًا لو لم يقل غيره لكفى قوله ﴿صلوات الله عليه﴾ انا ولي هذا الامر دون قريش، لان رسول الله صلى الله عليه وآله قال الولاء لمن اعتق، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بعتق الرقاب من النار وعتقها من السيف، وهذان لما اجتمعا كانا افضل من عتق الرقاب من الرق، فما كان لقريش على العرب برسول الله صلى الله عليه وآله كان لبني هاشم على قريش، وما كان لبني هاشم على قريش برسول الله صلى الله عليه وآله كان لي على بني هاشم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه، انتهى[1].

والعاقل اللبيب والموفق المصيب لا يخفى ان كلماته عليه السلام في كتاب نهج البلاغة كلها جارية على نهج هذه الخطبة الاّ ان ما في هذه الخطبة تصريح صريح وبيان فصيح، وما في الكتاب المذكور اشارات ورموز وكنايات ظاهرة تارة وخفية اخرى.

قال في المقام بعد ذكر كلام جرى بينه وبين شيخه النقيب أبي جعفر يحيى بن محمّد بن أبي زيد في تفضيل علي عليه السلام على حمزة وجعفر فقلت له رحمه الله: قد وقفت لابي حيان التوحيدي في كتاب البصاير على فصل عجيب يمازج ما نحن فيه قال في الجزء الخامس من هذا الكتاب: سمعت قاضي القضاة أبا سعد بشر بن الحسين وما رأيت رجلاً أقوى منه في الجدل في مناظرة جرت بينه وبين أبي عبد الله الطبري وقد جرى حديث جعفر بن أبي طالب

١- البحار ٥٦٧/٢٩.

وحديث اسلامه والتفاضل بينه وبين علي اخيه، فقال القاضي أبو سعيد: إذا انعم النظر يعلم ان اسلام جعفر كان بعد بلوغ، واسلام البالغ لا يكون الاّ بعد استبصار وتبيين ومعرفة بقبح ما يخرج منه وحسن ما يدخل فيه، وإن اسلام علي مختلف في حاله، وذلك انه قد كان عن تلقين إلى حين بلوغه واوان تعقبه ونظره، وقد علم أيضًا انهما قتلا، وان قتلة جعفر شهادة بالاجماع، وقتله على أشد الاختلاف، ثم خص الله جعفرًا بان قبضه إلى الجنة قبل ظهور التباين واضطراب الحبل وكثرة المرج، وعلي انه لو انعقد الاجماع وتظاهر جميع الناس على ان القبلتين شهادة لكانت الحال في الذي دفع إليه جعفر اغلظ واعظم، وذلك انه قتل مقبلاً غير مدبر، واما علي فانه اغتيل اغتيالاً، وقصد من حيث لا يعلم، وشتان ما بين من قتل بالموت ومن عاين مخايل الموت وتلقاه بالنحر والصدر، وعجل إلى الله بالايمان والصدق، ألا تقل ان جعفرًا اقطعت يمناه فامسك اللواء بيسراه، وقطعت يسراه فضم اللواء إلى حشاه ثم قاتله ظاهر الشرك بالله، وقاتل علي ممن صلى إلى القبلة وشهد الشهادة وأقدم عليه بتأويل، وقاتل جعفر كافر بالنص الذي لا خلاف فيه، اما تعلم أن جعفرًا ذو الجناحين وذو الهجرتين إلى الحبشة والمدينة.

قال النقيب رحمه الله: اعلم فداك شيخك ان أبا حيان رجل ملحد زنديق يحب التلاعب بالدين، ويخرج ما في نفسه فيعزوه إلى قوم لم يقولوه، فاقسم بالله ان القاضي أبا سعيد لم يقل من هذا الكلام لفظة ولكنها موضوعات ابي

حيان واحاديثه وترهاته كما يسند إلى القاضي أبي حامد المروزودي كل منكر ويروي عنه كل فاقره.

ثم قال: يا أبا حيان مقصودك ان تجعلها مسئلة خلاف تثير بها فتنة بين الطالبيين لتجعل بأسهم بينهم، وكيف تغلبت الاحوال فالفخر لهم لم يخرج عنهم، ثم ضحك رحمه الله حتى استلقى ومد رجليه، وقال: هذا كلام يستغني عن الاطالة في ابطاله باجماع المسلمين، فانه لا خلاف بين المسلمين في ان عليًا عليه السلام افضل من جعفر، ثم ساق الشارح الكلام بما يدل على صحة الاجماع الذي ادعاه النقيب حيث ان الامة بين قائلين أحدهما الشيعة الامامية والزيدية والبغداديين من المعتزلة القائلون بان الافضل علي عليه السلام، وثانيهما الباقون من الاشعرية والكرامية والحشوية وجملة من المعتزلة بان الافضل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، الى ان قال: وقع بيدي بعد ذلك كتاب لشيخنا أبي جعفر الاسكافي ذكر فيه ان مذهب بشر بن المعتمر، وأبي موسى، وجعفر بن مبشر، وساير قدماء البغداديين ان افضل المسلمين علي بن ابي طالب عليه السلام ثم ابنه الحسن، ثم ابنه الحسين، ثم حمزة بن عبدالمطلب، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم أبو بكر بن أبي قحافة، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان.

قال: والمراد بالافضل اكرمهم عند الله وأكثرهم ثوابًا وارفعهم في دار الجزاء منزلة، ثم وقفت بعد ذلك على كتاب لشيخنا أبي عبد الله البصري يذكر فيه هذه المقالة وينسبها إلى البغداديين، وقال ان الشيخ أبا القاسم البلخي وقبله الشيخ أبو الحسين الخياط وذكر ان تلامذة أبي القاسم البلخي وهو شيخ

المتأخرين من البغداديين قالوا كلّهم بها، فأعجبني هذا المذهب وسررت بأن ذهب الكثير من شيوخنا اليه ونظمته في الارجوزة التي شرحت فيها عقيدة المعتزلة، فقلت:

وخير خلق الله بعد المصطفى ... اعظمهم يوم الفخار شرفا
السيد المعظم الوصي ... بعل البتول المرتضى علي
وابناه ثم حمزة وجعفر ... ثم عتيق بعدهم لا ينكر
المخلص الصديق ثم عمر ... فاروق دين الله ذلك القسور
وبعده عثمان ذو النورين ... هذا هو الحق بغير مين

انتهى.

أقول: انما نقلنا كلام هذا الملحد هنا ليستدل به على كلامه المتقدم في آخر المجلد الاول الناشيء جميع ذلك عن زندقته والحاده في الدين وجرأته على رب العالمين، وقد تلونا عليك فيما سبق مثله وامثاله من علمائهم الناصبين لاهل البيت عليهم السلام والمعادين.

واما ما نقله الشارح عن اصحابه في التفضيل، واختاره ونظمه في منظومته الكاشفة عن عقيدته، فهو محض ضلال وتضليل وصد عن الحق الواضح السبيل، وكيف لا واخبارهم كما عرفت في فصول المقصد الاول من المقدمة صريحة الدلالة واضحة المقالة في تفضيل الائمة المعصومين من الذرية النبوية والسلالة الفاطمية العلوية على جميع العالمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله وابيهم أمير المؤمنين، ومما تضمنه هذا الشرح بنقل الشارح الضال زيادة على ما اشرنا اليه

ما تقدم في شرح قوله عليه السلام ذمّتي بما أقول رهينة من الجزء الاول في خطبته عليه السلام التي نقلها عن أبي عبيدة حيث قال وزاد منها في رواية جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام: ألا ان ابرار عترتي واطايب ارومتي احلم الناس صغارًا، واعلم الناس كبارًا، ألا وأنا وأهل بيتي من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا، ان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وان لم تفعلوا يهلكم الله بايدينا، معنا راية الحق التي من تبعها لحق ومن تأخر عنها غرق، ألا وبنا تدرك ترة كل مؤمن، وبنا تحلّ ربقة الذل من اعناقكم، وبنا فتح لا بكم، وبنا يختم لا بكم.

ومن ذلك ما تقدم في شرح قوله خاضوا بحار الفتن من الجزء التاسع في الاخبار التي نقلها الشارح في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ففي الجزء الثالث عشر من سره ان يحيى حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي، فليوال عليًا من بعدي، وليوال وليه، وليقتدي بالائمة من بعدي، فانهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا علمًا وفهمًا، فويل للمكذبين من أمتي، القاطعين فيهم صلتي لا انالهم الله شفاعتي.

ومن ذلك كلماته عليه السلام المتكررة في هذا الكتاب الدالة بأوضح دلالة على امامتهم كما حققناه في شرح قوله قد طلع طالع، ولمع لامع من الجزء التاسع، وانهم عليهم السلام هم العترة والآل المشار اليهم في حديث الثقلين وحديث السفينة، وقد تقدم اعتراف بعض علمائهم بذلك على انا لا ننكر فضل حمزة

وجعفر ﴿رضي الله عنهما﴾ ولكنهما لا يقاسان بهم عليهم السلام لما ذكرناه من ثبوت امامتهم وعصمتهم ﴿صلوات الله عليهم﴾.

واما الثلاثة الباقون فلم يظهر من فضلهم الاّ تقمص الخلافة التي اصطنعت لهم تلك الاحاديث المزورة والروايات المنكرة والاكاذيب المنتشرة والاّ فلا قدم لهم سابق في جاهلية ولا اسلام، ولا صيت لهم يذكرون به بين الانام، من شجاعة أو جهاد، أو علم، أو عبادة أو زهد، أو ورع أو نحو ذلك ان لم يُقل انهم على الخلاف من تلك الاوصاف، كما تقدم إيضاحه في فصول مطاعنهم وغيرها، ولكن القوم قد غلب عليهم الهوى والتعصب لهم لما نالوه من الدنيا بولايتهم من التصدر في المجالس والمدارس وخفق النعال خلفهم ورفع مراتبهم عند الملوك والسلاطين، إذ الملوك وارباب الدول ومن كانت الدنيا في ايديهم على ذلك المذهب ومن خالفه وناواه كان منكمشًا في زاوية الخوف والرهب، معرضًا للبلاء والنصب، والناس اتباع الملوك وابناء الدنيا وما فيها من فضة وذهب، واما وصفه لائمته الثلاثة بالصديق والفاروق وذي النورين فهو محض افتراء وكذب ومين، اما الإسمان الأولان فهما من اسماء علي عليه السلام كما استفاضت به اخبارهم ونادت به آثارهم، ولكنهم لمزيد عنادهم وبغضهم لأمير المؤمنين عليه السلام نحلوهما لاماميهما، كما نحلوهما خلافته وامامته، وقد تقدم في المقالة الثانية من شرح قوله خاضوا بحار الفتن من الجزء التاسع في شرح الحديث الثامن عشر ما يدل على ذلك، ويؤكده ما سيأتي بنقل الشارح في الجزء الثالث عشر عن شيخه أبي جعفر الاسكافي في كتاب نقض

العثمانية حيث روى بسنده إلى أبي رافع قال: اتيت أبا ذر بالربذة أودعه، فلما اردت الانصراف قال لي ولا ناس معي: ستكون فتنة فأتقوا الله وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب فاتبعوه، فاني سمعت النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: أنت أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وانت الصديق الاكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل، الحديث[1].

وروى أيضًا بسنده إلى علي عَلَيْهِالسَّلَامُ انه قال: أنا عبد الله، وأنا أخو رسول الله، وأنا الصديق الاكبر لا يقولها غيري الاّ كذاب[2].

وكفى بقوله عَلَيْهِالسَّلَامُ المنقول في أخبارهم حجة ودليلاً على كذبهم وافترائهم في انتحال هذا الاسم كغيره، وأيضًا فان الله سبحانه في كتابه المجيد قد وصف بذلك جملة المؤمنين فقال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[3] فمن اين لهم تخصيص أبي بكر بذلك من بين المؤمنين مع فرض كونه منهم إذا كان لم يرد ذلك عن رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ في حقه، ولعل تسمية أمير المؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ بالصديق الاكبر يشير إلى وصف المؤمنين وهم شيعته بالصديقين كما في الآية المذكورة فانه حيث كان عَلَيْهِالسَّلَامُ أميرهم وامامهم فهو أكبرهم في ذلك الوصف ومقدمهم.

١- مناقب أمير المؤمنين ١/٢٧٧.

٢- شرح نهج البلاغة ١٣/٢٠٠، وفيه: لا يقولها بعدي الاّ كذاب.

٣- الحديد/١٩.

وبالجملة فان وصف أهل السنة لهما بهذين الوصفين حينئذ مع انه لم يذكروا لهما برواية يدل على ذلك في البين انما هو مجرد بغض وحسد لامام الخافقين حيث وصفه رسول الله بذلك ومع الاغماض عن ذلك كله فانا لم نر لهم وجهًا في تخصيص هذين الوصفين بأبي بكر وعمر ولا ملائمة تقتضيه، إذ لا يخفى ان معنى الصديق هو كثير الصدق ولا يجوز حمل ذلك على مجرد الأمور الدنيوية، فان الصدق فيها لا يوجب فخرًا ولا يخلد ذكرًا بل لا بد من الحمل على الأمور الدينية والاعم منهما، وحيئنذ فكثرة صدق أبي بكر في الأمور الدينية من اين ظهر لهم زيادة على غيره، أمن جهله بالاحكام الشرعية حتى اعترف بذلك في قوله أقول برأيي الحديث، وقد تقدم من افترائه الحديث الذي غصب به نحلة الزهراء عليها السلام كما وافقنا عليه جملة من علمائهم، وكذلك كون عمر فاروقًا يفرق بين الحق والباطل، أهو من بدعه واحداثه في الدين صير بها الحق باطلاً والباطل حقًا عند شيعته التابعين له والمقتفين، أم من جهله بالاحكام حتى اعترف بان النساء افقه منه على رؤوس الانام.

واما وصف عثمان بذي النورين فقد تقدم الجواب عنه في الفصل السادس من الفصل الثاني من المقدمة ونزيده هنا فنقول: يا سبحان الله العجب كل العجب من اولئك الصحابة المجمع على عدالتهم من أهل السنة، وقد تقدم قول الشارح ان العلماء لم يجسروا على الطعن فيمن عليه اسم الصحبة كيف يوم اجتماعهم على عثمان لم يشاهدوا شيئًا من ضياء ذينك النورين ليكون مانعًا لهم من سفك دمه في البين حتى اجتمعوا على قتله وخذلانه ورميه على

مزبلة ثلاثة أيام ثم لم يدفن بعد رجم سريره بالحجارة الاّ في مقابر اليهود الذي هو على كفره وخروجه من الدين من اعدل البينات والشهود، وان الصحابة قد الحقوه ذلك اليوم بقوم عاد وثمود.

قال: الاصل، ومن كلام له عليه السلام لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتّاب وهما قتيلان يوم الجمل لقد اصبح أبو محمد بهذا المكان غريبًا، اما والله لقد كنت اكره ان تكون قريش تحت بطون الكواكب، ادركت وتري من بني عبد مناف، وأفلتني اغياد بني جمح، لقد أتلعوا اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله فقوضوا دونه إلى آخره[1].

وعبدالرحمن بن عتاب بن اسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبدشمس، وأبو عتاب بن اسيد من مسلمة الفتح، ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى حنين استعمله عليها إلى ان قال: وعبد الرحمن هو الذي قال أمير المؤمنين عليه السلام فيه وقد مر به قتيلاً يوم الجمل لهفي عليك يعسوب قريش، هذا فتى الفتيان، هذا الباب المجن من بني عبد مناف، شفيت نفسي وقتلت معشري، إلى الله اشكوا عجري وبجرى، فقال له قائل: لشد ما اطريت الفتى يا أمير المؤمنين منذ اليوم، قال: انه قام عني وعنه نسوة لم يقمن عنك، إلى ان قال: والضمير في قوله لقد اتلعوا يرجع ا لى قريش، أي راموا الخلافة فقتلوا دونها.

١- نهج البلاغة، خطبة ٢١٩، وفيه: افلتني اعيان بني جمح، وفي شرح النهج لابن ابي الحديد ١٢٤/١١: اعيار بني جمح.

فان قلت: اتقول ان طلحة والزبير لم يكونا اهلاً للخلافة؟ ان قلت ذلك تركت مذهب اصحابك، وان لم تقله خالفت قول أمير المؤمنين ﴿صلوات الله عليه﴾ لم يكونوا اهلها.

قلت: هما اهل الخلافة ما لم يطلبها أمير المؤمنين عليه السلام، فاذا طلبها لم يكونا لها اهلاً ولا هما ولا غيرهما، ولولا طاعته لما تقدم وما ظهر من رضاه به لم نحكم بصحة خلافته، انتهى[1].

أقول هنا: من جوابه عن عدم استحقاق طلحة والزبير للخلافة فهو منظور فيه من وجوه:

أحدها: انه لا اشعار في كلامه عليه السلام بهذا القيد الذي ذكره بل كلامه مطلق فتقييده يحتاج إلى دليل، وليس فليس.

وثانيها: انه من المعلوم والمقطوع لمن تتبع الاخبار ونظر فيها بعين التدبر والاعتبار انه عليه السلام بعد موته لم يطلب الخلافة ولا تصدى لها، وانما الناس طلبوه وقصدوه واكرهوه، وقد تقدم كلامه عليه السلام دالاً على ذلك بأوضح دلالة حتى انه لمزيد امتناعه عرضها على طلحة والزبير أولاً كما نقله الشارح في شرح قوله ومن كلام له عليه السلام كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة من أول الجزء الحادي عشر حيث قال: ويروي الطبري في التاريخ قال: لما بايع

١- شرح نهج البلاغة ١٢٣/١١ - ١٢٦.

طلحة والزبير عليًا عليه السلام سألاه ان يؤمرهما على الكوفة والبصرة، فقال: بل تكونان عندي أتجمل بكما فانني استوحش لفراقكما.

قال الطبري: وقد كان قال لهما قبل بيعتهما له ان احببتما ان تبايعا لي وان احببتما بايعتكما، فقالا: بل نبايعك، ثم قالا بعد ذلك: انما بايعناه خشية على انفسنا، وقد عرفنا انه لم يكن ليبايعنا ثم ظهرا إلى مكة وذلك بعد قتل عثمان بأربعة أشهر، انتهى[1].

وحينئذ فاذا كان المعلوم من حال علي عليه السلام أنه لم يطلبهما يومئذ فمن أين له هذا التقييد الذي لا منشأ له الاّ الفرار من الحق الذي يميل دائمًا عنه ويحيد.

وثالثًا: ان هذه الخلافة التي يصلح لها طلحة والزبير ان كانت عبارة عن تلك الرياسة التي تقمصها أبو بكر وعمر وعثمان فلا اختصاص لهذا السؤال والجواب بطلحة والزبير في هذا المكان بل الأمر صالح لكل من خلع من عنقه ربقة الايمان بالملك الديان، وتجرد لقهر الناس وجبرهم بمن تبعه من الجند

١- ذكر الشارح أيضًا من هذا المقام اخبارًا اخر دالة على ان قصد طلحة والزبير من البيعة له عليه السلام انما كان ولاية العراقين البصرة والاخرى الكوفة فلما أيسا منه فتقا عليه فتق حرب البصرة، ونقل أيضًا في المقام عن تاريخ الطبري ان عليًا عليه السلام بعد قتل عثمان جاء الى الزبير فاستأذن عليه فسل الزبير السيف ووضعه تحت فراشه وقال للخادم اذن له فأذن له فدخل فسلم على الزبير وهو مكانه، ثم خرج فقال الزبير لقد دخل لامر ما قضاه، قم مقامه وانظر هل ترى من السيف شيئًا، قال الخادم فقمت مقامه فرأيت ذباب السيف يظهر لمن قام في هذا الموضع، فتعال انت فانظر الى هذا من جملة العشرة المبشرة وهو من افجر الفجرة. ﴿منه﴾.

والاعوان كبني العباس وبني مروان وامثالهم في كل وقت وزمان، فانه يصير خليفة عندهم بغير زيادة ولا نقصان، وان كانت عبارة عن النيابة عن الرسول والقيام مقامه في كل ما كان يفعل ويقول فهما وغيرهما بمعزل عنها عند ذوي الافهام والعقول الاّ من انصف بما انصف به ذلك الرسول ﷺ من العصمة من الله تعالى في جميع الاحوال عن الزيغ والخطأ في الأقوال والأفعال، وليس الاّ ائمتنا الاثنى عشر الأبدال عليهم صلوات ذي الجلال، كما اوضحناه في فصول المقصد الاول من المقدمة بما لا يداخله الريب والاحتمال.

ورابعها: انه إذا كان متى طلبها أمير المؤمنين عليه السلام لم يكونا لها اهلاً ولا غيرهما، فكيف أهلّ خلفائه المتقدمين لها وقال بصحة خلافتهم مع ما تواترت به أخبار السقيفة والشورى من منازعته عليه السلام للقوم في ذينك اليومين ومجادلته ومخاصمته واحتجاجه وقصده الحرب لولا عدم المساعد والمعاضد يومئذ حتى اخذ للبيعة كرهًا وجبرًا في الموضعين، وأي طلب يكون اظهر من ذلك، واما ما تستر به من التمويه الذي لا يخفى ما فيه على الفطن النبيه من انه اطاع بعد ذلك ورضي فقد اوضحنا في غير مكان بطلانه وهدمنا بنيانه، وهذه الطاعة انما وقعت جبرًا وكرهًا لعدم المساعد له والمعاضد لا اختيارًا وطبعًا كما لا يخفى على من تأمل شكاياته وتظلماته ودعائه على القوم واستعدائه الله تعالى عليهم الممتدين يوم السقيفة إلى وفاته عليه السلام، وأي حجة في هذه الطاعة والحال ما عرفت وليس الفرق بين حاله مع المتقدمين وحاله مع طلحة والزبير الاّ وجود الناصر على هؤلاء فحاربهم لذلك وعدم الناصر يومئذ فانخذل في

ايديهم وصبر على مضض ورمض كما تكرر في كلامه عليه السلام، وقد اعترف بهذا المعنى الشارح نفسه في شرح قوله عليه السلام في آخر خطبته الشقشقية من الجزء الاول أما والذي فلق الحبّة وبرء النسمة لولا حضور الحاضر إلى آخره.

فقال الشارح ثمة يقول عليه السلام لولا وجود من ينصرني لا كما كانت الحال عليه اولاً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فاني لم أكن حينئذ واجدًا للناصر مع كوني مكلفًا ان لا امكن الظالم من ظلمه إلى آخره.

وحينئذ فكيف يدعي هنا انه لو طلبها علي عليه السلام لم يكن طلحة والزبير ولا غيرهما اهلاً لها، وهو قد عكس القضية لما وقع فيه بتورطه بشرح هذا الكتاب من البلية، فاهلّ خلفائه المتقدمين لها مع مزيد طلبه عليه السلام ومنع طلحة والزبير منها مع عدم طلبه عليه السلام يومئذ بالكلية.

وبالجملة فانه قد صار في هذا الشرح لشدة الحيرة كالسكران الذي لا يعي ما ينطق به باللسان، ولا يميز حقًا من باطل ولا زيادة من نقصان، وستأتيك الاخبار في الجزء الآتي دالة على موجدته عليه السلام وبقاء الامر في نفسه أيام خلافة عمر بأصرح دلالة وبيان، [والله] الهادي لمن يشاء.

هذا آخر الكلام على ما تعلق بالجزء الحادي عشر من الشرح، والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قال: الاصل، ومن كلام له عليه السلام لله بلد[1] فلان، فلقد قوّم الاود، وداوى العمد، أقام السنة وخلف الفتنة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب اصاب خيرها،

١- في النسختين (بلد)، وفي نهج البلاغة لله بلاء، خطبة ٢٢٨، وفي شرح النهج (لله بلاد).

وسبق شرها، أدى الى الله طاعته واتاه بحثه، رحل وتركـكم في طرق منشعبة لايهتدي فيها الضال ولايستيقن المهتدي إلى آخره[1].

وفلان المكنى عمر بن الخطاب، وقد وجدت النسخة التي بخط الرضي أبي الحسن جامع نهج البلاغة وتحت فلان عمر، حدثني بذلك فخار بن معد الموسوي الاديب الشاعر وسألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى بن زيد العلوي فقال: هو عمر، فقلت له: اثنى عليه أمير المؤمنين عليه السلام هذا الثناء؟ فقال: نعم اما الامامية فيقولون ان ذلك من التقية واستصلاح اصحابه، واما الصالحية من الزيدية فيقولون انه اثنى عليه حق الثناء ولم يضع المدح الاّ في موضوعه ونصابه، واما الجارودية من الزيدية فيقولون انه كلام قاله في أيام عثمان خرجه مخرج الذم والتنقص لاعماله كما يمدح الآن الامير الميت في أيام الامير الحي بعده فيكون ذلك تعريضًا به.

فقلت له: انه لا يجوز التعريض والاستزادة للحاضر بمدح الماضي الاّ إذا كان المدح صدقًا لا يخالطه ريب ولا شبهة، فاذا اعترف أمير المؤمنين عليه السلام بانه اقام السنة وذهب نقي الثوب، قليل المعيب، وانه ادى إلى الله طاعته واتقاه بحقه، فهذا غاية ما يكون من المدح، وفيه ابطال قول من طعن على عثمان فلم يجبني بشيء، وقال: هو ما قلت لك[2].

٢- شرح نهج البلاغة ٣/١٢.

١- شرح نهج البلاغة ٤/١٢.

واما الراوندي فانه قال في الشرح انه عليه السلام مدح بعض اصحابه بحسن السيرة وان الفتنة هي التي وقعت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من الاختيار والاثرة، وهذا بعيد، لان لفظ أمير المؤمنين عليه السلام يشعر اشعارًا ظاهرًا بانه يمدح واليًا ذا رعية وسيرة، ألا تراه كيف يقول فلقد قوّم الاود، وداوى العمد، واقام السنة، وخلف الفتنة، وكيف يقول اصاب خيرها وسبق شرها، وكيف يقول ادى إلى الله طاعته، وكيف يقول رحل وتركهم في طرق منشعبة، فهذا الضمير وهو الهاء والميم في قوله وتركهم هل يصح ان يعود الاّ إلى الرعايا، وهل يسوغ ان يقال هذا الكلام لسوقة من عرض الناس وكل من مات قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله كان سوقة لا سلطان له، فلا يصح ان يحمل هذا الكلام على ارادة أحد من الذين قتلوا أو ماتوا قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله كعثمان [بن] مظعون، ومصعب بن عمير، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث، وغيرهم من الناس، والتأويلات الباردة الغثة لا تعجبني على ان أبا جعفر محمد بن جرير الطبري قد صرح بان المعني في هذا الكلام عمر.

قال الطبري: لما مات عمر بكته النساء، فقالت احدى نوادبه: واحزناه على عمر، حزن انتشر حتى ملأ البشر، وقالت ابنة أبي خيثمة: واعمراه أقام الاود، وابرء العمد، وامات الفتن، واحيى السنن، خرج نقي الثوب، بريًا من العيب.

قال الطبري: فروى صالح بن كيسان، عن المغيرة بن شعبة، قال: لما دفن عمر اتيت عليًا وانا أحب ان اسمع منه في عمر شيئًا، فخرج ينفض رأسه ولحيته

وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب لا يشك بان الامر يصير إليه، فقال: رحم الله ابن الخطاب لقد صدقت ابنة خيثمة ذهب بخيرها، ونجى من شرها، اما والله ما قالت ولكن تولت[1].

وهذا كما ترى يقوي الظن ان المعني والمراد بالكلام انما هو عمر، إلى ان قال: وهذه الصفات إذا تأملها المنصف واماط عن نفسه الهوى علم ان أمير المؤمنين عليه السلام لم يعن بها الاّ عمر لو لم يكن قد روى لنا توقيفًا ونقلاً ان المعني بها عمر، فكيف وقد رويناه عن من لا يتهم في هذا الباب، انتهى.[2]

أقول: لا يخفى على من له ادنى فهم في الكلام ونوع انصاف في المقام، ومن تدبر في كلماته وخطبه عليه السلام في هذا الكتاب من اوله إلى آخره المشتملة على ذكر اولئك القوم بصريح او اشارة انه عليه السلام لا يذكرهم ولا يشير اليهم الاّ على جهة الذم والطعن ونشر معايبهم ومثالبهم ونسبتهم إلى الظلم والعدوان والشكاية إلى الله تعالى منهم والاستعداء عليهم، ولا سيما خطبته الشقشقية التي كشف القناع فيها عن الاشارة إلى احداثهم وذمهم والطعن عليهم بما لا مزيد عليه، ان هذا الكلام هنا انما خرج مخرج الاستمالة والاستصلاح لمن كان معه من اولياء القوم وتأليف قلوبهم في ذلك اليوم، فلا حجة فيه للخصم وما عارضه مما تقدم ذكره، وسيأتي من كلماته عليه السلام فضلاً عمّا أوضحناه في فصول المطاعن أكثر عددًا وأصح سندًا، وأوضح دلالة

١- شرح نهج البلاغة ٥/١٢ وفيه: لقد صدقت ابنة ابي حثمة.... اما والله ما قالت ولكن قولت.

٢- شرح نهج البلاغة ٥/١٢.

وأصرح مقالة، ولا سيما الخطبة المشار إليها لاشتمالها على ذكر الثلاثة بما لا يقوم فيه الاحتمال ولا يتطرق اليه الاجمال، واعتراف القوم كما اعترف به الشارح في ذيلها وذيلناه نحن بما يؤكده بصحتها عنه عليه السلام وصراحتها في رد هذا المعنى الذي جنح إليه هنا وظن انه وجد ثمرة العراب وهو اضعف من لامع السراب، واعتراف الشارح به ثم بما يدل على خبط عمر في الشريعة النبوية خبط عشواء، وغلظته وفظاظته النكراء.

وأما كلامه على الشارح الراوندي قدس سره فنقول فيه هب ان الشارح المذكور تأول هذا الكلام على خلاف ظاهره في هذا الموضع بخصوصه وهو قد ارتكب في هذا الكتاب فيما يتعلق بالامامة والطعن في اولئك المتقدمين من اوله إلى آخره التأويلات الشاردة والتمحلات الباردة التي تمجها الطباع السليمة، وتنفر عنها الاسماع المستقيمة، وناقض نفسه بسبب حيرته واضطراب فكره في أكثر المواضع كما وضحناه لكل ناظر وسامع، وينبغي لمن كان بيته مبنيًا من الزجاج وخاف الانكسار ان لا يقذف الناس بالاحجار الاّ وقذف بيته بها فيؤول إلى الخراب والدمار، وما نقله من الاستشهاد بكلام الطبري فهو من قبيل استشهاد ابن آوى بذنبه.

وأما قول ذلك الفاجر المارد الراوي لذلك الخبر الشارد البارد ان عليًا عليه السلام لما خرج عليه كان لا يشك ان الامر يصير اليه فهو تخرص ورمي في الظلام، ونفخ في غير ضرام، فان عليًا عليه السلام كما تقدم في كلماته كان عالمًا بما تصير اليه الأمور وما تؤول اليه في الورود والصدور، كما حققناه فيما تقدم.

قال في المقام المذكور: ونحن نذكر في هذا الموضع نكتًا من كلام عمر وسيرته واخلاقه، إلى ان قال: وقال لابن عباس: يا عبد الله انتم أهل رسول الله ﷺ وبنو عمه فما تقول في منع قومكم منكم؟ قال: لا ادري والله ما اضمرنا لهم الاّ خيرًا، قال: اللهم غفرًا ان قومكم كرهوا ان تجتمع لكم النبوة والخلافة فتذهبوا في السماء سمحًا وبذخًا، ولعلكم تقولون ان أخركم أول من اخركم، اما انه لم يقصد ذلك ولكنه حضر امر لم يكن بحضرته اجزم مما فعل، ولولا رأي ابي بكر فيّ لجعل لكم من الامر نصيبًا، ولو فعل ما هنأكم مع قومكم انهم ينظرون اليكم نظر الثور إلى جازره.

مر عمر بشاب من الانصار وهو ضمئان فاستسقاه فخاض له عسلاً فرده ولم يشرب، وقال: اني سمعت الله سبحانه يقول اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها، فقال الفتى: والله انها ليست لك، اقرأ يا أمير المؤمنين ما قبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا، فنحن لسنا منهم، فشرب وقال: كل الناس افقه من عمر.

وخطب عمر فقال: لا يبلغني ان أمرأة تجاوز صداقها صداق زوجات رسول الله ﷺ الاّ ارجعت ذلك منها، فقامت اليه امرأة فقالت: والله ما جعل الله ذلك لك انه تعالى [قال:] ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾[1]، فقال عمر: لا تعجبون من امام أخطأ وامرأة اصابت، ناضلت امامكم فنضلته.

١- النساء/٢٠.

وكان يعس ليله ثم نقل خبر تسوره على اصحاب ذلك البيت، وقد تقدم في فصل مطاعنه إلى ان قال: وروى ابن عباس ﵁ قال: دخلت على عمر في أيام أول خلافته وقد القى إليه صاع من تمر على خصفة فدعاني إلى الاكل فاكلت تمرة واحدة، واقبل يأكل حتى أتى عليه ثم شرب من جر كان عنده واستلقى على مرفقة له، وطفق يحمد الله يكرر ذلك، ثم قال: من اين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال لي: كيف خلفت ابن عمك؟ فظننته يعني عبد الله بن جعفر، فقلت: خلفته يلعب مع اترابه، قال: لم اعن ذاك، وانما عنيت عظيمكم أهل البيت، قلت: خلفته يمتح بالغرب على نخيلات بني فلان، ويقرأ القرآن، قال: يا عبد الله عليك دماء البدن ان كتمتنيها هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة، قال: نعم، قال: أيزعم أن رسول الله ﷺ نص عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك سألت أبي عما يدعيه قال: صدق، فقال عمر: لقد كان من رسول الله في أمره ذروٌ ومن القول لا يثبت حجة ولا يقطع عذرًا، ولقد كان يزيغ في أمره وقتًا ما، ولقد اراد في مرضه ان يصرح باسمه فمنعته من ذلك اشفاقًا وحيطة على الاسلام، لا وربِّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدًا ولو وليها لانتقضت عليه العرب من اقطارها، فعلم رسول الله اني علمت ما في نفسه فامسك، وأبى الله الاّ امضاه ما حتم.

ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب عليه كتابًا واشهد عليه رهطًا من المسلمين ان لا يركب برذونًا، ولا يأكل نقيًا، ولا يلبس رقيقًا، ولا يغلق بابه

دون حاجات المسلمين، ثم يقول: اللهم اشهد[1].

وروى عبدالله بن يزيد قال: بينا عمر يعس ذات ليلة انتهى الى باب مجاف وامرأة تغني لنسوة:

هل من سبيل إلى خمر فاشربها ... أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

فقال عمر: اما ما عشت فلا، فلما اصبح دعا نصر بن حجاج فابصره وهو من احسن الناس وجهًا، واصبحهم شعرًا، واملحهم حسنًا، فامر ان يطم شعره، فخرجت جبهته فازداد حسنًا فقال له عمر: اذهب فاعتمَّ فاعتم فازداد حسنًا، فقال له: فتنت نساء المدينة يا ابن حجاج لا تجاورني في بلد انا مقيم فيه، ثم سيّره إلى البصرة.

فروى الاصمعي قال: ابرد عمر بريدًا إلى عتبة بن أبي سفيان بالبصرة فاقام بها ايامًا، ثم نادى منادي عتبة من أراد ان يكتب إلى أهله بالمدينة أو إلى أمير المؤمنين شيئًا فليكتب، فان بريد المسلمين خارج، فكتب الناس ودس نصر بن الحجاج كتابًا فيه: لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصر بن حجاج السلام عليك، أما بعد يا أمير المؤمنين:

لعمري لئن سيرتني وحرمتني ... لما نلت من عرضي عليك حرام

أأن غنت الدلفاء يوم منية ... وبعض اماني النساء عوام

١- تاريخ الطبري ٢٧٦/٣، البداية والنهاية ١٥١/٧.

ظننت بي الظن الذي ليس بعده	بقاء فما لي في الندي كلام
واصبحت منفيًا على غير ريبة	وقد كان لي بالمنكبين مقام
ستمنعني مما تظن تكرمي	وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تمنت صلاتها	وحال لها في دينها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجع	فقد جب مني كاهل وسنام

ثم نقل في رواية أخرى ان أم نصر قعدت لعمر على الطريق حين اشتد عليها غيبة ابنها، فلما خرج يريد الصلاة قالت: يا أمير المؤمنين لأخاصمنك غدًا بين يدي الله عزّ وجل، حبست عاصم وعبد الله إلى جانبيك وبيني وبين ابني الفيافي والقفار والمفاوز والأميال، قال: من هذه؟ قيل: أم نصر بن حجاج، فقال لها: يا أم نصر ان عاصمًا وعبدالله لم تهتف بهما الهواتف من وراء الخدور.[1]

قدم عمرو بن العاص على عمر وكان واليًا على مصر، فقال له: في كم سرت؟ قال: في عشرين، قال: لقد سرت سير عاشق، فقال عمرو: واني والله ما تأبطني الاماء ولا حملتني في غبرات الليالي، فقال عمر: والله ما هذا بجواب الكلام الذي سألتك عنه، وان الدجاجة لتفحص في الرماد فتضع لغير الفحل، وانما تنسب البيضة إلى طرقها، فقام عمرو مربد الوجه.

١- شرح نهج البلاغة ٢٧/١٢.

قلت: المآلي خرق سود تحملها النوايح، ويسرن بها بايديهن عند اللطم، واراد خرق الحيض هاهنا وشبهها بتلك، وانكر عمر فخره بالامهات، وقال: الفخر للأب الذي اليه النسب.

وسألت النقيب أبا جعفر عن هذا الحديث في عمر، فقال: ان عمرو فخر على عمر، لان أم الخطاب زنجية تعرف بباطحلى تسمى صهاك، فقلت له: وام عمرو النابغة أمة من سبابا العرب، فقال: الاّ انها عربية من غزيّة سبيت في بعض الغارات فليس يلحقها من النقص ما يلحق الاماء الزنجيات، فقلت له: اكان عمرو يقدم على عمر بمثل ما قلت؟ قال: قد يكون بلغه عنه قول قدح في نفسه فلم يحتمله له ونفث بما في صدره منه وان لم يكن جوابًا مطابقًا للسؤال، وقد كان عمر مع خشونته يحتمل نحو هذا، فقد جبهه الزبير مرة وجعل يحكي كلامه يمططه، وجبهه سعد بن أبي وقاص أيضًا فاغضى عنه.

ومر يومًا في السوق على ناقة له فوثب غلام من بني ضبة، فاذا هو خلفه، فالتفت فقال: ومن أنت؟ قال: ضبي قال: جسور والله، فقال الغلام: وعلى الصديق أيضًا، فقال عمر: حاجتك، فقضى حاجته، ثم قال له: دع لنا الآن ظهر راحلتنا.

كان عمر يصادر خؤونة العمال فصادر أبا موسى الاشعري، وكان عامله على البصرة، وصادر ابا هريرة واغلظ له، وكان عامله على البحرين، فقال: له ألا تعلم أني استعملتك على البحرين وأنت حاف لا نعل في رجلك، وقد بلغني انك بعت افراسًا بألف وستمائة دينار، قال أبو هريرة: كانت لنا افراس فتناتجت،

فقال: قد حسبت لك رزقك ومؤنتك، وهذا فضل، قال أبو هريرة: ليس ذلك لك، قال: بلى والله وأوجع ظهرك، ثم قام اليه بالدرة فضرب ظهره حتى ادماه، قال: ائت بها، فلما احضرها قال أبو هريرة: سوف احتسبها عند الله، فقال: ذاك لو اخذتها من حل واديتها من حل طالعًا.

وكتب عمر إلى عمرو بن العاص وهو عامله على مصر أما بعد: فقد بلغني انه قد ظهر لك مال من ابل وغنم وغلمان، ولم يكن لك قبله مال ولا ذلك من رزقك، فانى لك هذا؟ ولقد كان من السابقين الاولين من هو خير منك ولكني استعملتك لغنائك، فاذا كان عملك لك وعلينا بم نؤثرك على انفسنا، فاكتب لي من أين مالك؟ والسلام.

فكتب إليه عمرو بن العاص قرأت كتاب أمير المؤمنين، وقد صدق فيما ذكره من مالي اني قدمت بلدة الاسعار فيها رخيصة والغزو فيها كثير، فجعلت فصول ما حصل لي من ذلك فيما ذكره أمير المؤمنين، والله يا أمير المؤمنين لو كانت خيانتك لنا حلالاً ما هنأك حيث ائتمنتنا، فاقصر عنا عناك، فان لنا احسابًا إذا رجعنا اليها اغنتنا عن العمل لك، واما من كان عندك من السابقين الاولين فهلا استعملتهم، فوالله ما وقفت لك بابًا.

فكتب اليه عمر اما بعد: فاني لست من تسطيرك وتشقيقك الكلام في شيء انكم يا معشر الامراء اكلتم الاموال، واخلدتم إلى الاعذار، وانما تأكلون النار، وقد وجهت اليك محمّد بن مسلمة ليشاطرك على ما في يدك، والسلام.

فلما قدم عليه محمّد اتخذ لـه طعامًا وقدمه إليـه، فـابى ان يأكـل، فقـال: مالك لا تأكل طعامنا؟ قال: انك عملت لي طعامًا هو مقدمة ولـو كنـت عملـت لي طعام الضيف لأكلته، فابعد عني طعامك واحضرني مالك، فلما كان من الغد احضر ماله، فجعل محمّد يأخذ شطرًا ويعطي عمروا شـطراً، فلمـا رأى مـا حـاز محمد من المال، قال: يا محمّد اقول، قال: قل ما تشاء، قال: لعن الله يومًا كنت فيه واليًا لابن الخطاب، والله لقد رأيته ورأيت أباه وان علـى كـل واحـد منهمـا عباة قطوانية مؤتزرًا بها ما تبلغ مأبض ركبتيه على عنق كل منهما حزمة حطب، وإن العاص بن وايل لفي مزررات الديباج، فقال: محمّـد ايهًـا يـا عمـرو، فعمـر والله خير منك، واما أبوك وأبوه ففي النار، والله لولا ما دخلت فيه مـن الاسـلام لألفيتك متعلقًا شاة يسرك جزرها، ويسؤك نكرها، قـال: صـدقت فـاكتم علـيّ، قال: افعل[1].

وروى الزبير بن بكار في كتاب الموفقيات عن عبد الله بـن العبـاس قـال: اني لأُماشي عمر بن الخطاب في سكة من سـكك المدينـة إذ قـال لـي: يـا ابـن عباس ما ارى صاحبك الاّ مظلومًا، فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلـت: يا أمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته، فانتزع يده من يدي ومضى يهمهم ساعة ثم وقف فلحقته فقال: يا ابن عباس مـا اظـنهم مـنعهم منـه الاّ انـه استـصغره قومـه،

١- شرح نهج البلاغة ٤٣/١٢.

فقلت في نفسي: هذه شر من الاولى، فقلت: والله ما استصغره الله ورسوله حين امراه ان يأخذ براءة من صاحبك، فاعرض عني واسرع فرجعت عنه[1].

جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب فقالت: يا أمير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وانا اكره ان اشكوه، الخبر، وقد تقدم في فصل مطاعنه.

وروى الزبير في الموفقيات عن عبد الله بن عباس قال: خرجت أريد عمر بن الخطاب فلقيته راكبًا حمارًا وقد رشمه بحبل أسود في رجليه نعلان مخصوفان وعليه ازار وقميص، وقد انكشفت منه رجلاه إلى ركبتيه، فمشيت إلى جانبه وجعلت اجذب الازار واسويه عليه، ثم ساق الخبر إلى ان قال: يا ابن عباس ان صاحبكم ان ولي أمر المسلمين اخشى عجبه بنفسه ان يذهب به، فليتني اراكم بعدي، قلت: ان صاحبنا ممن قد علمت انه ما غيّر ولا بدّل، ولا اسخط رسول الله ﷺ ايام صحبته له، قال: فقطع عليّ الكلام وقال: ولا في ابنة أبي جهل لما اراد ان يخطبها على فاطمة؟ قلت: قال الله عزّوجلّ ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[2] وصاحبنا لم يعزم على اسخاط رسول الله ﷺ ولكن الخواطر التي لا يقدر أحد على دفعها عن نفسه، وربما كانت من الفقيه في دين الله العالم بأمر الله، فقال: يا ابن عباس من ظن انه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقد ظن عجزاً، استغفر الله لي ولك، خذ في غير هذا، ثم انشأ

٢- شرح نهج البلاغة ٤٦/١٢.

٢- طه/١١٥.

يسألني عن شيء من أمور الفتيا واجبته، فيقول: اصبت اصاب الله بك، وأنت والله أحق ان تتبع[1].

قال: ابن عباس كنت عند عمر فتنفس نفسًا ظننت ان اضلاعه قد انفرجت، فقلت له: ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين الاّ همّ شديد، قال: أي والله يا ابن عباس اني فكرت فلم ادر فيمن اجعل هذا الامر بعدي، ثم قال: لعلك ترى صاحبك لها اهلاً؟ قلت: وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه، قال: صدقت ولكنه امرء فيه دعابة، ثم نقل الخبر إلى آخره، وقد تقدم[2].

ثم قال: وروى عبد الله بن عمر قال: كنت عند أبي يومًا وعنده نفر من الناس، فجرى ذكر الشعر فقال: من اشعر العرب؟ فقالوا: فلان وفلان، فطلع عبد الله بن عباس فسلم وجلس ثم ساق الشارح الخبر إلى ان قال: يعني عمر اتدري يا ابن عباس ما منع الناس منكم؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: لكني ادري، قال: ما هو؟ قال: كرهت قريش ان تجتمع لكم النبوة والخلافة فتجحفوا الناس جحفًا، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت ووفقت فاصابت، فقال ابن عباس: أيميط أمير المؤمنين عني غضبة فيسمع؟ قال: قل ما تشاء، قال: اما قول أمير المؤمنين ان قريشًا كرهت فان الله تعالى قال: لقوم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ

١- شرح نهج البلاغة ٥١/١٢.

٢- شرح نهج البلاغة ٥١/١٢.

ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾[1]، واما قولك بانا كنا نجحف فلو جحفنا بالخلافة لجحفنا بالقرابة ولكنا اخلاقنا مشتقة من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] وقال له: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[3]، واما قولك ان قريشًا اختارت فان الله يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ ﴾[4]، وقد علمت يا أمير المؤمنين ان الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت قريش، فقال عمر: على رسلك يا ابن عباس أبت قلوبكم يا بني هاشم الاّ غشًا في أمر قريش لا يزول، وحقدًا عليها لا يحول، فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغش، فان قلوبهم من قلب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي طهّره الله وزكاه، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾[5]، واما قولك حقدًا، فكيف لا يحقد من غصب شيئه ويراه في يد غيره، فقال: اما أنت يا عبد الله فلقد بلغني عنك كلام اكره ان اخبرك به فتزول منزلتك عندي، قال: وما هو؟ اخبرني به فان يك باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وان يك حقًا فان منزلتي

١- محمد/٩.

٢- القلم/٤.

٣- الشعراء/٢١٥.

٤- القصص/٦٨.

٥- الأحزاب/٣٣.

عندك لا تزول به، قال: بلغني انك لا تزل تقول أخذ هذا الامر منا حسدًا وظلمًا، قال: أما حسدًا فقد حسد ابليس آدم فاخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسودون، واما قولك ظلمًا فامير المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو،ثم قال: ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله؟ واحتجت قريش على ساير العرب بحق رسول الله صلى الله عليه وآله، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وآله من ساير قريش، فقال: عمر قم الآن فارجع إلى منزلك، فلما ولى هتف به عمر ايها المنصرف اني على ما كان راع لحقك، فالتفت ابن عباس فقال: ان لي عليك وعلى كل المسلمين حقًا برسول الله فمن حفظ حفظ لنفسه، ومن اضاعه فحق نفسه اضاع، ثم مضى، فقال عمر لجلسائه: واهًا لابن عباس ما رأيته لاحى أحدًا قط الاّ خصمه[1].

لما توفي عبد الله بن أُبي رأس المنافقين في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله جاء ابنه واهله فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله ان يصلي عليه، فقام بين يدي الصف يريد ذلك، فجاء عمر فجذبه إلى خلفه وقال: ألم ينهك الله ان تصلي على المنافقين! فقال: اني خيرت فاخترت، فقيل لي: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾، ولو اعلم اني إذا زدت على السبعين غفر له لزدت، ثم صلى عليه ومشى معه، وقام على قبره، فعجت الناس من جرأة عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يلبث الناس إذ نزل قوله ﴿ولا تصل على أحد

١- شرح نهج البلاغة ٥٢/١٢.

منهم مات ابدًا ولا تقم على قبره﴾، إلى قوله ﴿فاسقون﴾، فلم يصل بعدها على أحد من المنافقين.

وروى أبو هريرة ثم نقل حديث ارسال الرسول ﷺ بنعله يبشر من قال لا اله الاّ الله مستيقنًا بها بالجنة، وقد تقدم في فصل مطاعنه لما كتب النبي ﷺ كتاب الصلح بالحديبية ثم ساق الخبر، وقد تقدم أيضًا.

قال عمر يومًا والناس حوله: ما أدري اخليفة انا أم ملك إلى آخره، وقد تقدم أيضًا في مطاعنه.

قال المؤرخون: ان عمر أول من سن قيام شهر رمضان في جماعة وكتب به إلى البلدان، واول من ضرب في الخمر ثمانين واحرق بيت رويشد الثقفي، وكان نباذًا، وكان أول من فتح الفتوح فتح العراق كلها السواد والجبال، وآذربيجان، وكورة الكوفة، وكورة الاهواز وفارس، وفتح الشام كلها ما خلا اجنادين فانها فتحت في خلافة أبي بكر، وأول من مسح السواد وجعل الخراج على الأرض والجزية على جماجم أهل الذمة فيما فتحه من البلدان، وبلغ خراج السواد في ايامه مائة ألف ألف درهم وعشرون الف الف درهم بالواقية وهي وزن الدينار من الذهب، وأول من مصر الامصار وكوف الكوفة، وبصر البصرة وانزلها العرب، واول من استقضى القضاة في الامصار، وأول من دوّن الدواوين وكتب الى الناس على قبائلهم وفرض لهم الاعطية، وهو أول من قاسم العمال وشاطرهم اموالهم، وهو الذي هدم مسجد رسول الله ﷺ وزاد فيه وادخل دار العباس فيما زاده، وهو الذي اخرج اليهود من الحجاز واجلاهم

عن جزيرة العرب إلى الشام، وهو الذي أخّر المقام إلى موضعه اليوم وكان ملصقًا بالبيت.

وروى ابن عباس قال: خرجت مع عمر إلى الشام في بعض خرجاته فانفرد يومًا يسير على بعيره فاتبعته فقال لي: يا ابن عباس اشكو اليك ابن عمك سألته ان يخرج معي فلم يفعل ولا ازال اراه واجدًا فيم تظن موجدته قلت: يا أمير المؤمنين انك لتعلم، قال: اظنه لا يزال كئيبًا لفوت الخلافة، قلت: هو ذاك، انه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله اراد الامر له، فقال: يا ابن عباس واراد رسول الله صلى الله عليه وآله الامر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك، ان رسول الله صلى الله عليه وآله اراد امرًا واراد الله غيره، فنفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسول الله، أو كلما اراده رسول الله صلى الله عليه وآله كان، انه اراد اسلام عمه ولم يرده الله ولم يسلم.

وقد روى معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ وهو قوله ان رسول الله أراد ان يذكره للامر في مرضه فصددته عنه خوفًا من الفتنة وانتشار أمر الاسلام، فعلم رسول الله ما في نفسي وامسك وأبى الله الاّ امضاء ما حتم.

وحدثني الحسين بن محمد السيتي قال قرأت على ظهر كتاب إذ عمر نزلت به نازلة فقام لها وقعد وترنح لها وتقطر وقال لمن عنده: معاشر الحاضرين ما تقولون في هذا الامر، فقالوا: يا أمير المؤمنين: أنت المفزع والمترع فغضب وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا﴾[1]، ثم قال: اما والله اني واياكم لنعلم ابن بجدتها والخبير بها، قالوا: كأنك اردت ابن أبي طالب، قال:

١- الأحزاب/٧٠.

واني يعدل به عنه، وهل طفحت حرة بمثله قالوا: فلو دعوته يا أمير المؤمنين، قال: هيهات ان هناك شمخًا من هاشم، واثرة من علم، ولحمة من رسول الله صلى الله عليه وآله يؤتى ولا يأتي، فامضوا بنا إليه فافضوا نحوه وافضوا إليه ما قالوه وهو في حايط له عليه تبان وهو يتركل على مسحاة ويقرأ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[1] إلى آخر السورة ودموعه تجري على خديه فأجهش الناس لبكائه فبكوا، ثم سكت وسكتوا، فسأله عمر عن تلك الواقعة فاصدر جوابها، فقال عمر: اما والله لقد ارادك الحق ولكن ابى قومك، فقال: يا أبا حفص خفض عليك من هنا ومن هنا ﴿ان يوم الفصل كان ميقاتًا﴾، فوضع عمر احدى يديه على الاخرى واطرق إلى الأرض كأنما ينظر في رماد.

قلت: اجدر بهذا الخبر ان يكون موضوعًا وفيه ما يدل على ذلك من كون عمر اتى عليًا عليه السلام يستفتيه في المسئلة، والاخبار كثيرة بانه ما زال يدعوه إلى منزله أو إلى المسجد، وأيضًا فان عليًا عليه السلام لم يخاطب عمر منذ ولي الخلافة، وانما كان يخاطبه بامرة المؤمنين، هكذا تنطق كتب الحديث وكتب السير والتواريخ كلها، وأيضًا فان هذا الخبر لم يسند إلى كتاب معين ولا راو معين بل ذكر ذلك انه قرأه على ظهر كتاب فيكون مجهولاً والحديث المجهول غير المقبول، فاما ثناء عمر على أمير المؤمنين عليه السلام فصحيح غير منكر وفي الروايات منه الكثير الواسع، ولكنا انكرنا هذا الخبر بعينه[2].

١- القيامة/٣٦.

٢- شرح نهج البلاغة ٧٨/١٢.

وقد روي عن ابن عباس أيضًا قال: دخلت على عمر يومًا فقال لي: يا ابن عباس لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتى محلته رياء، فقلت: من هو؟ قال: ابن عمك يعني عليًا عليه السلام، قلت: وما يقصد بالرياء يا أمير المؤمنين؟ قال: يرشح نفسه بين الناس للخلافة، قلت: وما يصنع بالترشيح قد رشحه لها رسول الله صلى الله عليه وآله فصرفت عنه، فقال: انه كان شابًا حدثًا فاستصغرت العرب سنه وقد كمل الآن، ألم تعلم ان الله تعالى لم يبعث نبيًا الاّ بعد الاربعين، قلت: يا أمير المؤمنين اما أهل الحجى فانهم ما زالوا يعدونه كاملاً منذ رفع الله منار الاسلام ولكنهم يعدونه محرومًا محدودًا، فقال: اما أنه سيليها بعد هياط ومياط ثم تزل فيها قدمه، ولا يقضي منها اربه، ولتكونن شاهدًا ذلك يا عبد الله، ثم يتبين الصبح لذي عينين، ويعلم العرب صحة رأي المهاجرين الاولين الذين صرفوها عنه بادىء بدو، فليتني اراكم بعدي يا عبد الله، ان الحرص محرمة، وان دنياك كضلك كلما هممت به ازداد عنك بعدًا. نقلت هذا الخبر من امالي أبي جعفر محمّد بن حبيب رحمه الله [1].

ونقلت أيضًا ما رواه عن ابن عباس قال: تبرم عمر بالخلافة في آخر ايامه وخاف العجز، وضجر من سياسة الرعية، فكان لا يزال يدعوا الله ان يتوفاه، فقال لكعب الاحبار يومًا وانا عنده: اني قد احببت ان اعهد إلى من يقوم بهذا الامر واظن ان وفاتي قد دنت فما تقول في علي؟ أشر عليّ برأيك واذكر لي ما تجدونه عندكم، فانكم تزعمون ان امرنا هذا مسطور في كتبكم، فقال:

١- شرح نهج البلاغة ١٢/٨٠.

اما من طريق الرأي فانه لا يصلح انه رجل متين الدين لا يغضي على عورة، ولا يحلم عن زلة، ولا يعمل باجتهاد رأيه، وليس هذا من سياسة الرعية في شيء، واما ما نجده في كتبنا فنجده لا يلي هذا الامر ولا ولده، وان وليه كان هرج شديد، قال: وكيف ذاك؟ قال: لانه اراق الدماء فحرمه الله الملك، ان داود لما اراد يبني حيطان بيت المقدس أوحى الله اليه انك لا تبنيه لانك ارقت الدماء، وانما يبنيه سليمان، فقال عمر: أليس بحق اراقها؟ قال كعب: وداود بحق اراقها يا أمير المؤمنين، قال: فالى من يفضي الامر تجدونه عندكم؟ قال: نجده ينتقل بعد صاحب الشريعة واثنين من اصحابه إلى اعدائه الذين حاربهم وحاربوه على الدين، فاسترجع عمر وقال: اتسمع يا ابن عباس، اما والله لقد سمعت من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ما يشابه هذا، سمعته يقول: لتصعدن بنو امية على منبري هذا، ولقد رأيتهم في منامي ينزون عليه نزو القرود وفيهم انزل ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾[1].

وقد روى الزبير بن بكار في الموفقيات ما يناسب هذا عن المغيرة بن شعبة قال: قال لي عمر يومًا: يا مغيرة هل ابصرت بهذه عينك العوراء منذ اصيبت؟ قلت: لا، قال: والله ليعورن بنو امية الاسلام كما اعورت عينك هذه ثم ليعمينه حتى لا يدرى اين ذهب ولا اين يجي، قلت: ثم ماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: يبعث الله بعد مائة وأربعين أو مائة وثلاثين وفد كوفد الملوك طيبة

١- الإسراء/٦٠. شرح نهج البلاغة ٨١/١٢.

روايحهم يعيدون إلى الاسلام بصره وشتاته، قلت: من هم يا أمير المؤمنين؟ قال: حجازي وعراقي وقليلاً ما كان وقليلا ما دام[1].

وروى أبو بكر الانباري في اماليه ان عليًا عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد وعنده أناس، فلما قام عرض واحد يذكره ونسبه إلى التيه والعجب، فقال عمر: حق لمثله ان يتيه، والله لولا سيفه لما قام عمود الاسلام وهو بعد اقضى الامة وذو سابقتها وذو شرفها، فقال له ذلك القايل: فما منعكم يا أمير المؤمنين عنه؟ قال: كرهناه على حداثة سنه، وحبه بني عبدالمطلب انتهى[2].

أقول: لقد اطال الشارح كلامه في شرح هذا الاصل ونشر فيه اخبار عمر وخطبه ومواعظه، وزهده، وحكمه، وسيرته، وافعاله واقواله، وجميع ما يتعلق به مما اصطنعته له الخلافة، ونحن انتخبنا منه ما يتعلق به غرضنا في المقام، ولا يخفى انه لو كان جميع ما نقله عنه ونسبه إليه هنا من الزهد والحكم والبلاغة والموعظة وامثالها من سجايا عمر واخلاقه وملكاته لنا في ما اتصف به من الغلظة والشدة وتعدي الحدود الشرعية في الجرأة على الناس من غير ذنب كما عرفت سابقًا وستعرف لاحقًا، وهذا الشارح قد اعترف في غير موضع مما قدمناه بانه مجبول على الشدة والغلظه لا يستطيع الحود عنها، ومن المعلوم انها لا تجامع التخلق بما نقله عنه عما ذكرناه، وأيضًا فلو كان ذلك من اخلاقه وطبايعه فلم لم ينقل منه شيء قبل الخلافة كما وصف به علي عليه السلام باتفاق

---

١ - شرح نهج لبلاغة ١٢/٨٢.

٢- شرح نهج البلاغة ١٢/٨٢.

الخاص والعام، ومن الظاهر ان ذلك كله انما هو مما اصطنعته له الخلافة وزورته له الاموية وغيرها في مقابلة حكم علي عليه السلام وزهده وخطبه وفصاحته وبلاغته ونحوها.

قال السيد الزاهد العابد المجاهد رضي الدين علي بن طاووس الحسني الحقه الله تعالى باجداده الطاهرين في اعلى عليين ما هذا لفظه: ومهما وجدت في الكتب شيئًا منسوبًا إلى أبي بكر وعمر واعداء علي عليه السلام من الآداب والحكم والخطب والمواعظ فاعلم انها موضوعة وليست من الفاظ اولئك المتغلبين، فان أكثرها نسب اليهم في أيام معاوية وابنه يزيد وايام بني أمية، وما كان منها في ايامهم فهي من أهل الكتابة والخطابة من الصحابة الذين لهم عادة بالاصابة، لان أبا بكر وعمر وعثمان ما عرفنا ابدًا منهم في الجاهلية مقامًا ولا مقالاً يقتضي تصديق نسبة الفصاحة اليهم، ولا كانوا من أهل هذا القبيل، ولا عول فيها احد عليهم، فالعادة جارية في مثلهم ممن لم يعرف الفصاحة أوقات ولايتهم انهم يستخدمون منشيء المكاتبات والجوابات كما ترى لملك من أمراء الترك عند ولايتهم كتبًا وجوابات منسوب اليهم، ومن المعلوم ان نوابهم واصحابهم عولوا في انشائها عليهم، واما ما يتعلق بالخطب والحكم فان بني أمية لما تظاهروا بلعنهم أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر تقرب الطالبون للدنيا اليهم بوضع المناقب والفضايل لكل عدو له عليه السلام من الاواخر والاوايل تقية أو طلب الأمور الدنيوية، وحسدًا له على الشرف بالسعادة السوية، انتهى[1].

١- كشف المحجة لثمرة المهجة/٧٤.

أقول: ويؤيده ما تقدم في غير مقام من بيان كذبهم في احاديثهم ولا سيما كلام التوحيدي الزنديق كما اعترف به الشارح وشيخه النقيب، وكيف كان نردف ما نقلناه في هذا المكان لما يكشف عنه نقاب الابهام، ويوقع هذا الضال واصحابه في مضيق الالزام.

فنقول أولاً وبالله سبحانه الاعانة لادراك المأمول وانجاح المسؤل: ان عمر بعد جلوسه على سرير الخلافة وانقياد العامة له والمكافاة لم تبرد حرارة صدره من بغض أهل البيت عليهم السلام ولم يشف غليله ما ارتكبه في حقهم من الظلم والاهتضام والانتقام حتى صار ايام خلافته يتنقص عليًا عليه السلام بين الناس، ويطعن فيه عند اولئك النسناس، ويحط من علي قدره العلي، ويسعى في اطفاء نور بدره المضي، ويجعل ذلك في قالب اعتذار وله لياقة للخلافة ليشرب قلوب الناس عدم الانقياد إليه عليه السلام لو أفضت له بعد تلك الايام، ويكرر ذلك في مقام بعد مقام والاّ فهذا أبو بكر قد تصدر قبله وفعل بعلي عليه السلام ما فعل في أول الأمر مثله ثم بعد ذلك لم ينقل عنه كلمة واحدة من امثال هذا الكلام في حقه عليه السلام وكذا غيره من اولئك الصحابة الذين ساعدوهما وعاضدوهما في كل مقام وهذه الكلمات كلها لم تجر الاّ على لسانه وان تقوّل بعضًا منها على لسان الغير، ولولا ما جبل عليه قلبه واستحكم في صدره من النفاق والبغض له عليه السلام الذي هو مظهر ذلك الاتفاق لما تكررت منه هذه الاقوال مع انقياد علي عليه السلام اليه وصيرورته ذليلاً ينقاد بين يديه، وعدم وجود سبب حامل له على ذلك سوى ما ذكرناه لنحمل عليه هذا الكلام فينقطع عنه به العتب والملام والاّ

فما هذا الرجل المرجَل الذي يغلي به صدره فلا يستطيع ستره، والغل الذي في قلبه وقد اخذ بمجامع لبه ما بين ان ينسبه إلى التيه والعجب تارة، وبين ان ينسبه إلى الرياء في عبادته أخرى، وبين ان يتعلل في عدم لياقته للخلافة بان فيه دعابة، وبين ان ينسبه إلى انه يجحف بالناس لو ولي الخلافة، وبين ان يذمه بحبه بني عبد المطلب، وبين ان يتعلل بان في خلافته فساد الاسلام مع اعترافه بانها كانت مرادة لرسول الملك العلاّم، وانه أراد التصريح في كتابه الذي اراد ان يكتبه لهداية الانام، وبما ذكرناه يظهر لك ما في كلام الشارح فيما تقدم من نسبته كل كلمة من هذه الكلمات إلى قوم تحاشيًا عن اسنادها كلها إلى عمر الذي ربت منكراته على عدد الشجر والمدر.

إذا عرفت ذلك فنقول: انه لا بد من الكلام على هذه الاخبار التي نقلناها في المقام خبرًا خبرًا، وشرح ما اشتملت عليه ظاهرًا نيرًا.

فنقول: اما الخبر الأول: فقول عمر فيه ان قومهم كرهوا ان تجتمع لهم النبوة والخلافة فيه:

أولاً: ما سيأتي في الخبر الآخر عن ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾ من جوابه له بالآية وانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم.

وثانيًا: انا لم نر من كشف القناع عن هذه الكراهة وهو الذي قام وقعد وصوب نظره وصعد في دفع علي عليه السلام عن هذا المقام في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعد موته كما تقدم مفصلاً موضحًا، وقد صدقت الآية المذكورة عليه

بمقتضى اعترافه في هذه الاخبار بانه الذي صد النبي صلى الله عليه وآله عن التصريح باسمه في ذلك الكتاب ومنعه بل قابله باقبح الخطاب.

واما قوله انهم يذهبون في السماء شمخًا وبذخًا، أي تكبرًا وتجبرًا، فهو من اقبح الذم له عليه السلام ونحن نقول لهذا الشارح الضال وامثاله من اصحابه اولي الضلال انهم اما ان يكون عمر عندهم صادقًا فيما قذف به عليًا عليه السلام من التكبر والعجب والرياء في عباداته أو كاذبًا قد افترى زورًا، والاول ينافي ما وصفوا به عليًا عليه السلام وبالغوا به في تفضيله والاطراء عليه كما تقدم ويأتي، والثاني ينافي اتخاذهم له امامًا وأي امام الآن يلتزموا عدم العدالة في امامتهم التي اعتمدوها وخلافتهم التي عقدوها، وان الفسق لا ينافيها بل لا علاج لهم عن اعتباره فيها.

واما قوله ان أبا بكر لم يقصد تأخيرهم ولكنه حضره أمر إلى آ خره.

ففيه أولاً: انه من أبو بكر في ذلك الوقت من بين ساير المسلمين! حتى انه حضره أمر لم يكن بحضرته احزم مما فعل، أرأيت انه مأمور من الله أو رسوله بالتعدي لنظم أمور الدين أو انه اشرف الخلق وافضلهم بعد رسول ربّ العالمين لتكون له مرتبة التصدي لأمور المسلمين بل غيره في ذلك الوقت من سائر الصحابة من هو أشرف منه نسبًا واعلى رتبًا واظهر فضلاً واعظم نبلاً، وهذا الاسم والصيت له انما حدث بتقمصه الخلافة كما لا يخفى على من سلم ذهنه من الآفة.

وثانيًا: انه لو كان أبو بكر من المؤمنين بالله ورسوله لشغله الحزن على ذلك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والبكاء عليه عما فعله يومئذ، ولكان الواجب عليه في أول مسارعته إلى السقيفة ان ينكر على الانصار ويزري عليهم ويوبخهم ويقول يا هؤلاء ألم يشغلكم حزن الرسول وموت نبيكم، وها هو مطروح على فراشه لم يدفن وقد تصديتم لنصب محله ومرتبته، والواجب علينا وعليكم هو الاجتماع لتجهيزه والصلاة عليه ودفنه وتعزية اهل بيته ثم الاجتماع مع أهل بيته والمشورة معهم في هذا الامر، أرأيت ان الانصار كانوا يردون هذا الكلام عليه ولا يقبلونه منه ومع فرض انهم لا يقبلونه فلينازعهم بعد ذلك في الخلافة، ونحن نعلم حتمًا لا يداخله الريب، ونجزم جزمًا لا يختلجه العيب، كما قدمنا تحقيقه ان الانصار انما سابقوا إلى عقد الامر لهم لما علموه في ذلك من تمالي قريش واتفاقهم على صرف الأمر عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ والاّ فالانصار اسلس انقيادًا له عَلَيْهِ السَّلَامُ من العبد لمولاه كما تقدم في حديث سعد بن عبادة.

واما قوله: انهم ينظرون اليكم نظر الثور إلى جازره، فان فيه انا لم نر من كشف عن وجهه النقاب في عداوة أهل بيت النبي الاطياب سواه من جميع الابواب، ومن عداه فانما هم من التبع والاذناب، واما حديث الشاب الانصاري وحديث المغالاة في المهور فقد تقدم الكلام فيها في مطاعنه، واما حديث ابن عباس وما تضمنه من أكل عمر صاعًا من تمر على خصفة اظهارًا للزهد في الدنيا والرغبة عنها فهو عندنا محتمل امرين لا ثالث لهما في البين:

أحدهما: ان ذلك من شيطنته وحيله للتوصل إلى الادغال في الدين والافساد الذي اوقعه بشريعة سيد المرسلين، فان الناس متى رأوا منه حرم نفسه الدنيا ولذاتها يستبعدون انه يحمل نفسه على حرمان الآخرة، فيحملون جميع بدعه في الدين وتخريبه لشريعة سيد المرسلين على وجوه يتأولونها له.

وثانيهما: الاكتفاء بلذة الملك والرياسة كما قيل:

لقد صبرت عن لذه العيش انفس وما صبرت يومًا عن الامر والنهي

والاول وجه باطني لا يفهمه الأ الحاذق المكين، والثاني ظاهري لساير الناظرين، ثم انظر إلى ما تضمنه سؤاله ابن عباس انه هل بقي في نفس علي شيء من أمر الخلافة فانه من ذلك الغل الذي يهيج به صدره ويضيق به ذرعه، فيريد ابرازه في هذه القوالب، وانظر إلى جواب ابن عباس له باخباره ان عليًا عليه السلام يدعي ذلك، وزيادة ابن عباس انه سأل اباه عن ذلك فقال صدق علي عليه السلام، وجواب عمر له وقوله في رسول الله صلى الله عليه وآله يزيغ في أمر علي عليه السلام وقتًا ما، أي يميل عن الحق.

قال في القاموس: والزيغ الشك والميل عن الحق. ولا معنى للشك هنا فيتعين الثاني.

فانظر إلى ما في هذا الخبر من العظائم والطوام وإلى نقل علمائهم له الذين هم اضل من الانعام، وتجاوزهم عما فيه وتغميض العين عن معانيه، فمن ذلك دلالة على النص ودعوى علي عليه السلام وشهادة العباس له وانكار عمر له،

فهل يراد من طرف الخصم وطريقه اوضح من هذا، فكيف ينازع هذا الشارح في عين موضع مما تقدم ويأتي وجود النص مع انه يقدح بانه على جادة التقوى والعفاف والتسمك بذيل الانصاف ومجانبة التعصب والاعتساف، ومنه نسبة الرسول صلى الله عليه وآله إلى الزيغ في حق علي عليه السلام والخروج عن الحق، وهو كفر محض بلا خلاف، ومنه اعترافه بان غرض الرسول صلى الله عليه وآله من كتابة ذلك الكتاب انما هو التصريح بالنص على علي عليه السلام وانه منعه من ذلك، ومن المعلوم ان الرسول الذي قال سبحانه في حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1] لم يرد كتابة ذلك الكتاب الاّ بأمر الله سبحانه وتعالى له به حيث انه صلى الله عليه وآله صرح بان ذلك الكتاب يكون منجيًا لهم من الضلال فهو من الأمور الدينية والتكليفات الربانية، وحينئذ فيكون عمر قد خالف الله ورسوله وزاد على ذلك بما قابل به الرسول في وجهه من ذلك الجواب القبيح، وقد عرفت فيما تقدم جملة من الآيات الدالة على كفر من شاق الرسول ونازعه وخالفه فيما يفعل ويقول، وستأتيك قريبًا ان شاء الله تعالى في المقام، ومنه دعواه الشفقة والحياطة على الاسلام زيادة على الرسول صلى الله عليه وآله الذي لقى في تقويم هذا الدين من المعاندين والجاحدين والدعوة اليه من الشدايد والمكايد من قريش في مكة أوّلاً حتى هموا بقتله بعد تقصده بانواع الاذى، وما كابده في غمرات الحروب وصبر عليه من المحن والكروب والعظائم والخطوب ما هو مشهور في كتب السير والتواريخ، أرايت ان مثل هذا الكلام في التجهيل

١- النجم/٣-٤.

للرسول ﷺ والطعن فيه يقع ممن له ادنى تمسك بذيل الاسلام، واين كانت حياطه هذا المتكلم يوم يولي الادبار في خيبر وحنين واحد ويفر من الزحف أي فرار، اف لعقول تقبل هذا الكلام وتعد انفسها من أهل الاسلام، وهي أضل من الانعام، وقوله لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش إلى آخره، فهو مستند للشارح واصحابه فيما ذكروه من العذر لتقدم خلفائهم، وليت شعري كيف يصدق عمر في ذلك مع ما تضمنه خبره مما يوجب لقائله المهالك كما شرحناه، وكيف يرجح جانب عمر على جانب الرسول فضلاً عن علي عليه السلام الذي تضمن خبره انه كان يدعي النص عليه، اللهم الاّ ان يكون عمر هو النبي الحقيقي دون ذلك النبي، وهو كذلك عندهم ان كنت تفهم وتعي.

اما قوله فعلم رسول الله ﷺ اني علمت ما في نفسه إلى آخره.

ففيه أولاً: انه كان عالمًا بانه رأس ذوي النفاق ومقدام المخالفين عليه والساعين في عدم الانقياد اليه والوفاق، وعالمًا بما يصدر منه بعده ويصير من التبديل والتغيير ولكنه انما فعل جميع ذلك لمزيد الحجية عليهم والاستظهار بين يدي العليم الخبير ومن اليه الأمور تصير، وامساك الرسول ﷺ انما لقبح ما جبهه به من ذلك الخطاب الفضيع الشنيع الذي لا يقع إلاّ من متمرد في العصيان غير منقاد لله سبحانه ورسوله ولا مطيع، ووقوع الجدال والنزاع عنده وارتفاع الاصوات وهو في تلك الحال في حياض الممات، وليس حينئذ الاّ السكوت أو تجريد السيف والامر بقتل المخالف، والثاني مما لا سبيل اليه في ذلك الوقت.

وثانيًا: ان الذي امضاه الله سبحانه في حقه وحق من تابعه هو ما امضاه في الامم السالفة من الفتن والابتلاء ولا سيّما بني اسرائيل الذين قد شبههم الرسول ﷺ بهم وقال انهم يتبعونهم حذو النعل بالنعل حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلوا مثلهم.

واما حديث ان عمر إذا استعمل عاملاً كتب عليه كتاب إلى آخره، ففيه انه كيف لم يكتب على معاوية مثل هذا الكتاب أو كتب عليه ولكن سمح له بالمخالفة في هذا الباب لما عرفت من اخبارهم المتقدمة في الاجزاء السابقة الدالة على تلقي معاوية لعمر لما دخل الشام في موكبه العظيم ولباسه وقول عمر هذا كسرى العرب اطراء له وتفخيمًا لشأنه بين السامعين، وما اعترف به معاوية من اغلاق بابه دون حوائج المسلمين وتنعمه في المأكل واللبس زيادة على المترفهين وامثال ذلك مما تقدم، فما سر هذه الخصوصية في معاوية دون غيره من امرائه وولاته لولا ما قدمنا ذكره وشرحنا خبره.

واما حديث نصر بن حجاج ففيه من غرائب التدبير والحكم وطريقها ما يقضى منه العجب، وأي شرع اباح مؤاخذة من لا ذنب له ولا تقصير بان يُغرَّب عن اهله ووطنه ويعذب بعذاب المحارب لله ورسوله، وينفى من بلد إلى آخر ويمثل به لاجل تمني امرأة له، وينفى عن دار مهبط الوحي على غير ريبة، وليت شعري هل اعتقد ان فتنة نساء أهل البصرة به حلال دون نساء أهل المدينة التي اخرجه منها خوف افتتان نسائها به، او ان نساء أهل البصرة ذوات دين وعفاف زيادة على نساء أهل المدينة، اعتبروا يا أولي الابصار، واعجب

من ذلك جعل هذه منقبة وفضيلة لعمر يتناقلها الناقلون ويفتخر له بها المفتخرون، وانا لله وانا اليه راجعون.

واما حديث عمرو بن العاص وما جبه به عمر من الجواب والتعريض بامه فقد رواه جمع منهم، قال الزمخشري في الفايق: ان عمرواً قال لعمر: والله ما تأبطتني الاماء ولا حملتني البغايا في غبرات المآلي، ثم بعد ان فسر الغريب منه قال: نفى عن نفسه الجمع من سبتين أحدهما ان يكون لبغية والثانية ان يكون محمولاً في بقية حيضة، انتهى[1].

وقال ابن الاثير في النهاية في باب الهمزة مع الباء، ومنه حديث عمرو بن العاص قال لعمر: اني والله ما تأبطني الاماء أي لم يحضنني ويتولين تربيتي، انتهى[2].

وقال في باب الغين مع الباء ومنه حديث عمرو بن العاص ولا حملتني البغايا في غبرات المآلي، أراد انه لم يتول الاماء تربيته، المآلي خرق الحيض أي بقاياها[3].

وقال في باب الميم مع الهمزة في حديث عمرو بن العاص: اني والله ما تأبطتني الاماء ولا حملتني البغايا في غبرات المآلي، المآلي جمع مئلات على وزن سعلاة، وهي هنا خرقة الحايض، وهي خرقة النائحة أيضاً، يقال آلت

١-الفايق في غريب الحديث ١٧/١، شرح نهج البلاغة ٣٩/١٢.

٢-النهاية في غريب الحديث ١٩/١.

٣-النهاية ٣٣٨/٣.

المرأه ايلاء إذا اتخذت مئلاة، وميمها زائدة، نفى عن نفسه الجمع بين سبتين ان يكون لزنية، وأن يكون محمولاً في بقية حيضة، انتهى[1].

وقال في باب الطاء مع الراء، ومنه حديث عمرو البيضة منسوبة إلى طرقها، أي إلى فحلها، انتهى[2].

ومما ذكرنا ونقلنا عن هذين الفاضلين يظهر ان عمروًا لما نفى عن نفسه الجمع بين هذه الرذايل في هذا المقام افتخارًا على عمر فقد اثبتها له على ابلغ وجه وأوضحه، فما ذكره الشارح هنا ونقله عن شيخه النقيب من ان فحواه الافتخار بالبعض يوجب جعل ذكر البعض الآخر عبثًا فيحصل في الكلام من التفكيك وعدم الالتئام والانتظام ما هو خلاف المعروف من محاوراتهم وعاداتهم، والمعلوم من مذاهبهم في الحانهم ومحاوراتهم، وهذا ظاهر للعارف باساليب الكلام كما اعترف به الفاضلان المذكوران.

وقول عمر: ان الدجاجة لتفحص إلى آخره، صريح فيما ذكرناه ليطابق المثل الممثل، واعتراف مما نفاه عمرو عن نفسه والاّ لما كان لقوله فتضع لغير الفحل معنى، ولكن الشارح لمزيد تعصبه لامامه لم ينقل الخبر كما هو بل حذف لفظ البغايا في رواياته، وهو كما سمعت من نقل الزمخشري وابن الاثير موجود في الرواية، وهو محل الطعن على عمر بانه من زنى، لان البغي هي الزانية، ثم ان في هذا الخبر وامثاله مما بعده وغيره اوضح شاهد على بطلان ما

١- النهاية ٢٩/٤.

٢- النهاية ١٢٢/٣.

تمسك به الشارح واتخذه عذرًا لجراءات عمر على الرسول ﷺ من انه جبل على الغلظة والفظاضة فلا يستطيع العدول عنها، واين تلك الحيلة في امثال هذه المقامات التي حكاها مع ان هؤلاء قد قصدوا اهانته والخفة به وتصغير قدره، وهذا محل الفظاضة لو لم تكن جبلة، فكيف زالت تلك الجبلة في المحل الذي تقتضيه وحصلت في محل لا تجوز فيه مثل حديث الكتاب وحديث ارسال ابي هريرة بالبغلين، وحديث الصلاة على ابن أُبي المنافق وامثالها التي لا تعلق لشيء منها بعمر بالكلية، فكيف حصلت تلك الجبلة في رد اوامر الرسول ﷺ ومعارضاته، وانتفت في هذه المواضع لولا النفاق الذي جبل عليه.

واما حديث اخذ مال أبي هريرة لما ولاه البحرين فظهر له مال زايد على ما عينه له، وكذلك مشاطرته لعمرو بن العاص ماله، ومثله أبو موسى الاشعري وغيرهم ما اعرضنا عن الاطالة بنقله ففيه:

أولاً: انه في أي كتاب او سنة جواز اخذ اموال المسلمين بمجرد التهمة والظنة، ولو جاز فتح هذا الباب وان كل من ظهر له مال لا يعرف له وجه ولا سبب من الاسباب وان كان في محل التهمة والارتياب لم يختص ذلك بالعمال لاشتراك العلة المسوغة في هذا المجال.

وثانيًا: انا لو سلمنا ذلك فمن اين يجوز له جعل ذلك في بيت المال ان وصفه فيه، ومن اين علم ان ذلك من الخيانة في مال الخراج، فلعله كان من ظلم عماله للرعية أو من الرشا والبراطيل التي يأخذونهما على الاحكام أو نحو ذلك من الاسباب، فان من ليس له عدالة تمنعه من الخيانة في الخراج تجوز

عليه هذه الأمور، فبأي وجه استجاز صرف هذا المال الحرام يقينًا في مصارف بيت مال المسلمين أو اختصاصه به، ان كان كذلك.

وثالثًا: انا لو سلمنا ما ظنه من الخيانة في الخراج بخصوصه فمن اين جاز له الاقتصار على النصف دون الجميع، لانه كما يدل عليه كلامه لأبي هريرة كان يعلم حالهم قبل العمل له وقد عين لهم رزقًا في مدة عملهم لكل سنة أو شهر شيئًا معينًا، فالواجب عليه بعد ان يحسب لهم مؤنتهم ورزقهم الذي عينه لهم ان يأخذ ما بقي زائدًا على ذلك في ايديهم، فكيف اقتصر على النصف خاصة كما شرحه الشارح في حديث عمرو بن العاص، ومثله أبو موسى الاشعري وكان عامله على البصرة.

ورابعًا: انه مع ظهور الخيانة من هؤلاء العمال ومشاطرته لهم تلك الاموال كيف جاز له اقرارهم على اعمالهم مع ظهور خيانتهم، فانه قد اقر عمرو بن العاص على مصر ولم يعزله، وكذلك أبا موسى الاشعري على البصرة، أليس العدالة عنده شرطًا في الولاية على المسلمين والقيام فيهم بأمور الدنيا والدين، لان الوالي حاكم في اموالهم ودمائهم وفروجهم، وهل يسوغ في شرعه تفويض ذلك إلى الفساق، ان هذا جميعه لمن العجايب التي تضيق بها الآفاق، واعجب من ذلك افتخار اوليائه بهذه الفعال الخارجة عن جادة الاعتدال وشريعة الملك المتعال كما تقدم في كلام الشارح الضال من مدحه له بذلك وثنائه عليه بانها من احسن السير، واعظم من ذلك ان هذا عمرو بن العاص الذي كفره ونفاقه مدة عمره في هذه الاعصار المتأخرة كما اعترف به الشارح

ونقله عن اصحابه في غير موضع من هذا الشرح، فكيف خفي على عمر حتى يوليه أمور المسلمين ويحكّمه في دينهم ودنياهم ومثله هنا يأتي القول في معاوية، اللهم الاّ ان يقال ان هذه الجداول والانهار انما جرت من تلك العين المملوة بالاكدار والاقذار، وحينئذ فلا يحتاج إلى الجواب والاعتذار.

وخامسًا: انه مع فعله بعماله هذه الأمور كيف لم يفعل مثله بمعاوية مع ما ظهر له منه من المال والخدم والموكب العظيمة كما تقدم بل انما يثني عليه ويمدحه ويقول انه كسرى العرب، ام تظن ان معاوية كان اتقى وانقى عند الله وخلقه فلا تتطرق إليه التهم، كلا ثم كلا ولكن هذا سر العهد الذي تقدم نقله في الفوايد الملحقة بالمقدمة.

واما حديث الزبير بن بكار عن ابن عباس ففيه ان قول عمر لابن عباس ما ارى صاحبك الاّ مظلومًا من قبيل ما قدمنا ذكره وابدينا نشره مما يضيق به صدره، ويغلي به قدره، من البغض الذي لا يستطيع ستره، فيبرزه في هذه القوالب، ويثلبه عليه بهذه المثالب والاّ فما الموجب لافتتاحه هذا الكلام الذي لا يؤثر الاّ توغر القلوب والخواطر من غير سبق ما يقتضيه في تلك المحاضر، ثم انظر إلى ما جبهه به عن ابن عباس من الجواب الذي ألجم فاه، ثم انه أليس لهذا الشارح الضال واصحابه الناسجين على ذلك المنوال فكر وروية في تدبر هذه الاخبار، أليس هذا الخبر صريح في ظلم عمر له عليه السلام بأخذ الخلافة، فكيف يحملون تظلماته عليه السلام وشكاياته على مخالفة الاولى والاحق، وعمر هنالك لم ير له جوابًا لابن عباس حيث جبهه بقوله فاردد إليه ظلامته والاّ

الاعتذار بانه استصغره قومه مع أنه هو الذي استصغر عظيم قدره وطمس نير بدره مما لا يسمن ولا يغني من جوع، ثم انظر إلى جواب ابن عباس له ثانيًا بانه لو كان عذرًا في العذول عنه مع النص عليه لما رشحه الله تعالى ورسوله لعزل أبي بكر عن اداء سورة البراءة وتوليها بنفسه.

واما حديث المرأة التي جاءت تشكو إليه زوجها فقد تقدم الكلام فيه في فصل مطاعنه.

واما حديث الزبير بن بكار عن ابن عباس أيضًا ففيه ان ما تضمنه من لباس عمر ومركوبه فقد تقدم ذكر وجهه، واما تضمنه من وصف عمر لعلي عليه السلام بالعجب حتى انه يخاف عليه من عجبه بنفسه ان ولي الخلافة ان يذهب به فهو من قبيل ما قدمنا ذكره من البغض الذي ملأ صدره فلا يزال يهيج به مراره، ولا يقر له قراره، ثم انظر إلى ما جبهه به ابن عباس من الاشارات الظاهرة التي عناه بها من التغيير والتبديل واسخاط الرسول صلى الله عليه وآله في حياته، واما ما قطع به كلام ابن عباس من نسبة علي عليه السلام إلى خطبة ابنة ابي جهل فقد تقدم الجواب عنه في آخر الجزء الرابع وان المروي في بعض أخبار أهل البيت عليهم السلام ان منشأ ذلك انما هو أبو بكر وعمر حيث مشيا إلى فاطمة عليها السلام واخبراها بذلك قصد الفتنة بينها وبين علي عليه السلام ولهذا ابن عباس اجابه هنا بجواب اقناعي على طريق المجاراة والمماشاة، ثم انظر إلى قوله بعد استفادته من ابن عباس انت والله أحق ان تتبع، فانه إذا كان ابن عباس الذي هو تلميذ

علي عليه السلام أحق ان يتبع، فكيف تقدم هو وصاحبه عليه وعلى استاذه، وهما في الجهل بالاحكام اضل من الانعام.

واما حديث ابن عباس الآخر وما نقله عن عمر من نسبة علي عليه السلام إلى الدعابة وانه قد ذمه بذلك وعابه فهو من قبيل ما تقدم من مخزونات صدره الدالة على النفاق، وبغضه لامام الآفاق، والاّ فما الموجب لهذه الكلمات وعلي عليه السلام قد اعطاه زمام الوفاق، وحاد عن النزاع له والشقاق.

واما حديث عبد الله بن عمر فقد تضمن من الطرائف والعجايب ما هو اظهر من هالة القمر وان أغمض عينه عنها هذا الشارح الضال الضيق المخرج عليه في هذا المجال، ثم انظر رحمك الله وتأمل إلى مراوغة عمر عن اجوبة ابن عباس فكل ما الجمه بالجواب عدل إلى محل آخر كالطاير الذي يطير من غصن إلى آخر خوف قبضه وصيده، وحينئذ فلو كان ما يدعيه الشارح واصحابه من انكار النص حقًا فلم لا انكره عمر، وكيف لا يرد على ابن عباس حين جبهه بقوله وقد علمت يا أمير المؤمنين ان الله أختار من خلقه لذلك من اختاره، وقوله له كيف لا يحقد من غصب شيئه ويراه في يد غيره، وقوله له واما قولك ظلمًا فامير المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو، فكيف لم ينكر جميع ذلك عمر كما انكره هؤلاء الضلال الذين ينبون دينهم على الضلال، أليس هذا من أوضح الادلة على وجود النص، وهل يراد من طرف الخصم ما هو اوضح من ذلك واصرح مما هنالك، فاذا كان عمر الذي هو العاقد لتلك البيعة وما يتبعها من الأمور الشنيعة لم يتفوه بالانكار كما اشتملت جملة هذه

الاخبار، فكيف لا يكون حجة للشيعة فيما قذفوهم به بما ارتكبوه في حق امام الابرار، وكيف يقابل هؤلاء الذين يعدون انفسهم من العلماء بالصد عن ذلك والاستكبار الاّ انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن النظر والاستبصار، فلم لا تعرض هذا الشارح الذي يزعم في غير مقام عدم وجود النص بالجواب عن ذلك بل سيأتي كلامه بالاعتراف بذلك ومع ذلك يصدر[1] في غير هذا الموضع ويقابل بالانكار.

واما قول عمر واهًا لابن عباس ما رأيته لاحى احدًا إلى آخره.

ففيه: انه لا ريب ان الحق يدفع الباطل ويجعله ممحوقًا، ﴿جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقًا﴾، ثم ما ادري كيف صار هذا الشارح الضال انما يعتمد في الاعتذار لخلفائه عن تقدمهم على أمير المؤمنين عليه السلام بان العرب لا تطيعه وانه بخلافته عليه السلام يقع في الاسلام ما لا يقبل الالتئام وهو وان كان أحد أعذار عمر وتعليلاته لكن أكثر تعليلاته واعذاره كما في أكثر هذه الاخبار وغيرها أيضًا انما هو الجحف بالناس والشمخ الذي هو عبارة عن العجب والتكبر والتيه على الناس، فاذا كان هذا امامه الذي يدين الله بامامته ويعتقد فرض طاعته ويقلده في احكامه وشريعته فلم لا يقلده ويتبع كلامه، فانه الامام المطاع والواجب الاتباع بالاجماع، فما هذا المذهب السخيف والدين الواهي الضعيف، إذ لا ريب عند جميع اصحاب الملل والاديان فضلاً عن من اتصف بصفة الايمان ان كل من قال بامامة امام وجب عليه اتباعه في أقواله

١- في (ح) يصد .

وأفعاله، فكيف ساغ له العدول عنه في هذه الاقوال، وان كان يكذبه ويضلله في هذه الاقوال، فكيف جاز له ان يتخذه امامًا ويقلده في ساير احكامه وفتاويه، فان كلماته المذكورة هنا لا تقبل ما يتمحله في غير مقام من التأويلات الباردة والاحتمالات الشاردة، أف له من مذهب خرب، ودين مضطرب.

واما حديث عبد الله بن أبي الذي وصفه بانه رأس المنافقين، ففيه: ان رأس المنافقين انما هو من ترتب على نفاقه خراب الدنيا والدين في جملة الاعوام والسنين كما اوضحناه سابقًا واعترف به الشارح وجملة من اصحابه، وتقدم أيضًا في كلام معاوية فيما اوقعه عمر في الشورى من الدغل الذي أوقع به الفتن والحروب إلى آخر الدنيا، والاّ فنفاق عبدالله بن أبي لم يتعد إلى غيره منه أثر ولا ضرر، فعمر حينئذ هو الاولى بالتسمية برأس المنافقين[1] لما عرفت بما ترتب على نفاقه من خراب الآفاق، وقد تقدم الكلام على مثل هذا الحديث في مطاعنه ولكن هذا الخبر غير ذلك، فلذا نقلناه هنا بطوله.

ثم انظر إلى ما تضمنه الخبر من هذه الجرأة التي لا تصدر من الكفار لانهم وان اخذتهم العزة بالاثم عن الدخول في هذا الدين والاستكبار الاّ انهم انما يرونه صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه بعين الهيبة والوقار، أرأيت أن عمر كان شريكه في النبوة أو ناظرًا عليه من جهة الله سبحانه، فلا يجوز له ان يصدر أو يورد الاّ عن اختياره، والعجب من افتخار أوليائه له بنزول تلك الآية عقيب فعله بان نزولها كان

١- في (ح) النفاق .

تصديقًا لحقية عمر المستلزم لتخطئة الرسول صلى الله عليه وآله فيما فعله وتعمى عيون بصائرهم عن الآيات المستفيضة الناصة على ان مخالفة الرسول في كل ما يأمر ويقول كفر محض ومشاقته ومجادلته موجبة للإرتداد عن الاسلام والاستحقاق لمزيد العذاب والآلام، وسيأتيك جملة وافرة منها في هذا المقام، ولم يعلموا لمزيد جهلهم ان ذلك ان كان كذلك انما هو نسخ لحكم كان سابقًا، هذا والمروي من طريق أهل البيت عليهم السلام الذين هم ادرى بما فيه، واعلم بباطنه وخافيه، انما يدل على ان الآية قد نزلت قبل ذلك، وان عمر انما عارض الرسول صلى الله عليه وآله بقبيح فعله وسوء ادبه وجهله لاجل نزول تلك الآية المذكورة، ولم يعلم لمزيد حماقته وجهله ان صلاة الرسول عليه انما كانت دعاء عليه لا له.

روى ثقة الاسلام الكليني ﴿عطر الله مرقده﴾ في جامعه الكافي بسنده إلى الصادق عليه السلام قال: لما مات عبد الله بن أبي سلول حضر النبي صلى الله عليه وآله جنازته فقال له عمر: ألم ينهك الله ان تقوم على قبره؟ فسكت، فقال: يا رسول الله ألم ينهك الله ان تقوم على قبره؟ فقال: ويلك وما يدريك ما قلت، اني قلت: اللهم احش جوفه نارًا واملأ قبره نارًا واصله نارًا، قال أبو عبدالله عليه السلام: فابدا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان يكره[1].

والقوم لحيرة فكرهم في اصلاح هفوات عمر وتعدياته وقبائحه التي

---

١ – الكافي ١٨٨/٣، باب الصلاة على الناصب، ح١، البحار ١٢٥/٢٢، التهذيب ١٩٦/٣.

ربت على عدد الشجر والمدر قد صوروا هذا الحديث المضطرب الذي لا يخفى اضطرابه وتناقضه على كل متأمل فيه بعين البصيرة، وناظر فيه بمقلة غير خسيرة وذلك:

أولاً: ان عمر قال ألم ينهك الله فهو دليل على تقدم النهي ولم يرد النهي الاّ في هذا الآية، فهو دليل على تقدمها، فكيف يتم دعوى نزول الآية بعد فعله حتى تجعل منقبه له.

وثانيًا: ان نقلهم عن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في حديثهم انه خير بين الاستغفار لهم وعدمه، وانه اختار الاستغفار لهم، مدفوع بانه كيف يختار الاستغفار لهم مع قوله سبحانه ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، وظاهره ان ذكر السبعين انما خرج مخرج التمثيل والمبالغة في الكثرة، وقوله تعالى في سورة المنافقين ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾[1]، ويؤكد ذلك قولهم في حديثهم ولو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت، فانه واضح في كون الرسول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ يعلم انه لا يغفر له باستغفاره، فكيف يختار ذلك على ان مساق الآيتين المذكورتين انما هو في الاستغفار لهم حال الحياة بمعنى انه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ يريد الاستغفار لهم على ظاهر الحال بشرط التوبة والرجوع إلى الايمان، فاخبره الله تعالى في الآيتين المذكورتين بانهم يموتون على الكفر فلا ينفعهم ذلك لقوله سبحانه في الآية التي ذكرناها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

١- المنافقون/٦.

يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾، وقوله عزّ وجل في الآية المذكورة في الخبر ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[1] وهذا كما ترى لا يجامع من مات على نفاقه يقينًا كابن أُبي ونحوه.

وبالجملة فظهور الاصطناع في هذا الخبر والتزوير أمر لا يخفى على الحاذق البصير، ولا ينبئك مثل خبير.

واما حديث أبي هريرة، وحديث صلح الحديبية، وحديث قول عمر لا يدري اخليفة أم ملك فلقد تقدم في مطاعنه وغيرها، واما ما نقله عن المؤرخين من تعداد بدع عمر واحداثه في الدين، فسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في هذا الخبر عند كلام الشارح [على] مطاعنه واجوبته عنها ولكن ما ادري ما السر عنده هنا في نسبة ذلك للمؤرخين دون ارباب الحديث، فانه ثابت عندهم ومتفق عليه بينهم، ثم انه من أين لعمر ان يسنن السنن ويشرع الاحكام بما لم يرد له أثر في شريعة الملك العلام، أفتراه نبيًا ثانيًا كان يوحى اليه أم ربًا آخر يجب الاعتماد عليه، ولكن العجب ليس منه لمعلومية حاله عندنا، ولكن العجب من هؤلاء الذين هم اضل من الانعام وينظمون انفسهم في سمط العلماء الاعلام، كيف ينسبون إليه هذه العظائم العظام، ويتخذونه امامًا وأي امام.

واما حديث ابن عباس وخروجه مع عمر إلى الشام ففيه:

١- التوبة/٨٠.

أولاً: انه من الظاهر ان قول ابن عباس واراد الامر لـه ليس عبارة عن مجرد القصد بغير نص ولا تصريح، لعدم ملائمته لسياق الخبر، وكذا الاخبار المتقدمة الظاهرة في النص بل الصريحة فيه.

واما ثانيًا: فان كلام عمر هنا لا ينطبق الاّ على مذهب الاشعريه بأن كل ما كان في الوجود من كفر وقبح وعصيان ونحوها، فهو مراد الله سبحانه بناء عندهم على انه خالق كل شيء، وان ارادة النبي تنفك عن ارادة الله، فقد يريد النبي ﷺ شيئًا ولا يريده الله كما زعمه عمر هنا من ارادة النبي ﷺ اسلام عمه مع ان الله لم يرده، وانما اراد منه الكفر، فعندهم ان الله تعالى يريد من الكافر الكفر والنبي يريد منه الطاعة والاسلام، فقد يريد النبي ما يكرهه الله، وقد يكره ما يريده، ولا خلاف بين العدلية من معتزلة وامامية في ان ارادته سبحانه في افعال عباده وكراهته ليس الاّ عبارة عن الامر والنهي، فارادته الطاعة عبارة عن الامر بها، وكراهية المعصية عبارة عن النهي عنها، وهذا الخبر مما يدل على ان عمر كان يقول بالجبر، ولعله لهذه العلة في الخبر قال الشارح وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ إلى آخره تحاشيًا عن ان يكون امامه جبريًا، وكفى به له ولامامه خزيًا وشنيعة لو كان ينحل ما يحكيه عنه في هذا الكتاب من العظائم والفضايح الظاهرة لذوي الألباب، واما الرواية التي ذكرها فقد تقدم الكلام عليها.

واما حديث الحسين بن محمد السيني فقد نقله أيضًا صاحب الطرايف خصه الله تعالى بجزيل اللطايف، قال: فمن ذلك ما رووه في المعنى الموصوف

ما هو موجود في خزانة الكتب بالرباط المعروف بتربة الاخلاطية بالجانب الغربي من بغداد في ورقة من رق ملحقة بآخر كتاب اعلام الرسول تأليف المأمون من خلفاء بني العباس، وتاريخ هذا الكتاب المذكور شوال سنة احدى وخمسين ومائتين ما نسخته عن الحكم بن مروان، عن خبر بن حبيب، قال: نزلت بعمر بن الخطاب نازلة فقام وقعد إلى آخر ما نقله الشارح.

أقول: ليس في هذا الخبر ما الجأ الشارح إلى الطعن فيه بحدته الموجودة التي ذكرها ازيد من تحديد علي عليه السلام لعمر بيوم القيامة لقوله عليه السلام ان يوم الفصل كان ميقاتًا، المؤدي بنسبته إلى الظلم له والاخذ لحقه عليه السلام في وجهه والاّ فكلماته في التظلم منه والشكايات والاستعداء متكاثرة كما عرفت سابقًا، ومواجهته بهذا الكلام حيث اقتضاه المقام غير بعيد عند ذوي الافهام، وقد روى الشارح في شرح قوله فنظرت فاذا ليس لي معين الاّ أهل بيتي من الجزء الثاني رواية عمر بن قتادة قال: لقي علي عليه السلام عمر فقال له علي عليه السلام: انشدك الله هل استخلفك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا، قال: فكيف تصنع أنت وصاحبك؟ قال: اما صاحبي فقد مضى لسبيله، واما انا فساخلعها من عنقي إلى عنقك. فقال: جذع الله انف من ينقذك منها، الخبر، وهو كما ترى ينادي باوضح دلالة على مواجهته له بطلب حقه وتظليمه وصاحبه والاّ فمضي عمر إلى علي عليه السلام وان كان في الاغلب ان يرسل اليه ليس بمستنكر ولا مستبعد، فان الشارح قد عد في هذا الموضع من تواضع عمر انه يحمل الدقيق على ظهره بالليل للغرباء وامثاله مما اعرضنا عن التطويل بنقله، فكيف يستبعد مضيه إلى علي عليه السلام

وتوفيته حقه من الاجلال والاعظام، وهو قد اعترف بصحة مدحه له وثنائه عليه وهذا من قبله، ومن تأمل احوال عمر وسيرته فيما بين ان يكون تارة كالذبابة في اظهار الذل والخضوع، وتارة كالسبع في الجرأة والتعدي على الناس من غير ذنب، وما بين ان يأمر بالقياس، وما بين ان ينهى عنه، وما بين ان ينهى عن مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله في اوامره ونواهيه، وما بين ان يخالفه، لا يستنكر وقوع مثل هذا منه، وكذلك تكنية علي عليه السلام لعمر وان كان في الاغلب انما يخاطبه بأمير المؤمنين كما زعمه جرى على ما اقتضاه المقام في الجواب لعمر بما صدر عنه من الكلام الخارج مخرج الاستهزاء عليه السلام، ونظيره ما وقع لعمر أيضًا مع الزبير مما نقله الشارح في هذا المقام نقلاً عن زيد بن اسلم، عن ابيه، قال: خلا عمر لبعض شأنه، وقال: امسك عليّ الباب، قال: فطلع الزبير فكرهته حين رأيته فاراد ان يدخل فقلت هو على حاجة فلم يلتفت إليّ واهوى ليدخل فوضعت يدي في صدره فضرب انفى فادماه، ثم رجع فدخلت على عمر، فقال: من فعل بك هذا؟ قلت: الزبير، فارسل الى الزبير، فلما دخل جئت لانظر ما يقول له، فقال: ما حملك على ما صنعت ادميتني للناس، فقال الزبير يحكيه ويمطط في كلامه ادميتني للناس: اتحتجب عنا يا ابن الخطاب، فوالله ما احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أبو بكر، فقال له عمر كالمعتذر: اني كنت في بعض شأني[1].

وحينئذ إذا كان الزبير قد استخف بعمر هذه الخفة العظيمة وعمر اغضى

١- شرح نهج البلاغة ٤٥/١٢.

عنه وخاطبه بابن الخطاب حيث اقتضى المقام ذلك مع انه لا يخاطبه هو وغيره الاّ بأمير المؤمنين، فكذلك أمير المؤمنين عليه السلام في الرواية المذكورة حيث قابله عمر بذلك العذر القبيح في غصب حقه، فاقتضى المقام مقابلته بذلك الكلام وان اورثه الآلام، هذا كله بناء على ما يزعمونه ويدعونه من انقياد علي عليه السلام لعمر بالذل والصغار، وانه انما يقابله بما يقتضي الاجلال، وهذا عند الشيعة الامامية في حيز المنع، لانه عليه السلام وان انقاد لهم في بعض جزئيات الأمور الاّ انهم يرونه في أخرى ما ترهب به منهم الصدور.

فروي في كتاب الخرائج والجرايح عن سلمان الفارسي ان عليًا عليه السلام بلغه عن عمر ذكر شيعته فاستقبله في بعض طرقات المدينة وفي يد علي عليه السلام قوس، فقال: يا عمر بلغني عنك ذكرك لشيعتي، فقال: عمر أربع على ظلعك، فقال علي عليه السلام: انك لههنا ثم رمى بالقوس على الأرض، فاذا هي ثعبان كالبعير فاغر فاه، وقد اقبل نحو عمر ليبتلعه، فصاح عمر الله يا أبا الحسن لا عدت بعدها في شيء، وجعل يتضرع إليه فضرب بيده على الثعبان فصار القوس كما كانت، فمضى عمر إلى بيته مرعوبًا، قال سلمان: فلما كان الليل دعاني علي عليه السلام فقال: صر إلى عمر فانه حمل اليه مال من ناحية المشرق ولم يعلم به أحد وقد عزم ان يحبسه، قل له يقول لك علي أخرج ما حمل اليك من المشرق ففرقه على من هو لهم ولا تحبسه فافضحك، قال سلمان: فمضيت اليه واديت اليه الرسالة، فقال: خبرني أمر صاحبك من اين علم به؟ فقلت: فهل يخفى عليه مثل هذا، فقال: يا سلمان أقبل مني أقول لك ما علي الاّ ساحر واني لمشفق منه

عليك، والصواب ان تفارقه وتقر في جملتنا، قلت: بئس ما قلت لكن عليًا ورث من اسرار النبوة ما قد رأيت ثمة، وعنده ما هو أكثر مما رأيت منه، قال: ارجع إليه فقل السمع والطاعة لامرك، فرجعت اليه، فقال عليه السلام: احدثك بما جرى بينكما؟ قلت: أنت أعلم به، فتكلم بما جرى بيننا، ثم قال: ان رعب الثعبان في قلبه إلى ان يموت[1].

ومثله خبر طوق خالد بن الوليد وامثاله كثيرة في أخبار الشيعة، وعلى هذا يسقط تعجب الشارح واستبعاده بالكلية، ولكننا قد قررنا على انفسنا في هذا الكتاب ان لا نعارضهم بما يرد من طرق الشيعة، وانما نلزمهم بما يرد في أخبارهم الشنيعة.

واما حديث ابن عباس الدال على نسبة عمر عليًا عليه السلام في عبادته للرياء الذي هو شرك بالله سبحانه كما استفاضت به الآيات والروايات فهو من ذلك المرجل الذي يغلي في صدره ويفوح به نفاق قدره، وهو من اوضح الادلة على ضلاله وكفره، وكذا كفر من ينقل هذا الخبر عنه متمسكًا بامامته بعد الوقوف على ما ورد في حق علي عليه السلام ومعرفته حق معرفته، وما ادري ما وجه الجواب عند هذا الضال عن قبح[2] كلام امامه في هذا المجال أو ان ذلك عنده غير [مضر] في الايمان ولامناف لعلو الشان، فلينظر الناظرون إلى ما يطيش به عقل هذا الكافر المرتاب، ويغلي به قلبه من الحقد والبغض الذي لا يستره ساتر

١- مدينة المعاجز ٢٠٩/٣ - ٢١١، البحار ٢٥٦/٤١.

٢- في (ح) قبيح .

ولا حجاب، من غير ما أمر يوجب ذلك، ولا جرم تقدم فيما هنالك، ثم انظر إلى ما يدل عليه كلام ابن عباس وجوابه له من وجود النص بقوله قد رشحه رسول الله صلى الله عليه وآله فصرفت عنه، وإلى جواب عمر وما فيه من الرد على الله ورسوله بانه كان شابًا حدثًا فاستصغرت العرب سنّه، فانه إذا كان الله ورسوله قد رشحاه لهذا الامر وجعلاه اهله، فكيف جاز لاولئك العرب الذين يكني دائمًا بهم وانما الفاعل هو نفسه معارضة لله ورسوله، ولو جاز معارضتهما في هذا الامر حيث لم ترتضه العرب بزعمه جاز معارضتهما في ساير التكليفات إذا لم تخترها العرب، أرأيت ان الله سبحانه لم يعلم صغر سنه حتى رشحه لهذا الامر حتى يكرره في غير مقام، ويجعله عذرًا له عند من حضره من الطغام، ولنعم ما اجابه ابن عباس من قوله اما اهل الحجى فانهم ما زالوا يعدونه كاملاً إلى آخره.

واما قوله أما أنه سيليها بعد مياط فاخلق به ان يكون من اكاذيب اصحابه اليه ليصفونه بعلم عواقب الأمور ومثله كثيرة في أخبارهم لقصد معارضة أمير المؤمنين عليه السلام فيما يخبر به من الملاحم التي ستقع في آخر الزمان، وما يحدث من دول ذي الجور والطغيان، ومع فرض كونه من كلامه قد سمعه من بعض أهل الكتاب الذين قد ذكر في كتبهم ما يجري في هذه الامة من الاختلاف وما يفعلونه بوصي نبيهم بعد موته من البغي عليه والخلاف، فهو من بركة البرامكة وثمرة ما قدمه في حقه من تلك الافعال الشنيعة التي اذله بها بين الناس وكسر عزه وناموسه، واكده بما دبره في

الشورى من اثارة الحروب عليه والفتن بل انتشارها إلى آخر الزمن والاّ فلو سلم اليه الامر من الاول وسالمه من كيده ومكره وما فعله من تلك المصائب التي اوهت قوى الدين وكسرت فقار ظهره، وبقي عليه السلام على عزه وناموسه لما اختلف عليه اثنان، ولما اعتراه في خلافته جور ولا نقصان كما تقدم بيانه وايضاحه في غير مكان.

واما حديث كعب الاحبار وما يشتمل عليه من التمويه والزبرج الذي لايروج الاّ عند كل جاهل، وحكاية ما تنتهي اليه الخلافة.

ففيه أولاً: مع الاغماض عن ان قول كعب الاحبار الذي تقدم في كلام الشارح انه من المبغضين لأمير المؤمنين فلا يسمع كلامه في هذا المقام ان عليًا لا يصلح للخلافة لانه متين في الدين، والخلافة تحتاج إلى من يجتهد برأيه، فهو رد على الله سبحانه وعلى رسله وانبيائه، فيما ساسوا به العباد، ونظموا به البلاد، فانه سبحانه انما ارسل الرسل، وانزل الكتب، وامر ونهى، وزجر واكد، ووعد وتوعد، وحذر وانذر لمصالح الانام، ونظم معايشهم، واجتماعهم على احسن الانتظام والالتئام، فلو كان النظام في العالم انما يقوم بالاجتهاد كما يقوله هذا الضال طيبة لنفس عمر حيث يعلم انه شرعه والمرجع في احكامه والمقر للزم العبث من الله سبحانه في ارسال الرسل وانزال الكتب المشتملة على ما ذكرناه، إذ من المعلوم انه ليس الغرض من هذه التكاليف والتقييد بالاوامر والنواهي، والتحليل والتحريم ونحوها الاّ نظام النوع والدين على

الوجه الواضح المبين والاّ فما الغرض من ذلك إذا تم النظام بالاجتهاد، وانتظمت به مصالح العباد والبلاد.

وثانيًا: ان تعليله العليل لعدم خلافه علي عليه السلام بانه اراق الدماء وتنظيره ذلك بداود عليه السلام فان فيه ان الذي اراق الدماء حقيقه انما هو النبي صلى الله عليه وآله وهو المطابق للتنظير بداود عليه السلام بل يرجع بالاخرة إلى الله عزّ وجل، فانه هو الآمر بذلك فيجب عزل النبي عن نبوته وعزله سبحانه عن ملكه بمقتضى كلام هذا المنافق الضال.

وثالثًا: ان قول كعب ان هذا الامر ينتقل بعد صاحب الشريعة واثنين من اصحابه إلى اعدائه الذين حاربهم وحاربوه إلى آخره ففيه شهادة على عثمان الذي هو من الاموية المرادين في هذا المكان بالكفر والعداوة لله سبحانه ورسوله، فان كعبًا انما استثنى بعد صاحب الشريعة اثنين بزعمه وهما أبا بكر وعمر وهذا ظاهر من خبرهم لا يعتريه النقص ولا الغيرة، ثم ان في الخبر المذكور اظهر طعن على عمر حيث انه بعد سماعه من الرسول صلى الله عليه وآله ما نقله هنا في حق بني امية فما هذا الاختصاص بمعاوية فضلاً عن مجرد تأميره كما قدمنا ذكره بأوضح بيان.

انظروا إلى هؤلاء الضلال وما ينقلونه من الاخبار في امثال هذا المجال مما يشهد على خلفائهم بمزيد النكال والوبال ثم يذمون الشيعة بانهم يطعنون في صحابة الرسول وهم الذين فتحوا لهم ابواب تلك المطاعن الظاهرة لذوي العقول، وفي هذا الخبر ما يشير إلى ما قدمنا ذكره من ان كلام عمر في حق

عثمان يوم الشورى بانه ان وليها حمل الناس على رقاب بني معيط وسارت اليه العرب فقتلته ونحوه، انما هو لسماعه لهذه الأمور من علماء أهل الكتاب لا لما زعمه اصحابه لـه من الفراسة كما تقدم في كلام الشارح الضال.

واما حديث المغيرة بن شعبة فالتقريب فيه ما تقدم في سابقه، واما تتمته فاخلق بها ان يكون كذبا بحتًا وزبرجًا صرفًا، واني لعمر الذي قد عد من جهله ما سبق في مطاعنه وغيره أن يخبر بهذا الخبر ولكن اوليائه يصطنعون له المناقب لما عرفت آنفًا عسى ان تستر بها تلك المثالب والمعايب، وكيف كان فظاهر هذا الواضع لهذا الخبر انه اراد من ذكره بعد بني امية هو ملك العباسية، ولا ريب ان ملكهم انما اعمى الاسلام وطمسه وانهدم به الدين أي انهدام، ولكن هؤلاء الضلال حيث ان الخلافة عندهم مبنية على مجرد الاختيار وهؤلاء كانوا من بني هاشم الذين هم اشرف القبايل وذوو المجد والفخار، وصفوهم بما ذكروه في هذا الخبر، ولم يلتفتوا إلى ما كانت عليه أُمراء العباسية من الفجور، وشرب الخمور والجور في الاحكام، ومخالفة الملك العلام في كلّ حلال وحرام.

واما حديث أبي بكر الانباري ففيه ان تعريض ذلك الواحد علي عليه السلام انما كان بغضًا له وحسدًا بما خصه الله تعالى من المواهب التي تحير فيها العقول وتعجز عن عدها النقول حتى ضلت بها الفحول، فادعى له مقام الربوبية زيادة على الرسول، ثم انظر إلى اعتذار عمر ومدحه عليًا عليه السلام في هذا الخبر ومناقضته لما سلف آنفًا من أخباره وغيره، وهذه كما قدمنا عادته

وسجيته لا يبالي من المناقضات في كلامه وعلى هذا طريقته، ثم انه لا يخفى ان نسبة هؤلاء الضُّلال التائهين في اودية الضلال عليًا عليه السلام إلى التيه والعجب ناش من امور:

أحدها: ما هو عليه من الفضايل والمناقب والمكارم التي لا يزاحمه في اقلها مزاحم، فانه عليه السلام قد غلبهم على صفو كل منهل فهو في الحقيقة ليس من اشكالهم ولا داخل في امثالهم، والناس إلى اشكالهم اميل وفي امثالهم ادخل كما قيل:

وقائل لي تقاطعتما فقلت قولاً فيه انصاف
فليس من شكلي فهاجرته والناس اشكال وآلاف

ونقل الوزير السعيد علي بن عيسى الاربلي قدس سره في كتاب كشف الغمة عن يونس بن حبيب النحوي قال: وكان عثمانيًا، قال: قلت للخليل بن أحمد: أريد ان اسألك عن مسئلة فتكتمها عليّ، قال: قولك يدل على ان الجواب اغلظ من السؤال، فتكتمه انت أيضًا، قال: نعم أيام حياتك، قال: سل، قلت: ما بال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كلهم بنو ام واحدة وعلي من جملتهم كأنه ابن علة؟ فقال: ان عليًا اقدمهم اسلامًا وافقههم علمًا، وأعظمهم شرفًا، وأرجحهم زهدًا، وطالهم جهادًا، والناس إلى اشباههم واشكالهم اميل منهم إلى من بان منهم فافهم، انتهى[1].

١- امالي الطوسي/٦٠٨، البحار ٤٨١/٢٩.

وثانيها: انه ليست ذاته عليه السلام كذواتهم ولا صفاته كصفاتهم، فان ذاته عليه السلام مقصورة على المراقبات والطاعات، واوقاته مصروفة في العبادات، واوقاتهم وذواتهم معروفة في الجهالة والبطالة ومالا يعني ولا يغني من المباحات أو الكسالة، وشتان بين من وقته وهمته مصروفة للدار الآخرة، وبين من همته مصروفه للدنيا الفاجرة.

وثالثها: ما في قلبه عليه السلام من اجتماعهم على الضلال ومخالفة ذي الجلال في العلوم والاعمال، وما ارتكبوه في حقه من تلك المراكب الشنيعة والأمور الفضيعة وما يعلمه من انطواء سرائرهم على النفاق، فهذه أمور حصل باجتماعها انفراده عنهم وعدم الحضور في مجالسهم ومحافلهم والخوض في حديثهم ولغوهم، وانكمش في زاوية العزلة عنهم، وأقبل على العبادة، فنسبوه إلى ما نسبوه من التكبر والتيه والعجب والرياء في عباداته ونحو ذلك مما عرفت.

قال على أثر الكلام المتقدم: قلت: سألت النقيب أبا جعفر علي بن محمد بن أبي زيد وقد قرأت عليه هذه الاخبار فقلت له: ما اراها الاّ تكاد تكون دالة على النص ولكن استبعد ان تجتمع الصحابة على دفع نص رسول الله صلى الله عليه وآله على شخص بعينه كما استبعدنا من الصحابة دفع نصه على الكعبة وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدين، فقال رحمه الله: أبيت الاّ ميلاً إلى المعتزلة، ثم قال: ان القوم لم يكونوا يذهبون إلى انها من معالم الدين وانها جارية مجرى العبادات الشرعية كالصلاة والصوم، ولكنهم يجرونها مجرى الأمور الدنيوية

ويذهبون إلى انها مثل تأمير الامراء وتدبير الحروب وسياسة الرعية، وما كانوا بهذا الامر وامثال هذا يتحاشون من مخالفه نصوصه إذا رأو المصلحة في الاسلام في غيرها، الاّ تراه كيف نص على اخراج أبي بكر وعمر في جيش اسامة ولم يخرجا لما رأيا ان في مقامهما مصلحة للدولة والملك، وحفظًا للبيضة ودفعًا للفتنة، وقد كان رسول الله ﷺ يخالف وهو حي في أمثال ذلك ولا ينكره ولا يرى به بأسًا، ألست تعلم انه نزل في غزاة بدر منزلاً على ان يحارب قريشًا فيه فخالفته الانصار وقالت ليس الرأي في نزولك هذا المنزل فاتركه وانزل في منزل كذا، فرجع إلى رأيهم وهو الذي قال للانصار عام قدم المدينة لا تؤبروا النخل فعملوا على قوله فحالت نخلهم في تلك السنة ولم تثمر حتى قال لهم: انتم اعرف بأمر دنياكم وانا اعرف بامر دينكم، وهو الذي أخذ الفدا من اسارى بدر فخالفه عمر فرجع إلى تصويب رأيه بعد ان فات الامر وخلص الاسارى ورجعوا إلى مكة، وهو الذي اراد ان يصالح الاحزاب على ثلث تمر المدينة فيرجعوا عنه فأبى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ذلك وخالفاه فرجع إلى قولهما، وقد كان قال لأبي هريرة أخرج فأد في الناس من قال لا اله الاّ الله مخلصًا بها قلبه دخل الجنة، فخرج أبو هريرة فأخبر عمر بذلك فدفعه في صدره حتى وقع على الأرض وقال: لا تقلها فانك ان تقلها يتكلوا عليها ويدعوا العمل، فاخبر أبو هريرة رسول الله ﷺ بذلك فقال لا تقلها وخلهم يعملون، فرجع إلى قول عمر، وقد اطبقت الصحابة اطباقًا واحدًا على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك كاسقاطهم سهم ذوي

القربى، واسقاطهم سهم المؤلفة قلوبهم، وهذان الامران ادخل في الدين منها في الدنيا، وقد عملوا بآرائهم أمورًا لم يكن لها ذكر في الكتاب والسنة كحد الخمر فانهم عملوه اجتهادًا ولم يحد رسول الله ﷺ شاربي الخمر وقد شربها الجم الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم، وقد كان اوصاهم في مرضه وقال اخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم حتى مضى صدر من خلافة عمر وعملوا في أيام أبي بكر برأيهم في ذلك وباستصلاحهم، وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة، وحوّلوا المقام بمكة، وعملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة، ولم يقفوا مع موارد النصوص حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد، فرجح كثير منهم القياس على النص حتى استحالت الشريعة وصار أصحاب القياس اصحاب شريعة جديدة.

قال النقيب: وأكثر ما كانوا يعملون بارادتهم فيما يجري مجرى الولايات والتأمير والتدبير، وتقرير قواعد الدولة وما كانوا يقفون مع نصوص الرسول ﷺ إذا رأوا المصلحة في خلافها، كأنهم كانوا يقيدون نصوصه المطلقة بقيد غير مذكور لفظًا، وكأنهم كانوا يفهمون من قرائن احواله وتقدير ذلك افعلوا كذا إذا رأيتموه مصلحة، قال: فاما مخالفتهم له فيما هو محض الشرع والدين وليس بمتعلق بأمور الدنيا وتدبيراتها فانه يقل جدًا مثل ان يقول الوضوء شرط في الصلاة فيجمعوا على رد ذلك ويجيزوا الصلاة بغير وضوء، أو يقول صوم شهر رمضان واجب فيطبقوا على مخالفة ذلك، ويجعلوا شوالاً عوضًا منه فانه بعيد، إذ لا غرض لهم فيه ولا يقدرون على اظهار مصلحة عثروا عليها

خفيت عنه عليه السلام، والقوم الذين كانوا غلب على ظنونهم ان العرب لا تطيع عليًا فبعضها للحقد وبعضها للوتر والثار، وبعضها لاستحداثهم سنّه، وبعضها لاستطالته عليهم ورفعته عنهم، وبعضها كراهة اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد، وبعضها للخوف من شدة وطأته وشدته في دين الله ولرجاء تداول قبائل العرب الخلافة إذا لم يقتصر بها على بيت مخصوص، فيكون رجاء كل حي لوصولهم اليها ثابتًا مستمرًا، وبعضها لبغضهم له من قرابته لرسول الله صلى الله عليه وآله وهم المنافقون من الناس ومن في قلوبهم شك من أمر النبوة، فاتفق الكل اضعافًا واحدًا على صرف الامر لغيره فقال رؤسائهم: بانا خفنا الفتنة وعلمنا ان العرب لا تطيعه، وتؤلوا عند انفسهم النص، ولا ينكر النص، وقالوا انه لنص ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغايب، والنصوص قد تترك لاجل المصلحة الكلية، واعانهم على ذلك مسارعة الانصار وادعائهم الامر واخراجهم سعد بن عباد من بيته وهو مريض لينصبوه خليفة فيما زعموا، واختلط الناس وكثر الخبط وكادت الفتنة تشتعل فوثب رؤوساء المهاجرين فبايعوا أبا بكر وكانت فلتة كما قال قائلهم، وزعموا انهم اطفأوا بها نائرة الانصار فمن سكت من المسلمين واغضى ولم يعترض فقد كفاهم أمر نفسه، ومن قال سرًا أو جهرًا بان فلانًا كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذكره أو نص عليه أو اشار اليه اسكتوه في الجواب بانا بادرنا إلى عقد البيعة مخافة الفتنة، واعتذروا عنده ببعض ما تقدم، اما انه حدث السن أو تبغضه العرب، لانه وترها وسفك دماءها أو لانه صاحب تيه، أو كيف تجتمع النبوة والخلافة في مغرس واحد بل قد قالوا في العذر ما هو

أقوى من هذا أو أوكد، قالوا أبو بكر أقوى على هذا الامر منه لا سيّما وعمر يعضده ويساعده، والعرب تحب أبا بكر يعجبها لينه ورفقه، وهو شيخ مجرب للامور لا يحسده أحد ولا يحقد عليه أحد، ولا يبغضه أحد، وليس بذي شرف في النسب فيشمخ على الناس بشرفه، ولا ذي قربى من رسول الله فيذل بعزته، ودع ذا كله فانه فصل مستغنى عنه، قالوا لو نصبنا عليًا عليه السلام ارتد الناس عن الاسلام، وعادت الجاهلية كما كانت، فأيما اصلح في الدين الوقوف مع النص المفضي إلى ارتداد الخلق ورجوعهم إلى عبادة الاصنام والجاهلية أم العمل بمقتضى الاصلح واستبقاء الاسلام واستدامة العمل بالدين وان كان فيه مخالفة العمل بالنص، فقال: وسكت الناس عن الانكار لانهم كانوا متفرقين، فمنهم من هو مبغض شان لعلي عليه السلام فالذي تم من صرف الامر عنه هو قرة عينه وبرد فؤاده، ومنهم ذو الدين وصحة اليقين إلا أنه لما رأى كبراء الصحابة قد اتفقوا على صرف الامر عنه انهم انما فعلوا ذلك لنص سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله بنسخ ما قد كان سمعه من النص على أمير المؤمنين عليه السلام لا سيّما ما رواه أبو بكر من قول النبي صلى الله عليه وآله الائمة من قريش، فان كثيرًا من الناس توهموا انه ناسخ للنص الخاص وان معنى الخبر انكم مباحون في نصب امام من قريش من أي بطون قريش كان فانه يكون امامًا، واكد أيضًا في نفوسهم رفض النص الخاص ما سمعوه من قول رسول الله صلى الله عليه وآله ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وقوله سألت الله ان لا يجمع امتي على ضلال فاعطانيها، فاحسنوا الظن بعاقدي البيعة وقالوا هؤلاء اعرف باغراض رسول الله صلى الله عليه وآله من كل احد

فامسكوا وكفوا عن الانكار، ومعهم فرقة أخرى وهم الاكثرون اعراب وجفاة وطغام اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، فهؤلاء مقلدون لا يسألون ولا ينكرون ولا يبحثون وهم مع امرائهم وولاتهم لو اسقطوا عنهم الصلاة الواجبة لتركوها، فلذلك محق النص وخفي ودرس، وقويت كلمة العاقدين لبيعة أبي بكر وقواها زيادة على ذلك اشتغال علي عليه السلام وبني هاشم برسول الله صلى الله عليه وآله واغلاق بابهم عليهم وتخليتهم الناس يعملون ما شاءوا، واحبوا من غير مشاركة لهم فيما هم فيه، لكنهم ارادوا استدارك ذلك بعدما فات، وهيهات الفائت لا رجعة له، واراد علي عليه السلام بعد ذلك نقض البيعة فلم يتم له ذلك، وكانت العرب لا ترى الغدر ولا نقض البيعة صوابًا كان أو خطأ، وقد قالت له الانصار وغيرها ايها الرجل لو دعوتنا إلى نفسك قبل البيعة لما عدلنا بك احدًا ولكنا قد بايعنا، فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها[1].

قال النقيب رحمه الله: ومما جرأ عمر إلى بيعة أبي بكر والعدول عن علي عليه السلام مع ما كان يسمعه من الرسول صلى الله عليه وآله في أمره انه أنكر على الرسول صلى الله عليه وآله أمورًا اعتمدها فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله انكاره بل رجع في كثير منها إليه، واشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته فاطمعه ذلك في الاقدام على الأمور التي كان يرى فيها المصلحة مما هي على خلاف النص، وذلك نحو انكاره عليه الصلاة على عبد الله بن أُبي المنافق، وانكاره فداء اسارى بدر، وانكاره عليه تبرج نسائه للناس، وانكاره قضية الحديبية، وانكاره امان العباس

١- شرح نهج البلاغة ٨٥/١٢.

لابى سفيان بن حرب، وانكاره واقعة أبي حذيفة بن عتبة، وانكاره أمره عليه السلام بالنداء من قال لا اله الاّ الله دخل الجنة[1]، وانكاره أمره اصحابه بذبح النواضح، وانكاره على النساء بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله هيبتهنّ له دون رسول الله إلى غير ذلك من أمور كثيرة يشتمل عليها كتب الحديث، ولو لم يكن الاّ انكاره قول رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم ما لا تضلون بعده، وقوله ما قال وسكوت رسول الله صلى الله عليه وآله، واعجب الأشياء انه قال ذلك اليوم حسبنا كتاب الله فافترق الحاضرون من المسلمين في الدار، فبعضهم يقول القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعضهم يقول القول ما قال عمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كثر اللغط، وعلت الاصوات: قوموا عني فما ينبغي لنبي ان يكون عنده هذا التنازع[2]، فهل بقي للنبوة مزية أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القولين وميل المسلمون بينهما فرجح قوم هذا وقوم هذا، افليس ذلك دالاً على ان القوم سووا بينه وبين عمر، وجعلوا القولين مسئلة خلاف، ذهب كل فريق منهم إلى نصرة واحد منهما كما يختلف اثنان من عرض المسلمين في بعض الاحكام، فينصر هذا قوم، وينصر ذلك آخرون، فمن بلغت قوته وهمته إلى هذا، كيف ينكر منه ان يبايع أبا بكر لمصلحة رآها ويعدل عن

١- مسند ابي بكر ١٩٥/١.

٢- صحيح البخاري ١٦١٢/٤و ٢١٤٦/٥، صحيح مسلم ١٢٥٩/٣، صحيح ابن حبان ٥٦٣/١٤، السنن الكبرى ٤٣٣/٣ و ٣٦٠/٤، مصنف عبد الرزاق ٤٣٨/٥، مسند احمد بن حنبل ٣٢٤/١ و ٣٣٦/١، الطبقات الكبرى ٢٤٤/٢.

النص، ومن الذي كان ينكر عليه ذلك وهو في القول الذي قاله للرسول الله ﷺ في وجهه غير خائف من الانكار، ولا انكر عليه أحد لا رسول الله ولا غيره، وهو اشد من مخالفة النص في الخلافة وافضع واشنع[1].

قال النقيب رحمه الله: على ان الرجل ما اهمل امر نفسه بل اعد عذرًا واجوبة، وذلك لانه قال لاقوام عرضوا له بحديث النص عن رسول الله ﷺ رجع عن ذلك باقامته أبا بكر في الصلاة مقامه، واوهمهم ان ذلك جار مجرى النص عليه بالخلافة، وقال يوم السقيفة: أيكم يطيب نفسًا ان يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ﷺ في الصلاة، ثم اكد ذلك بان قال لأبي بكر وقد عرض عليه البيعة أنت صاحب رسول الله ﷺ في المواطن كلها شدتها ورخائها، رضيك لديننا افلا نرضاك لدنيانا، ثم عاب عليًا عليه السلام بخطبته بنت أبي جهل، واوهم ان رسول الله ﷺ كرهه لذلك ووجد عليه، وارضاه عمرو بن العاص فروى حديثًا افتعله واختلقه على رسول الله ﷺ قال سمعته يقول: ان آل أبي طالب ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين، فجعلوا ذلك كالناسخ لقوله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه[2].

قلت للنقيب: ايصح النسخ في مثل هذا؟ أليس هذا نسخًا للشيء قبل تقضي وقته؟ فقال: سبحان الله من اين تعرف العرب هذا وأنى لها ان تتصوره

١- شرح نهج البلاغة ٨٧/١٢ – ٨٨.

٢- شرح نهج البلاغة ٨٨/١٢.

فضلاً عن ان تحكم بعدم جوازه، وهل يفهم حداق الاصوليين هذه المسئلة فضلاً عن حمقى العرب، هولاء قوم يتحدثون بادنى شبهة ويستمالون باضعف سبب، وتبنى الأمور معهم على ظواهر النصوص واوائل الادلة، وهم اصحاب حمل وتقليد لا اصحاب تفصيل ونظر.

قال: ثم اكد حسن الظن بهم انهم طلقوا انفسهم من الاموال وزهدوا في متاع الدنيا وزخرفها، وسلكوا مسلك الرفض لزينتها والرغبة عنها والقناعة بالطفيف النزر منها، واكلو الخشن ولبسوا الكرابيس، ولما القت اليهم الدنيا افلاد كبدها فرقوا الاموال على الناس وقسموها بينهم، ولم يتدنسوا منها بقليل ولا بكثير، فمالت اليهم القلوب، واحبتهم النفوس، وحسنت بهم الظنون، وقال من كان في نفسه شبهة منهم أو وقفة في أمرهم لو كان هؤلاء قد خالفوا النص لهوى انفسهم لكانوا أهل الدنيا ولظهر عليهم الميل اليها والرغبة فيها والاستيثار بها، وكيف يجمعون على انفسهم بين مخالفة النبي وترك لذات الدنيا ومآربها فيخسروا الدنيا والآخرة، وهذا لا يفعله عاقل، والقوم عقلاء ذوو الباب وآراء صحيحة، فلم يبق عند احد شك في امرهم ولا ارتياب بفعلهم، وثبتت العقايد على ولايتهم وتنزيههم وتصويب افعالهم، ونسوا لذة الرياسة، وان اصحاب الهمم العالية لا يلتفتون إلى المأكل والمشرب والمنكح، وانما يريدون الرياسة والحكم، ونفوذ الامر كما قال الشاعر:

لقد رغبت عن لذه العيش انفس وما رغبت عن لذة النهي والامر

قال: والفرق بين الرجلين والثالث ما اصيب الثالث وقتل تلك القتلة، وخلعوه الناس وحضروه وضيقوا عليه بعد ان توالى انكارهم افعاله وجبهوه في وجهه وفسقوه، وذلك لانه استأثر هو وأهله بالاموال وانغمسوا فيها واستبدوا بها، فكانت طريقته وطريقتهم مخالفة لطريقة الاولين، فلم تصبر العرب على ذلك، ولو كان عثمان سلك طريق عمر في الزهد ومنع النفس، ورد الامراء والولاة عن الاموال، وتجنب استعمال أهل بيته، ووفر اعراض الدنيا وملاذها وشهواتها على الناس، زاهدًا فيها، تاركًا لها، معرضًا عنها، لما ضره شيء، ولا أنكر عليه احد قط، ولو حوّل الصلاة عن الكعبة إلى بيت المقدس، ولو اسقط عن الناس احدى الصلوات الخمس واقنع منهم باربع، وذلك لان همم الناس مصروفة إلى الدنيا والاموال، وإذا وجدوا سكتوا، وإذا فقدوها هاجوا واضطربوا، الست ترى رسول الله ﷺ كيف قسّم غنايم هوازن على المنافقين وعلى اعدائه الذين تمنوا قتله وموته وزوال دولته، فلما اعطاهم احبوه باجمعهم أو أكثرهم، ومن لم يحبه منهم بقلبه حاماه وداراه وكف عن اظهار عداوته والاجلاب عليه، ولو ان عليًا عليه السلام صانع اصحابه في المال واعطاء الوجوه والرؤساء لكان امره إلى الانتظام والاطراد أقرب، ولكنه رفض جانب التدبير الدنيوي وآثر لزوم الدين والتمسك باحكام الشريعة، والملك أمر آخر غير الدين، واضطرب عليه اصحابه وهرب كثير منهم إلى عدوه[1].

---

١ – شرح نهج البلاغة ٨٨/١٢.

وقد ذكرت في هذا الفصل خلاصة ما حفظته عن النقيب أبي جعفر ولم يكن امامي المذهب، ولا كان يبرأ من السلف الصالح، ولا يرتضي قول المسرفين من الشيعة، ولكنه كلام اجراه على لسانه البحث والجدل بيني وبينه على ان العلوي لو كان كراميًا لا بد ان يكون عنده نوع من التعصب وميل على الصحابة وان قل، انتهى[1].

أقول: لا بد من تقديم كلام في هذا المقام قبل الجري معهم في مضمار النقض والابرام لتنكشف به غشاوة الابهام، ويتضح به بطلان ما ذهب إليه هؤلاء الاعلام من التخرصات في جواز مخالفة النبي ﴿عليه وعلى آله الصلاة والسلام﴾ ومقابلة نصوصه بمجرد التشهي للاغراض الدنيوية والميل إلى ما فيها من الحطام.

فنقول: قال شيخنا محمّد باقر المجلسي ﴿نور الله تعالى مرقده واعلى في جوار ائمته مقعده﴾ في كتاب بحار الأنوار: فائدة مهمة شافية وافية في دفع شبه الفرقة الطاغية الغاوية، اعلم انه قد اختلف المسلمون في انه هل يسوغ للنبي ﷺ الاجتهاد فيما لا نص فيه أم لا؟ ثم على تقدير الجواز هل كان مقصورًا على أمور الدنيا وما لا تعلق له بالدين أم يتعدى إلى غيرها؟ وعلى تقدير التعدي هل يخص الحروب أم يتجاوزها؟ ثم القائلون بالجواز اختلفوا في انه هل كان يجوز عليه الخطأ في الاجتهاد أم لا؟ وعلى تقدير الجواز هل يقر على خطأه أم يرد عنه؟ فذهب إلى كل فريق الاّ اقراره على الخطأ، فان الظاهر من

١- شرح نهج البلاغة ٩٠/١٢.

كلامهم انه لم يقل به أحد، وجعلوا ردّه عن الخطأ وجه الفرق بينه وبين سائر المجتهدين، وقد ادعى العلامة في شرحه لمختصر ابي الحاجب الاجماع انه لا يقر على الخطأ، ويظهر من كلام الآمدي وبعض شراح صحيح مسلم أيضًا ذلك، فاختار الجبائي وابنه أبو هاشم انه لم يتعبد في الشرعيات بالاجتهاد، ولم يقع منه فيها، وكان متعبدًا به في الحروب، وحكي عن الشافعي وأحمد بن حنبل وأبي يوسف تعبده به مطلقًا، وذهب طائفة ومنهم القاضي عبدالجبار وأبو الحسين البصري إلى انه يجوز ذلك من غير قطع به، ونفاه اصحابنا قاطبة ﴿رضوان الله عليهم﴾ رأسًا ولم يجوزوه في أمور الدين والدنيا اصلاً، ثم لا يخفى ان جواز الاجتهاد ووقوعه منه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لا يستلزم جواز مخالفته أو يجوز ان يكون في احكامه ما ادى اليه اجتهاده ومع ذلك لا يجوز لاحد خلافه، لايجاب الله تعالى طاعته مطلقًا، ونظير ذلك ان الامة تجوز ان تجتمع على حكم بالاجتهاد ومع ذلك لا يسع أحدًا مخالفتها اصلاً عندهم، والمجتهد في فروع الاحكام يحكم باجتهاده ولا يسوغ لمقلده مخالفته وان جاز عليه الخطأ في حكمه، ولما كان المعقل الحصين للمخالفين في دفع المطاعن عن ائمتهم المضلين التمسك بجواز مخالفة النبي الامين صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كما فعلوا ذلك في مخالفتهم له صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في تجهيز جش اسامة وغيره اردنا ان نختم هذا المجلد المشتمل على مطاعنهم بما يدل على فساد أحد الامرين اعني جواز الاجتهاد عليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أو وقوعه منه وجواز مخالفته في شيء من أحكامه وان كان عن

اجتهاد، لاستلزام كل منها ما هو المقصود، والتوكل في جميع الأمور على الرب الودود، فنقول: يدل على ذلك وجوه:

الاول: قوله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1].

نفى سبحانه كون نطقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن الهوى وحصره في كونه وحيًا ولو كان بعض أقواله عن اجتهاد لما صح الحصر ولو قلنا لا يكون الهوى متناولاً للاجتهاد بقرينة المقابلة لاقتضائها كون الهوى ما ليس بوحي، والاجتهاد ليس بوحي لدل الجزء الاول على المدعى أيضًا.

واورد عليه بان المراد بالآية نفي ما كانوا يقولونه في القرآن أنه افتراه فانتفى العموم، ولئن سلمنا فلا نسلم أن ينفى الاجتهاد لانه إذا كان متعبدًا بالاجتهاد بالوحي لم يكن نطقه عن الهوى بل كان قولاً عن الوحي.

والجواب عن الاول: ان الآية غير معلوم نزولها في رد قولهم المذكور، فلا يجوز تخصيص القرآن به، وانما يجوز بالمعلوم وما في حكمه، ولو سلم فخصوص السبب لا يخصص العموم كما هو المشهور، ولا دليل من خارج على التخصيص، وعن الثاني من وجوه:

منها: انهم يقابلون الوحي بالاجتهاد في كثير من كلامهم.

ومنها: ان الوحي هو الكلام الذي يسمع بسرعة وليس الاجتهاد كذلك، وانما يستند حجيته إلى الوحي والمستند إلى الوحي أمر غير الوحي، والدليل عليه صحة التقسيم بان يقال أهو وحي أم مستنبط من الوحي ومستند اليه، وقد

١- النجم/٣-٤.

قال سبحانه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، وقد اعترف البيضاوي بما ذكرنا حيث قال بعد نقل الجواب وفيه نظر، لان ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي.

ومنها: انا نخصص الكلام باجتهاد يجوز فيه الخطأ ولا تنازع الآن في اجتهاد يؤمن معه الخطأ، ولا يجوز مخالفته، ويكون من قبيل القاطع، ولا يتعلق غرضنا في هذا المقام بان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هل يقول ما يقوله عن الوحي النازل بخصوص كل قول أو يقول من طريق عام أو يأخذه عن ضابطة كلية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، فنقول قال الله تعالى ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[١]، وقد اتفق المفسرون على ان الآية مسوقة لنفي الضلال وإثبات الوحي انما هو لنفي الضلال المذكور في الآية، والضلال لا يختص بالاصول بل يكون في الفروع في جميع اقسام الاحكام والاّ لم يكن لاستدلال القوم على حجية الاجماع في الفروع حتى الحروب والولايات بما روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من قوله لا تجتمع امتي على الضلالة وما يحذو حذوه معنى، فقد ثبت اذن ان الوحي لا يتناول الاجتهاد الذي يجوز الخطأ فيه والاّ لم يلزم من كونه وحيًا نفي الضلال عنه كما هو المقصود، وهذا القدر يكفينا، ويدل عليه ما روي انه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نزل منزلاً فقيل له ان كان ذلك عن وحي فالسمع والطاعة، وان كان ذلك عن رأي فليس ذلك بمنزل، والمشهور ان المنزل كان ببدر، والقائل

١- النجم/١-٤.

حباب بن المنذر فدل ذلك على ان الوحي لا يجوز فيه الخطأ، وقد قرره النبي ﷺ ولم يسمع باحد يطعن على قائل هذا القول ويقول ان تقسيمه هذا باطل، وأي ملازمة بين كونه وحيًا ووجوب السمع والطاعة لا في زمن الصحابة ولا في زمن التابعين إلى عمر فان هذا مع تكرر ذلك النقل في كتب السير والتواريخ وفي كتب الاصول في مقام الاستدلال على مسائل الاجتهاد المتعلقة بالنبي ﷺ، ولولا ان الوحي لا يجوز فيه الخطأ ولا يطلق شرعًا على ما لا يؤمن معه الغلط ويجوز مخالفته لاستحال عادة ان لا ينكر احد على هذا القول ولا يقدح فيه مع توفر الدواعي على القدح والرد عليه حيث استدل به على محل النزاع في مسائل كثيرة قد طال الخصام فيها، وذلك مما يقطع به في عادات الناس خصوصًا للممارسين لمباحث الحجاج والنظر ولمسائل الخلاف، وقد رأيناهم يرتكبون تأويلات بعيدة وتكلفات باردة، فأين كانوا عن القدح المذكور.

وبالجملة ما ذكرناه دليل على انهم علموا صحة ذلك التقسيم، اما بتقرير النبي ﷺ أو بدليل آخر فلا يتوهم ان ما ذكرناه راجع إلى الاول.

الثاني: قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1].

١- الأحزاب/٣٦.

والمراد قضاء رسول الله صلى الله عليه وآله ونسبته اليه للتنبيه على ان قضاءه صلى الله عليه وآله قضاء الله كما ذكره المفسرون، وكل ما قاله النبي صلى الله عليه وآله ولو بالاجتهاد مما قضى به، فلا يجوز العدول عنه ومخالفته وتخصيص الخيرة بما يكون بمجرد التشهي لا عن اجتهاده، وكذا العصبية لا وجه له، وانما هو مجرد تشهي التأويل والانصراف عن الظاهر ومعصيته لسنة الاخذ لظواهر الكتاب، والسنة بلا قرينة تقتضيه وشاهد يشهد له.

الثالث: قوله تعالى ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

تقريره ان المسئلة الخلافية بين الامة يصدق عليها انها مما شجر بينهم فيجب فى كل مسئلة خلافيه ان يحكموه صلى الله عليه وآله ويرجعوا إلى قوله ويسلموا ويركنوا اليه، ومخالفته صلى الله عليه وآله بالاجتهاد ضد ذلك، فظهر ان المسئلة الخلافية لا يجوز مخالفة ما يظهر من قوله صلى الله عليه وآله بالاجتهاد ضد ذلك سواء كان بالاجتهاد أو غيره، والمسايل الاجماعية وما لم يسبق اليه أحد بنفي أو إثبات أولى من ذلك، اما الاجماعية فظاهر، واما ما لم يسبق اليه احد فلأن اتباعه صلى الله عليه وآله إذا وجب فيما يتحقق قول طائفة من المسلمين وشبهة غير شرعية بخلافه، ولم يمنع ذلك من وجوب اتباعه ففيما لا يتحقق ذلك الذي يتوهم مانعًا أولى، وأيضًا لا قايل بالفصل، فان الامة بين قائل بجواز مخالفته في الخلافيات وغيرها، وبين ناف له جميعًا، وبهذا يندفع توهم قوله صلى الله عليه وآله انه ربما كان مما

١- النساء/٦٥.

اجمع على خلافه على انه قبل الاجماع على خلافه كان مما لم يسبق اليه قول بنفي ولا إثبات أو كان مما وقع فيه خلاف.

فان قلت: ههنا احتمال آخر ذهب اليه جماعة وهو ان يخطأ ﷺ ويبينه بالوحي على خطأه وما ذكرت لا ينفيه.

قلت: هذا لا ينفع فيما نحن فيه، فان الفرض انه ﷺ لا يجوز مخالفته والعدول عن قوله بالاجتهاد، واما ان ينبه بالوحي عليه فكلام لا يسمن ولا يغني من جوع في جواز ابطال قوله ﷺ وتخطئة رأيه وتصحيح ما صنفه جماعة من اصحابه خلافًا لامره، وردوا عليه حكمه فيما لا وحي يدل على خطأه بل قرره الله تعالى وامضاه على رأيه.

الرابع: قوله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1].

مفهوم الشرط إن لا تتبعوني لا يحببكم الله ولا يغفر لكم ذنوبكم، وما كان موجبًا لعدم محبة الله تعالى وعدم مغفرة الذنوب يكون حرامًا.

فان قلت: كل ما يأمر مستحب كان موجبًا لمحبة الله وربما كان سببًا للمغفرة أيضًا، ويصح استعمال الشرط فيه ويكون مفهومه حينئذ ان لا تفعلوه تفوت المحبة المرتبة عليه، والمغفرة المسببة منه، فلا يدل على الوجوب.

قلنا: أولاً: ان رجحان الاتباع كاف لنا، فان من يجوز الاجتهاد عليه ﷺ يجعل أمره واجبًا ما دام لم يدل دليل على خلافه أقوى منه، ومن يجوزه

١- آل عمران/٣١.

يجعل تركه ومخالفته واجبًا أو مندوبًا أو مباحًا حسبما أدى اليه اجتهاده، ولا يجعل اتباع أمره مندوبًا، فالقول بان اتباع أمره مندوب لا محالة خلاف الاجماع المركب.

وثانيًا: ان مفهوم الشرط يقتضي انتفاء الجزاء مطلقًا لا الجزاء المقيد بالشرط المقارن له والاّ لم يصح الاستدلال بمفهوم الشرط في شيء من الواقع، ولا يتوهم ان الامر بالاتباع مطلق لا عام، فيصير حينئذ حاصل المفهوم ان لا تتبعوني في شيء لا يحببكم الله اصلاً ان لا تتبعوني ولو في أمر واحد لا يحببكم الله، لان الاتفاق منا ومن الخصم حاصل على ان المراد به الامر بالاتباع في جميع الاوامر، ولهذا استدلوا به في مسئلة التأسي، فتدبر.

الخامس: قوله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

وجه الدلالة أمور:

أحدها: امره تعالى بالاخذ بما امر به الرسول صلى الله عليه وآله.

وثانيها: أمره بالانتهاء عما نهى عنه فان كان نهى عن خلاف ما امر به فذاك والاّ فالأمر بالشيء نهي عن ضده عند أكثر علماء الاصول وفي النهي بعكس الامر.

وثالثها: تعقيبه الكلام بالوعيد الشديد والعقاب العظيم وأيضًا أمره بالتقوى بعد ذلك اشعار بأن الاخذ والانتهاء المذكورين هما التقوى، وان

١- الحشر/٧.

تاركه مسلوب عنه اسم التقوى مع النصوص الدالة على الامر به وحرمة تركه ادلة على الوجوب.

السادس: قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1].

وجه الدلالة انه متى كان قول الرسول ﷺ موجودًا ثم قدمنا اجتهادنا عليه لزم التقدم بين يدي الله ورسوله، وقد دلت صحاح أخبارهم على ان الآية نزلت في مماراة أبي بكر وعمر في تأمير الاقرع بن حابس والقعقاع بن معبد وقد كان ما تنازعا فيه من الأمور المتعلقة بالحروب ولم يكن سبق من رسول الله ﷺ فيه أمر، وانما اشار كل واحد منهما إلى واحد من الرجلين لما رأى في تأميرة المصلحة بزعمه، وإذا كان مثل ذلك من التقديم النهي عنه الموجب للتوبيخ الظاهر من سوق الآية بالأمر بالاجتهاد فيما سبق فيه أمر منه ﷺ وكان اشد تعلقًا بالدين أولى واظهر.

السابع: قوله تعالى ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[2].

والرد إلى الله ورسوله معناه اما التوقف إلى ان يعلم حكمه بنص الكتاب والسنة على ما هو الحق أو المراد به القياس على الحكم الذي في الكتاب

١- الحجرات/١.

٢- النساء/٥٩.

والسنة وعلى التقدير الاول يدل على بطلان القياس مطلقًا، وعلى الثاني يدل على بطلان القياس في مقابلة النص، وإذا بطل القياس في مقابلة النص ولم يجز العمل به فيما وجد فيه نص من الرسول ﷺ لم يجز الاجتهاد والعمل به مخالفة لقول الرسول ﷺ لان كل من قال بعدم جوازه بالقياس قال بعدم جوازه مطلقًا على ان الآية عامة في كل متنازع فيه سواء كان مما يؤخذ حكم طرفي النزاع أو أحدهما من الكتاب والسنة أو لا، وأن لا يحكم بانه يجب ان يرجع إلى قول الله ورسوله ولا يحكم باحد الطرفين فعند مخالفة النبي ﷺ بالاجتهاد ولو بالاستنباط الظني من النص يصدق انه مما يجب الرجوع فيه الى النص، فلا يجوز الاجتهاد على خلافه، بقي الكلام في انه ربما كانت المسئلة اجماعية فلا يصدق انها متنازع فيها أو كانت مما لم تسبق اليه.

والجواب عنها: قد سبق في تقرير الاستدلال بقوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾[1] الآية.

الثامن: قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[2].

ذمهم على صدهم عن الرسول ﷺ مطلقًا، فدل على ان هذا الفعل ممن كان وبأي طريق كان مذموم غير سايغ، فلا يجوز مخالفته في شيء لانه نوع من الصد.

١- النساء/٦٥.

٢- النساء/٦١.

التاسع: قوله سبحانه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[1].

قالوا: تقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الاّ ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته، ومن كان كذلك كان كافرًا مستوجبًا للقتل، وهذا الكلام منهم يدل على انهم فهموا منه عموم الاطاعة في جميع الاوامر، بمعنى ان الارسال للاطاعة في جميع الاوامر والنواهي لا يجوز ان يخالف في شيء منها، لان المقصود من الاعلام ان الغرض من الارسال هو الاطاعة ايجاب الاطاعة على المرسل اليهم لا مجرد ان الغرض هو الاطاعة.

وقال الفخر الرازي: ان ظاهر اللفظ يوهم العموم، ولعلهم انما فهموا ذلك لان المضارع يفيد الاستمرار الزماني، ولا قائل بان اطاعة النبي في كل زمان واجب وان لم يجب في جميع الاوامر لكن ذلك لا يوجب ان يكون ظاهر اللفظ ذلك، وانما يستلزم وجوب الاطاعة على وجه العموم في الواقع أو يقال نزل الاوامر الجزئية منزلة اجزاء الزمان، فأريد بما يدل على عموم الثاني عموم الاول كما انه يراد بالدوام والابدية عموم الافراد بما يدل على تبعيض الاوقات بتبعيض الافراد، وفيه أن ذلك مجاز غير ظاهر، ودعوى ظهورة بعيد، والتحقيق ان الطاعة ضد المعصية، والمعصية المضافة إلى الامر تصدق بمخالفته ولو من وجه إلى الشخص الآمر تصدق بمخالفة أمر واحد من اوامره،

١- النساء/٦٤.

فالطاعة للآمر هو عدم مخالفته في شيء من اوامره، ولهذا كانوا يكتفون في اعطاء القيادة للامراء والتسليم لهم بانا سامعون لك مطيعون من غير تعميم لمطلق الطاعة، وقولهم اطعناه في الامر الفلاني دون غيره مجاز خلاف الظاهر، ويؤيده انهم استدلوا بقوله تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾[1]، وبقوله ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[2] على مسئلة التأسي، ولولا العموم لم يصح هذا الاستدلال.

العاشر: قوله سبحانه ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ ﴾[3].

وتقرير الاستدلال به على نمط الاستدلال بقوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[4] كما سبق.

الحادي عشر: قوله عزّ وجل ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[5]، وتقريره ما علم سابقًا.

١- النور/٥٤.

٢- آل عمران/٣١.

٣- يونس/١٥.

٤- النجم/٤.

٥- الأحقاف/٩.

الثاني عشر: قوله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1].

دل على أن اطاعة الرسول ﷺ في أي امر كان سبب للكون مع النبيين والصديقين ولو كان النبي ﷺ مخطئًا في اجتهاده وعلم ذلك لم يكن طاعته في ذلك الامر سببًا لما ذكر، فدل على عدم الخطأ في اجتهاده.

الثالث عشر: قوله تعالى ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[2].

دل على ان المأثور عن الانبياء الاولين لا يحتمل الخطأ والاّ لم يكن بين اتيانهم بما لا إثارة وعدمه فرق.

الرابع عشر: الآيات الدالة على النهي عن اتباع الظن والاقتصار على العلم، وقول النبي ﷺ معلوم انه حكم الله ولو ظاهرًا أو يجوز اتباعه بل يجب، واجتهاد الامة إذا كان مخالفًا له ليس بمعلوم انه يجوز اتباعه لتحقق الخلاف في ذلك، فمخالفته ترك المعلوم الواجب المأمور باتباعه بالمظنون المنهي عن اتباعه.

الخامس عشر: قوله تعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[3].

١- النساء/٦٩.

٢- الأحقاف/٤.

٣- النساء/٨٠.

وجه الاستدلال ان من عرف اللسان لا يرتاب في ان مفاد الآية هو ان طاعة الرسول صلى الله عليه وآله ليس الاّ طاعة الله عزّ وجل، فكما ان من خالف نص الله سبحانه بالاجتهاد ضال غاو فكذلك من خالفه صلى الله عليه وآله بالاجتهاد، ومن جوّز مخالفته لانه يقول عن اجتهاد لزمه القول باجتهاده تعالى وجواز مخالفته، وقد فسر الله تعالى ضد الطاعة في الآية التالية لهذه الآية باضمار غير ما يقوله صلى الله عليه وآله قال سبحانه ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾[1] وقد استدل الفخر الرازي في التفسير بهذه الآية على عصمته صلى الله عليه وآله في جميع اقواله وافعاله، ثم قال: قال الشافعي في باب فرض طاعة الرسول صلى الله عليه وآله: ان قوله تعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ يدل على ان كل تكليف كلف الله عباده في باب الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر الابواب في القرآن ولم يكن ذلك التكليف مبينًا في القرآن، فحينئذ لا سبيل إلى القيام بتلك التكاليف الاّ ببيان الرسول صلى الله عليه وآله، وإذا كان الامر كذلك لزم القول بان طاعة الرسول صلى الله عليه وآله عين طاعة الله، هذا كلام الشافعي، انتهى.

ولا يخفى ان في هذه الكلمات اعترافًا بان الاجتهاد بخلاف امره صلى الله عليه وآله قطعي البطلان، واجتهاد بخلاف امر الله عزّ وجل، فلو فرضنا تعبده صلى الله عليه وآله بالاجتهاد لم تجز مخالفته على حال من الاحوال.

١- النساء/٨١.

السادس عشر: قوله تعالى ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

جعل عامة المفسرين الضمير راجعًا إلى الرسول صلى الله عليه وآله وقول أبي بكر الرازي أنه راجع إلى الله سبحانه لا عبرة به على انه لو صح لكان بناء الكلام على ادعاء ان مخالفة أمره صلى الله عليه وآله مخالفته سبحانه حتى تتلائم أجزاء الآية، وحينئذ يتم المقصود بوجه أتم، وإذا كان مخالفة أمره صلى الله عليه وآله موضعًا للحذر عن الفتنة والعذاب الاليم ظهر فساد الاجتهاد في خلافه.

السابع عشر: الاوامر المطلقة في ايجاب طاعة الرسول صلى الله عليه وآله مفردة ومقرونة بايجاب طاعة الله سبحانه كقوله ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]، وقوله سبحانه ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[3] وفي الكتاب العزيز أكثر من عشرين موضعًا، والاجتهاد بخلاف أمره صلى الله عليه وآله تصويب لمخالفة الله عزّ وجل في ايجاب طاعة

١- النور/٦٣.

٢- النور/٥٦.

٣- النور/٥٤.

رسوله ﷺ وبطلانه واضح، وافادة امثال تلك الاوامر للعموم قد تبين في الادلة السابقة.

أقول: هذا ما نقله شيخنا المذكور توجه الله بتاج من النور من الآيات في المقام.

ومما يحضرني من الآيات التي تنتظم في سلك هذا النظام الآيات الدالة على تحريم اذاه ﷺ وان من آذاه فهو ملعون في الدنيا والآخرة، ولا ريب ان رد قوله والعمل بخلافه ولا سيما في الأمور الدينية من اتم الاذى له كما هو ظاهر لا ينكر، ومجمع عليه بين جملة البشر، ولا فرق في ذلك بين كونه حيًا أو ميتًا لتحريم اذاه في الحالين، ولو تمسك الخصم بسكوته ﷺ في حياته في مقام المخالفة له كما وقع من ابن الخطاب في حقه في غير مقام، فالجواب عنه ما اوضحناه سابقًا في غير مقام من انه ﷺ انما كان يسلك معهم ويعاملهم بالصبر على اذاهم والمداراة لهم تألفًا لهم كما شرحناه آنفًا في معنى قوله عزّ وجل ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾[1] الآية، وكفى بقصة العقبة حيث هموا بقتله وقد عرفهم واحدًا واحدًا ومع هذا اعرض عن معاقبتهم ومعاتبتهم، وتكرم بالصفح عن زلتهم، فسكوته ﷺ لا يدل على الرضا بل هو أعم منه ومما ذكرنا، والعام لا دلالة له على الخاص، ومنها الآيات الدالة على ان من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون والظالمون والكافرون كما في الآيات الثلاث وامثالها، ولا ريب ان المخالف له والراد عليه حكمه حاكم بخلاف ما

١- آل عمران/١٥٩.

انزل الله تعالى، لان الله تعالى قد انزل فرض طاعته في الآيات التي اشار اليها شيخنا قُدِّسَ سِرُّهُ، ومنها قوله سبحانه ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[1]، مع قوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[2]، وقوله ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[3]، ولا ريب ان الاجتهاد في حد ذاته فضلاً عن ان يكون في مقابلة النص انما يفيد الظن، وبتقريب آخر ان الآية دلت على المنع من القول على الله سبحانه الاّ بالحق وما خالف نص الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كفر محض، فيتعين ان يكون فيما خالفه.

ومنها الايات الدالة على ان القول بغير علم ويقين على الله عزّ وجل بالكذب كقوله سبحانه ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]، وقوله سبحانه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5]، ولا ريب ان القول عن اجتهاد وان لم يكن في مقابلة نصه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قول بغير علم، فيكون كذبًا، وبتقريب آخر ان القول بخلاف قول الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ افتراء بالكذب عليه، إذ لا يجوز ان ينسب الكذب اليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وليس الاّ صدق أو

١- الاعراف/١٦٩.

٢- يونس/٣٦.

٣- يونس/٣٢.

٤- الانعام/١٤٤.

٥- الصف/٧.

كذب، وحكم الله سبحانه لا تعدد فيه ولا اختلاف، فيتعين ان يكون ما خالف الرسول ﷺ هو الكذب، وان يكون صاحبه من الظالمين بنص رب العالمين.

ثم قال شيخنا المذكور قدس سره في تتمة الكلام المتقدم:

الثامن عشر: مما يدل على بطلان الاجتهاد على الوجه الذي يجوز مخالفته ان أبا بكر وعمر كانا يقولان بان حكمهما ربما كان صوابًا وربما كان خطأ، ويلتمسان من الصحابة وسائر من حضرهما ان ينبهوهما على الخطأ ولا يقرروا ولا يداهنوا، ولقد كانت المداهنة من القوم في شأنهما والاغضاء عن خطائهما أقل بالنسبة إليه ﷺ، والاحتشام منهم لهما دون الاحتشام له ﷺ، وتوهم تحتم الصواب ووجوب الصحة في قوله وفعله ﷺ أكثر سيّما بعدما تقرر وتكرر انه ﷺ لا يفعل عن شهوة ولا يقول عن هوى، وانما قوله ﷺ حكم، ونطقه فصل، وقوله عدل، وشهدت له بذلك الآيات المنزلة والسور المتلوة، ولم يكن التوهم في شأنهما بهذه المثابة ولا لهما هذه الاسباب والدواعي، كيف وفي حقه نزل ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1] ونهي عن معصيته، واوعد على مشاقته ومحاقته، ولا شيء من ذلك فيهما ولا لهما، فكان النبي ﷺ احق واحرى ان ينبه على ان قوله ربما يجنب الصواب ويخطيء عن اصابة الحق، وكيف اهمل ﷺ طول هذه المدة المديدة واضاع في تلك الازمنة المتطاولة ان يجنب امته اتباع الباطل،

١- الحشر /٧.

ويحذرهم الاقتداء بغير الحق، ويصونهم من الاصرار على ما لا ينبغي، ويخالف حكم الله، وقد وفق له أبو بكر وعمر واهتديا إليه السبيل، ولو قال قائل ان هذا التنبيه والايماء كان اولى ولم يكن واجبًا كان الدليل قائمًا والحجة مستقيمة أيضًا، لان ترك النبي صلى الله عليه وآله هذا الاولى والاليق والشفقة على الامة والنظر لها واختصاصهما بهذه المنزلة وانفرادهما بهذه الفضيلة واصرارهما على هذا القول الذي يرويه الناس في معرض مدحهما، ويعدونه من فضائلهما مما تأباه القريحة السليمة، افلا قال صلى الله عليه وآله انما انا بشر مثلكم اخطيء واصيب كما آكل واشرب وامشي في الاسواق، ومن علم عادته صلى الله عليه وآله وتتبع سيرته لم يثنه ريب ولم يختلجه شك في انه لو كان ما قالوه مما له مساغ في طريق الصدق لم يجهل النبي صلى الله عليه وآله امره ولا اغفل عن ان يهدي الناس اليه لكن الانصاف ارتحل من البين، والعصبية ارخت سدول الغشاوة على العين.

التاسع عشر: مما يدل على ذلك احتجاج ابي بكر على الانصار يوم السقيفة كما رووه بقوله صلى الله عليه وآله الائمة من قريش وتسليم الانصار الامر اليه وانكسارهم بذلك عن سورتهم، فما بالهم لم يقابلوا حجته بان يقولوا أي دليل في هذا لك، وقد علمت انه صلى الله عليه وآله ربما كان يقول القول عن رأي واجتهاد وطالما اخطأ ورجع، فلا حجة في ذلك ولا يصلح للتمسك خصوصًا فيما يتعلق بالولاية والرعاية، فانه قل ما يكون عن وحي سماوي وتنزيل إلهي مع شدتهم في أمرهم ووصيتهم فيما بينهم ان شدوا على ايديكم ولا تملكوا اموركم احدًا حتى ان حبابًا كان قد قبض على قبيعة سيفه، وكان سعد طول حياته يعرض

ويصرح ببطلان أمرهما ويلح بالتغلب والعدوان اليهما، وتتلظى كبده عليهما، وجميع الانصار كان شأنهم ذلك وحالهم هذا الاّ قليلاً منهم، وما نقلوا في هذا الباب وحفظ عنهم من النظم والنثر مشهور وفي كتب السير والتواريخ مذكور، وكيف قفلوا عن هذا التوهين المعنوي بحجتهم، هب انهم عن آخرهم أخذتهم العزة وغشيتهم الغفلة في أول الوهلة وبادي الامر فهلا استدركوا ثانيًا واحتجوا مرة أخرى.

العشرون: قول أبي بكر أقول في الكلالة برأي فان يكن صوابًا فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان فان كان رسول الله ﷺ اسوة أبي بكر في جواز الخطأ عليه لم يكن لهذه التبرئة والتنزيه وجه وجيه.

الحادي والعشرون: روي عن ابن مسعود انه قال في المفوضة اقول فيها برأي فان كان صوابًا فمن الله ورسوله، وان كان خطأ فمني ومن الشيطان.

وهذا التفصيل قاطع للشركه، وهاتان الروايتان مشهورتان اوردهما العلماء في كتب الاصول واستدلوا بها على مسائل من احكام الاجتهاد، ومن جملتها كتاب الاحكام للآمدي.

الثاني والعشرون: قول عمر بن الخطاب ايكم يرضى ان تتقدم قدمين قدمها رسول الله ﷺ أو ما في معناه كما سبق، وقوله رضيك لامر ديننا افلا نرضاك لامر دنيانا، ولا يخفى ان الصلاة اما من الاحكام والأمور التي يجوز فيها الاجتهاد ويحتمل الخطأ أو مما يكون بوحي الهي لا بد منه، فعلى الاول لا

وجه للاستدلال به، لان لهم حينئذ ان يقولوا نحن قد اجتهدنا ورأينا ان الصلاة في ضد ما فعله ﷺ، وان الاوفق بالمصلحة خلاف ما رآه ولا يمتنع ذلك عليه ولا نرضى بذلك، وأي استبعاد في هذا الرضا، وانما يصح هذا الاستبعاد فيما لا يجوز فيه الخطأ ولا يتطرق اليه البطلان.

ولئن قيل: ان الغالب عليه الصواب وان جاز الخطأ احيانًا وما يغلب عليه الصواب ينبغي ان يحترز ويتجنب تركه، والمركوز في العقول التباعد عن مخالفة مثله، لان الخطأ مظنون فيها.

قلنا: اما ان يكون الانصار نازعت أبا بكر وادعت الامامة لنفسها بدون متمسك واجتهاد ورأته كذلك وقالت ما قالت عن شبهة تعتقدها دليلا أو تظنها حجة، والاول مما لا يقدم مثل الانصار الذين آووا ونصروا وهم كبار الصحابة واعلام المسلمين وخيار الناس واعيان أهل الدين، فكيف تقدم مثلهم على هذا الفسق الواضح، افلا كان في الامة من يطعن عليهم بالفسق والعصيان، ولو كان لنقل الينا، وهذا نوع من الاستدلال قد شاع بين القوم التمسك به ، وأيضًا اجمعت الامة اجماعًا مركبًا على ان كل من قال في الامامة بالرأي ودان فيها بالاجتهاد فاسق وانهم اتوا بافضل عبادة واثيبوا وان لم يصيبوا، واما ان بعضهم اصابوا الحق واليقين وآخرون فسقوا عن الدين، فمنفي اجماعًا، فتعين ان يكون الانصار ومن يحذو حذوها قالت ما قالت عن شبهة، فكان الواجب على عمر ان يتمسك برجحان اجتهاده ﷺ على اجتهادهم بواحد من الوجوه التي تصلح للترجيح من الأمور المقررة في الاصول، وعلى الثاني كان عليه ان يثبت

بدليل صادر عن الوحي لا عن الاجتهاد، ويأتي بحجة تعين كونه أحد القسمين دون الآخر، وأيضًا لا معنى لقياس ما يجوز فيه الاجتهاد ويسوغ عليه الخطأ كأمر الامامة والرياسة على ما يجب استناده إلى الوحي التوقيف، وكيف شبه أحدهما بالآخر مع هذا الفارق الجلي الواضح.

الثالث والعشرون: وقول عمر حين قال بعض المريبين في جيش اسامة لرسول الله ﷺ ايؤمر علينا هذا الشاب الخرب، ونحن جله مشيخة قريش دعني يا رسول الله اضرب عنقه فقد نافق، وهذا يدل على انه يلزم بمجرد مخالفة النبي ﷺ النفاق والكفر، ولا تجوز مخالفته ﷺ سواء كان قوله عن اجتهاد أو لا، وسواء كانت في الولايات والحروب أو غيرها وإلاّ فمن اين يلزم نفاقه وكفره ويحل ضرب عنقه، وكيف قرره النبي ﷺ على هذا الرأي الفاسد والمزعم الباطل ولم ينكره عليه ولا أحد من الصحابة والتابعين، وأين كان اعدائه المتتبعون لعثراته وزلاته الطالبون لخطاياه واغلاطه عن هذا الخطأ الظاهر، وكيف لم يطعن الفقهاء عليه طول هذه المدة ولم يعترض عليه حتى ان الذين كانوا على رأي الروافض في الصدر الاول عطشى الاكباد لادنى هفوة من هفواته كهشام بن الحكم ومحمّد بن النعمان الاحول وغيرهم ممن عرفوا بهذه الخصلة وعدوا من اصحاب المقالات والنحل لم يطعنوا عليه هذا الطعن مع حرصهم على الازراء به وولوعهم على تشهير مساويه ومثالبه، ولولا ان هذا كان في الزمن السالف اجماعيًا غير مختلف فيه ما اغمضوا عنه وتغافلوا عنه، وان ما ذكرناه أقوى في باب المعادات، والمعلوم من أحوال الناس من

جميع ما يذكرونه في هذا النمط ويستدلون عليه بهما، وانما هذا القول البديع والافك المفترى شهادة زور واماني غرور اختلقها جماعة من المتأخرين ترويجًا لبعض ما ينتحلونه وترميمًا لافعال شيوخهم وائمتهم وهيهات هيهات واني لهم بذلك وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون.

الرابع والعشرون: قول عمر أيضًا يوم بدر حين قال أبو حذيفة في بعض ما كلم به النبي ﷺ وقد كان يوصي ان لا يقتل أحد من بني هاشم لانهم استكرهو ولم يخرجوا طائعين انقتل آباءنا واخواننا ونترك بني هاشم، فلو اني لقيت عم النبي لاضربن خياشيمه بالسيف حيث قال ان أبا حذيفة قد نافق، واستيماره النبي ﷺ بقوله دعني اضرب عنق هذا المنافق، ولم ينكر النبي ﷺ على عمر قوله ولو كان الامر على ما زعموه كان الحري بالهادي المهدي الراشد المرشد المبعوث للدلالة والهداية ان يقول أي رابطة زعمت بين انكار قولي وبين النفاق بل هو طاعة لله، فان كان صوابًا فله اجران والاّ فأجر واحد خصوصًا في الحروب وتدبير أمر الجيوش والمغازي.

الخامس والعشرون: إن الناس اجتمعوا على العثمان زارين عليه طاعنين فيه بمخالفة رسول الله ﷺ والعدول عن سنته وعددوا عليه امورًا، فلو جاز لاحد ان يخالفه بالاجتهاد لكان لعثمان ان يجيب خصمه بذلك ويناظرهم عليه أو يرشدهم اليه، وما رأيناه فعل ذلك مع كثرة المواقف التي واقفوه فيها كما مر بعضها، ولو فعل لنقل الينا ولقد كان كثير من الصحابة الذين طعنوا عليه واجهوه بما يسوء وعابوه حين عابوا وزجروه إذ حضروا عنده ولم يقل هو اني

قد اجتهدت ورأيت ان الصواب في خلاف ما قاله وفعله ﷺ وقد علمتم ان كثيرًا ما كان يقول شيئًا ويخالفه الناس لخطأ في رأيه، وانا اليوم امام القوم اولى منهم بذلك، ولو ساغ ما قلتم استحال ان يتغافل عنه عثمان واغفل هو واتباعه والمصححون لما فعله في عصره، ولو احتج واعتل بذلك استحال في العادة ان لا ينقل الينا ولم ينقل.

السادس والعشرون: انه لما كلم عثمان أبا بكر في رد الحكم اغلظا له القول وزبراه، وقال له عمر يخرجه رسول الله وتأمرني ان ادخله والله لو ادخلته لم آمن ان يقول قائل غيّر عهد رسول الله ﷺ والله لئن اشق باثنتين كما تشق الابلة، وهي حوض المقل، أحب اليّ من اخالف لرسول الله ﷺ أمرًا، واياك يا ابن عفان ان تعاودني فيه بعد اليوم، ولو جاز مخالفته ﷺ بالاجتهاد لم يكن لعمر ان يرد قول عثمان ويدفعه بانه مخالفة الرسول بل كان ينبغي ان يناظره ويحاجه بطريق النظر وسنة الاجتهاد ومراعاة المصالح والمفاسد، ويرى عثمان وجه خطأه وانه في أي موضع من مقدمات الاجتهاد وقعت له الغفلة وحصل منه الاهمال، وما نراه فعل ذلك ولا أبو بكر.

السابع والعشرون: قول عمر بعدما سمع الخبر في دية الجنين لو لم نسمع لقضينا فيه بغير هذا، وروي انه قال نقضي فيه برأينا، فدل على انه كان يترك الرأي بخبر الواحد، ولم ينكر على عمر أحد قوله، وكان يرى التفاوت في دية الاصابع فرجع عن رأيه بخبر عمرو بن حزم ان في السبع عشرة.

الثامن والعشرون: حديث أبي الدرداء حيث روى انه نهى رسول الله ﷺ عن بيع اواني الذهب والفضة بأكثر من وزنها، فقال معاوية لا أرى بذلك بأسًا، فقال أبو الدرداء من يعذرني من معاوية أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه، لا اساكنك بارض ابدًا، دل كلامه على ان مقابلة النص بالرأي غير مشروع ولم يخصص في انكاره الخبر بالاحكام بل اطلقه بحيث يتناول الحروب وغيرها، ولو كان هناك فرق بين خبر وخبر ورأي ورأي لما صح له الاطلاق.

التاسع والعشرون: ان عمر كان يرى ان الدية للمورثة ولم يملكها الزوج فلا ترث الزوجة منها، فاخبر ان رسول الله ﷺ أمر بتوريثها منها وهو خبر الضحاك بن السفيان بان كتب النبي بتوريثها من الدية، قال الامدي ترك اجتهاده في منع ميراث المرأة من دية زوجها للخبر الواحد، وقال: اعيتهم الاحاديث ان يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا واضلوا كثيرًا، وهذا وان كان مورد الميراث الاّ [ان] فحوى الكلام هجر الرأي بخبر الواحد مطلقًا، وهذه الاخبار مما استدل بها العلماء في كتب الاصول على احكام خبر الواحد.

الثلاثون: ما روي ان عمر جاء رسولاً إلى أبي بكر من قبل اعيان الجيش فاستأذنه في رجوع اسامة متعللاً بان معه من وجوه الناس ولانأمن على خليفة رسول الله وحرمه وحرم المسلمين ان يتخطفهم المشركون حول المدينة، فقال له أبو بكر: لو تخطفتني الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضى به رسول الله ﷺ ولما ادى إليه رسالة الانصار وسؤالهم ان هيئوا لي عليهم أحدًا اقدم سنًا

من اسامة، فوثب من مكانه وكان جالسًا وأخذ بلحية عمر فجرها وقال ثكلتك امك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني ان انزعه، وقد كان وجه المصلحة فيما رآه باجتهادهم ظاهر، فلولا ان مخالفة النبي ﷺ بالاجتهاد غير سايغ لما ساغ لأبي بكر ان يجبه بالرد من عرض الخلافة عليه أولاً وافضى بها اليه اخيرًا وان يزري بقدره ويتسخف به ويتسهزيء ذلك الاستهزاء الذي لا يفعله الجلف الجافي بسوقي ساقط المحل، وكيف ساغ له ان يأخذ بلحيته الكثيفة ويخاطبه بالثكل والويل، وهو غير مستحق لذلك سوى ان تحمل رسالة كلها اجر وثواب، وجلها صدق وصواب بزعمهم، وقد صدرت عن اجتهاد جماعة من المسلمين هم ذروة الامر وسنامه، واساس الاسلام وقوامه، وهل يغتصب ذو الدين على الحاكي طاعة جماعة من المسلمين وعبادتهم، ويفعل فعل من لا صبر له، واستشاط غيضًا وتلهب غضبًا، فلولا ان الأمر بمخالفة النبي ﷺ كان فضيعًا شنيعًا لما ظهر منه ذلك الصنيع مع اتفاق كان بينهما في النفاق واتحادهما في الالحاد واجتماعهما على ترويج الباطل، هذا آخر ما اردنا ايراده من الادلة في هذا الباب وفيها كفاية لاولي الالباب، انتهى كلامه علت في الخلد اقدامه.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى كلام الشارح وما نقله عن شيخه النقيب ونوضح ما فيه من الغرايب والأعاجيب فنقول:

انك قد عرفت في غير موضع مما تقدم من الشارح انكار النص على أمير المؤمنين عليه السلام وانه إذا مر به شيء من كلامه عليه السلام الدال على ذلك أو نقل

بعض الاخبار الواضحة فيما هنالك سارع إلى تأويله بالتخرصات الباطلة والتمحلات العاطلة، وفي هذا المقام لما كان جملة ما نقله من الاخبار ساطعة الانوار متلامعة الاقمار في ظهور النبي على امام الابرار غمض عينه عن تلك الترهات الباردة حيث انها لا تجري في تلك النصوص الواردة، والتجأ إلى حسن الظن باولئك الاصحاب، واستبعاد مخالفتهم للنبي المستطاب، وهذه عادته إذا ضاق عليه الخناق في الجواب، وكذا غيره من علمائهم في كل باب، وقد اوضحنا سابقًا ما في التمسك بذلك من الوهن والبطلان، وانه مجرد عناد وصد عن الحق النير البرهان.

واما ما نقله عن شيخه النقيب فهو كلام جيد متين لكنه قد مزج الغث منه بالسمين، فاما قوله في الفرق بين الامامة وغيرها من الصلاة والصوم والحج ونحوها ان القوم لم يكونوا يذهبون إلى انها من معالم الدين ففيه اوضح شاهد على كفرهم برب العالمين، وكيف لا وقد صرح الخبر برواية الفريقين عنه ﷺ بانه من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية، أي ميتة كفر وشرك، فكيف لا تكون من معالم الدين بل اصل معالمه واسها وسنامها الاعظم ورأسها، والميت الغير العارف بها كافر، ويؤيده ما تقدم من كلام صاحب المواقف شاركه في العذر عن أبي بكر وعمر ومسارعتهما للسقيفة حتى تركوا نبيّهم على فراش مماته وهجروا الرغبة في الفوز لسعادة حضور دفنه وتعزية أهل بيته وصلاته، بان أبا بكر خطبهم وقال انه لا يجوز خلوا الوقت ساعة من امام فسارع الكل إلى قوله، وبمثل ذلك صرح الشارح الحديد

للتجريد، وفي الصواعق المحرقة لابن حجر مثله، وقد تقدم أيضًا في كلام الشارح لانه لا يدخل الجنة إلاّ من عرف الائمة وعرفوه حيث قال واصحابنا يقولون بصدق هذه القضية وهي انه لا يدخل الجنة الاّ من عرف الائمة وعرفوه، ألا ترى انهم يقولون الائمة بعد الرسول ﷺ فلان وفلان بعد رسول الله واحدًا واحدًا، فلو ان انسانًا لا يقول بذلك لكان عندهم فاسقًا والفاسق لا يدخل الجنة عندهم ابدًا، اعني من مات على فسقه فقد ثبت ان هذه القضية وهي قوله عليه السلام لا يدخل الجنة إلاّ من عرفهم فقهية صحيحة على مذهب المعتزلة، انتهى.

وقد تقدم أيضًا تصريح صاحب الاستيعاب بانها من اصول الدين، وبالجملة فالجواب الحق الذي لا شك فيه، والصدق الذي لا مرية تعتريه ان القوم ليسوا على ما يظنه هؤلاء الضلال من الايمان بالملك المتعال حتى يتمحلوا هذه الاعذار الزبرجية الناشئة عن مجرد الحمية والعصبية، فاما تقمصهم الخلافة فهو مجرد حب الملك والرياسة على الكافة كما تكرر في كلامه عليه السلام في هذا الكتاب، واما الفرق بين مخالفة النهي في الخلافة دون غيرها من معالم الدين فوجهه ظاهر للحاذق المكين.

أما أولاً: فلما ذكرناه من الطمع في الرياسة الدنيوية والخساسة الردية ان كانوا قد اظهروا في ذلك شبهًا بلوها، واخبارًا زوروها، وحججًا دونوها واعدوا لها عدة من المنافقين اكدوها، واما سائر معالم الدين فلا غرض لهم بتغييره وتبديله.

وثانيًا: انهم انما توصلوا إلى هذه الرياسة بما موهوا به على من حضرهم من قصد اعلاء الدين والحياطة على المسلمين والاّ فهم في الجاهلية انما كانوا من الاذلين الارذلين، فكيف يعمدون بين الناس إلى طمس معالمه وتغيير مراسمه على انه لما ثبتت اقدامهم في الخلافة وتبعتهم الكافة وامنوا النكير لم يألوا جهدًا في التبديل والتغيير كما تقدم في مطاعنهم، واما قوله انهم لا يبالون في مخالفة نصوصه إذا رأوا المصلحة في الاسلام في غيرها فهو كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله، فان يدعي انهم اعرف من الله سبحانه وتعالى ورسوله بمصالح المسلمين أو اشفق عليهم وارأف بهم، فهو غير حقيق بالجواب معه والكلام لكونه اما مبتلى في عقله أو زنديق تصنع باظهار الاسلام، فيالله والعجب العجيب من هؤلاء الطغام الذين يعدون انفسهم في عداد العلماء الاعلام ويوردون امثال هذا الكلام، أرأيت ان الله سبحانه ورسوله منذ ظهرت هذه الدعوة كانوا على الصواب في تدبير هذا الدين واظهاره واعلاء مناره، ومكابدة الرسول صلى الله عليه وآله لحروبه وشدائده، وصبره على ما فعل به في مباديه وعوايده، وانما ظهر خطأهم في نصب عليًا عليه السلام للامامة والخلافة، ما هذه الاّ جرأة على الله سبحانه ورسوله وعدم مخافته.

وأما قوله نص على أبي بكر وعمر في جيش اسامة إلى آخره.

ففيه أولاً: ما تقدم في مطاعنهما منقحًا موضحًا.

وثانيًا: انه ان اراد بتلك الدولة التي خالفا نص الرسول صلى الله عليه وآله لمصلحتهما وذلك الملك وتلك البيضة هي دولة أبي بكر ورياسته، وانه أراد بتخلفه دفع

فتنة علي عليه السلام أو غيره ممن يرومها فهو صحيح ومسلم ولكن فيه العار والشنار وغضب الملك الجبار، وان ارادوا له دولة الاسلام[1] وبيضته ودفع الفتنة عنه، ففيه: أولاً: انه لا تجري على مذهبه من القول بالنص على علي عليه السلام فانه إذا كان أبو بكر وعمر انما خالفا نصه بالخروج في جيش اسامة لاجل سلب الخلافة عن علي عليه السلام وغصبها منه مع انه منصوص عليه عنده، فانه يلزم ان رسول الله بنصه على علي عليه السلام والله تعالى يأمره بذلك حيث انه صلى الله عليه وآله لم ينص عليه الاّ بوحي رباني وأمر سبحاني قد قصد افساد الاسلام بنصبه عليه السلام بعدما اسساه، وتخريبه بعد ان بيناه وشيداه حتى ان أبا بكر وعمر استدركا ذلك عليهما، فخالفا نصوصهما حياطة على الاسلام وخوفًا عليه بخلافة علي عليه السلام من الانثلام والانهدام، ما هذا الاّ زندقة والحاد وكفر ظاهر برب العباد، والاّ فما هذه الفتنة التي قصدا دفعها بتأخرهما ومخالفتهما النص عليها بالخروج.

وثالثًا: ما تقدم في كلام صاحب الملل والنحل، وكلام شارح الديوان المرتضوي من ان تلك المخالفات هي اول الفتن في الاسلام التي علا شرارها، واضطرمت نارها إلى يوم القيامة.

واما قوله انه صلى الله عليه وآله يخالف وهو حي فلا ينكره ولا يرى به باسًا إلى آخره.

فهو من قبيل الرمي في الظلام كما قدمنا بيانه في المقام، فان اغضاءه صلى الله عليه وآله عنهم وموافقته لهم في بعض الأمور ورجوعه عما يقوله انما هو لتأليف

١- في (ح) وان اراد الاسلام.

قلوبهم، فان أكثر القوم في ذلك اليوم انما هم من المنافقين أو المؤمنين الغير الراسخين في الاسلام لما عرفت سابقًا في مطاعن الصحابة مما حصل منهم من المخالفات والاعتراضات، وما نصه عليهم [من] الآيات من التوبيخ لهم والذم والتقريع والله سبحانه قد امره باللين لهم واخبره بانه لو عاملهم بالفضاضة وحملهم على مر الحق لانفضوا من حوله، ويؤكده قوله سبحانه ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾[1]، فهو ﷺ لا يزال يحتمل منهم هذه المخالفات ويصبر على مضض ما يقع منهم من الاعتراضات والمراء استبقاء لاسلامهم لا انه لكونهم على الصواب وهو كان على الخطأ، ويكشف لك الغطاء عن هذا الاستبعاد ما هموا به من قتله ودفع الناقة به، وقد عرفهم واعرض عن معاقبتهم حلمًا وتكرمًا، فمن تبع امره في المجاملة معهم والصبر على الاذى إلى ان يهموا بقتله ثم يقابل بالصفح والعفو، كيف يستبعد منه الرجوع عن قول أو فعل أو أمر يأمر به مراعات لذلك الغرض المذكور على انه قد انكر ﷺ في حياته جملة من مخالفاتهم فلم يصل انكاره إلى مقام عند اولئك الاقوام، فقد انكر تخلف من قصد التخلف عن جيش اسامة وحث على تنفيذه، وزجر واكد وشدد ووكد حتى لعن من تخلف عنه كما نطقت به اخبارهم وصرحت به علماءهم، فهل وصل ذلك إلى مقام وقد نص على الامر بالكتاب فقابلوه باقبح الجواب حتى طردهم من بيته.

١- النساء/٦٦.

واما ما عدده من المخالفات فهي من قبيل ما ذكرناه، وخبر رجوعه إلى الانصار في قضية منزل بدر من هذا القبيل أيضًا، من كان ممدودًا بالنصر الإلهي وموعودًا بالفتح والتأييد الرباني ونزول الملائكة في كل آن عليه واخباره بكل ما يضر وينفع لديه، ولا سيّما في واقعة بدر التي وعد فيها بالظفر لا يحتاج إلى رأي الانصار، فانهم يبنون تدبيرهم على ما هو المتعارف بينهم وكذا بين امثالهم من تطلب الفرص والحيل في الغلبة والوجوه الدافعة للعدو بانواع من الافكار والتدبيرات.

واما خبر تأبير النخل فواضعه انما قصد الاستخفاف به ﷺ وهذه عادة القوم في سد مثالب خلفائهم يتوصلون اليها بالطعن فيه ﷺ بانواع المطاعن كما قدمنا ذكره، فانه إذا جاز عليه الخطأ جازت مخالفته وساغ رد أوامره، فيحصل العذر لاصحابهم في رد اوامره يومئذ، والعجب من هؤلاء الطغام الذين هم اضل من الانعام وان نظموا انفسهم في سمط العلماء الاعلام، انه كيف من تثمر له النخل في غير وقت ثمرتها ويغرس النواة فتصير نخلة من ساعتها كيف يخيل النخل بأمره بعدم تأبيرها مع انه أمر لا يوافق العادة الجارية في جميع البلدان، فان غاية ما يلزم من عدم التأبير نقصان الثمرة وقلتها لا ان تخيل النخل كلها، وتخصيص ذلك بكونه لما صدر عنه ﷺ من الأمر بعدم التأبير شناعة شديدة وطعن في نبوته، وهل هذا الناقل لهذا الخبر الاّ جاعلاً له من قبيل مسيلمة الكذاب حين قيل له ان النبي إذا تفل في البئر يزيد ماؤها

فتفل هو في بئر فغار ماؤها، وقد تقدم الكلام في جملة من هذه المواضع التي عدها.

بقي الكلام في أخذ الفدية من اسارى بدر، فان هذا الموضع قد صار محل فتنة لهم وشبهة لهم في جواز مخالفة اوامره صلى الله عليه وآله حيث انهم رووا من طرقهم في هذا المقام ان عمر بن الخطاب قد اشار بعدم اخذ الفدية واشار بقتلهم، وأبو بكر اشار بأخذ الفدية واطلاقهم، فلما اخذ الرسول صلى الله عليه وآله منهم الفدية واطلقهم نزلت هذه الآية ﴿ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم﴾،[1] ورووا ان عمر بن الخطاب دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر وهما يبكيان، فقال: يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والاّ تباكيت، فقال: ابكي على اصحابك في أخذهم الفداء وقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه، ورووا انه لو نزل العذاب ما نجى منه الاّ ابن الخطاب، وحينئذ فلا بد من الكلام في هذا المقام بما يقشع غشاوة الابهام.

فنقول أولاً: أنه قد روى الواقدي عن علي عليه السلام وسيأتي في كلام الشارح ان شاء الله عند نقله الواقعة، وكذا ذكر ابن حجر المتقدم في شرح صحيح البخاري ان الترمذي والنسائي وابن حيان رووه عن علي عليه السلام بسند صحيح قال: اتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر فخيره في الاسرى بين ان يضرب

---

١ - الانفال/٦٧ — ٦٨.

اعناقهم أو يأخذ منهم الفداء أو يستشهد من المسلمين في قابل عدتهم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله اصحابه وقال هذا جبرئيل يخبركم في الاسرى بين ان تضرب اعناقهم أو يؤخذ منهم الفدية ويستشهد منكم قابلاً عدّتهم، قالوا: بل نأخذ الفدية ونستعين بها ويستشهد منا من يدخل الجنة، فقبل منهم الفداء وقتل من المسلمين قابلاً عدتهم باحد[1].

ورواه أمين الاسلام الطبرسي في مجمع البيان عن عبيدة السلماني، عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لاصحابه: ولم يذكر نزول جبرئيل[2].

وروي من طريق أهل البيت عليهم السلام كما نقله الثقة الجليل علي بن إبراهيم القمي رحمه الله في حكاية قصة بدر قال: فلما قتل رسول الله صلى الله عليه وآله النضر وعقبة خافت الانصار ان يقتل الاسارى كلهم، فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: يا رسول الله قد قتلنا سبعين واسرنا سبعين وهم قومك واساراك هبهم لنا يا رسول الله وخذ منهم الفداء واطلقهم، فانزل الله عليه ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾[3] الآية إلى آخر ما قدمناه منها[4].

قال: فاطلق لهم اخذ الفداء ويطلقوهم وشرطا ان يقتل منهم في عام قابل بعدد من اخذوا منه الفداء، فرضوا منه بذلك.

١- شرح نهج البلاغة ١٤/١٧٢ – ١٧٣.

٢- تفسير مجمع البيان ٤/٤٩٤.

٣- الأنفال/٦٧.

٣- تفسير القمي ١/٢٧٠.

وأنت خبير بان انطباق الآية المذكورة على هذه الرواية اظهر منه على الرواية الاولى، وهي رواية الواقدي وان امكن أيضًا توجيه ذلك فيها بان يكون نزول جبرئيل عليهم بالتخيير بعد ان نزلت الآية بالتوبيخ لهم على أخذ الفدية واختيارها كما في رواية علي بن ابراهيم فيكون قوله في الرواية المذكورة فاطلق لهم أخذ الفداء يعني بعد نزول جبرئيل بالتخيير، وعلى هذا تجتمع الروايتان ويدل على الشرط المذكور في الروايتين قوله سبحانه في واقعة أحد ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1] فانه لما قتل من المسلمين ما قتل في أحد قالوا من اين اصابنا هذا وعادتنا النصر، قال الله تعالى لنبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴿قل هو من عند انفسكم﴾ بالشرط الذي شرط عليكم في أخذ الفدية في واقعة بدر، هذا وسيأتي ان شاء الله تعالى في نقل الشارح لقصة بدر ان أبا بكر وعمر كلما رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ متناوبين متعاقبين مرارًا عديدة في أمر الاسارى أحدهما يأمره بأخذ الفدية واطلاقهم والآخر يأمر بقتلهم، وان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دخل خيمته ثم بعد مدة خرج واستأنف المشورة وكان الناس يخوضون في كلامهما فبعض يقول القول ما قال أبو بكر، وبعض يقول القول ما قال عمر، ورووا انه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مثّل لأبي بكر وعمر بالملائكة ومثّل لهما بعدة من الانبياء الذي بعضهم يستعجل بنزول العذاب على امته، وبعضهم يصبر على اذاهم ويتربص بهم، وكيف يجامع هذا كله مع ما عرفت من رواية الواقدي التي رواها جملة من

١- آل عمران/١٦٥.

علمائهم أيضًا غيره في الصحيح نزول الآية المذكورة في استحقاق العقاب على أخذ الفدى، وكيف يجامع حديث بكاء رسول الله ﷺ وأبي بكر الذي نقلوه، وحديث لو نزل العذاب ما نجى منه الأ عمر، والتحقيق ان يقال كما ذكره بعض اصحابنا في هذا المجال والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال ان الآية انما توجه فيها العتب للمحاربين وقت الحرب حيث أمروا بالقتل كما قال سبحانه ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾[1] والمحاربين قد اسروا منهم لطمع الفدية والمال، وبعد ان وضعت الحرب اوزارها بقيت الاسارى في ايديهم، ولا ريب ان استبقائهم كان بأمر الرسول ﷺ وإرادته حتى رووا انه في تلك الليلة لم ينم فقيل له في ذلك فقال: لما اسمعه من أنين العباس في وثاقه فاطلقوه فنام رسول الله ﷺ، ولو كان الذم متوجهًا إلى ابقائهم واخذ الفدية منهم لتوجه إليه ﷺ مع ان الخطاب بقوله ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾[2] انما هو للاصحاب، فظهر ان العتاب انما وقع على الاسر وقت الحرب بدون اذنه ﷺ وكان غرضهم من الاسر ما ذكرنا من كسب المال والأ فاخذ الفداء بعد الاسر انما كان للتقوي على الجهاد على ما دلت عليه روايتهم ورواية الشيعة، وهو مما يتعلق بأمر الآخرة، والذم في الآية وقع بالنسبة إلى من يريد عرض الدنيا، فظهر انه يجب ان يكون على غير هذا الاخذ وقع وبما سواه تعلق، وهو ما قلناه من ان الذم وقع على فعل للمحاربين، ولعل غرضهم كان متعلقًا بالحطام

١- الأنفال/١٢.

٢- الأنفال/٦٧.

الدنيوي، ومما يؤكد ان هذا العتاب واستحقاق العذاب لم يكن على أخذ الفداء.

ثانيًا: الرواية التي ذكروها في دخول عمر على رسول الله ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان، فان العذاب فيها أضيف إلى الاصحاب والبكاء كان عليهم، ولم يذكر رسول الله ﷺ نفسه في البكاء والعذاب مع انه هو المستبقي للاسارى والآذن الامر لهم بالفدية ولا خيرة لهم مع امره، لانه الرئيس المتبع فما للعذاب ولهم لولا ما ذكرنا، نعم لو كان ينزل العذاب على أبي بكر وحده لكان له وجه، لانه هو المشير على الرسول بهذا الرأي والمزين له ذلك، ومفهوم روايتهم الدالة على انه لو نزل العذاب لما نجى منه الاّ عمر يتناول الرسول مع انك قد عرفت من الرواية المذكورة تخصيصه ﷺ بالاصحاب، وهو دليل على ان رواية استثناء عمر من العذاب من مخترعات القوم في الباب، بل رواية البكاء أيضًا، فان ذلك منهم ليس من العجاب لما علم من احوالهم واكاذيبهم التي لا يسترها ساتر ولا يحجبها حجاب، والله الهادي إلى الحق والصواب.

واما قوله وقد اطبقت الصحابة اطباقًا واحدًا على ترك كثير من النصوص له فهو حق كما لا يخفى على المتدبر في أحوال القوم على العموم والخصوص، وفيه أوضح دلالة وأصرح شاهد على كفر تلك الصحابة لما تقدم نقله من الآيات البينات الدالة على تحريم مخالفته والزجر والتهديد عن مباينته، والترغيب والتأكيد في الامر بموافقته وطاعته، وسيأتي ان شاء الله تعالى ما

يؤكدها ويشيدها، وكذا كفر اولئك علماء السوء والفقهاء الذين اقتدوا بهم، وكفى بذلك حجة واضحة للشيعة في هذا المقام.

لا يقال: ان هذا القائل من جملة الشيعة فلا حجية في كلامه.

لانا نقول: انتسابه للشيعة انما هو بمجرد اللسان والاّ لم يعتمده الشارح اسنادًا له، وقد عرفت ثناءه عليه في غير مكان بانه لا يرتضي قول المسرفين من الشيعة ولا يذهب إلى فسق الصحابة، وانه من القائلين بكون الخلفاء الثلاثة من أهل الجنة، وهذا مذهب فرقة الصالحية من الزيدية الذين ذكرهم في صدر المقالة الاولى من هذا الجزء بقوله: واما الصالحية من الزيدية فيقولون انه اثنى عليه حق الثناء ولم يضع المدح الاّ في موضعه ومظانه، وهؤلاء وان عدوا في فرق الشيعة بقول مطلق الاّ ان الشيعة الحقة انما هي الفرقة الامامية المحقة ومن عداهم فهو من أهل الضلال، ولدى ترى ان فروع الزيدية واصولها انما هو على طريق المعتزلة والعامة، كما قدمنا ذكره في صدر الكتاب.

واما قوله كأنهم كانوا يقيدون نصوصه المطلقة إلى آخره.

ففيه انه عذر بارد وتمحل شارد، لا يسد تلك الثلم التي فتحها، ولا يغطي تلك الفضايح والقبايح التي اوضحها، وقد كان ستر تلك الأمور التي نشرها والمخالفات التي ذكرها اولى من تغطيتها بهذا الغطاء الذي لا يسترها ولا يدفع عارها، فانه مجرد تخرص ورمي في الظلام بعد ما عرفت مما قدمنا من الاوامر القرآنية والآيات السبحانية في المقام، هب ان هذا ربما جرى في بعض الاوامر والنواهي التي خولف فيها بعد موته، اما مثل الامر بتنفيذ جيش اسامة الذي أمر

به وحث وزجر ولعن من تخلف عنه، فأي قيد هنا يمكن تقديره، وكذا أمره بالكتاب الذي رده عليه ابن الخطاب باقبح الخطاب، وهو الذي ابكى ابن عباس عند تذكاره واحلال منه البكاء والانتحاب، فأي قيد يدخل فيه، ومخالفة عمر في صلح الحديبية على ما تقدم أيضاحه وبيانه أي قيد يدخل فيه، ومخالفته في الصلاة على عبد الله بن أُبي المنافق وما فعله من الجرأة القبيحة أي قيد يعتد به ويدخل فيه إلى غير ذلك مما تقدم ذكره، ولكن هؤلاء الضلال يتمحلون من الاباطيل ما يموهون به على من حضرهم من الجهال.

واما قوله: واما مخالفتهم فيما هو محض الشرع والدين إلى آخره.

فقد تقدم الكلام فيه وما زعمه من انه قليل فليس كذلك وتمثيله بترك الوضوء رأسًا أو ترك صوم شهر رمضان وابداله بشهر شوال ونحو ذلك لا يتجهه عاقل منهم، لانه مناف لاغراضهم وناقض لرياستهم، فانهم انما تصدروا في المقام تمويهًا على الناس بقصد إعزاز الاسلام، فكيف يفعلون هذه المنكرات الموجبة للخروج عن جادته ولكنهم لم يألوا جهدًا في الدس فيها ما امكن من البدع مثل الوضوء الذي احدثوا فيه غسل الرجلين عوض المسح ردًا على الكتاب العزيز والمسح على الخفين ونحو ذلك، ومثل الاذان فاسقطوا منه حي على خير العمل قال عمرهم لئلا يتكل الناس على الصلاة ويتركوا الجهاد، وكذا اسقطوه من الاقامة وزاد في الاذان للصبح الصلاة خير من النوم، وجعل الاقامة فرادى بعد ان كانت مثنى مثل الاذان، وزادوا في التشهد الأوّل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وهو قاطع للصلاة، فابطل بها صلواتهم، وسن بعد

قراءة الحمد قول آمين، وابدع الصيام في السفر، وحرم متعة الحج والنساء، وابدع عثمان اتمام الصلاة في منى كما تقدم في مطاعنه، وابدع عمر صلاة التراويح وصلاة الضحى إلى غير ذلك مما يطول تعداده، وزوّر اتباعهم واولياؤهم حمية لهم الاخبار في ذلك تأييدًا لسنته وتشييدًا لبدعته.

واما قوله: والقوم الذين كانوا غلب على ظنونهم وتقسيمه اولئك القوم في ذلك اليوم إلى ما ذكره من الاقسام وتخصيص المنافقين بالقسم الاخير دون الباقين ولا سيما مع قوله بالنص على أمير المؤمنين وان الجميع قد اطبقوا على مخالفته عمى منه عن الطريق المستقيم أو تعام اوجبه التعصب الذميم كما تقدم ايضًا في غير مقام على ان أكثر ما حكاه من الاسباب لم تنقل الاّ عن لسان ابن الخطاب كما تقدم ذكره في أخبار هذا الباب.

واما قوله: فقال رؤساؤهم بانا خفنا الفتنة فهو حق لا ريب فيه، فان جميع ذلك كان من تمويهاتهم في المقام واعذارهم في العدول عنه عليه السلام بعد تلك الايام كما وقع من عمر في أيام خلافته وان كان مما يرغم به أنف الشارح المنكر للنص عليه عليه السلام.

واما قوله واعانهم على ذلك مسارعة الانصار ففيه انا قد بينا فيما سبق ان الانصار انما سارعت إلى هذا الامر لما علموه يومئذ من أحوال قريش وحركاتهم وسكناتهم، وجدهم واجتهادهم، وتعاهدهم وتعاقدهم في حياة الرسول صلى الله عليه وآله على صرف هذا الامر عن علي عليه السلام ومقابلتهم أوامره صلى الله عليه وآله المؤكدة لهذا الأمر بالصد والاستكبار مثل حديث الكتاب، وحديث تنفيذ

جيش اسامة ونحوها، وحديث صلاة أبي بكر للناس حيلة للتوصل لهذا المقام، وهذه كانت يومئذ امور ظاهرة مكشوفة بين الخاص والعام، وعرفوا منه صلى الله عليه وآله استيلاء قريش على ذلك وغصب حق ابن عمه حتى انه انصرفت همته صلى الله عليه وآله في آخر الامر إلى الوصية بأهل بيته والتأكيد على الناس بحفظه فيهم، ولما كان جميع ذلك معلومًا عند الانصار بادروا يومئذ إلى السبق على الامر خوفًا من استيلاء قريش عليهم وهم قد كانوا في حروب النبي صلى الله عليه وآله وتروهم وقتلوا اسلافهم كما تقدم في أخبار السقيفة في طلبهم ان يكون منهم امير خوف ذلك ولكن لحسد بعضهم لبعض، ونفاق بعضهم فسد الامر عليهم، واخذوا من اخذ منهم بالخدع والمكر، وبعض بالجبر والقهر، وبقي من بقي على الامتناع.

واما قوله قالوا لو نصبنا عليًا ارتد الناس عن الاسلام إلى آخره.

ففيه: انه على مذاقه من اعترافه بالنص، فاما ان يصدق هذا الكلام أو يكذبه، فان صدقه لزمه ان الله تعالى الآمر بذلك النص والرسول الفاعل له قد قصدا يومئذ خراب الاسلام بعد ان بيناه، وهدمه بعد ان شيداه، وهو كفر محض، وان كذبه فكيف يحكم بايمان غاصب الامام المخصوص عليها مع الاتفاق على ان رد نصوصه صلى الله عليه وآله موجب للكفر.

واما قوله: وسكت الناس عن الانكار إلى آخره.

ففيه أولاً: ما قدمناه في فصل مطاعن أبي بكر من الخبر المنقول بطريق القوم من انكار اثنى عشر رجلاً من خواص اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله من المهاجرين والانصار على أبي بكر وهو على المنبر ولكن هؤلاء يبنون الأمور

على ما يتخرصونه بظنونهم، وبه يتبين لك ما في قوله ومنهم ذو الدين وصحة اليقين الاّ انه لما رأى كبراء الصحابة قد اتفقوا إلى آخره، وفيه زيادة على ما ذكرنا ان هؤلاء انما صاروا كبراء الصحابة بغصب الخلافة والاستيلاء زورًا على الكافة، والاّ فأي سبب يوجب لهم هذا الوصف أهو بعلمهم وفضلهم زيادة على غيرهم، وكل احد يعلم انهم اجهل الصحابة كما اوضحناه في هذا الكتاب، أم بشجاعتهم وجهادهم وقتلهم الاقران ليفوزوا بقوله سبحانه ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ﴾[1] الآية، وكل احد يعلم انهم في الجبن لا نظير لهم في خلق الله، أم هم بأصلهم وانهم من اشراف بيوتات قريش وكل أحد يعلم انهم الأمهم واذمهم ولو وصفوا بصفة مدح فغيرهم في الصحابة أرفع منهم فيها بدرجات، نعم لهم تلك الاكاذيب التي اخترعتها الاموية ليثبت اس الخلافة التي وصلت اليهم ببركة تقدمهم فيها على الكافة.

واما قوله: فان كثيرًا من الناس توهموا انه ناسخ للنص الخاص.

فان فيه: ان المستفاد من الاخبار المتقدمة في المقدمة بروايات القوم ان الناس الموجودين يومئذ كانوا قد علموا النص على أمير المؤمنين عليه السلام بطريق لا تخالجه الظنون ولا يقبل النسخ الاّ من كل متخرص مفتون لما وقع منه صلى الله عليه وآله من النصوص في مقامات متعددة واوقات متكثرة والامر بالتسليم على أمير المؤمنين عليه السلام بالامرة في حياته كما قدمنا من استفاضة اخبارهم به، وما

١- النساء/٩٥.

وقع منه يوم الغدير من الحث والزجر والتأكيد والتهديد كما اشتملت عليه الخطبة الطويلة التي قدمناها برواية القوم واخباره فيها بان ذلك عن الله سبحانه ونزول الآيات القرآنية بذلك كما تقدم، فالامر في الظهور يومئذ اعظم من ان يتجلله الانكار أو يتمحل للخروج فيه بهذه الترهات التي لا تروج الاّ عند عادمي البصاير والافكار، وانما القوم سارعوا إلى هذا الامر بالقهر والاجبار خلافًا على الله ورسوله وكفرًا بما نص عليه من امامة امام الابرار.

واما قوله: واكد أيضًا في نفوسهم رفض النص الخاص إلى آخره.

فهو مردود بانه أي اجماع حصل على امامة أبي بكر بعدما عددته أخبار السقيفة المتقدمة من الفضايح والمناكر وأخذ الناس لتلك البيعة بالقهر والجبر، وقد تقدم في حديث البرّاء بن عازب في شرح قوله ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة من الجزء الأوّل قال: رأيت في الليل المقداد وسلمان وأبا ذر وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم بن التيهان وحذيفة وعمار يريدون ان يعيدوا الامر شورى، ونقل فيه أيضًا جبر الناس وقهرهم ومد ايديهم جبرًا وقهرًا إلى بيعة أبي بكر، وقد علمت أيضًا ما فعل بالحباب بن المنذر والزبير، وما فعلوه بعلي عليه السلام وجملة بني هاشم حتى اعترف عاقدها بانها فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، فأي اجماع كان يومئذ لولا ضلال العقول عن الهدى والجنوح إلى الآراء والاهواء، ويرد حديثه الدال على انه صلى الله عليه وآله سأل الله سبحانه ان لا تجتمع امته على ضلال فاعطاه اياها الخبر المتفق عليه الدال على افتراق الامة بعده ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة والباقون في النار، ومن

المعلوم ان استحقاق النار انما ناشيء من الضلال الذي اشتركوا فيه واجتمعوا عليه.

واما قوله: وقواها زيادة على ذلك اشتغال علي عليه السلام.

ففيه: ان عليًا عليه السلام وبني هاشم لما كانوا بنبوته من الموقنين وبمصابه من المحزونين فضلاً عن كونهم من المقربين الاقربين ما كانوا ليدعونه ملقى على فراش الممات من غير تجهيز ولا غسل ولا صلاة ولا دفن، ويخرجون عنه للنزاع مع اولئك البغاة الطغاة كما تقدم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في أخبار السقيفة.

واما قوله: وكانت العرب لا ترى الغدر ولا تنقض البيعة صوابًا كان أو خطأ.

ففيه: انه كيف لا ترى ذلك وقد غدرت بعلي عليه السلام ونقضت بيعة الرسول له بغدير خم الذي نص عليه فيه بأشد نص واوثقه وآكده، وهو ممن يعترف بالنص ويقول به، فكيف يتم هذا الكلام بناء على مذهبه.

واما قوله: وقد قالت له الانصار وغيرها ايها الرجل لو دعوتنا إلى نفسك إلى آخره.

ففيه: رد لما ذكره سابقًا من العذر لاولئك الخلفاء في مخالفتهم النص لانه لا تطيعه العرب، وان ولايته تفضي إلى ارتداد الخلق، لانه إذا كان هذا عذر الانصار وغيرها له بانه لو دعى إلى نفسه قبل بيعة أبي بكر لاجابوه وكانوا لا يعدلون به احدًا، والانصار كما عرفت هم حماة الاسلام وبهم قام، فمن

اولئك العرب الذين يرتدون يومئذ بولايته عليه السلام الاّ ان يراد بهم يومئذ انما هم قريش ويقدمهم أبو بكر وعمر وابن الجراح وامثالهم من خافوا بولاية علي عليه السلام تكدر النعيم والعيش، فقاموا وقعدوا، وجدوا واجتهدوا، وصوبوا وصعدوا في البيعة لأبي بكر وصرف الأمر عن علي عليه السلام وجبر الناس وقهرهم على بيعة أبي بكر، وحينئذ فلا ريب في صحة هذا الكلام وانتظامه أحسن الانتظام، إذ لا ريب انه لو ولي الأمر علي عليه السلام لكانوا أول المرتدين في حافرتهم لما فاتهم مما املوه باظهار الاسلام، وهو نيل الدنيا والرئاسة فيها والوصول إلى هذا المقام.

واما قوله: ومما جرأ عمر على بيعة أبي بكر إلى آخره.

ففيه أولاً: انه انما جرأه نفاقه وكفره بالله سبحانه ورسوله الذي شهدت به هذه المخالفات والرد على الله ورسوله في هذه الأمور المعدودة كما شهدت به الآيات القرآنية والتنزيلات الربانية، وقد اوضحنا سابقًا ان رجوع الرسول صلى الله عليه وآله أو إلى غيره من المخالفين لاوامره لا دلالة فيه على الرضا بذلك وتخطيته نفسه وتصويب غيره بل هو اعم، والعام لا دلالة له على الخاص، ومعتقد التخطئة عليه صلى الله عليه وآله والتصويب لابن الخطاب فيما عده من هذه الابواب زنديق لا يستحق الجواب.

وثانيًا: ان الذي جرأه انما طمعه فيما امله من انتقال الملك والخلافة اليه بعد أبي بكر حيث انه يعرف نفسه وما هو عليه من الرذالة وخبث الاصل وسوء السيرة والسريرة، وان الناس لا يولونه امورهم فنصب هذا العجل لهم ووطأ له

الأمور ليردها عليه بعد موته كما جبهه به علي عليه السلام في وجهه يوم ساقه للبيعه من قوله له احلب حلبًا لك شطره، اشدد له اليوم ليرده عليك غدًا.

وثالثًا: ما ذكره شيخنا المتقدم ذكره في الوجه الثالث والعشرين[1] ونقله عن عمر انه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله فيمن رد كلامه دعني اضرب عنقه فقد نافق الدال بان كل من رد كلامه صلى الله عليه وآله فهو منافق مستوجب للقتل فهو حكم منه على نفسه في هذه المقامات المعدودة بالنفاق واستحقاق القتل، فكيف استجاز هذا الضال وغيره من اولي الضلال عن هذه المخالفات هنا لعمر من الفضايل والمناقب التي تدل على فضله وعلو همته في الدين ونظره لمصالح المسلمين المؤذن باثبات نقيضها له صلى الله عليه وآله بزعم هؤلاء المعتدين.

ورابعًا: ان هذا الكلام مما يؤيد ما قدمناه في الرد على الشارح الضال فيما ذكره من عدم احتجاج علي عليه السلام بالنص يوم ساموه البيعة، وانما احتج بالفضايل والمناقب والقرابة فانه إذا كان هذا حال القوم في العمل بنصوصه صلى الله عليه وآله في حياته وقبال وجهه وهو على شوكته فلم يقفوا معها عند شهوات نفوسهم بل في بعض الأمور التي لا غرض لهم متعلق بالمخالفة الاّ مجرد اللدد والعناد، فكيف بعد موته فيما لهم فيه مصلحة وأي مصلحة من الملك والرياسة على العباد.

واما قوله: على ان الرجل ما اهمل امر نفسه إلى آخره.

١- في (ح) لايوجد الثالث والعشرين.

ففيه: ان هذا كله انما هو من تمويهات اوليائه لـه لسد مثالبه ومطاعنه والاّ فالنص فى ذلك لا يستر بهذه التمويهات الباردة والتخريجات الشاردة، نعم يمكن التمويه بهذه الأشياء من دخل في الاسلام في زمن خلافتهم وولايتهم والاّ فكل من صحب الرسول ﷺ في تلك الايام وكان ملازمًا له في كل مقام، فثبوت امامة علي عليه السلام عنده اظهر من الشمس في دائرة النهار كما عرفته مما قدمنا من الاخبار المتكررة منه ﷺ في غير موقف على ممر الادوار، ونفاق القوم في ذلك اليوم مما انكشف عنه الاستار بين جملة الحضار ولكن حيث ان كلامنا معهم انما هو جريًا على مقتضى اخبارهم التي يسترون فيها ذلك حسب الجهد والاجتهاد اعرضنا عن بسط الكلام فيه بما يطابق المطلوب والمراد.

واما قوله: ثم عاب عليًا بخطبته بنت أبي جهل إلى آخره.

ففيه: أوضح دلالة على ما قدمناه من ان منشأ هذا الكذب على علي عليه السلام انما هو منه ومن صاحبه حيث مشيا إلى فاطمة عليها السلام واخبراها بذلك قصد الفتنة والتفريق بينهما، وهو اظهر شاهد على بغض عمر له عليه السلام، وقد شهدت اخبارهم بان بغضه عليه السلام آية النفاق.

واما قوله: وارضاه عمرو بن العاص فروى حديثًا افتعله إلى آخره.

ففيه: تأكيد للاول، وفيه دلالة على ان المراد بقوله عليه السلام فيما تقدم في الجزء الحادي عشر في ذكره المنافقين ثم تقربوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والبهتان على ان مراده عليه السلام بائمة الضلال هم هؤلاء الخلفاء لا ما

تمحله الشارح الضال من الحمل على معاوية وابن العاص حسبما تقدمت الحقيقة ثمة.

واما قوله: ثم أكد حسن الظن بهم انهم طلقوا انفسهم من الاموال.

فكلام حق وقول صدق ولكن هذا انما يتم بالنسبة إلى من ذكرناه ممن دخل في الاسلام بعد موت الرسول صلى الله عليه وآله وكان بعيدًا عن ملازمة الرسول صلى الله عليه وآله والاّ فجملة الملازمين له لا يخفى لهم احوال الرجلين وان زهدوا واجتهدوا وما هما عليه من النفاق والتصدر فيما ليسا له باهل، نعم ان ما ذكره قد صار فتنة ومحنة واعظم شبهة لاصحاب البلدان البعيدة التي افتتحت في زمانهم فتهالكوا على حبهم وتقربوا بالقول بامامتهم فمن لم يطلع على حقايق تلك الأمور ولم يسمع من الرسول ما قاله في حق علي عليه السلام من تلك الاخبار الساطعة والانوار اللامعة في امامته وفضله وشرفه وتقدمه وهلاك من خالفه أو ابغضه وتقدمه كالبدور أو كالنور على الطور، وانما قول الشارح الضال حيث رأى ان في كلام شيخه ما يزري بشأن خلفائه على ان العلوي لو كان كراميًا إلى آخره.

ففيه: انه لو كان علويًا على الحقيقة لجرى بجده وجهده على تلك الطريقة وتعصب لآبائه الذين هم على جادة الحق، وتبرأ ممن عاداهم وغصب حقوقهم واغصب الآل له في حقهم وعق مع اقتضاء ادلة الكتاب والسنة ذلك حسبما أوضحناه في مباحث هذا الكتاب، ورفعنا عنه حجب الشك والارتياب.

وفي المقام حكاية حسنة يليق ذكرها ويحسن سطرها نقلها في كتاب مجالس المؤمنين عن شيخنا العلامة اجزل الله تعالى في دار الجزاء اكرامه وانعامه في ترجمته من الكتاب ما هذه صورته: واز لطايف كلماتی که جناب شيخ را در جواب سید موصلی واقع شده آن است که روزی در مجلس سلطان محمد خدابنده به مناظره مخالفون اشتغال نموده وبعد از تمام مطلب خود برسم شکر گذاری خطبه مشتمل بر حمد الهی وصلوات حضرت رسالت پناهی وآل ولایت همجاهی ادا کرد وچنانچه در مذهب امامیه جایز است صلوات بر آل بر سبیل انفراد فرستاد سید مذکور جون در ادله شیخ دخل نتوانست مناسب چنان دید که منع جواز توجیه صلوات بر آل مناقشه پیش آرد شاید در اینجا کاری تواند ساخت لا جرم با شیخ گفت چه دلیل داری بر جواز توجیه صلوات بر غیر انبیا شیخ در جواب گفته که دلیل این آیه کریمه است که ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[1] آن سید از غایت عناد واضاعة حقوق آباء واجداد کفت که علي بن أبي طالب واولاده او را چه مصیبت رسیده جناب شیخ مصایب مشهور أهل بیت را بظهور واگذاشته زیادتی انفعال او فرمود که چه مصیبت از این بدتر با شد که مانند تو فرزندی ایشان را بهم رسیده که تفضیل بعضی از منافقان بر ایشان میدهی ورجحان گروهی از جهال بر ایشان می نهی حاضران از قوه

١- البقرة/١٥٦.

بديهه جناب شيخ تعجب نموده برسيد مذكور خنديدند وبعضى از فضلاى شعرا كه در آن مجلس حاضر بودند اين بيت را در شأن آن سيد نظم كردند:

إذا العلـــوي تـابـــع ناصبيـــاً   بمذهبـه فمـا هـو مـن ابيـه

وكـان الكلـب خيـراً منـه طبعًـا   لان الكلـب طبـع ابيـه فيـه

انتهى.

تتمة مهمة

ولنذكر هنا من الآيات الواضحة المنار الساطعة الانوار مما يدل على بطلان ما زخرفه هؤلاء الضلال من الاعذار لاولئك الذين هم رؤوس الضلال في مخالفة رسول الملك المتعال.

فمنها: قوله عزّ وجل ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وجه التقريب انه لو جاز الخطأ على هذا النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في اوامره ونواهيه حتى تستدرك عليه امته ذلك ويهدونه إلى الصواب فيما هنالك لم تحقق المنّة به من الله سبحانه، وكيف تحقق المنّة عن من يحصل به الغواية والضلالة ولو في بعض اموره واحواله، وكيف يثبت كونه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وهو في بعض اوامره ونواهيه انما يغويهم ويضلهم عما يصلحهم، وكيف يتحقق انهم قبل بعثته في ضلال وعندهم هذه العقول التي هي اشرف من عقله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في الاهتداء إلى مصالح الاسلام ومراشد الانام، انظروا إلى هؤلاء المعدودين في العلماء الاعلام وهم اضل من الانعام.

ومنها: قوله عزّ وجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى

١- آل عمران/١٦٤.

رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾[1].

قال المفسرون: أي اتاكم حجة من الله تبرهن لكم عن صحة ما امركم به وهو محمد ﷺ لما معه من المعجزات القاهرة الشاهده بصدقه، فاما الذين آمنوا به سبحانه واعتصموا بتلك الحجة فسيدخلهم في رحمته، ولا ريب ان من خالفه وخطأه في أقواله وافعاله فانه لم يعتصم به في ذلك، فلا يستحق الدخول في رحمته، والآية مطلقة لا دلالة لها على التخصيص بامر دون آخر، ولا مقيد من خارج، وبه يثبت المطلوب.

ومنها: قوله سبحانه ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾[2].

قال البيضاوي في تفسيره واجلة علماء القوم: وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء إلى الناس ضرورية لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها، انتهى[3].

وفيه كما ترى دلالة على ان عقول الامة قاصرة عن ادراك جزئيات المصالح، وانما ارسل الله سبحانه الرسل لاجل بيان تلك المصالح والهداية اليها، فكيف انقلب الامر عند هؤلاء الضلال حتى جعلوا الامة تهدي الرسول ﷺ إلى المصالح في جملة من الاحوال، وبتقريب آخر ان الغرض من

١- النساء/١٧٤ — ١٧٥.

٢- النساء/١٦٥.

٣- تفسير البيضاوي ٢٥٦/١.

ارسال الرسل دفع احتجاج الامم في مخالفاتهم لما يريد الله تعالى سبحانه بانك لم ترسل لنا رسولاً ليأمر فينا وينهي لنتبع اوامره ونواهيه فتسقط هنا المؤاخذة، فكيف ساغ مخالفة تلك الاوامر والنواهي والحال هذه.

ومنها: قوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[1]، الآية.

ولا يخفى انه لو جاز الخطأ والمخالفة للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه في الأمور الدينية ولا سيّما الامامة التي هي اعظمها واصلها كما تقدم بيانه لم يتحقق صدق قوله تعالى واخباره بانه قد اكمل الدين بل كان ناقصًا، وانما اكملته الناس باستدراكهم اغلاط رسوله.

ومنها: قوله تعالى ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

وجه الدلالة انه قد وصف رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه بانه نور يهدي به الله من اتبع رضوانه، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهدي إلى الصراط المستقيم، وإطلاق الآية شامل لجميع الأمور الدنيوية والدينية، ولو جاز عليه الخطأ حتى تستدرك عليه أمته ويهدونه لكان على عكس هذه الصفات، فيكون ظلمة لا

١- المائدة/٣.

٢- المائدة/١٥ — ١٦.

نورًا، ومخرجًا من النور إلى الظلمات، ولكان ضالاً عن الصراط المستقيم، وهذه الاوصاف منه سبحانه له ﷺ لا تخصيص لها بحال دون حال، ولا امر دون أمر، ولا وقت دون آخر، ولا قول دون قول، بل هي شاملة لجميع الأمور والاقوال والاوقات والازمان، فكيف يتم ما ذكره هؤلاء الضالون المتخرصون.

ومنها: قوله سبحانه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[1].

في عدة آيات، ولا خلاف هنا في ان المراد بالولي هو الاولى والاحق بالتصرف والتدبير في أمور الدين والدنيا، والنظر في مصالح العباد ومعرفة ما يترتب عليها من صلاح وفساد، فاذا كان الله عزّ وجل قد حصر الولاية في نفسه ورسوله واولي الامر بعدهما كما في بعض تلك الآيات، ومن الظاهر لكل ذي طبع سليم وفهم قويم ان الله سبحانه العالم بمصالح العباد والناظم لامور معاشهم ومعادهم بما يوافق المصالح الراجعة اليهم، والمراد لا يجعل ذلك الاّ لعارف عالم بجملة المصالح، معصوم من الخطأ والخلل في جميع اموره وأقواله وأفعاله دينًا ودنيا، وجعله سبحانه ذلك في قرن نفسه جل شأنه اظهر دليل على ذلك، فكيف يتم حينئذ جواز تخطئة الرسول ﷺ في بعض اقواله وافعاله وعدم اهتدائه للمصالح وانما تهديه اليها امته، ومن الظاهر ان الله سبحانه انما قرن نفسه بالرسول في هذه المقامات تنويهًا بشأنه وتعظيمًا له وتنبيهًا على ان كلما يترتب على افعال رسوله واقواله فهي راجع اليه سبحانه من اطاعة أو مخالفة أو نحوهما، واصرح من ذلك قوله سبحانه ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ

١- المائدة/٥٥.

﴿مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾[1]، وكيف يجعل سبحانه هذه الاولوية له في أمور الدين والدنيا كما هو ظاهر الاطلاق مع عدله سبحانه وحكمته والحال انه يعلم ان رسوله يجوز عليه الخطأ في أمور الدين والدنيا.

ومنها: قوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾[2]، وقوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴾[3]، الآية.

وقوله ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[4].

والتقريب ان المحادة لغة هي المخالفة والمناقضة،[5] وقد دلت الآيات المذكورة على ان من خالف الرسول صلى الله عليه وآله في أمر ديني أو دنيوي كما هو مقتضى إطلاق الآيات المذكورة فهو من المكبوتين والاذلين وفي نار جهنم من المعذبين المخلدين، وقد عرفت سابقًا، وسيأتي ما يؤيده من كلام المفسرين ان اضافة الله سبحانه نفسه في امثال هذه المقامات انما هو للدلالة على ان كل من خالف الرسول صلى الله عليه وآله فقد خالفه سبحانه.

١- الاحزاب/٦.

٢- المجادلة/٥.

٣- المجادلة/٢٠.

٤- التوبة/٦٣.

٥- النهاية لابن الاثير ٣٣٩/١، (حدد).

ومنها: قوله عزّ وجلّ ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[1]، الآية.

وجه التقريب انه إذا كان الله تعالى قد اخبر انه هداه إلى صراط مستقيم وطريق معتدل وهو عام لجميع الأمور الدينية وقد بينه له واوضحه وارشده اليه، وان دينه الذي اتى به على نهاية الاستقامة لا يعتريه عوج ولا أمت، فكيف يجوز عليه الخطأ فيه حتى تستدرك عليه امته في حال وجوده وبعد موته وان يهتدوا لمصالح التكليف فيه دونه صلى الله عليه وآله.

ومنها: قوله سبحانه ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وجه التقريب أولاً: ما دلت عليه الآية الاولى من نفي الايمان عن هؤلاء الذين يقولون بألسنتهم آمنا بالله والرسول واطعناهما فيما يأمران به ويحكمان ثم يتولى فريق منهم ويصدون عن الطاعة، ولا ريب ان هذا صادق على هؤلاء

١- الانعام/١٦١.

٢- النور/٤٧ – ٥١.

الذين يدّعون الايمان بالله سبحانه ورسوله ثم يرتكبون المخالفة لاوامره والرد عليه والمناقضة لاوامره في الحياة أو الممات، وحينئذ فدعواهم الايمان بمقتضى الآية كذب وبهتان.

وثانيًا: انه سبحانه ذم هؤلاء الذين إذا دعوا إلى الله ورسوله، والمراد انما هو الدعاء إلى الرسول خاصة وان ذكر الله سبحانه نفسه انما هو من قبيل ما قدمنا ذكره كما يدل عليه افراد الضمير في ﴿لِيَحْكُمَ﴾ في الآيتين المذكورتين.

قال امين الاسلام الطبرسي قدس سره في كتاب مجمع البيان: وانما افرد الضمير في ﴿لِيَحْكُمَ﴾ بعد قوله ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، لان حكم الرسول انما يكون بامر الله تعالى، فحكم الله ورسوله واحد، انتهى[1].

وقال القاضي البيضاوي في تفسيره أي ليحكم النبي فانه الحاكم ظاهرًا والمدعو اليه، وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله، انتهى[2].

ثالثًا: انه سبحانه وصف المؤمنين الصادقين في الايمان بانهم هم الذين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم قابلوا بالاجابة بالسمع والطاعة ووصفهم بانهم المفلحون الفائزون، فدل ذلك على ان الايمان به صلى الله عليه وآله والتصديق بنبوته مستلزم لمقابلة اوامره ونواهيه وتلقيها بالسمع والطاعة والانقياد لا الرد والمخالفة والعناد.

١- تفسير مجمع البيان ٢٦٣/٧.

٢- تفسير البيضاوي ١٩٦/٤.

ومنهـا: قولـه سبحانه ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[1].

وجه التقريب انه سبحانه اخبر بانه انزل مع رسله الكتاب والميزان الذي هو العدل ليقوم الناس بالقسط والعدل في جميع امورهم واحوالهم، فاذا كان الله سبحانه قد انزل العدل مع رسوله ﷺ فكيف يجوز ان يخالفه عمدًا وجهلاً، ويأتي الناس بالظلم ولا سيّما نصه على أمير المؤمنين عليه السلام الموجب لارتداد عامة الخلق لو عمل بنصه بزعم هؤلاء الضلال، وكذا في نصه على الكتاب كما زعمه ابن الخطاب من انه قد منعه من ذلك اشفاقًا وحياطة على الاسلام، وكذا نصه على تنفيذ جيش اسامة كما زعمه هذا الضال وامثاله من انهما تخلفا لما رأو المصلحة في الاسلام وحفظ البيضة وامثال ذلك مما تقدم.

ومنهـا: قولـه سبحانه: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[2]، الآية.

والتقريب ما تقدم في سابقتها، وكيف يؤمر بالعدل في جميع الأمور من لا يحسنه بل يجوز عليه الخطأ والجهل كما يزعمه هؤلاء الضلال من ان جميع اوامره التي خالفته فيها الصحابة كلها كانت مفاسد للامة، وانما المصلحة فيما خالفوه فيه وردوا به عليه كما عدده هذا الضال بقوله وانكر عليه عمر في كذا، وانكر عليه في كذا.

١- الحديد/٢٥.

٢- الشورى/١٥.

ومنها: قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[1].

ولو كان ما يزعمه هؤلاء الضلال من جواز الخطأ عليه حقًا لكان لا يؤمن منه ان لا يخرج الناس من النور إلى الظلمات بل قد فعل بمقتضى كلامهم في بعض تلك المخالفات التي زعموا انهم لو عملوا بمقتضى أمره للزم فساد الاسلام واضمحلاله، وحينئذ فيكون ابن الخطاب هو الذي اخرج الناس من ظلمات الفساد والجهل إلى نور الحق والصواب، فهو النبي والرسول حينئذ في امثال هذا الخطاب.

ومنها: قوله سبحانه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

ولو كان ما يدعونه هؤلاء الحمقاء الجهال التائهين في اودية الضلال من ابن الخطاب واتباعه في هذا المجال من خطأه ﷺ ولا سيّما في الامامة حقًا لكان ارساله ﷺ نقمة على العالمين لا رحمة لهم إلى غير ذلك من الآيات الواضحة والحجج المفصحة، وليت شعري كيف عميت ابصار بصائر هؤلاء العلماء الاعلام المعدودين عند انفسهم وعند غيرهم من اولئك الانام من فرسان النقض والابرام عن النظر في جملة هذه الآيات الموردة في المقام حتى قابلوا بهذه الخرافات والترهات والمزخرفات التي تمجها العقول الصحيحة

١- الطلاق/١٠ – ١١.

٢- الانبياء/١٠٧.

والافهـــــام ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾[1].

وأنت خبير بانه لو كان القوم يقابلون بالانصاف لكان يكفيهم في الارتداع عن ارتكاب هذا الاعتساف التأمل والنظر في علو مرتبة هذا الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عند الله عزّ وجل حيث انه كما عرفت في جملة الآيات القرآنية فقرن نفسه سبحانه برسوله لمزيد التعظيم لشأنه والتنويه بمقامه والاعلام لخلقه بان كلما وقع من ذلك الرسول أو وقع عليه أو رجع بوجه من الوجوه اليه فهو واقع منه سبحانه وواقع عليه وراجع اليه، فطاعة الرسول طاعته سبحانه، ومعصيته معصيته، والرد عليه رد عليه، والاذى له اذى له، وهكذا لا اختصاص له بأمر دون أمر، ولا حال دون حال، ولا استثناء في ذلك لاحد من النساء أو الرجال، ولا فرق بين الأمور الدنيوية أو الدينية كما عرفت من إطلاق جملة من الآيات وما ادب به عباده في حقه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من ان لا يجعلوا دعاء الرسول بينهم كدعاء بعضهم بعضًا وان ترفعوا فوق صوته، ولا تجهروا له بالقول بل يخفضوا اصواتهم يغضوها عند خطابه تذللاً له وخضوعًا واستكانة حتى توعد على ذلك بحبط الاعمال، وان لا ينادونه من وراء الحجرات بل يصبرون إلى ان يخرج لهم من نفسه، وان لا يؤذونه بما يكدر خاطره ولا ترضى به نفسه حتى توعد على ذلك بأليم العذاب، وامر باطاعته على الاطلاق في جملة من الآيات وجعله اولى بالمؤمنين من انفسهم، وامر بنصره وتعظيمه فقال ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

١- الانعام/١٥٧.

بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، وامثال ذلك، وهذا وامثاله كان كافيًا لهم ورادعًا عن تجويز مخالفته والرد عليه ونسبته إلى الجهل والخطأ في الأمور والازراء بجلالة شأنه ورفعة مقامه ومكانه التي اثبتها الله سبحانه له في هذه المقامات، ونحن لا نلزم اولئك المتقدمين على ما صدر منهم في رد اوامره ومخالفته لما ثبت عندنا من نفاقهم بل هم رؤوس المنافقين، وانما نلوم هؤلاء الذين يدعون انهم على دين الاسلام بل الاجلاء فيه والاعلام ومع هذا يمهدون لاولئك الاعذار في هذا المقام خلافًا على الله سبحانه فيما انزله عليهم من هذه الآيات النيرة الاعلام ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[2].

قال: قال في المقام على أثر ما تقدم من الكلام: ونرجع إلى ذكر كلام عمر من خطبه وسيرته، كتب عمر الى ابي موسى الاشعري لما استعمله قاضيًا وبعثه الى العراق من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس، سلام عليك، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم ما ادلي اليك فانه لاينفع كلام بحق لا نفاد له، آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمع شريف في حقك، ولاييأس ضعيف من عدلك، البيّنة على من ادعى، واليمين على من انكر، والصلح جايز بين المسلمين الاّ صلحًا احل حرامًا أو حرم حلالاً، لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه

١- الاعراف/١٥٧.

٢- القصص/٥٦.

لرشدك ان ترجع الى الحق، فان الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولاسنة، ثم اعرف الاشياء والامثال وقس الامور عند ذلك، واعمد الى اقربها الى الله عزّ وجل واشبهها بالحق، واجعل لمن ادعى حقًا غايبًا أو بيّنةً امدًا ينتهي اليه، فان احضر بينته أخذت بحقه ولا استحللت عليه القضية، فانه انفى للشك واجلى للعمى، المسلمون عدول بعضهم على بعض الاّ محدودًا في حد أو مجريًا عليه شهادة زور أو ضنينًا في ولاء أو نسب، فان الله عز وجل تولى منكم اليسير، ودرأ عنكم بالبينات والأيمان والشبهات، اياك والقلق والشج والتأدي والخصوم والتنكر عند الخصومات، فان الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الدخر، فمن صحت نيته واقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله عز وجل منه انه ليس من نفسه، شنه الله، فما ظنك بثواب الله في عاجل رزقه وخزاين رحمته، والسلام.

ذكر هذه الرسالة أبو محمد العباس محمد بن يزيد المبرد في كتاب الكامل واطراها وقال: انه جمع فيها جمل الأحكام واختصرها بأجود الكلام وجعل الناس بعده يتخذونها امامًا، ولايجد محق عنها معدلاً، ولا ظالم عن حدودها محيصًا[1].

ثم ساق جملة من كتبه الى عماله ووصاياه وطرفًا من سيرته إلى ان قال: وروى أبو سعيد الخدري، قال: حججت مع عمر حجة حجها في خلافته، فلما

١- شرح نهج البلاغة ٩٠/١٢، الكامل للمبرد ١٢/١.

دخل المسجد الحرام دنا من الحجر الاسود فقبلّه واستلمه، وقال: اني لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع، الحديث[1].

وقد قدمناه في فصل مطاعنه، ثم قال بعده: قلت: وجدنا في الآثار والاخبار في سيرة عمر اشياء تناسب قوله في الحجر الاسود، كما امر بقطع الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وآله تحتها بيعة الرضوان في عمرة الحديبية، لان المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا يأتونها فيقيلون تحتها، فلما تكرر ذلك أوعدهم ثم أمر بها فقطعت.

وروى المغيرة بن الاسود، قال: خرجنا في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر ﴿ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل﴾ و﴿لإيلاف قريش﴾، فلما فرغ رأى الناس يبادرون إلى مسجد هناك، فقال: ما بالهم؟ قالوا: مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فالناس يبادرون إليه، فناداهم فقال: هكذا أهل الكتاب اتخذوا آثار انبيائهم بيعًا من عرضت له صلاة في المسجد فليصل، ومن لم تعرض له صلاة فليمض، واتى رجل من المسلمين إلى عمر فقال: انا لما فتحنا المداين اصبنا كتابًا فيه من علوم الفرس وكلام معجب فدعا بالدرة فجعل يضربه بها ثم قرأ ﴿نحن نقص عليك احسن القصص﴾ ويقول ويلك اقصص أحسن من كتاب الله؟ انما هلك من كان قبلكم لانهم اقبلوا على كتب علمائهم واساقفتهم وتركوا الانجيل والتوراة حتى درسا وذهب ما فيهما من العلم[2].

١- شرح نهج البلاغة ١٠٠/١٢.

٢- شرح نهج البلاغة ١٠١/١٢، وفيه: روى المغيرة بن سويد.

وجاء رجل إلى عمر فقال: ان ضبيعًا التميمي لقينا يا أمير المؤمنين فجعل يسأل عن تفسير حروف من القرآن، فقال: اللهم امكنني منه، فبينا عمر يومًا جالسًا يغدي الناس إذ جاءه ضبيع وعليه ثياب وعمامة فتقدم وأكل حتى إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين ما تفسير الذاريات ذروًا فالحاملات وقرًا؟ قال: ويحك أنت هو، فقام اليه فحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فاذا له ضفيرتان، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقًا لضربت عنقك، فجعل في بيت ثم كان يخرجه كل يوم فيضربه مائة، فاذا برأ اخرجه فضربه مائة أخرى ثم حمله على قتب فسيره إلى البصرة، وكتب إلى أبي موسى الاشعري يأمره ان يحرم على الناس مجالسته وان يقوم في الناس خطيبًا ثم يقول: ان ضبيعًا ابتغى العلم ثم اخطأه فلم يزل وضيعًا في قومه وعند الناس حتى مات وهلك، وقد كان من قبل سيد قومه، وقال عمر على المنبر ألا ان اصحاب الرأي اعداء السنن اعيتهم الاحاديث ان يحفظوها فافتوا بآرائهم فضلوا واضلوا، ألا انا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، انه ما ضلّ من تمسك بالاثر.

إلى ان قال: وروى الزبير بن بكار قال: خطب عمر أم كلثوم إلى علي، فقال له: انها صغيرة، فقال: زوجنيها يا أبا الحسن فاني ارصدك كرامتها ما لا يرصده احد، فقال: انا ابعثها اليك، فان رضيتها زوجتكها، فبعثها اليه ببُرد وقال لها قولي له: هذا البرد الذي ذكرته لك، فقال لها: قولي قد رضيته رضي الله عنك، ووضع يده على ساقها، فقالت له: اتفعل هذا والله لولا انك أمير المؤمنين

لكسرت انفك، ثم جاءت اباها فاخبرته الخبر وقالت: بعثتني إلى شيخ سوء، فقال: مهلاً يا بنية انه زوجك، فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين في الروضة وكان يجلس فيه المهاجرون والاولون فقال: رقيوني رقيوني قالوا بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوجت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة الاّ سببي ونسبي وصهري.

ثم ساق جملة من خطبه ونقل قوله في الاولى منها: ايها الناس اني وليت عليكم ولولا رجاء ان أكون خيرًا لكم واقواكم عليكم واشدكم استضلاعًا بما ينوب من مهم اموركم ما توليت ذلك منكم، إلى ان قال: ايها الناس ان الله قد ولاني امركم، وقد علمت انفع ما لكم، واسأل الله ان يعينني عليه وان يحرسني عنده كما حرسني عند غيره، وان يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمر به، فاني امرء مسلم وعبد ضعيف الاّ ما اعان الله.

إلى ان قال فيها أيضًا: وانا مسؤل عن امانتي وما انا فيه، ومطلع على ما يحضرني بنفسي ان شاء الله تعالى لا اكله إلى احد ولا استطيع ما بعد منه الاّ بامناء وأهل النصح منكم للعامة، ولست احمل امانتي إلى أحد سواهم ان شاء الله.

ثم قال في خطبة أخرى بعدها: ايها الناس اني وددت والله ان انجو كفافًا لا عليَّ ولا لي إلى آخر خطبته.

وقال الشارح بعدها: لما اسر الهرمزان صاحب الاهواز وتستر وحمل إلى

عمر، ثم نقل حكاية الاتيان به إلى عمر وكلام عمر له بقوله: فما عذرك في نقضك مرة بعد أخرى؟ قال: اخاف ان قلت ان تقتلني، قال: لا بأس عليك فاخبرني، قال: فاستسقى ماء وجعلت يده ترعد، قال عمر: ما لك؟ قال: اخاف ان تقتلني وانا اشرب الماء، قال: لا بأس عليك حتى تشربه، فالقاه من يده، فقال: ما لك؟ اعيدوا عليه الماء، ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش، قال: كيف تقتلني وقد امنتني، قال: كذبت، قال: لم أكذب، قال انس: صدق يا أمير المؤمنين، قال: ويحك يا انس انا اؤمن قاتل مجزز بن ثوير والبراء بن مالك، والله لتأتيني بالمخرج او لأعاقبنك، قال: انك قلت لا بأس عليك حتى تخبرني، ولا باس عليك حتى تشرب، وقال اناس من المسلمين مثل قول انس، فقال: تخدعني، والله لا تخدعني الاّ ان تسلم، فاسلم.

ثم اطال الشارح الكلام في نقل الفاظ عمر وحكمه واقواله إلى ان قال: وقال عمر: ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان، حلم يرد به الجاهل، وورع يحجزه عن المحارم، وخلق يداري به الناس.

ثم ساق كلامه إلى ان قال: فاما ما نقل عن عمر من الالفاظ الغريبة اللغوية التي شرحها المفسرون، فنحن نذكر من ذلك ما يليق بهذا الكتاب.

ثم [قال:] قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه: روى عبدالرحمن بن أبي زيد، عن عمران بن سوادة الليثي، قال: صليت الصبح مع عمر فقرأ سبحان وسورة معها ثم انصرف فقمت معه، فقال: قلت: أحاجة، قال: فالحق فلحقت، فلما دخل اذن، فاذا هو على رمال سرير ليس فوقه شيء،

فقلت: نصيحة، قال: مرحبًا بالناصح غدوًا وعشيًا، قلت: عابتك امتك أو قال رعيتك عليك أربعًا، قال: فوضع عود الدرة ثم ذقن عليها هكذا، روى ابن قتيبة وقال أبو جعفر: فوضع رأس درته في ذقنه واسفلها في فخذه وقال: هات.

قال: ذكروا انك حرمت المتعة في شهر الحج، وزاد أبو جعفر وهي حلال ولم يحرمها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، فقال: اجل انكم إذا اعتمرتم في اشهر حجكم رأيتموها مجزية من حجكم، ففرغ حجكم وكانت قابية قوب عامها والحج بهاء من بهاء الله، وقد اصبت.

قال: وذكروا انك حرمت متعة النساء، وقد كان رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاثة، قال: ان رسول الله ﷺ احلها في زمان ضرورة ورجع الناس إلى السعة، ثم لم اعلم احدًا من المسلمين عاد اليها ولا حمل بها، فالآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق، وقد اصبت.

قال: وذكروا انك اعتقت الامة إذا وضعت ذا بطنها بغير عتاق سيدها، قال: الحقت حرمة بحرمة ما اردت الاّ الخير واستغفر الله.

قال: شكوا منك عنف السياق، ونهر الرعية.

قال: فنزع الدرة ثم مسحها حتى اتى على سيورها.

وقال: انا زميل رسول الله غزاة قرقرة الكدرة، ثم والله اني لارتع فاشبع واسقى فاروي، واني لاضرب العروض، وازجر العجول، وادب قدري، واسوق خطوتي، وارد القوت، وأضم العنود، واكثر لربي، وأقل الضرب، واشهر بالعصا، وادفع باليد، ولولا ذلك لاعذرت.

قال ابن قتيبة: رملت السرير وارملته إذا نسجته بشريط من خوص او ليف، وذقّن عليها أي وضع عليها ذقنه يستمع الحديث، وقوله: ففرغ حجكم أيَ خلت ايام حجكم من الناس، وكانوا يتعوذون من قرع الفناء وذلك ان لا يكون فيه ابل، والقابية قشر البيضة إذا خرج منها الفرخ، والقوب الفرخ، قال الكميت:

لهن وللشيب ومن علاه ... من الامثال وابية وقوب

اراد ان النساء ينفرن من ذي الشيب، يفارقنه كما يفارق الفرخ البيضة، فلا يعود اليها بعد خروجه منها ابدًا.

وروي: عن عمر انكم إذا رأيتم العمرة في شهر الحج كافية من الحج خلت مكة من الحجاج، وكانت كبيضة فارقها فرخها، ثم ساق جملة من كلماته، إلى ان قال وفي حديث عمر حين سأل الأسقف عن الخلفاء فحدثه حتى انتهى إلى وصف الرابع، قال صداع من حديد، فقال عمر: وادفراه.

قال أبو عبيدة: قال الاصمعي: كان حماد بن سلمة يقول صداء من حديد، وهذا اشبه بالمعنى، لان الصداء له زفر وهو النتن، والصدع لا زفر له، وقيل الدنيا أم زفر لما فيها من الدواهي والآفات، واما الذفر - بالذال المعجمة وفتح الفاء - فهو الريح الذكية من طيب أو نتن وعندي في هذا الحديث كلام، والاظهر ان الرواية المشهورة هي الصحيحة، وهي قوله صدع من حديد ولكن بفتح الدال، وهو ما كان من الوعول من العظيم والسخت، ورابع الخلفاء هو

علي بن أبي طالب واراد الاسقف مدحه، وقول عمر وادفر إلى آخره اشارة إلى نفسه، كأنه استصغر نفسه وعابها بالنسبة إلى ما وصفه الاسقف من مدح الرابع واطرائه، فأما تأويل أبي عبيدة فانه ظن ان الرابع عثمان وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله معدودًا ومن الجملة يصح كون عثمان رابعًا، وجعل الذفر والنتن له، وصرف اللفظ عن الرواية المشهورة إلى غيرها، فقال صداء حديد ليطبق لفظ النتن على ما يليق به فغير خاف ما فيه من التعسف ورفض الرواية المشهورة، وأيضًا فان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجوز ادخاله في لفظ الخلفاء، لانه ليس بخليفة لاحد، وفي حديث عمر قال عند موته لو ان لي ما في الأرض جميعًا لافتديت به من هول المطلع.

ثم احتال في نتل كلماته وتفسيرها إلى ان قال: وفي حديثه ان الحارث بن اوس سأله عن المرأة تطوف البيت ثم تنفر من غير ان تطوف الصدر إذا كانت حائضًا، فنهاه عمر عن ذلك، فقال الحارث: كذلك افتاني رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عمر: أربت يديك اتسألني وقد سمعته من رسول الله كي اخالفه، قال: فدعا عليه قطع اليدين، من قوله قطعت الشاة اربًا اربًا.

وفي حديثه ان بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها، فلا بيعة الاّ عن مشورة، وايما رجل بايع رجلاً من غير مشورة فلا يؤمر واحد منهما نغرة ان يقتلا، قال النغرة، التغرير، غررت بالقوم تغريرًا وتغرة، كقولك: حللت اليمين تحليلاً ونحلة، ومثله في المضاعف كثير أي ان في ذلك تغريرًا بانفسهما وتعريضًا لهما ان يقتلاه.

وفي حديثه انه قال في متعة الحج: قد علمت ان رسول الله ﷺ فعلها واصحابه ولكن كرهت ان تضلوا بهن معرسين تحت الاراك ثم يلبون بالحج تقطر رؤوسهن، قال: المعرس الذي يغشى امرأته، قال: اكره ان يحل الرجل من عمرته ثم يأتي النساء ثم يهل بالحج.

وفي حديثه انه خرج ليلة في شهر رمضان والناس اوزاع، فقال: اني اظن لو جمعناهم على قاريء واحد كان أفضل، فأمر أبي بن كعب فأمهم، ثم خرج ليلة وهم يصلون بصلاته فقال: نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، قال: الاوزاع الفرق يريد انهم كانوا يصلون فرادى، يقال: وزعت المال بينهم أي فرقته، وقوله: والتي ينامون عنها أفضل يريد صلاة الليل.

وفي حديثه ان أصحاب محمد ﷺ تذاكروا الوتر، فقال أبو بكر: اما انا فابدأ بالوتر، وقال. عمر لكني اوتر حين ينام الضغط، قال: هو جمع ضغيط وهو الرجل الجاهل الضعيف الرأي، ومنه ما روي عن ابن عباس انه قال: لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء، فقيل: اتقول هذا وأنت عامل فلان، فقال: ان فيّ ضغطات وهذه احدى الضغطات مني.

وفي حديثه انه قدم مكة فسأل من يعلم موضع المقام وكان السيل احتمله من مكانه، فقال المطلب بن أبي ذراعة السهمي: يا امير المؤمنين قد كنت قدرته ودرعته بمقاط عندي، قال: المقاط الحبل، وجمعه مقط، انتهى[1].

١- شرح نهج البلاغة ١٦٠/١٢، وفيه: المطلب بن ابي وداعة السهمي.

أقول: هذا ما تعلق به الغرض من كلامه الذي اطال فيه بغير طائل زعمًا منه انه ينشر لـه من الفضايل ما لعله يطفيء عنه نيران تلك الشنايع والرذايل، وما درى انـه يوقعـه فـي النكـب والمعاضـل، ويتركـه مـضحكة فـي المجـالس والمحافل.

فأما ما نقله من رسالة عمر إلى أبي موسى الاشعري ففيها اظهر شاهد على صاحبها بالضلال في احكام الملك المتعال، ومناقضته نفسه في الاقوال والافعال، فلا يبالي بما خرج منه على أي حال.

اما أولاً: فان قولـه ان القضاء فريضة محكمة، وسنة عادلة، ان اراد بـه مـا فرضه الله تعالى ورسوله ﷺ وسناه واوضحاه للناس وبيناه ففيه ان القياس في الشريعة والحكم به ليس مما فرضاه ولا سناه، بل انما منعا وزجرا عن استعماله، وانما فرضه وسنه في الشريعة هو، وان اراد ما فرضه هـو وسـنه حيث انـه صـار لهما شريكًا في تشريع الاحكام وتحريم ما احلاه وتحليل الحرام، فهو مسلم لا يرد عليه الاعتراض، ولا يتطرق اليه الكلام.

واما ثانيًا: فان امره لـه بالقياس فيما ليس لـه كتاب ولا سنة لا يخلو اما ان يكون لان الكتاب العزيز والسنة النبوية لم يرد فيهـا احكـام تلـك القـضايا التـي تلجلجت في صدره واحتاج اليها كما هـو ظـاهر كلامـه، ويلـزم منـه حينئـذ ان نقصان ذلك الدين اما ان يكون مـن الله سـبحانه حيث يـذكره أو مـن الرسـول حيث لم يبلغه، والأول مردود بما استفاضت به آيات الكتاب العزيز مـن قولـه

سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾،[1] وقوله عزّ وجل ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[2]، وقوله ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾[3] وامثال ذلك، والثاني كفر محض كما لا يخفى على من آمن بالله تعالى ورسوله او يكون المراد به وان كان خلاف ظاهر اللفظ انه وان كان موجودًا في الكتاب والسنة لكن ذلك القاضي يجهله ولا يهتدي إليه، وفيه ان هذا لو سوغ القياس لكان الناس معذورين في جهلهم وخبطهم في الشريعة بجهلهم مع ان الاوامر السبحانية قد تواترت بالامر بطلب العلم من اهله، وزجرت من بقاء كل من المكلفين على جهله، ومنعت من الفتوى والحكم بغير علم كما قدمنا جملة ههنا في غير مقام.

واما ثانيًا: فلقول عمر في مقام هداية علي عليه السلام له وتنبيهه على خطأه في جملة من المسائل لولا علي لهلك عمر، إذ لا معنى لهلاكه الاّ حكمه بالرأي والقياس وبناء الاحكام على ظنه ورأيه، فكيف يأمر هنا به ويجعله ملاكًا للاحكام مع معرفته بما يترتب عليه من الهلاك والاهلاك، ويؤكد ذلك قوله هنا فيما نقله الشارح بعد هذه الرسالة الاّ ان اصحاب الرأي اعداء السنن إلى آخره.

ولجميع ما ذكرناه واضافة فيه مما يضيق عنه المقام الدال جميعه على بطلان القياس في شريعة الملك العلام، انكر ابن حزم الحنبلي فيما قدمنا من

١- المائدة/٣.

٢- النحل/٨٩.

٣- الانعام/٣٨.

نقل كلامه في الفصل الثالث من المقصد الثالث من المقدمة نسبة هذه الرسالة إلى عمر وقال انها مكذوبة عليه، وطعن في راويها وهو عبد الملك بن سعدان عن ابيه قال وهو ساقط بلا خلاف، وابوه اسقط منه، وادعى اجماع الصحابة على ابطال القياس.

ثم انظر إلى ما نقله الشارح عن المبرد في الكامل من انه جعل الناس بعد عمر يتخذون هذه الرسالة امامًا يقتدون به، لا يجد المحق ولا الظالم عن العمل بها محيصًا ولا معدلاً من الدلالة على ان القوم كيف تناهى بهم الضلال إلى أي حال، وكتاب الله تعالى بين اظهرهم وفي ايديهم ينادي بأرفع مقال على بطلان القياس والاجتهاد بالرأي في احكام ذي الجلال.

واما حديث الحجر الاسود وما بعده من امثاله التي اوردها الشارح مناسبة لقول عمر في الحجر الاسود ففيه انه لا مناسبة بين القولين كما لا يخفى على ذي عينين، فان قول عمر في الحجر الاسود ما قال بناء على حديثه انما نشأ عن جهل صرف، ولذا قال لما اعلمه علي عليه السلام بحقيقة الحال لا ابقاني الله بأرض لست بها انت يا أبا الحسن.

واما قوله في الشجرة وامره بقطعها، وكذا منعه عن ذلك المسجد فانما نشأ عن عناد الله ورسوله، والمنع عن اظهار تعظيم الرسول صلى الله عليه وآله والاّ فأي ضرر في دين أو دنيا على التبرك بمقام فيه اقام رسول الله صلى الله عليه وآله.

واما حديث ضرب عمر الرجل الذي اخبره بالكتاب الذي فيه من علوم الفرس فهو اوضح دليل على فسقه وسرعة بادرته في الناس وجرأته عليهم من

غير ما جرم اجترموه ولا ذنب ارتكبوه، وكان الواجب عليه ان يسأل أولاً عن هذا الكلام المعجب فلعله مما تضمنه كتب أهل الكتاب من الدلالة على نبوة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ونحوه مما له فريد تأييد وتقوية لدين الاسلام، وإذا كان ولا بد من الانكار فلينكر عليه بلسانه بذلك الكلام الذي ذكره له ويقبض عنه يده، فانه لا ذنب له ازيد من وصفه لذلك الكتاب بانه كتاب معجب، وكان أيضًا الواجب عليه ان يقتدي برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وما عامله به يوم اتى للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقرأ عليه مواضع من التوراة ووجه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يتلون غضبًا وغيظًا عليه حتى قال له رجل من الانصار وضرب بيده الكتاب ثكلتك امك يا ابن الخطاب أما ترى وجه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ منذ اليوم وأنت تقرأ عليه هذا الكتاب، وقد تقدم نقله في مطاعنه بطرق عديدة يدل على تكرر ذلك منه غير مرة، ولا ريب ان جرأته هو على الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانت اعظم من قول هذا الرجل ما قال واخباره بما اخبر، والرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مع غضبه يومئذ اشد الغضب لم يعامله بالضرب لا بل بالادب بازيد من قال له: يا ابن الخطاب اتهوكون انتم كما تهوكت اليهود والنصارى، اما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، الحديث.

واما حديث ضبيع التميمي فهو اشنع وافضع، والعجب من هؤلاء الاقوام كيف لا يستحيون من الناس في الاقتداء بامام ينقلون عنه امثال هذا الكلام الدال على تعدي الحدود الشرعية والرسوم المحمدية المرضية، أوليس هذا الفعل الشنيع قادحًا في العدالة التي هي شرط في الامام.

فان قيل: ان هذا من الصغاير التي لا توجب الفسق ولا زوال العدالة.

قلنا: أليس الاصرار على الصغيرة مما يجعلها كبيرة بالاصرار لما علم عنه ﷺ لا صغيرة مع الاصرار كما لا كبيرة مع الاستغفار، ومن تأمل في هذه القصة وما فعله عمر بالرجل إلى ان مات علم ان عمر بقي مصرًا على قبيح فعله، فادعاء التوبة بعد ذلك تخرص بارد لا دليل عليه، فلا يلتفت إليه، وأي ذنب لذلك الرجل في سؤاله عن تفسير آية قرآنية حتى يستحق هذه الاهانة البالغة، هب انه لجهله الساذج لم يجبه عن سؤاله فليمنعه عن مثل ذلك بكلامه ومقاله، وهب انه اراد حسم هذه المادة بالكلية حتى لا يتجرأ عليه أحد بالسؤال عن آية قرانية خوف الخجل والفشل بين البرية فأقل من هذه الاهانة المذكورة في هذا الخبر يكفي في الزجر والمنع عن ذلك.

واما حديث عمر وقوله على المنبر الاّ ان اصحاب الرأي اعداء السنن إلى آخره، فما ادرى ما الذي يجمع به هذا الشارح الضال الجاري على نهج امامه في اختلاف الاقوال بين كلامي عمر في تلك الرسالة وهذا الخبر، وكيف اقتدوا بتلك الرسالة ولم يبطلها ما دل عليه هذا الخبر باوضح دلالة، اللهمّ الاّ ان يقال انه لما كان المعلوم من تتبع سيرته وطريقته هو العمل بالقياس كما تقدم ذكر الشارح له كان الاعتماد على ما دلت عليه تلك الرسالة أقوى عندهم واسهل عليهم، والرجل عندهم نبي مرسل واجب الاتباع فيما امر وفعل، واختلاف اقواله واضطراب احواله وتعدياته الحدود الشرعية، وجرأته على البرية لا يؤثر نقصًا عندهم، ولهذا وامثاله وسعوا الدائرة في امامة الفساق وان

تستر بعضهم ظاهرًا باشتراط العدالة في مقام النزاع والشقاق.

واما حديث الزبير بن بكار الدال على تزويج عمر بأم كلثوم بنت أمير المؤمنين فحيث كان هذا الموضع محل شبهة للخصوم بل لغيرهم من جهال الشيعة، وقد اتخذه الخصوم حجة على مزيد ضلالهم المعلوم، فلا بدّ من ارخاء عنان القلم في هذا المكان والاملاء له ساعة في الجري في هذا الميدان بشرح ما هو حقيقة الحق في ذلك والبيان.

فنقول: قد اختلف اصحابنا ﴿رضوان الله عليهم﴾ في هذا المقام لاختلاف الاخبار الواردة عن أهل الذكر عليهم السلام فذهب جملة منهم إلى انكار ذلك، ونقل عن شيخنا أبي سهل النوبختي أحد متكلمي الامامية، ووافقه على ذلك شيخنا المفيد شيخ الطائفة المحقة ورئيس الفرقة الحقة على الوجه الذي يأتي ذكره في المسايل السروية وبالغ في انكاره حتى قال وانما روى الزبير بن بكار وهو من النصاب المعاندين[1]، واليه مال أيضًا الثقة الجليل محمد بن علي بن شهرآشوب في كتاب المناقب[2]، وهو الذي جزم به الناصر الحق الحسن بن علي المعروف بالاطروش وهو جد الشريف المرتضى والرضي ﴿قدس سرهما﴾ لامهما واليه يميل كلام بعض مشائخنا المتأخرين كما سيأتي نقله، وجملة من هؤلاء لم يذهبوا إلى انكار التزويج من اصله وانما ذهبوا إلى ان أم كلثوم التي تزوجها عمر ليست بنت علي عليه السلام، فاما الناصر للحق فالمنقول عنه

١- المسائل السروية/٨٦.

٢ - المناقب لابن شهرشوب ٨٩/٣.

كما ذكره شيخنا أبو الحسن الشيخ سليمان بن عبدالله البحراني قدس سره في رسالته المسماة بالذخيرة في المحشر في فساد نسب عمر حيث قال: وانكر الحسن بن علي الاطروش في بعض مصنفاته تزويج أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام من عمر، وذكر ان عمر تزوج امرأة يقال لها أم كلثوم بنت علي فتوهم الناس بعد انقراض ذلك العصر انه تزوج أم كلثوم بنت فاطمة وأمير المؤمنين عليهما السلام، وهو غلط نشأ من اشتراك اللفظ، هذا محصل كلامه.

وفيه بُعد وأخبارنا تأباه الاّ ان تحمل على التقية في الرواية، انتهى كلامه قدس سره.

قال شيخنا المحدث الصالح الشيخ عبد الله بن صالح البحراني ﴿نور الله ضريحة﴾ بعد نقل هذا الكلام أقول: لا يتم له الحمل على التقية فانه مصرح في الروايات بالاغتصاب وهو اشنع شيء عليهم، انتهى وسيأتي ما فيه.

واما الشيخ المفيد ﴿طيب الله تعالى مرقده﴾ فالظاهر انه بنى على هذه الرواية المنقولة عنه مسندة فيها إلى الصادق عليه السلام قال شيخنا العلامة محمد باقر المجلسي ﴿نور الله تعالى مضجعه﴾ ذكر السيد العالم بهاء الدين علي بن عبد الحميد الحسيني في الانوار المضيئة قال: مما جاز لي روايته عن الشيخ محمد بن محمد بن النعمان رفعه إلى عمر بن اذينة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ان الناس يحتجون علينا أن أمير المؤمنين عليه السلام زوج فلانًا ابنته أم كلثوم وكان عليه السلام متكئًا فجلس، وقال: اتقبلون ان عليًا انكح فلانًا ابنته، ان قومًا يزعمون ذلك لا يهتدون إلى سواء السبيل ولا الرشاد، ثم صفق بيده وقال: سبحان الله ما

كان أمير المؤمنين عليه السلام يقدر ان يحول بينه وبينها، كذبوا لم يكن ما قالوا، ان فلانًا خطب إلى علي عليه السلام ابنته أم كلثوم قال: فقال للعباس: والله لئن لم يزوجني لانزعن منك السقاية وزمزم، فاتى العباس عليًا عليه السلام فكلمه فابى عليه فألح العباس، فلما رأى عليه السلام مشقة كلام الرجل على العباس وانه سيفعل ما قال، ارسل إلى جنيّة من أهل نجران يهودية يقال كيتة بنت حريرة فامرها فتمثلت في مثال أم كلثوم وحجبت الابصار عن أم كلثوم وبعث بها إلى الرجل، فلم تزل عنده حتى انه استراب بها يومًا فقال ما في الأرض أهل بيت اسحر من بني هاشم، ثم اراد ان يظهر للناس فقتل فحوت الميراث وانصرفت إلى نجران، واظهر أمير المؤمنين عليه السلام أم كلثوم[1].

وروى هذا الخبر أيضًا الشيخ السعيد سعيد بن هبة الله الراوندي في كتاب الخرايج والجرائح عن أبي نصر، عن جذعان بن نصر قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي مسعدة، قال: حدثنا محمد بن محمد بن حمويه بن اسماعيل، عن ابي عبد الله المديني، عن عمر بن اذينة قال: قيل لابي عبدالله عليه السلام الحديث.[2]

وذهب آخرون من اصحابنا إلى وقوع ذلك قهرًا وغصبًا واليه ذهب السيد المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ وقد بسط الكلام فيه وشنع غاية التشنيع على مخالفته، وهو المنقول عن شيخ الطائفة قدس سره، ورواه الكليني ﴿قدس الله

١- الانوار العلوية للشيخ جعفر النقدي/٤٣٥.

٢ - الخرائج والجرائح ٢/٨٢٥.

روحه﴾ في الكافي[1]، وهو ظاهر اختيار جملة من متأخري المتأخرين منهم شيخنا العلامة أبو الحسن قدس سره وتلميذه المحدث الصالح الشيخ عبد الله بن صالح البحراني ﴿نور الله مرقده﴾ وأكثر الاخبار الواردة عن الائمة الابرار ﴿صلوات الله عليهم﴾ تدل على هذا القول، ومنها ما رواه الكليني في الكافي بطريق حسن عن أبي عبد الله عليه السلام في تزويج أم كلثوم فقال: ان ذلك فرج غصبناه[2].

ومنها: ما رواه فيه أيضًا في الحسن عنه عليه السلام قال: لما خطب اليه قال له أمير المؤمنين عليه السلام: انها صبية، قال: فلقي العباس فقال له: ما لي أفيّ بأس، قال: وما ذاك؟ قال: خطبت إلى ابن اخيك فردني، اما والله لاغورن زمزم ولا ادع لكم مكرمة الاّ هدمتها، ولأقيمن عليه شاهدين انه سرق ولاقطعن يمينه، فاتاه العباس وسأله ان يجعل الامر اليه فجعله إليه[3].

ومنها: ما رواه عنه عليه السلام أيضًا في الموثق في عدة المتوفى عنها زوجها قال: ان عليًا عليه السلام لما توفي عمر اتى ام كلثوم فانطلق بها إلى بيته. ومثله روى أيضًا في الكتاب المذكور بطريق آخر[4].

١-الكافي ٣٤٦/٥، باب تزويج ام كلثوم.

٢- الكافي ٣٤٦/٥، باب تزويج ام كلثوم، ح١.

٣-الكافي ٣٤٦/٥، باب تزويج ام كلثوم، ح٢.

٤-الكافي ١١٥/٦، باب المتوفي عنها زوجها، ح ١ و ح٢.

وفي التهذيب في الصحيح عن سليمان بن خالد عنه عليه السلام مثله[1].

وروى الشيخ في التهذيب عن القداح عن جعفر عن ابيه عليه السلام قال: ماتت أم كلثوم بنت علي عليه السلام وابنها زيد بن عمر بن الخطاب في ساعة واحدة لا يدري ايهما هلك قبل فلم يورث أحدهما من الآخر[2].

قال شيخنا المحدث الصالح بعد نقل الخبرين الاولين: واما انكار الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد لاصل التزويج بعد ورود الاحاديث الصحيحة في اصولنا المعتبرة فلا وجه له الاّ الاستبعاد ومقابلة النص بالاجتهاد، وهو خروج عن جادة الانصاف والسداد مع انها قضية مشهورة خرجت عن وصمة الآحاد، انتهى. وستعرف ما فيه.

قالو: والجمع بين هذه الاخبار والخبر الأوّل لا يخلو من اشكال، فان ذلك الخبر قد دل على انكار ذلك وعدم وقوعه بأبلغ وجه وآكده حيث اخبره السائل بان العامة اتخذوه حجة، ومستند الصحة خلافة عمر وايمانه، وقد دل على أن أصل الخطبة واقع والتزويج حاصل لا على الوجه الذي اشتهر من انه بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا الحديث كما ذكرنا سابقًا هو معتمد الشيخ المفيد قدس سره فيما نقل عنه من انكار ذلك والمبالغة فيه، فان الحديث كما عرفت مروي عنه، وبذلك تبين لك ما في كلام شيخنا المحدث الصالح وتشنيعه على الشيخ المفيد حيث انه لم يقف على الخبر المذكور فبسط لسان قلمه بالتشنيع

١- التهذيب ١٦١/٨، باب المتوفى عنها زوجها، ح١٥٧.

٢- التهذيب ٣٦٢/٩، باب ميراث الغرقى والمهدوم عليهم، ح١٥.

عليه وهو من مثله غير سديد، وحاشا مثل الشيخ واضرابه من اساطين هذه الفرقة المحقة واركان الملة المحقة مقابلة النصوص بمجرد الاجتهاد، وعدم وقوفه على النص لا يدل على العدم، ولكنه رَحِمَهُ اللهُ ومثله ممن تسموا في هذه العصار الاخيرة بالاخباريين قد اولعوا ببسط لسان الطعن والتشنيع بمن ينسبونه بزعمهم إلى الاجتهاد وهو خروج عن جادة السداد والرشاد، فانا قد احصينا مواضع عديدة من جزئيات المسايل الفقهية قد قال بها الشيخان او أحدهما او غيرهما من المتقدمين واعترضهم المتأخرين فيها بعدم وجود النص على ما قالوه والنصوص موجودة في ساير كتب الاخبار بل في الكتب الاربعة المشهورة التي بايديهم، وأنت خبير بان مقتضى الجمع من جملة هذه الاخبار الواردة في هذا المضمار هو ارتكاب التأويل في أحد الجانبين، وقد علمت صراحة الخبر الأوّل في عدم وقوع النكاح المدعي لما اشتمل من مزيد التأكيد الاكيد والتشنيع بان من زعم ذلك فلم يهتد سواء السبيل ولا الرشاد، فالتأويل فيه غير ممكن، ويمكن التأويل في تلك الاخبار بالحمل على التقية في الاخبار كما اشار اليه شيخنا أبو الحسن قُدِّسَ سِرُّهُ فيما قدمنا من عبارته وما اعترضه به تلميذه المحدث الصالح المتقدم ذكره من منافاة حديث الاغتصاب لذلك غير موجه لما حققناه في مواضع من مؤلفاتنا ولا سيّما في مقدمات كتاب الحدائق الناضرة في احكام العترة الطاهرة من ان التقية لا تختص بحضور احد من المخالفين ولا يكون ذلك مذهبًا لهم بل كثيرًا ما يقصدون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلى المخالفة في الاحكام واختلاف النقلة عنهم في المسئلة الواحدة كما ورد في جملة

الاخبار التي نقلناها في الكتب المشار اليها وبينا الوجه فيها[1]، وحينئذ فقوله عليه السلام في تلك الرواية بان ذلك فرج غصبناه انما هو ليتأكد الامر عند الشيعة بوقوع التزويج الذي تدعيه العامة فلا ينازعونهم في ذلك فينحل زمام التقية، لا ان التقية مخصوصة بكون خطابه عليه السلام بحضور احد من المخالفين حتى يكون لفظ الاغتصاب منافيًا لذلك كما توهمه قدس سره وإلى العمل بالخبر الذي ذكرناه أولاً يميل كلام جملة من متأخري المتأخرين من مشايخنا ﴿عطر الله مراقدهم﴾ منهم شيخنا باقر العلوم المجلسي ﴿نور الله مضجعه﴾ حيث قال في حواشيه على الكافي على حديثي الكافي الدال على انه لما مات عمر اتى علي عليه السلام أم كلثوم فانطلق بها إلى بيته بعد ذكر ما قدمنا نقله عنه من الخبر ما هذا لفظه:

أقول: يمكن ان يكون الاستدلال بهذين الخبرين بفعله عليه السلام ظاهرًا الآن عدم كونها أم كلثوم لم يكن معلومًا للناس، ولم يكن عليه السلام ليفعل ما يشنعه الناس عليه وعدم تشنيع الصحابة أيضًا عليه دليل على ذلك، ولو كان لنقل، انتهى.

١- وهو انهم عليهم السلام كثيرًا ما يتصورون المخالفة من شيعتهم في الاحكام واختلاف النقل عنهم عليهم السلام في المسألة الواحدة لينزلوا في نظر العامة ويهون عليهم مذهب الشيعة، فان العامة اذا رأوا مذهبهم مختلفًا وان كلاً من هم ينقل عن امامه غير ما ينقله الآخر في مسألة واحدة هانوا في نظرهم ولم يعبؤوا بهم وعابوهم في مذهبهم واتخذوهم سخريًا وغرورًا، وهذا بخلاف ما إذا اجتمعت كلمتهم وتعاضدت مكانتهم فانه يعظم امرهم في نظر العدو ويكون ذلك سببًا لتربص الغوائل بهم وعود الضرر اليهم، ولهذا ان زاراة في بعض تلك الاخبار كما تعجب من قول الاختلاف وسئل الامام عنه قال له: ان هذا ابقى لنا ولكم ولو اجتعتم على امر لصدقكم الناس علينا، وفي آخر لأُخذ برقابكم إلى غير ذلك ﴿منه﴾.

واقتفى في ذلك تلميذه المحدث السيد نعمة الله الجزايري رحمه الله حيث قال في كتاب الانوار النعمانية بعد ذكره اخبار التزويج: قد تفصّ بعض الاصحاب عن هذين بوجهين عامي وخاصي، امّا الأوّل: فقد استفاض في اخبارهم عن الصادق عليه السلام انه اول فرج غصبناه إلى أن قال وامّا الثاني: وهو الوجه الخاص فقد رواه السيد العالم بهاء الدين علي بن عبد الحميد الحسيني النجفي في المجلد الأوّل من كتابه المسمى بالانوار المضيئة قال: ومما جاز لي روايته من الشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان يرفعه إلى عمر بن اذينة قال قلت: لأبي عبد الله عليه السلام الحديث إلى آخر كلامه قدس سره، وهذا هو الذي يقوى في نفسي الاّ ان رواية وفاة أم كلثوم مع ابنها زيد بن عمر تنافي ذلك ظاهرًا، ويمكن تطبيقها على ما اخترناه بنوع من التوجيه بان يقال لسان تلك الجنية التي زوجها أمير المؤمنين عليه السلام بعمر قد انصرفت بعد موته كما تضمنه ذلك الخبر، ولكن ابنها بقي عند أمير المؤمنين عليه السلام اظهارًا بين الناس انه ابن بنته، فاتفق وفاته مع ابنته ﴿رضي الله عنها﴾ في ساعة واحدة، وكيف كان فبحثنا هذا وتحقيق الحال في المسئلة انما هو بالنظر لنا معشر الامامية.

وأما الكلام مع خصومنا في هذا المقام الذي يحصل به الجواب عن شبهتهم فنقول: انه على تقدير صحة التزويج كما اشتملت عليه تلك الاخبار فليس فيه الاّ مجرد العار.

أما أولاً: فانها قد صرحت بالغصب، ولا ريب انهم عليهم السلام اعرف الناس واعلمهم باحوال أبيهم ﴿صلوات الله عليه وعليهم﴾.

واما ثانيًا: فلما عرفت في هذا الكتاب من كلام امير المؤمنين عليه السلام في حق ابن الخطاب وما يدل عليه من القدح والجرح والتظلم والتألم والشكوى والاستعداء عليه في غير باب لعظم ما ارتكبه في حقه عليه السلام من العظائم والجرائم التي لا يعدها الحصر والحساب.

واما ثالثًا: فلما ذكره صاحب كتاب البدع المحدثة وهو أبو القاسم علي بن أحمد من قدماء اصحابنا الكوفيين[1] وحققه أي تحقيق فهو بنقل جميعه وان طال به الكلام حقيق وأي حقيق قال قدس سره: فاما تزويج عمر من أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام فانه حدثنا جماعة من مشايخنا الثقات منهم جعفر بن محمد بن مالك الكوفي، عن أحمد بن الفضل، عن محمد بن عمير، عن عبد الله بن سنان، قال: سألت جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن تزويج عمر من أم كلثوم، قال ذلك فرج غصبناه.

وهذا الخبر مشاكل لما رواه مشايخنا عامة في تزويجه منها وذلك في الخبر ان عمر بعث العباس بن عبد المطلب إلى علي عليه السلام فسأله ان يزوجه أم كلثوم فامتنع عليه، فلما رجع العباس إلى عمر يخبره بامتناع علي عليه السلام قال: يا عباس ايأنف من تزويجي، والله لئن لم يزوجني لاقتلنه، ورجع العباس إلى علي عليه السلام بذلك، فاقام علي عليه السلام على الامتناع، فاخبر العباس عمر، فقال له: يا عباس احضر يوم الجمعة في المسجد وكن قريبًا من المنبر لتسمع ما يجري

١- هذا الكتاب هو كتاب البدع المحدثة هو المشهور بين الناس بكتاب ﴿الاستغاثة في بدع الثلاثة﴾ وينسبونه للشيخ ميثم البحراني هو غلط كما نبه عليه شيخنا أبو الحسن قدس سره ﴿منه﴾.

فتعلم اني قادر على قتله ان اردت ذلك، فحضر العباس المسجد، فلما فرغ عمر من الخطبة قال: ايها الناس ان هاهنا رجلاً من عليّة اصحاب محمد وقد زنى وهو محصن، وقد اطلع عليه أمير المؤمنين وحده فما انتم قائلون؟ فقال الناس من كل جانب: إذا كان أمير المؤمنين قد اطلع عليه فما حاجة إلى ان يطلع عليه غيره، ليمض فيه حكم الله تعالى، فلما انصرف عمر قال للعباس: امض اليه فاعلمه ما قد سمعت، فوالله لئن لم يفعل لافعلن، فسار العباس إلى علي عليه السلام فعرفه ذلك، فقال علي عليه السلام: انا اعلم ان ذلك مما يهون عليه وما كنت بالذي افعل ما يلتمسه، فقال العباس: لئن لم تفعل فانا افعل واقسمت عليك ان لا خالفت قولي وفعلي، فمضى العباس إلى عمر فاعلمه انه يفعل ما يريده عمر من ذلك، فجمع عمر الناس وقال: ان هذا العباس عم علي بن أبي طالب وقد جعل اليه امر ابنته أم كلثوم وقد امره ان يزوجني منها فزوجه العباس وبعث بعد مدة يسيرة فحولها اليه.

واصحاب الحديث وان لم ينقلوا هذه الرواية فانه لا خلاف بينهم في ان العباس هو الذي زوجها من عمر، فيقال لمن انكر هذه الحكاية من فعل عمر خبرونا بالعلة التي اوجبت ان يجعل علي عليه السلام امر ابنته أم كلثوم إلى العباس دون غيرها من بناته، وليس هناك أمر يضطره إلى ذلك، وهو صحيح سليم، والرجل الذي زوجه العباس منها بزعمكم عنده مرضي مرغوب فيه، اتقولون انه انف من تزويج ابنته أم تعاظم وتكبر عن ذلك، فقد وجدناه قد زوج غيرها من بناته فلم يأنف من ذلك ولم يتعظم، ولا تكبر فيه، وقد زوج رسول الله

صلى الله عليه وآله ابنته سيدة نساء العالمين ولم يأنف ولم يتكبر، فيقولون ان عليًا عليه السلام رأى العباس افضل منه واقدم منه سابقة في الاسلام، فجعل امر ابنته إليه، وهذا مما لا يقوله مسلم، وما بال العباس زوج أم كلثوم دون اختها زينب، فقد زوج علي عليه السلام اخت أم كلثوم زينب بنت فاطمة عليها السلام بعبد الله بن جعفر بن أبي طالب والعباس حاضر فلم يوكله لتزويجها ولا أنف من ذلك، فلم يبق في الحال الاّ ما قد رووا مشايخنا مما سقنا حكايته، وذلك مشاكل الرواية عن الصادق عليه السلام انه قال ذلك فرج غصبنا عليه، وكان من احتجاج جهالهم ان قالوا: وهل كان يسع عليًا ان يسلم ابنته غصبًا على هذه الحال التي وصفتم.

فقيل لهم: هذا جهل منكم بوجوه التدبير، وذلك بان رسول الله صلى الله عليه وآله لما اوصى عليًا عليه السلام بما احتاج اليه في وقت وفاته عرفه جميع ما يجري عليه من بعده، وامر واحد بعد واحد من المستولين، فقال له علي عليه السلام فما تأمرني ان اصنع؟ فقال له: تصبر وتحتسب إلى ان يصرفه الناس اليك طوعًا، فحينئذ تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ولا تجادلن احدًا من الثلاثة فتلقي بيدك إلى التهلكة، ويرتد الناس عن النفاق إلى الشقاق، وكان علي عليه السلام حافظًا لوصيته صلى الله عليه وآله اتقاء في ذلك على المؤمنين المستضعفين، وحفظًا للدين لئلا ترجع الناس إلى الجاهلية الجهلاء، وتثور القبائل مرتدين بالفتنة في طلب ثارات الجاهلية ودحولها، فلما جرى من عمر في خطبته لام كلثوم ما تقدم من الحكاية فكر علي عليه السلام فقال ان منعته رام قتلي على ما وصفناه، وان رام قتلي فمنعته عن نفسي خرجت بذلك عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وخالفت وصيته

وادخلت في الدين ما كان يحاذره رسول الله ﷺ من ارتداد الناس الذي من اجله اوصاني بالصبر والاحتساب، وكان تسليم الابنة في ذلك اصلح من قتله أو الخروج عن وصية رسول الله ﷺ ففوض امرها إلى الله تعالى، وعلم ان الذي اغتصبه الرجل من اموال المسلمين وامورهم وارتكبه من انكار حقه والقعود في مجلس الرسول ﷺ وتغيير احكام الله، وتبديل فرائض الله على ما قدمت ذكره اعظم عند الله وأكبر وافضع واشنع من اغتصابه ذلك الفرج، فسلم وصبر واحتسب كما امره رسول الله ﷺ، وانزل ابنته في ذلك منزلة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون إذ الله عز وجلّ وصف قولها: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، ولعمري ان الذي كان ارتكبه فرعون من بني اسرائيل من قتل أولادهم واستباحة حريمهم في طلب موسى، وما ادعاه لنفسه من الربوبية اعظم من تغلبه على آسية امرأته وتزويجها، وهي امرأة مؤمنة من أهل الجنة بشهادة الله لها بذلك، فذلك سبيل الرجل مع أم كلثوم كسبيل فرعون مع آسية، لان الذي ادعاه لنفسه من الامامة ظلمًا وتعديًا وخلافًا على الله ورسوله بدفع الامام الذي قدّره الله ورسوله واستيلائه على أمور المسلمين يحكم في اموالهم ودمائهم بخلاف احكام الله ورسوله اعظم عند الله من اغتصابه الف فرج من نساء مؤمنات دون فرج واحد، ولكن الله تعالى قد اعمى قلوبهم فهم لا يهتدون لحق ولا يقلعون عن باطل، انتهى كلامه.

١- التحريم/١١.

وقال شيخنا أبو الحسن قدس سره في رسالة الذخيرة المتقدم ذكرها بعد كلام في المقام فان قلت: يلزم مما ذكرتم عدم صحة هذا النكاح وهو افحش.

قلت: ليس يمتنع ان يكون عليه السلام قد قصد انكاحها قصدًا صحيحًا لما علم من ترتب المفاسد العظيمة والضرر العظيم على تركه، فالنكاح صحيح وان وقع على وجه الاكراه، انتهى.

واما رابعًا: فلتوجه الطعن إلى هذه الرواية من وجوه عديدة:

أحدها: ان الراوي المذكور معلوم حاله في الغُلو في النصب لامير المؤمنين عليه السلام كما اعترف به الشارح في شرحه، هذا والغلو في ولاية من تقدم عليه كما يشير اليه كلام شيخنا المفيد المتقدم ذكره في صدر هذا الكلام، ويشهد به أيضًا تصنيفه هذا الكتاب لاعدائه عليه السلام وتسميته باسم من صنفه له وهو الموفق أبو أحمد طلحة بن الموكل أخو المعتمد، وأبوهما المتوكل الذي قد بلغ من شدة عداوته لاهل البيت عليهم السلام أن أمر بحرث قبر الحسين عليه السلام كما هو مشهور غير منكور، وكان ابناه ولا سيّما الموفق في غاية الانحراف عن أهل البيت عليهم السلام زيادة على ما تقدم من اسلافهما، وقد تقدم من الشارح نقلاً عن اصحابه انهم يفسقون المبغض لعلي عليه السلام ويردون روايته بذلك، وهو قد اعترف بالبغض كما قدمنا، وحينئذ فتصير هذه الرواية بمقتضى ذلك مردودة غير معمول عليها ولا ملتفت اليها، وسوقها كما نفصله يدل على ذلك، وظاهر كلام شيخنا المفيد قدس سره وقوله انما روى ذلك الزبير بن بكار انحصار دليلهم في هذه الرواية، وحينئذ فلا تعويل على ما اعتمدوه في بداية ولا نهاية، ونصب

هذا الناصب على ما نقله في كتاب كشف الغمة نقلاً عن ياقوت الحموي في كتاب معجم البلدان الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام[1].

وثانيها: ما تضمنه خبره من ارسال علي عليه السلام بنته إلى عمر ليراها فان رضيها زوّجه اياها، فانه لا يخفى على كل ذي ذوق سليم وعقل قويم ان هذا لا يجوز ان ينسب إلى احقر العوام فضلاً عن أمير لامؤمنين عليه السلام لكن هذا الناصب لما كان يرى عمر لما هو عليه من الابهة والملك والرياسة والقهر والتسلط على الكافة بعين العظمة والوقارة، ويرى أمير المؤمنين عليه السلام لما كان عليه من الاستخفاف بقدره والاستذلال له والاستصغار بعين الاحتقار هان عليه هذا الكذب والتزوير، ولكنه بحمد الله ظاهر للخبير البصير.

وثالثها: قوله نقلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام لما اخبرته ابنته عن وضع عمر يده على ساقها، وقولها اتبعثني إلى شيخ سوء، مهلاً يا بنيه انه زوجك مع ان التزويج لم يقع بعد، فكيف انكر أمير المؤمنين عليه السلام على ابنته ما ذكرته والحال انها ما انكرت امرًا منكرًا، إذ لا خلاف بين العامة والخاصة في ان مس جسد الاجنبية محرم ومنكر يستحق فاعله التعزير، فكيف يرضى أمير المؤمنين عليه السلام بذلك وينكر على ابنته شكايتها، وكفى بهذا خزيًا لامامه عمر الذي رام في هذا الخبر التنويه بشأنه بين جملة البشر ما نقله عنه من تعديه لحدود الشرع الانور، ولكنهم لا يبالون من نقل مثل هذه المناكر لاستصغارها بالنسبة إلى ما

١- كشف الغمة ٤٣/٢، وفيه: حكى ياقوت الحموي في كتابه معجم الادباء.

هو اشهر واعظم عند كل سامع وناظر، ومن تكيفت شامته بريح الكنيف التي هي في نهاية الكسافة لا يشم ما هو دونها من القذارات لنفس الآفة.

ورابعها: ان خبره هذا انما تضمن حكاية خطبة عمر وارسال علي عليه السلام ابنته اليه ليراها فان رضيها زوجه اياها وارسال عمر اليه انه قد رضينا، ولم ينقل فيه وقوع التزويج، فكيف يقول فجاء عمر بفاء التعقيب الدال على ان مجيء عمر كان بعد ان رجعت عنه أم كلثوم إلى مجلس المهاجرين، وقال تزوجت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، ومتى وقع هذا التزويج حتى يقع الاخبار عنه في هذا الحال وعلى هذه الكيفية، انظر إلى ما في هذا الخبر من الاختلاط والاختباط الدال على ان صاحبه كان يمشي على غير صراط، وقد اعماه ما اعمى اجداده من الحسد الذي قطع من قلوبهم النياط.

واما ما نقله في خطبة عمر التي رواها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ففيه غرائب وعجايب عند الموفق الصايب دون من شدت على بصر بصيرته من الحمية والعصبية أشد العصايب، فمنها دعواه في خطبته تصريحًا في بعض وتلويحًا في آخر بان الله تعالى قد ولاه الخلافة وائتمنه عليها واسترعاه عباده، وما ادري ما اقول في جواب دعوى هذا السفيه الفضول، فانه لا خلاف بين اصحابه ان ولايته انما كانت من قبل صاحبه الذي ولاه هو أولاً على الناس في ذلك الزمان ليرجعها اليه بعد مجازاة للاحسان بالاحسان، وليس عليه ولا على صاحبه نص من الله ولا من رسوله باجماع اصحابهما في كل آن وزمان، فكيف يدعي ان الله تعالى ولاه امر الناس وانه مؤتمن منه سبحانه

عليهم، فان من تمحل بعض اوليائه للجواب عنه بان الله تعالى لما قدر ذلك وقضاه واحكمه وامضاه فانقادت له العباد واذعنت له البلاد، ولاريب ان هذه امور جارية بتسخير الله سبحانه، فيكون الله تعالى قد ولاه ذلك ورضيه لما هنالك.

قلنا: ما انكرتم من امر الفراعنة والجبابرة وملوك الاكاسرة والقياصرة الذين قد دانت لهم البلاد والعباد أكثر مما دانت اليه وانقادت لهم أزمة القبض والبسط أكثر مما انقادت اليه ان يكونوا خلفاء الله في ارضه والقائمين مقامه سبحانه في بسطه وقبضه، إذ الحال واحدة والعلة متساوية، فلم لا تدعونهم بالخلافة عنه سبحانه والنيابة والولاية على عباده، ألم تعلموا أولاً ان مجرد جريان الاقضية والاقدار في امثال هذا المضمار قد يكون انما هو لمجرد الفتنة والابتلاء والاختبار كما هو سنّة الله تعالى في الامم الماضية، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾[1]، وقال: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ﴾[2].

وثانيًا: ان حصول الملك لاحد كغيره من الافعال التي يأتيها المكلف ويفعلها قد يكون بامداد من الله سبحانه وتوفيق ومعونة، وقد يكون بخذلان منه سبحانه واملاء له بان يوكل العبد إلى هوى نفسه فتختار بهواها، فاذا امعن في ذلك وزاد في الاصرار زاد له في الاملاء بأن يسبب له الاسباب ورفع عنه

١- التغابن/١٥.

٢- المؤمنون/٥٥.

الموانع، فيظن الجاهل ان ذلك عن رضى منه سبحانه لذلك العبد، وانما هو بالعكس، ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[1]، وقوله سبحانه: {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[2]، ويكشف عن الامرين ويبين الفرق بين الحالين ما عليه ذلك العبد من الاعمال والفعال الموافقة أو المخالفة لرضى ذي الجلال، ومنها مدحه نفسه بانه انما تولى أمور الناس لانه خيرهم لهم واقواهم عليهم واشدهم اضلاعًا بما ينوب من مهم امورهم، وان الذي وليه من أمر الخلافة لم يغير من اخلاقه شيئًا، وانه يعقل الحق من نفسه، وانه حبيب إلى صلاحهم، عزيز عليه عنتهم، وقد تقدم في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية ذمه على الخصوص بقوله فصيرها في حوزة خشناء، يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، ان اشنق لها خرم، وان اسلس لها تقحم، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلون واعتراض، وقد شرحه الشارح كله وكشف عنه الحجاب بما لا ابلغ منه في الذم في كل باب، فليتأمل اولياؤه ولا سيّما هذا الشارح الضال حيث أكثر هنا من نقل كلمات عمر وخطبه وزهده ومواعظه واطال ما بين الكلامين، وليوضحوا لنا ما هو الارجح في البين حيث ان الجمع متعذر بغير مين، ولكن القوم لما غطت على

١- الأنعام/٤٤.

٢- فصلت/٢٥.

ابصار بصائرهم غشاوة الحمية والعصبية في جميع الأمور، صاروا لا يبالون بما نقلوه أو ارتكبوه في ورود ولا صدور، الاّ انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

ومنها: قوله في قوله: وان يلهمني الله العدل في قسمكم كالذي أمر به، وهذا اشارة إلى ما ابتدعه في قسمة مال الفيء من التفضيل في العطاء خلافًا لله سبحانه ورسوله، كما تقدم في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه لطلحة والزبير، وحينئذ فاذا كان ما فعله من ذلك هو العدل الذي الهمه الله تعالى اياه والذي امر الله سبحانه بكون الرسول صلى الله عليه وآله هو القدوة في الاحكام عند ذوي الايمان والاسلام والشارع الذي عنه يؤخذ معالم الحلال والحرام، قد اخطأ في هذا المقام ولم يلهمه الله تعالى العدل حيث انه انما قسم بالسوية بين الانام، ولم يفضل احدًا على احد كما لا خلاف فيه بين العلماء الاعلام.

انظروا إلى ما يهذر به هذا الضال على رؤوس الاشهاد حيث أمن بفظاظته وغلظته الرد عليه من العباد، واظهار ما في اقواله من البطلان والفساد وإلى اوليائه الذين يعدّون انفسهم من العلماء الاعلام وارباب النقض والابرام، وما ينقلون عنه في امثال هذا المقام ويعدونه من مناقبه ومفاخره بين الانام، كأن الله تعالى قد سلبهم العقول والاحلام، فصاروا اضل من البهايم والانعام.

ومنها: قوله انه مسئول عن امانته وما هو فيه، وان ما يحضره من الأمور يطلع عليه هو بنفسه وما بعد عنه انما يكله إلى الامناء وأهل النصح للعامة، وليس يحمل امانته إلى أحد سواهم، فان فيه انه كيف خفي عليه كفر معاوية

بن أبي سفيان وعمرو بن العاص اللذين ظهر الحادهما مدة عمرهما لكل دان وقاص كما اعترف به الشارح واصحابه، وقد تقدمت به الاخبار عن النبي صلى الله عليه وآله كالشمس في الاشتهار حتى اختارهما للولاية على المسلمين ووصفهما وامثالهما بأنهما من الامناء وأهل النصح في الدين، وكيف لما ظهر له من الخيانة من جملة من عماله وشاطرهم اموالهم لذلك، كما تقدم ذكره اقرهم على اعمالهم، ولم يعزلهم مع ظهور خيانتهم بزعمه، واستحلاله اخذه منهم، وكيف استجاز لعثمان في الشورى كما دسه من الدغل والحيلة يجعل زمام الاختيار بيد ابن عمه عبد الرحمن بن عوف مع اخباره في مجلسه بانه ان وليها عثمان افسد الدين واستبد باموال المسلمين وصار ذلك سببًا لقتله، فكيف استجاز مع هذا التقوى الزايد الذي يدعيه ان يفوضها في حياته إلى معاوية وابن العاص، وامثالهما من المغيرة بن شعبة وكل معاند لله وعاص، وبعد موته إلى عثمان مع ما اخبر به من الجور والطغيان.

واما ما نقله عنه في الخطبة الاخرى من قوله ايها الناس اني والله لوددت ان انجو كفافًا لا ليّ ولا عليّ، فهو اوضح حجة ودليل على كذب ما زخرفه له اولياؤه من تلك الاباطيل التي نقلوها له عن النبي صلى الله عليه وآله من انه لو كان بعده نبيًا لكان عمر، وانه ما ابطأ عليه جبرئيل الاّ ظن انه نزل على عمر، وانه متى لقيه الشيطان هرب منه وفر، وانه سراج أهل الجنة، وانه من العشرة المبشرة بالجنة، وامثال ذلك مما اوجب لهم في دينهم مزيد الفتنة والمحنة، فانه لو كان لشيء من هذه الاخبار اصل اصيل وقد علم عمر نفسه انه من ذلك القبيل كما يدعيه

لـه اولياؤه جيلاً بعد جيل لما صدر عنه مثل هـذه الاقاويـل والاّ فمـن كـان فـي مرتبة النبوة واهليتها حتى ان الشيطان يفر منه، وهو سراج أهل الجنة الدال على انه اعلى مرتبة مـن سـائر أهـل الجنـة، كيـف يـشك فـي نفسه بالنجاة ويتمنـى الكفاف لولا انه عالم من نفسه بالهلاك لعدم التقوى والعفاف، كما شـهدت بـه روايات المطاعن عند ذوي الانصاف، ومن كان يعلم يقينًا انـه مـن أهـل الجنـة التي وصفها الله سبحانه في كتابه وشوّق اليها جملة اوليائه واحبائـه، فانـه يجـب الانتقال اليها في العاجل ومفارقة هذه الدار وما فيها من النعيم الزائل كمـا علـم من حال أمير المؤمنين عليه السلام وكلماتـه المتكـررة مـن قولـه تـارة وإن ابـن أبـي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه، وتارة لا يبالي ابن أبـي طالـب أعلـى الموت وقع أو وقع الموت عليه، وتارة لما ضربه ابن ملجم فزت ورب الكعبة.

فان قيل: انه قد وقع من علي عليه السلام امثال هذا الكلام من اعترافه بالذنوب، واستعاذته من النار، وتضرعه إلى الله عزّ وجلّ، وبكائه من خوفه.

قلنا: بيّن الفرق بين الكلامين كفرق الصبح لذي عينـين واضـح، وضـياؤه لمن رام التستر بظلمة الليل فاضح.

اما أولاً: فانا قدمنا آنفًا ما اتفق عليه خصومنا مـن تعظيمـه عليه السلام وتبجيلـه، ونقل فضائله ومناقبه حتى وافقنا جملـة مـنهم علـى عـصمته مـن تطـرق وصـمه القدح اليه حتى لو تزندق بعض النصاب فطعن في فضله في باب مـن الابـواب كفانا خصومنا مؤونة الجواب بـالرد علـى ذلـك الفـاجر المرتـاب، كمـا عرفتـه وستعرفه في غير موضع من هذا الكتاب، وحينئذ فيتعين حمل كلامه عليه السلام هنـا

وامثاله على اظهار التذلل والخضوع في مقام العبودية، ومثله عن النبي صلى الله عليه وآله بخلاف الرجل المذكور، فانه لا حظ له في شيء من تلك الأمور بل هو على الضد منها في الورود والصدور.

واما ثانيًا: فللفرق بين الكلامين والتغاير بين المقامين، فان مقتضى كلام علي عليه السلام انما هو اظهار التذلل لعظمة الله تعالى والتبري مما نسبه اليه ذوو الغلو فيه من دعوى الربوبية له عليه السلام، وكلام عمر انما هو في مقام الاخبار عن نفسه والشك في نجاتها، وقد وقع له مثل هذا في مواضع كما تقدم نقل طرف منه في مطاعنه، وسيأتي جملة منه في كلام الشارح في هذا الجزء عند ذكره لوفاته.

واما ما نقله عن عمر في قضية الهرمزان وقوله له بعد ان احتال عليه الهرمزان باخذ الامان فلم يخبره ولم يشرب الماء كذبت، فقال لم اكذب، وشهادة انس ومن حضر بعبارة الهرمزان ،وقول عمر لانس ما قاله وتهديده له ان لم يات له بالمخرج، فهو اظهر دليل على بلادة عمر وقلة فهمه، وانه جامد الذهن والقريحة، عديم الفطنه في الأمور الواضحة التي تفهمها ساير الناس، فأين ما يدعيه له اولياؤه تعصبًا وحمية من الفهم الثاقب والحديث الصايب حتى انه يدرك بحدسه الامر الغايب، ومن بلغت بلادته وجمود قريحته إلى عدم ادراك هذه الأمور الظاهرة التي يفهما رعاع الناس، كيف يوصف بادراك الأمور الغايبة، وقد وقع له مما يدل على بلادته وسوء فهمه وعدم فطنته وجمود قريحته جملة من المواضع من هذا القبيل، ها انا اذكر ما خطر منها

بالبال العليل، والفكر الكليل، فمن ذلك: ما قدمناه في مطاعنه من سؤاله الناس في خلافته فيما كان يقرؤه الرسول صلى الله عليه وآله في صلاة العيدين من السور.

ومنها: قضية المرأة التي شكت اليه بعلها بطريق الكناية والتعريض فلم يفهم كلامها ولا مرادها حتى فهمه كعب بن سور فولاه لذلك قضاء البصرة مكافأة له ونصرة.

ومنها: مما طوينا نقله في هذا المقام مما نقله الشارح، قال: روى محمد بن سيرين ان عمر في آخر ايامه اعتراه نسيان حتى كان ينسى عدد ركعات الصلاة، فجعل امامه رجلاً يلقنه فاذا اومىء اليه ان يقوم قام أو يركع ركع أو يقعد قعد.

ومنها: ما رواه عن مالك بن نافع عن ابن عمر أن عمر تعلم سورة البقرة في اثني عشر سنة، فلما ختمها نحر جزورًا.

ومنها: ما نقله أيضًا قال روى أبو هريرة قال: قدمت على عمر من عند أبي موسى بثماني مائة ألف فقال لي: بماذا قدمت؟ قلت: بثمانمائة ألف درهم، فقال: ألم أقل لك انك يعان احمق، ويحك انما قدمت بثمانين الف درهم، فقلت: يا أمير المؤمنين انما قدمت بثمانمائة الف، فجعل يعجب ويكررها ويقول ويحك وكم ثمانمائة الف درهم فعددت مائة الف ومائة الف حتى بلغت ثمانية فاستعظم ذاك.

ومنها: قال: روى الربيع بن زياد، قال: قدمت على عمر بمال من البحرين، فقال: ما قدمت به؟ قلت: خمسمائة الف، قال: ويحك انما قدمت

بخمسين الفًا، قلت: بل خمسمائة الف، قال: وكم يكون ذلك؟ قلت: مائة الف حتى عددت خمسًا، الخبر.

ومنها: ما ذكره الزمخشري في تفسير سورة سبأ من الكشاف عن عمر انه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلني من القليل، فقال عمر: ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل: اني سمعت الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[1]، وانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل، فقال عمر: كل الناس اعلم من عمر، انتهى[2].

إلى غير ذلك مما قدمنا في مطاعنه وغيرها، فلينظر العاقل المنصف إلى ما بلغ اليه هذا الرجل من البلادة وجمود القريحة والجهل بالامور الظاهرة لسائر الناس كأنه من البله الناقصي العقول الذين ليس لهم روية في معقول ولا منقول، كيف ينقل عنه اصحابه امثال هذه النقول ومع ذلك يصفونه في مواضع اخرى بالحدس الصائب في الفكر الثاقب الذي يدرك به الأمر الغائب وما يتجدد من الأمور الحادثة والمصائب، فلا ندري أي النقلين هو الصادق وايها هو الكاذب.

واما ما نقله عن عمر من قوله ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان، ففيه انه بمقتضى ما يكرره هذا الشارح في الاعتذار من امامة عمر في مواجهته للرسول ﷺ بالجراءات ورده عليه من انه جبل على الغلظة والفظاظة، وان قريشًا قد استطالت ايامه مع كثرة الفتوح والغنايم في ايامه

١- سبأ/١٣.

١- تفسير الكشاف ٥٧٣/٣، تفسير القرطبي ٢٧٧/١٤، و ١٧٩/١٥، الدر المنثور ٦٨٢/٦.

لسرعة بادرته وشدة غلظته، وما نقله عنه من ضربه لجماعة ممن ذكرنا في هذه المقالة وغيرهم من غير ذنب يوجب ذلك انه لم ينفعه ايمانه.

واما حديث عمران بن سوادة الليثي ففيه:

أولاً: دلالة على ان الناس كانوا يعيبون هذه الأمور وامثالها على عمر في غيبته ويطعنون بها عليه، ولكنهم لخوفهم وشدة بادرته وفظاظته وغلظته وعدم خوفه الله تعام في التعدي على الناس بغير جرم ولا سبب كما سمعت من حديث ضبيع، وحديث ابن عباس في مسئلة العول وامثالهما كانوا لا يجسرون على مواجهته بذلك كما يدل عليه قول عمر المتقدم من انه ناصح، وقوله عاتبتك امتك أو رعيتك.

وثانيًا: مخالفة هذا الفعل وهذه الاعتذارات التي ذكرها وجوهًا لبدعه المحدثة المتقدم من النهي عن الحمل بالرأي وانه يقتدي ولا يبتدي، ولكن لما كانت اقواله عنده كأبواله لاسبيل بمخالفتها ومناقضتها، ولم يستمح من عارها وشناعتها، وعلى هذا جرت اولياؤه كما عرفت من احوال هذا الشارح الضال في غير مقال.

وثالثًا: انه أرايت ان الله سبحانه الشارع لهذه الاحكام والآمر بها لجملة الانام يعلم ما يترتب عليها من مصلحة أو مفسدة على مرور الايام حتى يستدرك عليه ذلك في ايام خلافته، فيحرم ما احلّه بهذه الترهات ويخبط دينه وشريعته بهذه التمويهات.

ورابعًا: ان في هذا الخبر أوضح رد على اوليائه الذين اعتذروا عنه بانه لم

يحرم ذلك من قبل نفسه، وانما هو ناقل لتحريمها عن الرسول ﷺ كما تقدم، وسيأتي في هذا الجزء أيضًا ان شاء الله تعالى اعتذار الشارح عنه بذلك.

وخامسًا: ان كلام عمر هنا مما يكشف عن فساد اعتذار الشارح الضال له في مخالفاته للرسول ﷺ في ردّ الكتاب وصلح الحديبية ونحوهما، بان ذلك ليس لقصد المخالفة والرد عليه وانما كان مجبولاً على الفظاظة والغلظة في كلامه فلا حيلة له في ذلك، فلا ينافي ايمانه وصحة عقيدته، وحينئذ فكان الواجب عليه هنا ان يبين العذر في هذه المخالفات المذكورة، إذ لا مجال هنا لاجراء ذلك العذر البارد والمحمل الشارد، فكيف غمض عينه وتجاوز عنه حيث لم يجد عذرًا يسد به ثلمته ويستر عورته، وحينئذ فجميع تلك المخالفات والمناقضات التي صدرت منه في الحياة وبعد الممات انما نشأت من النفاق الذي جبل عليه فصار يسعى بجده وجهده في تخريب الدين بما تصل قدرته إليه، فتراه تارة يظهر بين الناس الاقتداء بالرسول وتعظيمه ويخطب به على منبره، وتراه أخرى يدس نفاقه في الدين، وبدعة في شريعة سيد المرسلين، ويشرع الاحكام، ويحرم الحلال، ويحلل الحرام، ويزخرف لهم العلل والمصالح بمثل هذا الكلام، كأنه شريك لرب الارباب في نسخ احكام الكتاب، ويحمل الناس على ذلك بغلظته وشدته وسرعة بادرته وحدته، ويرغبهم في الاعراض عن ذلك ببسط الاموال عليهم، وتوفير الدنيا اليهم، وزهده ورغبته عنها، كل ذلك بشيطنته التي احكمها، وابليسيته التي اتقنها حتى ضل به كما ترى الجم الغفير، ولم يهتد إلى نفاقه وكفره الاّ اليسير ممن تعلق

بذيل ولاية أهل البيت التي هي الاكسير الكبير.

واما حديث الاسقف ففيه دلالة على صحة ما قدمنا ذكره في حديث كعب الاحبار وغيره من ان اطلاع عمر على امر الخلافة وكلماته التي وقعت فيها ومن يليها وما تنتهى اليه، وما يقع فيها من الاختلاف والاضطراب، فكله انما هو لسماعه له من علماء أهل الكتاب لا لما زعمه له اصحابه من الفهم الثاقب والحدس الصائب، فانه في البلادة والغباوة كما عرفت آنفًا في اعلى المراتب، وهذا هو الحاصل له ولصاحبه على الدخول ظاهرًا في هذا الدين لما علموه من نيل الرياسة بعده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [على] المسلمين، كما ورد في أخبار الائمة الطاهرين، وسيأتي قريبًا في هذا الجزء ما يدل عليه أيضًا.

ثم انظر إلى كلام أبي عبيدة بناء على حمله الخليفة الرابع على عثمان ووصفه بانه صداء من حديد أي انه نتن، وإلى قول الشارح بناء على ذلك لينطبق لفظ الفتن على ما يليق به، هذا وهم متمسكون بامامته وقائلون بخلافته، وهو اظهر دليل على ما ذكرناه في غير موضع من ان الفسق لا ينافي الامامة عندهم، وقد تقدم في ارجوزة الشارح التي ذكرها فيها عقيدته على مذهب المعتزلة وصفه بذي النورين، انظر إلى هؤلاء الضلال واختلال نظامهم في كل مجال.

واما حديث عمر وقوله عند موته لو ان لي ما في الأرض جميعًا لافتديت به من هول المطلع، فقد تقدم ما فيه، وسيأتي قريبًا ما يضاهيه، ويكشف عن باطن الجميع وخافيه.

واما حديث الحارث بن اوس ودعاء عمر عليه وقوله اتسألني وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله كي اخالفه المؤذن بانه لا يخالف الرسول صلى الله عليه وآله، فهو من جملة اقواله التي هي كأبواله كما تقدم بيانه.

واما حديث الفلتة فقد تقدم الكلام فيه مستوفى.

واما حديث متعة الحج واعترافه بان الرسول صلى الله عليه وآله واصحابه فعلوها ولكنه هو خاصة كره ذلك ففيه دلالة صريحة على انه من أهل هذه الآية ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾[1]، وفيه دلالة على كذب قوله في خبر الحارث المتقدم انه لا يخالف رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيه ردّ على أوليائه الذين يعتذرون عنه بانه لا يحلل ولا يحرم من قبل نفسه وانما ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله.

واما حديث خروجه في شهر رمضان والناس اوزاع وجمعه لهم على أبي بن كعب فهو من جملة بدعه التي احدثها في الدين، وقد تقدم الكلام فيه في المقدمة ونزيده تأكيدًا هنا بما ذكره في كتاب البدع المحدثة قال: ومن بدعه ان رسول الله صلى الله عليه وآله استن النوافل في ليالي شهر رمضان فرادى، وهي التي تسميها العامة التراويح، واجتمعت الامة ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يرخص في صلاتها جماعة، فجعلها عمر جماعة خلافًا على رسول الله صلى الله عليه وآله وهم جميعًا يعترفون بانها بدعة، ثمّ يزعمون بانها بدعة حسنة، فقيل لهم اتقولون انها احسن من سنة الرسول وفي ذلك الكفر، أم تقولون ان سنة الرسول احسن منها،

١- محمد/٩.

فالاحسن اولى واوجب مع اجماعكم ان الرسول قال كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، فأي حسن في الضلالة[1].

واما حديث الوتر وتقديمه في اول الليل فهو أيضًا من إحداثهم، قال في كتاب البدع المحدثه أيضًا: وفيما افسد عليهم من صلاة الليل ان رسول الله صلى الله عليه وآله استن صلاة الوتر بعد صلاة الليل في آخر الليل باجماع أهل الرواية على ذلك عنه عليه السلام، فقال عمر: ان صلاة الليل انما كانت واجبة على الرسول دون غيره لقول الله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[2]، قال: وليس كل انسان يطيق القيام في الليل فلا يجب أن يأخذ الوتر، فجعلها في أول الليل بعد العشاء وأزال سنة الرسول عن وقتها من آخر الليل إلى أول الليل بعد العشاء، فبطل فضل الوتر عن كل من يصلي الوتر في أول الليل، إذ لم يأت بها في وقتها الذي استنها فيه، انتهى[3].

ثم من اعجب العجاب نقل هذا المفتري الكذاب عن ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾ انه لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة، وكيف يقول ابن عباس ذلك وهو من رؤوس المقاتلين لاولئك الذين خرجوا للطلب بدم عثمان يوم الجمل وصفين كما تنطق به كتب السير والمغازي، وكيف ذلك المعترض انما اعترض عليه بكونه عاملاً لعلي عليه السلام ولم يعترض عليه بكونه من المجدين

١- الاستغاثة ٣٤/١.

٢- الإسراء/٧٩.

٢- الاستغاثة ٢٩/١.

في دم الطالبين بدم عثمان ما هذا الاّ مزيد قلة حياء في نقل هذه الاكاذيب الشاردة من هذه الفرقة الماردة.

واما حديث المقام فهو من أوضح الادلة على عناده ومضادته لله ورسوله في كل مقام حيث انه لا مجال في هذه المخالفة بشيء من ترهاته أو ترهات اصحابه الاّ ما ذكرناه من نفاقه في الدين والسعي في تقطيع اسبابه والاّ فاذا كان المقام في عهد إبراهيم عليه السلام انما هو بجنب البيت الحرام، وانما غيرته الجاهلية الذين لا يفرقون بين حلال وحرام، ثم ان الرسول صلى الله عليه وآله اعاده إلى قديم موضعه بعد استقرار الاسلام، فما بال هذا المنافق يسارع إلى احياء سنة الجاهلية ويطفيء آثار الرسوم النبوية من غير ان تكون ثمه حجة واضحة بين الانام، فهل لذلك وجه غير كونه على ذلك الدين كما لا يخفى على الحاذق المكين.

قال في المقام: فاما الحديث الوارد في فضل عمر فمنه ما هو مذكور في الصحاح، ومنه ما هو غير مذكور، فمما ذكر في المسانيد الصحيحة من ذلك ما روت عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: في الامم محدثون فان يكن في امتي فعمر، اخرجاه في الصحيحين[1].

وروى سعد بن أبي وقاص قال: استاذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده نساء من قريش يكلمنه عالية اصواتهن، فلما استأذن قمن يبتدرن الحجاب فدخل ورسول الله صلى الله عليه وآله يضحك، فقال: اضحك الله سنك يا رسول الله قال:

١- صحيح البخاري ١٣٤٩/٣، باب مناقب عمر، شرح النووي على صحيح مسلم ١٦٦/١٥، المستدرك على الصحيحين ٩٢/٣.

عجبت من هؤلاء اللواتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، فقال عمر: انت احق ان يهبن، ثم قال: أي عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله، قلن: انت اغلظ وافظ، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا الاّ سلك فجًا غير فجك، اخرجاه في الصحيحين[1].

وقد روي في فضله من غير الصحاح احاديث:

منها: ان السكينة لتنطق على لسان عمر[2].

ومنها: ان الله ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه[3].

ومنها: ان بين عيني عمر ملكًا يسدده ويوفقه[4].

ومنها: لو لم ابعث فيكم لبعث عمر[5].

ومنها: لو كان بعدي نبيًا لكان عمر[6].

ومنها: لو نزل من السماء عذاب لما نجى منه الاّ عمر[7].

١- صحيح البخاري ١١٩٩/٣، باب صفة ابليس وجنوده، صحيح مسلم ١٨٦٣/٤، باب من فضائل عمر.

٢- تاريخ دمشق ١٠٨/٤٤، في آباء من اسمه عمر، الاحاديث المختارة ١٧١/٢.

٣- المستدرك على الصحيحين ٩٣/٣، مناقب عمر، صحيح ابن حبان ٣١٢/١٥، سنن ابي داود ١٣٨/٣، باب في تدوين العطاء، سنن ابن ماجه ٤٠/١، فضل عثمان.

٤- المعجم الكبير ١٦٨/٩، تاريخ دمشق ٤٧/٤٤، في آباء من اسمه عمر، فضائل الصحابة ٣٣٥/١، فضائل عمر.

٥- الفردوس بمأثور الخطاب ٣٧٢/٣، فيض القدير ٣٢٥/٥، حرف السين وقال عنه: انه حديث منكر، الكامل في الضعفاء ١٥٥/٣، من اسمه روح، فضائل الصحابة ٤٢٨/١، فضائل عمر.

٦- سنن الترمذي ٦١٩/٥، باب مناقب عمر، المستدرك على الصحيحين ٩٢/٣، مناقب عمر.

٧- الفتح السماوي ٦٦١/٢ سورة الانفال، الاحكام ٢٢١/٤، المسألة الحادية عشر.

ومنها: ما ابطأ عني جبرئيل الاّ ظننت انه بعث إلى عمر.

ومنها: سراج أهل الجنة عمر[1].

ومنها: ان شاعرًا انشد النبي ﷺ شعرًا فدخل عمر فاشار النبي ﷺ إلى الشاعر ان اسكت، فلما خرج عمر قال له: عد فعاد، فدخل عمر، فاشار اليه النبي ﷺ بالسكوت مرة ثانية، فلما خرج عمر، سأل الشاعر رسول الله ﷺ عن الرجل، فقال: هذا عمر بن الخطاب وهو رجل لا يحب الباطل[2].

ومنها: ان النبي ﷺ قال: وزنت بأمتي فرجحت، ووزن أبو بكر بها فرجح، ووزن عمر فرجح ثم رجح.

وقد رووا في فضله حديث كثير غير هذا ولكنا ذكرنا الاشهر، وقد طعن اعداؤه ومبغضوه في هذه الاحاديث.

فقالوا: لو كان محدثًا وملهمًا لما اختار معاوية الفاسق لولاية الشام، ولكان الله تعالى قد الهمه وحدثه بما يواقع من القبايح والمنكرات والبغي والتغلب في الخلافة والاستيثار بمال الفيء وغير ذلك من المعاصي الظاهرة.

وقالوا: كيف لا يزال الشيطان يسلك فجًا غير فجه وقد فر مرارًا من الزحف في احد وحنين وخيبر، والفرار من الزحف من عمل الشيطان، واحدى الكبائر الموبقة.

قالوا: وكيف يدعى أن السكينة تنتطق على لسانه، أترى كانت السكينة

١- الارشاد ٩٥٠/٣، وقال فيه: منكر بهذا الاسناد.

٢- مسند احمد ٤٣٥/٣، مجمع الزوائد ١١٨/٨، باب ما جاء في الحمد والمدح، احاديث الشعر ٧٦/١.

تلاح رسول الله ﷺ يوم الحديبية حتى اغضبه.

قالوا: ولو كان ينطق على لسانه ملك وبين عينيه ملك يسدده ويوفقه، وضرب الله بالحق على لسانه وقلبه لكان نظير الرسول الله ﷺ بل كان افضل منه، لانه كان يؤدي الرسالة إلى الامة عن ملك من الملائكة، وعمر كان ينطق على لسانه ملك وزيد ملك آخر بين عينيه يسدده ويوفقه، فهذا الملك الثاني مما فضل به على رسول الله ﷺ، وقد كان يحكم في اشياء فيخطيء فيها حتى يفهمه اياها علي بن أبي طالب عليه السلام ومعاذ بن جبل وغيرهما حتى قال: لولا علي لهلك عمر، ولولا معاذ لهلك عمر، وكان يشكل عليه الحكم فيقول: غص ياغواص فيفرج عنه، فأين كان الملك الثاني المسدد؟ وأين الحق الذي ضرب على لسان عمر وقلبه ورسول الله ﷺ كان ينتظر الوحي في الوقايع وعلى مقتضى هذه الاخبار لا حاجة به إلى نزول الملك عليه، لان الملك معه في كل وقت وعلى كل حال ينطق على لسانه، وملك آخر بين عينيه يسدده ويوفقه، وقد عزز بثالث وهي السكينة، فهو إذاً افضل من رسول الله ﷺ.

قالوا: والحديث الذي مضمونه لو لم ابعث فيكم لبعث عمر فيلزم ان يكون رسول الله ﷺ عذابًا على عمر، واذى شديدًا، لانه لو لم يبعث لبعث عمر نبيًا ورسولاً ولم يعلم برتبة اجل من رتبة الرسالة، فالمزيل لعمر عن هذه الرتبة التي ليس وراءها رتبة ينبغي ان لا يكون في الأرض أحد ابغض اليه منه.

قالوا: واما كونه سراج أهل الجنة فيقتضي انه لو لم يكن يخلق عمر لكانت الجنة مظلمة لا سراج لها.

قالوا: وكيف يجوز ان يقال لو نزل العذاب لم ينج منه الاّ عمر والله تعالى يقول ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[1].

قالوا: وكيف يجوز ان يقال ان النبي صلى الله عليه وآله كان يسمع الباطل ويحبه ويشهده، وعمر لا يحب الباطل ولا يشهده، أليس هذا تنزيهًا لعمر عما لم ينزه عنه رسول الله صلى الله عليه وآله.

قالوا: ومن العجب ان رسول الله صلى الله عليه وآله ارجح من الامة يسيرًا، وكذلك أبو بكر، ويكون عمر ارجح منها كثيرًا، فان هذا يقتضي ان يكون فضله ابين واظهر من فضل أبي بكر ومن فضل رسول الله صلى الله عليه وآله.

والجواب انه ليس يجب فيمن كان محدثًا ملهمًا كل شيء بل الاعتبار بأكثر افعاله أو ظنونه وآرائه، وقد كان عمر كثير التوفيق ومصيب الرأي في جمهور أموره، ومن تأمل سيرته علم صحة ذلك، ولا يقدح في ذلك ان يخلف ظنه في القليل من الأمور، واما الفرار من الزحف فانه لم يفر الاّ متحيزاً إلى فئة وقد استثنى الله ذلك فخرج به عن الاثم، واما باقي الاخبار فالمراد بالملك فيها الاخبار عن صحة ظنه وصدق فراسته وهو كلام يجري مجرى المثل فلا يقدح فيه ما ذكروه، واما قوله عليه السلام لو نزل على الأرض عذابًا ما نجى منه الاّ عمر فهو كلام قاله عقيب اخذ الفدية من اسارى بدر، فان عمر لم يشر عليه بذلك ونهاه عنه فانزل الله تعالى ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ

١- الأنفال/٣٢.

أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[1]، وإذا كان القرآن قد نطق بذلك لم يلتفت إلى طعن من طعن في الخبر، واما قوله عليه السلام سراج أهل الجنة فمعناه سراج القوم الذي يستحقون الجنة من أهل الدنيا أيام كونهم في الدنيا عمر، أي يستضيئون معه كما يستضيئون بالسراج، واما حديث الشاعر فان رسول الله صلى الله عليه وآله خاف ان يذكر في شعره ما يقتضي الانكار فيعنف به عمر وكان شديد الغلظة، فاراد النبي صلى الله عليه وآله ان ينكر هو على الشاعر ان قال في شعره ما تقتضي ذلك على وجه اللطف والرفق، وكان عليه السلام رؤوفًا رحيمًا، كما قال الله تعالى، واما حديث الرجحان فالمراد به الفتوح وملك البلاد وتأويله انه عليه السلام رأى في منامه ما يدل على انه يفتح الله عليه بلادًا تفتح على أبي بكر مثله ويفتح على عمر اضعاف ذلك، وهذا وقع.

واعلم ان من قصد إلى العيب وجده، ومن قصر همه على الطعن على الناس انفتحت له أبواب كثيرة، والسعيد من انصف من نفسه، ورفض الهوى، وتزود التقوى وبالله التوفيق، انتهى[2].

اقول: فيه ضروب من الخلل الواضح، وصروف من الزلل الفاضح:

أحدها: انه قد روى فيما تقدم على هذا الجزء عن معاوية وبني امية انهم مدة خلافتهم قد اختلقوا احاديثًا جمة لا تحصى في مناقب الخلفاء الثلاثة، وان تلك الاحاديث قد صارت إلى ايدي الديانين الذين لا يستحلون نقل الكذب

١- الأنفال/٦٨.

١- شرح نهج البلاغة ١٢/١٨٠.

فرووها وتدينوا بها وحكموا بصحتها ودونوها في مصنفاتهم، ونقل أيضًا عن علمائهم تأييد ذلك واعترافهم بانه قد وضع في فضايل الصحابة اخبار كثيرة لا اصل لها، واعترف هو أيضًا بذلك في الاخبار التي وضعتها البكرية لأبي بكر، وكذا جملة من علمائهم قد تقدم ذكرهم اعترفوا بذلك في جملة من أخبار الفضايل، فاذا كانت هذه سجيتهم المذمومة وطريقتهم المشومة فكيف يبقى بعدها اعتماد على خبر ينقلونه من هذا الباب، فلا بد حينئذ من إثبات ان هذه الاخبار خارجة عن الموضوعات ليتم له الاحتجاج بها والطعن على من خالفه فيها، وأنى له بذلك ودونه خرط القتاد.

وثانيها: ما مر في الفصل السادس من المقصد الثاني من مقاصد المقدمة من بيان احوال الصحيحين وانها في الحقيقة على ضد ذينك الاسمين لما ظهر من نصب مصنفيهما بها رأي العين، ويؤيده ما اعترف به هو أيضًا فيما تقدم من كذب جملة من أخبار ذينك الكتابين كخبر عمرو بن العاص وروايته عن النبي ﷺ ان آل أبي طالب ليسوا لي باولياء، الخبر، وحديث خطبة علي عليه السلام لابنة أبي جهل، وخبر عايشة عن النبي ﷺ انه اراد في مرضه ان يكتب لابي بكر كتابًا بالخلافة، والاخبار التي تقدمت في مسئلة الرؤية لله تعالى يوم القيامة الدالة على التجسيم، والاخبار التي رويت في وقوع المعاصي من النبي ﷺ، فاذا كانت صحاحه باعترافه مشتملة على اخبار الكذب والبهتان، فكيف ينوه بها في هذا المكان بانه مما روي في المسانيد الصحيحة، وإذا كان هذا حال الصحاح عندهم فما ظنك بغيرها، ولننقل هنا كلامًا لبعض اصحابنا ﴿رضوان

الله عليهم﴾ في المقام زيادة على ما قدمناه في الفصل المشار اليه من الكلام مما تنقشع به عما ذكرناه غشاوة الابهام، قال قُدِّسَ سِرُّهُ بعد كلام في الطعن في تلك الصحاح: على ان النووي قال انه قد استدرك جماعة على البخاري ومسلم احاديث اخلا فيها بشرطيهما، فمنها كتاب الحاكم أبو عبد الله، أبو عبد الضبي، ومنها كتاب الدارقطني، وكتاب أبي علي العيثاني، وأبي مسعود الدمشقي، وابن حزم الاندلسي بل رد ابن حزم في كتابه على كثير من روايات البخاري ونسبه في بحث القسامة من كتاب المحلى إلى الرواية عمن يضع الحديث، وممن نسبه ابن حزم إلى الوضع من محدثي أهل السنة محمد بن القاسم بن شعبان المصري المالكي، وعبدالباقي بن قانع الحنفي، قال في مسئلة بيع الشطرنج والمزامير من كتاب البيع: وابن شعبان في المالكيين نظير عبدالباقي بن قانع في الحنفيين، قد نقلنا حديثهما فوجدنا البلاء المبين، والكذب البحت، والوضع اللائح، وعظيم الفضائح، انتهى[1].

وأيضًا ان ما نقله الكرماني في فواتح شرحه البخاري عن كتاب التعديل والجرح لرجال البخاري تأليف الحافظ ابي الوليد سليمان الناجي المغربي يدل على ان كتاب البخاري لم يتم في حياته بل كان مسودة عند موته فزاد فيه العزيزي وغيره من أهل ما وراء النهر ونقصوا حسبما ما اقتضاه آرائهم حيث قال الحافظ المذكور: اخبرنا أبو ذر عبيد بن محمد بن أحمد العروي، حدثنا أبو اسحاق المستملي ابراهيم بن أحمد قال انتسخت كتاب البخاري من اصله

١- المحلى لابن حزم ٥٧/٩.

الذي كان عند محمد بن يوسف العزيزي مرات لم يتم بعد، وقد بقيت عليه مواضع مبيضة كثيرة منها تراجم لم تثبت بعدها شيء، ومنها احاديث لم يترجم عليها فاضفنا بعض ذلك إلى بعض، قال ومما يدل على صحة هذا القول ان رواية أبي اسحاق، ورواية أبي محمد، ورواية الهيثم، ورواية أبي زيد وقد نسخوا من أصل واحد فيها التقديم والتأخير، وانما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهما فيما كان في طرة أو رقعة مضافة انه مُوضَع ما فأضافه، ويبين ذلك انك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصل ليس فيها احاديث، انتهى[1].

إلى ان قال قُدِّسَ سِرُّه: ومن فتواه في مسئلة الرضاع كما ذكره صاحب الكفاية في شرح الهداية في فقه الحنفية حيث قال: وإذا اشرب صبيان من لبن شاة فلا رضاع بينهما، لانه لا جزئية بين الآدمي والبهايم، لان الجزئية لا تكون الاّ بعد الامية، والبهيمة لا يتصور ان تكون امًا للآدمي اولاده، فكذا رضاعًا، وكان محمد بن اسماعيل صاحب الحديث يقول: يثبت به حرمة الرضاع وانه دخل بخارى في زمن الشيخ أبي حفص الكبير وجعل يفتي، فقال له الشيخ: لا تفعل فلست هناك، فأبى ان يقبل منه نصيحته حتى استفتي في هذه المسئلة، فافتى بثبوت الحرمة، فاجتمعوا واخرجوه من بخارى بسبب هذه الفتوى، انتهى[2].

ومن أغلاط البخاري ما ذكر في باب الانساب من الغاية للسخاوي الشافعي ان أبا مسعود عقبة بن عمرو البدري لم ينسب كذلك لشهوده بدرًا في

١- مقدمة فتح الباري لابن حجر/٦.

٢- المبسوط للسرخسي ٢٩٧/٣٠، وفيه: الفربري.

قول الجمهور وان عده البخاري في صحيحه ممن شهدها، وانا كان نازلاً أي ساكنًا بها، فقد وقع لكبار أهل الحديث من ذلك أوهام، انتهى[1].

ولا يخفى ان مثل هذا الغلط مع انه باطل في نفسه يقود إلى غيره من الباطل العظيم، فان البخاري إذا توهم ان أبا مسعود شهد بدرًا، وقد تقرر عند القوم ان أهل بدر كلهم عادلين فيعد جميع رواياته من الصحيح وهذا بلاء عظيم كما ترى، ولقد ظهر مما نقلناه ان رياسة البخاري وتصدره على المسامع والبخاري انما كان تصدر بلا استحقاق وترأس بشؤم الاتفاق من أهل النفاق.

واما مسلم بن الحجاج القشيري فتعلم حماقته أولاً: من تحقيق حال طائفته فانهم من قشور العرب واراذلهم كما ينبيء عنه اسمهم، ولذا قد انحرفوا عن علي بن أبي طالب عليه السلام وانضموا إلى معاوية، وكانوا ناصبة مبغضين عليًا عليه السلام وشيعته، لا يطيقون لذكره عليه السلام فيما بينهم حتى انهم جادلوا في ذلك ابا الاسود الدؤلي حين ما ابتلي بالنزول في جوارهم بالبصرة وقالوا له حتى متى تقول في علي فاجابهم بقوله شعرًا:

يقول الارذلون بنو قشير	طوال الدهر لا تنسى عليًا
احب محمدًا حبًا شديدًا	وعباسًا وحمزةً والوصيا
هوى أعطيته منذ استدارت	رحى الاسلام لم يعدل هويا
احبهم كحب الله حتى	أجيء إذا بعثت على هويا
فان يك حبه رشدًا اصبه	ولم اك مخطئًا ان كان غيا

١- صحيح البخاري ١٧/٥.

قالوا لـه: شككت؟ قال: فقد شك الله حيث قال: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، أي ان الترديد والتشكيك قد يكون للابهام على المخاطب لا للشك الحاصل للمتكلم، وأيضًا قد اشتمل هذان الكتابان على روايات أبي هريرة، وابن عمر، وانس وامثالهم من الصحابة المتهمين بالكذب والفسق الذين رد أبو حنيفة اخبارهم ولم يعمل بها قط كما رواه امام الحرمين أبو المعالي الجزين الشافعي في رسالته المؤلفة في تفصيل مذهب الشافعي إلى آخر كلامه افاض الله تعالى عليه من سوانح اكرامه.

وثالثها: توجه الطعن إلى رواة هذه الاخبار بأنهم من اعداء أهل بيت النبي المختار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ولا سيّما عايشة ذات الاحمال والاثقال والاوزار كما تقدم ايضاحه واعتراف القوم به في غير موضع.

وكيف كان فهذه الاخبار لا تقوم حجة على الشيعة الابرار لتفرد الخصم بها، فكما انهم يردون اخبار الشيعة التي يتفردون بها، فكذلك الشيعة ترد ما يتفردون به، والحجية اما تثبت بالاخبار الواردة من الطرفين كما لا يخفى على من سلم قلبه من الطمع والرين.

ورابعها: ان هذه الاخبار مقابلة باخبار المطاعن المتقدمة في المقدمة وغيرها من مباحث الكتاب وتلك ارجح لوجوه تقدم ذكرها:

منها: ان تلك متفق عليها بين الفريقين، وقد روى ما رواه الطرفين وقال بمضمونها علماء الجانبين، وهذه مما اختصوا بها، ولا ريب ان المتفق عليه

١- سبأ/٢٤.

أقوى في الاحتجاج واقطع لمادة الشغب واللجاج.

ومنها: إنه قد تقرر في باب الجرح والتعديل تقديمه الجرح.

ومنها: تأييد الأخبار بما ذكرناه في الفصل السادس من المقصد الثاني من المقدمة.

وخامسها: ان جملة علمائهم الذين نقلوا هذه الاخبار انما استندوا إلى ظواهر الفاظها وما يتبادر من حاق عباراتها الذي هو مكشوف لكل ناظر، ولهذا رفعوا بها درجة عمر على البادي والحاضر، وجعلوه بها في مرتبة النبي صلى الله عليه وآله وباعوا عليه دينهم وايمانهم فصاروا يقلدونه في تشريع الشرايع والاحكام، وتحريم الحلال وتحليل الحرام، وجعلوه اعرف من الله تعالى ورسوله بمصالح الاحكام وتدبير أمر الإسلام، ولكن هذا الضال لما رأى ما اوردته الشيعة عليهم في هذا المقام عدل لضيق الخناق ومزيد التعصب لرؤس النفاق إلى هذه التأويلات الهمجة والتخرصات السمجة التي هي أقرب إلى التعمية، والالغاز الذي هو بعيد بمراحل عن باب المجاز ولا سيّما حديث الرجحان وتأويله الفتوحات فانه اشبه شيء بالهذيانات أو الاحلام في المنامات، ولو اعترف بكذبها كما اعترف بكذب نظايرها في حق أبي بكر لكان اولى من ارتكاب هذا الشطط الذي ينسبه كل من رآه إلى الجهل والغلط أو يعده من جملة النبط، وها نحن بعون الله سبحانه نوضح ما في كلامه من الخلل والفساد الذي لا يخفى على من نظر بعين الانصاف من العباد.

فنقول: اما قوله في معنى الخبر الأول انه ليس يجب فيمن كان محدثًا

إلى آخره.

ففيه أولاً: انه لا يخفى ان المتبادر من لفظ المحدث بصيغة اسم المفعول انما هو الذي لـه مـن يحدثـه بـالامور، والمـراد هنـا المحـدث بـالامور الغيبيـة، وحينئذ فالمحدث لـه اما الله عزّ وجلّ أو ملك من جهته، ويؤيد ارادة من وضع لـه هذا الخبر لهذا المعنى الذي ذكرناه حديث الملك الذي بـين عينيـه يـسدده ويوفقه، هذا هو الظاهر لكل ناظر كما يخفى.

وثانيًا: انه مع تسليم ما ذكره من ان عمر كان مفهمًا ملهمًا في أكثر أموره كما يدعيه فنقول: ان هذا الأكثر الـذي كـان كثيـر التوفيـق مـصيب الـرأي فـي جمهوره ان كان في أيام حياة النبي صلى الله عليه وآله فمن الظاهر انه لـم تنقـل لـه يومئذ منقبة ولا فضيلة فى ذلـك الاّ مناقـضاته للرسـول صلى الله عليه وآله ورده عليـه واعتراضـاته عليه في حركاته وسكناته حتى تأذى منه غير مرة كما مر في حديث ندائـه لـه لصلاة العتمة، وحديث قرائته عليه بعـض كتـب أهـل الكتـاب، وقـد نقـل هـذا الضال عما تقدم انه شكاه إلى أبي بكر، وهذا الضال انما يعتذر عنه بانه قد جُبل على الغلظة والفظاظة وسوء الادب كما تقدم في غير موضع وان كان ذلك في وقت خلافة أبي بكر فلم يظهر منه ولم ينقل أزيد مما نقله هو وغيره في أخبار السقيفة من فعله بأهل البيت عليهم السلام تلك الافعال المخيفة، وجبره النـاس وقهـرهم على بيعة أبي بكر، وفعله بمالا يفعله من لـه من الله تعـالى ادنـى وجـل وخيفـة، فان كان ما ذكرناه في هذين الوقتين من جملة مـا اراده، وان عمـر كـان ملهمًـا ومفهمًا من الله سبحانه فيه، فهو كفر منه وزندقة، نعم وقوع ذلـك منـه وتمكينـه

فيه مزيد خذلان له وبعد سحيق لا اصابة وتوفيق، وان كان ذلك في وقت خلافته وأيام سلطنته ودولته ففيه انه ان أراد بالنسبة إلى ما يتعلق بتدبير سلطنته وملكه وانقياد العالم اليه بما احدثه من السياسة سواء وافق الشريعة أو خالفها كضربه من لا يستحق الضرب، وعفوه عمن لا يستحق العفو، واخذه الناس بالعنف والشدة تارة، واظهار التمسكن والذلة والخضوع أخرى، وتقشفه في لباسه ومأكله وتوفيره الاموال على الناس ونحو ذلك من تدبيراته الموجبة لبقاء سلطنته وشدة ملكه ففيه ان هذه سجية الملوك وارباب الدول مسلمين كانوا أو كفاراً، فانهم يجرون في تدبيراتهم مع الناس وفي انفسهم على ما يقتضيه نظام ملكهم وحفظ دولتهم وتمام سلطنتهم، وان اراد بالنسبة إلى أمور الشريعة والدين فلم نر منه كما اعترف به هو وغيره الاّ إذا لم يخف الله عزّ وجلّ ويستفتي ممن حضره من الصحابة الاّ خبطه في الدين والشريعة باجتهاده وقياساته وبدعه الشنيعة التي تقدم ذكرها في غير موضع.

وثالثًا: ان ما نقله عن اعداء عمر بالنسبة إلى هذا الخبر من طعنهم فيه بكون عمر قد ولى معاوية وانه لو كان الخبر صحيحًا لكان الله تعالى يلهم عمر ويحدثه بما يقارفه معاوية من القبايح والمنكرات إلى آخره، ففيه ان هذا مجرد تخرص منه في هذا المقام، بل انما الطعن على خبره المذكور من جهة ما ذكرناه وفصلناه، والطعن عليه من جهة توليته معاوية انما هو من حيث معلومية كفره وزندقته والحاده له يومئذ بالاخبار التي كشف بها الرسول ﷺ عن حاله كما قدمنا جملة منها في مطاعن معاوية، فكيف خفى ذلك على عمر

حتى يوليه على رقاب المسلمين ويجعله آمرًا وناهيًا في أمور الدنيا والدين بل يختص به كما تقدم، ويجعله من أقرب المقربين، واما انكاره لفرار عمر من الزحف وانه انما فر متحيزاً إلى فئة فهو اوهن من بيت العنكبوت، ومثل هذا لا يقع الاّ من كل متجبر مبهوت أو مغمور العقل مسبوت، فان فرار خلفائه الثلاثة في جميع مواقع الفرار وتوليهم على الادبار مما لا يقبل الانكار الاّ من قابل بالعناد مثله والاستكبار، وسيأتي ان شاء الله تعالى في ذكر قضية احد في الجزء الخامس عشر اعترافه بذلك ونقله الاخبار الدالة على فرار عمر وعثمان، وانما نازع في فرار أبي بكر مع انه اعترف بفراره في قصايده التي امتدح بها عليًا عليه السلام فقال:

وليس بنكر في حنين فراره وفي احد قد فر خوفًا وخيبرا

واما قوله واما باقي الاخبار فالمراد بالملك الاخبار عن ظنه وصدق فراسته ففيه:

أولاً: ما عرفته من بلادته وجمود ذهنه التي عددنا منها مواضع دالة على ذلك قريبًا.

وثانيًا: ان ما ادعوه له من اخباره بما يقع من عثمان وبني أمية وامثال ذلك، فكله كما اوضحناه وبيناه ودللنا عليه بما تقدم وسيأتي، انما هو لاستماعه ذلك من أخبار أهل الكتاب، لان هذا الدين وما يقع فيه كله موجود في كتبهم ومعلوم عند احبارهم، وقد تقدم جملة من الاخبار الدالة على ذلك.

واما قولـه في حديث لو نزل العذاب على الأرض لما نجى منـه الاّ عمـر انه كلام قاله عقيب اخذ الفدية وان القرآن قد نطق به فلا يلتفت إلى طعن مـن طعن ففيه:

أولاً: ان القـرآن وان نطـق بمـا يـدل علـى التـوبيخ علـى أخـذ الفديـة واستحقاق العذاب الاّ انه لم يدل على استثناء ابـن الخطـاب ليكـون دافعًا لمـا تدعيه الشيعة من الطعن في هذا الخبر ولا موجبًا لصدقه حتى يصور بان القرآن قد نطق به فلا يلتفت إلى طعن من طعن.

وثانياً: ان عمدة ما اوردته الشيعة فـي بيـان كـذب هـذا الخبـر انـه يلـزم بمقتضاه لو صح شمول العـذاب للرسـول ﷺ حيـث لـم يـستثن منه إلا ابـن الخطاب أولويته بذلك في المقام فانه الرئيس والآمـر والنـاهي، وغيـره انمـا هـو رعية وسوقة وهو كفر محض.

واما قولـه في تفسير ان عمر سراج أهل الجنـة بمعنـى ان أهـل الجنـة فـي الدنيا يستضيئون بعلومه فما ادري ما جوابه بعد نقلهم عنـه فيمـا قـدمنا فـي غيـر خبر، الكل افقه من عمر حتى المخدرات، الكل افقه مـن عمـر حتـى الـصبيان، لولا علي لهلك عمر، وقد احصى عليه في ثمانين موضعًا لولا معاذ لهلك عمـر، وامثال ذلك مما تقدم في فصل مطاعنه مما يدل على جهله وبلادته وسوء فهمه وجمود ذوقه، نعم لـه من الاجتهادات والقياسات والبدع التي افسد بهـا الـدين، والفتاوى التي يفتي بها تارة ويرجع عنها اخرى لمزيد جهله كما تقدم اعتـراف الشارح به في شرح الخطبة الشقشقية من انه كثيرًا ما يفتـي بـالحكم ثـم ينقـضه

حتى افتى في الجد مع الاخوة بفتاوى كثيرة يخالف بعضها بعضًا، وقال: من أراد ان يتقحم جراثيم جهنم فليقل في الجد برأيه، ومع التسليم ان عمر من العلماء كما يدعونه فبالاتفاق انه لا زيادة له في العلم على غيره من الصحابة، فمن أين صارت له هذه المزية بان يجعل سراج أهل الجنة لأجل انه يفيد العلم، وكيف لم يخصّ به علي عليه السلام الذي هو باب مدينة العلم النبوي بالاتفاق على انا قد قدمنا في الجواب عن هذا الخبر في المقدمة بالوصف بهذا المعنى الذي ذكره انما نزل به القرآن ان العزيز في حق الرسول صلى الله عليه وآله حيث يقول عزّ وجلّ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[1] فاذا كان الله تعالى قد جعل رسوله هو السراج المنير لعباده يهتدوا به وبعلومه من ظلمات الجهالة، فأي حاجة إلى سراج عمر الذي قد لمس جهله هالة القمر، وربت عثراته على الشجر والمدر الآّ ان يقولوا انه شريكه في النبوة والرسالة كما هو ظاهر من فلتات كلامهم باظهر دلالة، وما اخترعوه له من الاخبار المملوة بالزور والبهتان وان تحاشوا عن اظهار القول بذلك باللسان كما نبهنا عليه فيما تقدم في غيرمكان.

واما قوله في حديث الشاعر وتأويله ما ذكره فهو اشبه شيء بالهذيان الذي لا يروج الاّ عند جهال الصبيان.

أما أولاً: فان الشاعر المذكور كان ينشد شعره بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله قبل مجيء عمر فلم لا قال له شيئًا يوجب الانكار عليه بلطف كما يدعيه،

١- الأحزاب/٤٥-٤٦.

فلعله كان يقول شيئًا من الباطل.

وأما ثانيًا: فان الرسول انما نهاه عن قول الباطل بزعمه بعد سؤاله عن عمر وعلى هذا فلو لم يسأل الشاعر لم ينهه عن الباطل الذي ربما كان يصدر منه.

وأما ثالثًا: فان الرسول ﷺ انما نفى حب الباطل عن عمر خاصة لا عن نفسه معه حتى يصير فيه منع وانكار على الشاعر بلطف لئلا يقول شيئًا من الباطل بين يديه، ولا يخفى على من له ادنى ذوق في معرفة الكلام بحيث يخرج عن حيز البهائم والانعام ان منع الرسول الشاعر عن الانشاد كلما دخل عمر، وامره بالعود كلما خرج، وتعجب الشاعر من ذلك حتى سأله عنه لما رأى من توقيره له واحترامه لمنزلته واجلاله، وقول الرسول هذا رجل لا يحب الباطل ليس الاّ ان هذا الذي أنت تفعله من الباطل، وعمر لا يحب الباطل، هذا بمقتضى معنى اللفظ المحفوف بقرائن العام الذي لايرتاب فيه أحد من ذوي الافهام، قاتل الله تعالى من وضعه واختلقه واخترعه فانه لم يرض ان يأتي لعمر فضيلة الاّ بذم الرسول ﷺ والطعن فيه، وقد تقدم لهم امثال ذلك كما نقلناه في المقدمة.

وأما حديث الرجحان فقد عرفت ما فيه، وان بطلانه اظهر من ان يحتاج إلى بيان وتنبيه، وكيف والمتبادر من الموازنة بين شيئين ورجحان أحدهما على الآخر انما هو كون أحدهما اثقل من الآخر في الجسم وحيث كان هذا المعنى لا يصح حمل الكلام عليه، فيرجع إلى أقرب المجازات اليه وهو الموازنة باعتبار الاعمال وزيادة بعضها على بعض ليكون عمر بموجب هذا

الخبر المبتكر افضل من الامة زياده على افضلية الرسول ﷺ عليها، وافضلية ابي بكر كقوله ﷺ ضربت علي تعدل عبادة الثقلين إلى يوم القيامة، أي تساويها في الاجر والثواب، واين هذا من اعتبار الفتوحات، وأيضًا لو كان المراد هو الفتوحات كما يخرجه بضلاله الواهي لكان الموازنة انما هو بين الرسول ﷺ وبين عمر، وكذا بين أبي بكر وعمر ارجح منهما يعني اعتبار اكثر فتوحات منهما على ان الفتوحات وكثرتها لا تقتضي فضلاً ولا تخلد ذكرًا، لما تقدم من قوله ﷺ ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وقد اعترف هو بذلك في حق خلفاء الاموية كما تقدم مع قولهم لفجورهم وفسقهم، فكيف يدعي الرجحان لعمر بالفتوحات التي وقعت في زمانه وعلى يده، ثم العجب من الشارح كيف غمض عينه عن الجواب عما اورد على احاديث نبوة عمر التي هي العمدة له ولاصحابه والمقر، فانهم انما اعتمدوا في تشريعه الاحكام، وتحريمه الحلال، وتحليله الحرام، وصححوا مخالفاته لرسول الله الملك العلام، وجادلوا وناضلوا عليها في كل مقام على هذه الاخبار الصحيحة الصريحة في انه شريك لذلك النبي في نبوته، وناظر عليه في جميع أموره فلا يصدر ولا يرد الاّ عن مصلحته، وكيف يضيق عليه الجواب وعنده من هذه الترهات الباردة والتخرصات الشاردة أوسع باب.

وأما قوله واعلم ان من قصد إلى العيب وجده إلى آخر كلامه، ففيه:

أولاً: انه على اطلاقه ممنوع اشد المنع، فان وجود العيب لمن قصده وانفتاح الابواب الكثيرة لمن قصر همته على الطعن وترصده انما يتم فيما إذا

كان المطعون عليه منصفًا بالعيوب التي لا يسترها ساتر كما نشره هو وغيره من عيوب خلفائه التي امتلأت بها المحافل والمحاضر والاّ فمن كان بريًا عند الله سبحانه وعند خلقه من المعايب لا ينفتح فيه كوة فضلاً عن باب أو ابواب ولو تجرى عليه متجر بخلاف الحق والصواب لرد عليه في نحره، ووجر في حلقه بما لا يكاد يطيق معه الجواب كما علمت ممن افترى على أهل بيت النبي الانجاب وطعن فيهم مثل معاوية وابن العاص، والمغيرة بن شعبة، وابن الخطاب وامثالهم من أهل الصدر الأول وتبعهم بعض علماء السوء كما عرفت فيما تقدم من جملة من علماء المعتزلة، فان اعدائهم عليهم السلام فضلاً عن اوليائهم قد تكفلوا برد الجواب كما علمته وستعلمه في غير باب من هذا الكتاب.

وثانيًا: انه هو وامثاله الذين فتحو للشيعة هذا الباب ورفعوا لهم الحجاب وكشفو النقاب بما نقلوا من أخبارهم وصرح به جملة من علمائهم كما عرفت، والشيعة انما تطعن عليهم بذلك لا بشيء تنفرد بنقله وروايته كما جرينا عليه في هذا الكتاب.

وثالثًا: ان ذلك مما اوجبته شريعة الجرح والتعديل المتفق عليها بين العلماء جيلاً بعد جيل للتمييز بين من يجب الاعتماد عليه والتعويل ممن لا يجوز في حقه ولا يكون من ذلك القبيل[1].

١- أقول: قال شيخنا محمد باقر المجلسي ﴿عطر الله مرقده﴾ في كتاب بحار الانوار بعد نقل الخبر عن الشارح واخبار الرومي اما من جهة الكهانية أو كان قرأ من كتب فراعنة هذه الامة ومن يتعقب حقوق الائمة، فانه كما كانت اوصاف ائمتنا مسطورة في الكتب كانت اوصاف اعدائهم أيضًا مذكورة فيها كما تدل عليه أخبارنا، ولذا كان يقبل منهم لانه كان يعلم انه يخرب دين من ينسخ أديانهم كما قبّل ابليس=

قال في المقام على أثر ما تقدم من الكلام: فاما اسلام عمر فكان تمام اربعين انسانًا في اظهر الروايات، ثم نقل حديث اسلامه وقد تقدم، ثم قال: وقد روي ان عمر كان موعودًا ومبشرًا بما وصل اليه من قبل ان يظهر الاسلام، قرأت في كتاب تصنيف أبي أحمد العسكري ان عمر كان عسيفًا مع الوليد بن المغيرة إلى الشام في تجارة للوليد، وعمر يومئذ ابن ثماني عشرة سنة، وكان يرعى للوليد ابله، ويرفع احماله ويحفظ متاعه، فلما كان ببلقاء لقيه رجل من علماء الروم فجعل ينظر اليه ويطيل النظر إلى عمر، ثم قال: اظن اسمك عمر يا غلام أو عامر أو عمرو أو نحو ذلك، قال: اسمي عمر، قال: اكشف عن فخذيك، فكشف عن فخذيه فاذا على أحدهما شامة سوداء قدر راحة الكف، فسأله ان يكشف عن رأسه، فكشف فاذا هو اصلع، فسأله ان يعتمد بيده فاعتمد فاذا هو اعسر ايسر، فقال له: أنت ملك العرب وملك الروم والفرس، فتركه عمر وانصرف مستهينًا بكلامه، فكان عمر يحدث بعد ذلك ويقول تبعني ذلك الرومي راكبًا على حمار، فلم يزل معي حتى باع الوليد متاعه وابتاع، والرومي يتبعني لا يسألني حاجته ويقبل يدي كل يوم اصبحت كما يقبل يدي الملك حتى خرجنا من حدود الشام ودخلنا في أرض الحجاز راجعين إلى مكة، فودعني ورجع، وكان الوليد يسألني عنه فلا اخبره ولا اراه الاّ هلك، ولو كان

=يد أبي بكر في اول يوم صعد منبر النبي ﷺ واستبشر بذلك، وهذه الاخبار صارت باعثة لاسلامه وصاحبه طمعًا في الملك لما ذكره القائم عليه السلام لسعد في عبد الله، ولذا خبره بالملك لا بالخلافة والرياسة الدينية، أنتهى ﴿منه﴾.

حيًا لشخص الينا، انتهى[1].

أقول: هذا الخبر من جملة ما اشرنا اليه آنفًا من الاخبار الحاملة لعمر على اظهار الاسلام طمعًا في الملك والرياسة كما بشر به في هذا الخبر ومثله من الاخبار، ومن مثل هذه الاخبار استفاد ما اخبر به عن عثمان يوم الشورى وما يقع عليه من القتل والهوان وامثال ذلك مما تدعي له اولياؤه انه علم ذلك بفراسته وحدة فهمه، ويناسب هذا المقام ما روي من طريق أهل البيت عليهم السلام مما يدل على ان اظهار عمر للاسلام انما هو لما علم من اخبار اليهود بما يناله النبي صلى الله عليه وآله من الدولة والملك فاسلم هو وصاحبه طمعًا في نيل ذلك، وها نحن ننقل شطرًا وافرًا منه وان زاد على المراد لما ستطلع عليه فيه من تعصب النواصب ذوي الفساد والالحاد، وهو ما رواه شيخنا الصدوق ﴿نور الله مرقده﴾ بسنده إلى سعد بن عبدالله القمي رحمه الله قال: بليت بأشد النواصب منازعة واطولهم مخاصمة وأكثرهم جدالاً واثبتهم على الباطل قدمًا فقال يومًا وانا اناظره: تبًا لك يا سعد ولاصحابك فانكم معاشر الرافضة تقصدون على المهاجرين والانصار بالطعن عليهما، وتجحدون من رسول الله صلى الله عليه وآله ولايتهما وامامتهما، هذا الصديق الذي فاق جميع الصحابة بشرف سابقته، اما علمتم ان رسول الله ما اخرجه إلى الغار الاّ علمًا منه بان الخلافة له من بعده، وانه هو

١- شرح نهج البلاغة ١٢/١٨٣.

المقلد أمر التأويل الملقى اليه ازمة الامة وعليه المعول في شعب الصدع، ولمّ الشعث وسد الخلل، واقامة الحدود، وتسريب الجيوش لفتح بلاد الكفر، فكما اشفق على نبوته اشفق على خلافته، إذ ليس من حكم الاستتار والتواري ان يروم الهارب من السيف مساعدة من غيره إلى مكان يستخفي فيه، ولما رأينا النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ متوجهًا إلى الغار ولم يكن الحال توجب استدعاء المساعدة استبان لنا قصد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بأبي بكر للغار للعلة التي شرحناها، وانما ابات عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ على الفراش لما لم يكن يكترث به ولم يحفل به ولا استبداله اياه، وعلمه بانه ان قتل لم يتعذر عليه نصب غيره مكانه للخطوب التي كان يصلح لها.

قال سعد: فأوردت عليه اجوبة شتى فما زال يقصد كل واحد منها بالنقض والرد عليّ.

ثم قال: يا سعد دونكها اخرى الاّ بمثلها تحطم آناف الروافض، ألستم تزعمون ان الصديق المبرء من دنس الشرك، والفاروق المحامي عن بيضة الاسلام كانا يسران النفاق، واستدللتم بليلة العقبة، اخبرني عن الصديق والفاروق اسلما طوعًا أو كرهًا؟

قال سعد: فاحتلت لدفع هذه المسئلة عني خوفًا من الالزام وحذرًا من اني متى اقررت بطوعهما الاسلام احتج بان بدو النفاق ونشوه في القلب لا يكون الاّ عند هبوب روائح القهر والغلبة واظهار البأس الشديد في حمل المرء على ما ليس ينقاد له قلبه نحو قوله عزّ وجلّ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ

﴿يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ﴾[1] ، وان قلت: اسلما كرهًا كان يقصدني بالطعن إذ لم يكن ثمة سيوف منتضاة كانت تريهما البأس.

قال سعد: فصدرت عنه مزورًا قد انتفخت احشائي من الغضب، وتقطع كبدي من الكرب، وكنت قد اتخذت طومارًا واثبت فيه نيفًا واربعين مسئلة من صعاب المسايل لم اجد لها مجيبًا على ان اسأل عنها خير أهل بلدي أحمد بن اسحاق صاحب مولاي أبي محمد عليه السلام فارتحلت خلفه وقد كان خرج قاصدًا نحو مولاي بسر من رأى فلحقته في المناهل، ثم ساقِ الخبر في لحوقه وسفره معه إلى الامام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ودخلوهما عليه وكان بين يديه ابنه صاحب الزمان غلام وهو يلاعبه برمانة ذهبية، وأمره عليه السلام بعرض المسائل على مولانا صاحب الزمان وجوابه عنها كملاً بما هو مفصل في الخبر، إلى ان قال عليه السلام: يا سعد وحين ادعى خصمك ان رسول الله صلى الله عليه وآله ثم ساق عليه السلام كلام ذلك الناصب كلمة كلمة، ثم قال: فهلا نقضت دعواه بقوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الخلافة بعدي ثلاثون سنة فجعل هذه موقوفة على اعمار الاربعة الذين هم الخلفاء الراشدون في مذهبكم فكان لا يجد بدًا من قوله بلى، وكنت تقول حينئذ اليس كما علم رسول الله صلى الله عليه وآله ان الخلافة بعده لابي بكر، علم انها من بعد أبي بكر لعمر، ومن عمر لعثمان، وبعد عثمان لعلي عليه السلام فكان أيضًا لا يجد بدًا من قوله لك نعم، ثم كنت تقول فكان الواجب على رسول الله صلى الله عليه وآله ان يخرجهم جميعًا إلى الغار ويشفق عليهم كما اشفق على

---

(١) غافر/٨٤.

أبي بكر، ولا يستخف بقدر هؤلاء الثلاثة بتركه اياهم وتخصيصه ابي بكر لـه مع نفسه دونهم، ولما قال اخبرني عن الصديق والفاروق اسلما طوعًا أو كرهًا لم لم تقل اسلما طمعًا، وذلك انهما كانا يجالسان اليهود يستخبرانهم عما كانوا يجدونه في التوراة وفي ساير الكتب المتقدمة الناطقة بالملاحم من حال إلى حال عن قصة محمد ﷺ من عواقب أمره، فكانت اليهود تذكر ان محمدًا ﷺ يسلط على العرب كما كان بخت نصر مسلطًا على بني اسرائيل غير انه كاذب في دعواه انه نبي، فاتيا محمد ﷺ فساعداه على قول شهادة ان لا اله الاّ الله وتابعاه طمعًا في ان ينال كل واحد منهما من جهته ولاية بلد إذا استقامت اموره واستتب احواله، فلما ايسا من ذلك نكثا وصعدا العقبة مع عدة من امثالهما من المنافقين، فدفع الله كيدهم وردهم بغيظهم لم ينالوا خيرًا، كما اتى طلحة والزبير عليًا عليه السلام فبايعاه ويطمع كل واحد منهما ان ينال من جهته ولاية بلد، فلما ايسا نكثا بيعته وخرجا عليه، فصرع الله كل واحد منهما واشباههما من الناكثين[1].

قال في المقام: فاما مقتل عمر وتاريخ وفاته فان أبا لؤلؤة طعنه يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة من سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الاحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر، وهو ابن ثلاث وستين سنة في اظهر الاقوال، ثم ساق الكلام في هذا المقام إلى ان قال: فدخل الناس يثنون عليه، وجاء شاب فقال: ابشر يا أمير المؤمنين

١- مدينة المعاجز ٦١/٨.

ببشرى الله، لك صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الاسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت ثم الشهادة، فقال عمر: وددت ان ذلك كله كان كفافًا لا عليّ ولا اليّ، ثم قال: يا عبد الله انظر ما عليّ من دين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه، فقال: ان وفى به مال آل عمر فأده من اموالهم والاّ فسل في بني عدي بن كعب، فان لم تف به اموالهم فسل في قريش ولا تعد إلى غيرهم، واد عني هذا المال، وقال ابن عباس: انا أول من اتى عمر حين طعن فقلت له: ابشر بالجنة، صاحبت رسول الله ﷺ فاطلت صحبته، ووليت أمر المسلمين فقويت عليه، واديت الامانة، قال: اما تبشيرك بالجنة فوالله الذي لا اله الاّ هو لو ان لي الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما هو امامي قبل ان اعلم ما الخبر، واما ما ذكرت من أمر المسلمين فلوددت ان ذلك كان كفافًا لا عليّ ولا لي، واما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ فهو ذلك.

وروى معمر، عن الزهري، عن سالم، عن عبد الله قال: دخلت على أبي، فقلت: سمعت الناس يقولون مقالة وآليت ان أقولها لك زعموا انك غير مستخلف، وانه لو كان لك راعي ابل أو غنم ثم جاءك وتركها أرأيت انه قد ضيع، ورعاية الناس اشد، قال: فوضع رأسه ثم رفعه فقال: ان الله تعالى يحفظ دينه، ان لم استخلف فان رسول الله ﷺ لم يستخلف، وان استخلف غير مستخلف.

وروى المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر جعل يتألم ويجزع، فقال له ابن عباس: ولا كل ذلك يا أمير المؤمنين لقد صحبت رسول الله ﷺ

فاحسنت الصحبة، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر وفارقك وهو عنك راض، ثم صحبت المسلمين فاحسنت إليهم، وفارقتهم وهم عنك راضين، قال: اما ما ذكرت من صحبة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فذلك من منّ الله به عليّ، واما ما ترى من جزعي فوالله لو ان لي ما في الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله قبل ان اراه، وفي رواية لافتديت به من هول المطلع، وفي رواية المغرور من غررتموه لو ان لي مالاً على ظهرها من صفراء وبيضاء لافتديت به من عذاب الله قبل ان اراه.

وفي رواية لافتديت به من هول المطلع، وفي رواية في امارة عليّ تثني يا ابن عباس؟ قلت: وفي غيرها، قال: والذي نفسي بيده لوددت اني خرجت منها كما دخلت فيها لاحرج ولاوزر، وفي رواية لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من كرب ساعة يعني الموت، كيف ولم أد الناس بعد، وفي رواية لو ان لي الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما امامي قبل ان اعلم ما الخبر، قال ابن عباس: فسمعنا صوت أم كلثوم واعمراه، وكان معها نسوة تبكين، فارتج البيت بالبكاء، فقال عمر: ويل ام عمر ان لم يغفر له، فقلت: والله اني لارجو ان لا تراها الاّ بمقدار ما قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[1] ان كنت لما علمنا لأمير المؤمنين، وسيد المسلمين، تقضي بالكتاب، وتقسم بالسوية، فاعجبه قولي، فاستوى جالسًا، فقال: اتشهد لي بذلك يا ابن عباس، فكففت أي جبنت، فضرب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بين كتفي، وقال: اشهد.

١- مريم/٧١.

وفي رواية اتجزع يا أمير المؤمنين، فوالله لقد كان اسلامك عزًا وامارتك فتحًا، وقد ملأت الأرض عدلاً، فقال: اتشهد لي بذلك يا ابن عباس؟ قال: فكأنه كره الشهادة، فتوقف، فقال له علي عليه السلام: قل نعم وانا معك، فقال: نعم، وفي رواية انه قال: مسست جلده وهو ملقى فقلت جلد لا تمسه النار ابدًا، قال: فنظر اليّ نظرة جعلت ارثي له منها، فقال: وما علمك بذلك؟ قلت: صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله فاحسنت صحبته، الحديث، فقال: لو ان لي ما في الاض لافتديت به من عذاب الله قبل ان القاه أو اراه، وفي رواية ثم التفت إلى ابنه عبد الله وقال: ضع خدي على الأرض يا عبد الله، قال عبدالله: فلم اعج بها، فقال الثالثة: ضع خدي على الأرض لا ام لك، فعرفت انه مجتمع العقل ولم يمنعه ان يضعه هو الاّ لما به من الغلبة، فوضعت خده على الأرض حتى نظرت إلى اطراف لحيته خارجة من اصعاب التراب، وبكي حتى نظرت إلى الطين وقد لصق بعينه فاصغيت اذني لأسمع ما يقول، فسمعته يقول: يا ويل عمر، وويل أم عمر ان لم يتجاوز الله عنه، وقد ورد في رواية ان عليًا عليه السلام جاء حتى وقف عليه فقال: ما احد احب إليّ ان القى الله بصحيفته من هذا المسجى، انتهى[1].

أقول: فلينظر ذوو الافهام والعقول إلى هذا الخليفة المبشر بالجنة المروي في حقه مما اوجب لاوليائه مزيد المحنة في دينهم والفتنة من حديث أنس انه لو كان نبيًا بعدي لكان ابن الخطاب، وانه لو لم ابعث لبعث عمر، وانه ما ابطأ جبرئيل عني الاّ ظننت بانه نزل على عمر، وانه لو نزل العذاب إلى الأرض ما

١- شرح نهج البلاغة ١٨٤/١٢.

نجى منه الاّ عمر، وامثال ذلك مما جعلوا درجته بها مشاركة لدرجة النبوة بل اعلى مرتبة منها كما سمعته من حديث الشاعر، وامثاله مما قدمناه في المقدمة في تصحيحهم اعتراضاته على الرسول صلى الله عليه وآله وانه كان اعرف منه بمصالح الاسلام واشد حياطة على الدين ومحافظة على الانام، ولو كان الامر كما ذكروه من جميع ذلك وصححوه فما هذا الاضطراب عند الموت حين ايقن بالعذاب، والجزع الذي لا يقع الاّ ممن عرف من نفسه سوء المنقلب والمآب، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ساووا بينه وبينه وعدلوه به لم يقع منه اشارة فضلاً عن كلمة من هذه الكلمات، وهذا علي عليه السلام الذي فضله جمهور أهل السنة عليه قد قدمنا ما قاله في الحياة من عدم المبالاة بالموت، وكذا ما قاله وقت الممات من قوله لما ضربه اللعين ابن ملجم فزت ورب الكعبة، وقوله عليه السلام فيما نقله السيد ﴿رضي الله عنه﴾ في كتاب النهج بعد ان ضربه ابن ملجم ﴿لعنه الله﴾ في كلام له على سبيل الوصية والله ما فجأني من الموت وارد كرهته، ولا طالع انكرته، وما كنت الاّ كقارب ورد، وطالب وجد، وما عند الله خير للأبرار.

قال الشارح: والقارب الذي يسير إلى المد وقد بقي بينه وبينه ليلة واحدة، انتهى[1].

وهذا شان أولياء الله تعالى كما قال عزّ وجلّ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا

١- شرح نهج البلاغة ١٤٥/١٥.

خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾[4]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ ﴾[5] الآية، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾[6]، وقال عزّ شأنه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٣٠ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ

١- يونس/٦٢.

٢- يونس/٦٣ — ٦٤.

٣- الرعد/٢٩.

٤ - الرعد/٣٥.

٥- الحديد/١٩.

٦- النحل/١٢٨.

﴿تجزي الله المتقين﴾،[1] وقال سبحانه: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴿٣٠﴾ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون﴾،[2] إلى غير ذلك من الآيات المتوافرة بهذا المضمون، فاذا كان هذه ودعواته سبحانه لسائر المؤمنين المتقين والصالحين المحسنين، فكيف بالاولياء المقربين الذين يزاحمون مرتبة النبوة لو صح ما ادعوه له بالفعل أو القوة، فلو كان الرجل من المؤمنين الذين عملوا الصالحات والمتقين فضلاً عن ان يكون من المقربين لأيقن بهذه البشارات الفاخرة الموجبة للقرب منه سبحانه في الدنيا والآخرة، ولم يغيره هذا الخوف كله والجزع، ولم يذعره هذا الاضطراب والهلع، وهذه جملة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المتقين كسلمان وابي ذر وعمار والمقداد واضرابهم ﴿رضي الله عنهم﴾ لم ينقل عن أحد منهم وقت موته شيئًا مما نقل عن عمر وأبي بكر، وقد تقدم نقل جملة من كلمات أبي بكر أيضًا لما أيقن بنزول الحمام من قبيل ما نقل عن عمر في هذا المقام، ولا يخفى ان من جملة الاقوال المنقولة عن عمر في هذا المقام، ما رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين من مسند عبد الله بن العباس، وقد قدمناه في فصل مطاعنه، وفيه لما

١- النحل/٣٠ – ٣١.

٢- فصلت/٣٠ – ٣١.

قال لـه ابن عباس: ولا كل ذلك بعد كلام في البين، اما ما ترى من جزعي فهو من اجلك واجل اصحابك، والله لو ان طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله قبل ان اراه،[1] ولعل هذا الشارح الضال لما رأى ما فيه ما يشير إلى ظلم أهل البيت عليهم السلام اجاب عنه سابقًا بانه من المغفور له، وكان هذا الاعتراف عند الموت المبطل لعذره تركه وضرب عنه صفحًا والاّ فالخبر من الصحاح التي ينوه بها في غير موضع، فكيف أهمل نقله.

فان قيل: ان هذه الاقوال من عمر وقت الموت دليلاً على ورعه وتقواه وشدة خوفه من الله فيما تولاه من أمر المسلمين، لان الخلافة أمر خطير وثقل كبير.

قلنا فيه أولاً: انه إذا كان خلافته حقًا وليست بغصب ولا زور وهو انما عمل في حال خلافته بالحق والصواب، وحكم بموجب السنة والكتاب كما نقلوه من شهادة ابن عباس له وعلي عليه السلام في هذا الباب، فهذا انما يكون موجبًا لغاية الفرح والبشرى بما يقدم عليه من الثواب حسبما نطقت ما تلوناه من آيات الكتاب والاّ ما فعله من التألم والتزلزل والاضطراب والبكاء والانتحاب والصاق الخد بالتراب، وهذا علي عليه السلام في جمهور أهل السنة يفضلون عمر عليه قد ولي الخلافة مدة مديدة وقتل وسفك الدماء من اولئك الصحابة المرضيين عندهم والمقربين المعدودين في الاجلاء العظماء حتى عابه جملة من الصحابة يومئذ، واعتزلوه ولم يقاتلوا معه ولم ينصروه لم نره

١- صحيح البخاري ٢٠١/٤، اضواء على الصحيحين/٤٣٧.

عند موته شك في شيء من أمر نفسه، ولا ما فعله في امسه من سفك تلك الدماء واراقتها بل انما قال ما سمعت مما يدل على اعظم اليقين بانه سيد المتقين ومقدام المقربين، وعظيم الفرح والاستبشار بالقدوم على رب العالمين.

وثانيًا: انه لم لا استشعر هذا الخوف يوم المسارعة والركض إلى السقيفة وفعله ما فعل بالناس ولا سيّما أهل البيت عليهم السلام من تلك الافعال المخيفة، ولكنه يومئذ لم يوقن بالمعاد إلى رب العباد، وانما ايقن حين نزل به الحمام فصدر ما صدر عنه من الكلام حين لا يغني عنه في دفع فساده في الدين ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1]، ثم ان ما رواه عنه من انه كان عليه من الدين والقرض لبيت مال المسلمين ستة وثمانون الفًا أو نحوها ينافي ما ينقلونه من زهده وتقشفه في مأكله وملبسه، لانه إذا كان على هذه الحال غير راغب ولا مستأثر بالاموال مع كونه يأخذ رزقه كغيره من بيت المال ويصرفه التعسف على نفسه وعلى العيال مع كثرة الغنائم في زمانه على ما نقله جملة الرواة والنقال، فما هذا الدين الخطير، وأين مصرفه كان يصير، واما كلام عبد الله بن عمر في أمر الاستخلاف فهو حق تشهد به بديهة العقل والانصاف لو لم يقصد أبوه بالشورى وقوع الخلاف بين المسلمين والاختلاف، والاجلاب على الدين والاسلام والارجاف كما اعترف به فيما قدمناه الاجلاف من اوليائه والاسلاف.

وأما ما نقلوه عن ابن عباس من قوله له صحبت رسول الله فأحسنت

١- يونس/٩١.

صحبته، وفارقته وهو عنك راض ففيه ان حسن صحبته له في الحياة قد علم من رده عليه ومخالفته التي مرت مستقصاة، واما موته وهو راض عنه فقد علم من حديث رده الامر بذلك الكتاب وقوله له في وجهه اقبح الجواب حتى طرده مع اصحابه من الدار، وقال قوموا عني فما ينبغي التنازع عند نبي، وبكاء ابن عباس الراوي بزعمهم هنا عند تذكار ذلك الكتاب حتى تبل دموعه الحصى لشدة التأسف والتألم والاكتئاب، وقد مات صلى الله عليه وآله في يومه ذلك كما تقدم في رواية الجوهري، وقد تقدم في مرضه أيضًا التخلف عن جيش اسامة الذي اكد في تنفيذه وزجر عن التخلف عنه، ولعن من تخلف كما اعترفوا به، فأي رضى عنه وقت الموت اصرح من ذلك لولا قلة الحياء من نقل الاكاذيب لترويج النجاة من تلك المهالك، وكذا ما نقلوه عن ابن عباس من قوله له أنه يقضي بالكتاب والسنة ويقسم بالسوية، فاما قضاه بالكتاب فقد تقدم بيانه في غير باب من قضائه بتحريم المتعتين المحللتين بنص الكتاب ورسوله المستطاب، ومخالفاته للرسول صلى الله عليه وآله ورده عليه في جملة من المواضع مع ما عرفت من نصوص الكتاب المستفيضة بالأمر بطاعته والنهي عن مخالفته، وخبطه الشريعة بقياساته ورأيه وبدعه واجتهاده ردًا على الله ورسوله.

وأما القسمة بالسوية بين الرعية فهي ظاهرة من مخالفته للرسول صلى الله عليه وآله بل لخليفته الذي نصبه وولاه في قسمة مال الفيء، وقد عرفت فيما تقدم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما في ذلك من المخالفة لله سبحانه في محكم كتابه ولرسوله فيما فعله واتى به، ومثل ذلك ما نقلوه من أمر علي عليه السلام لابن عباس

بالشهادة لعمر بانه كان يقضي بالكتاب ويقسم بالسوية، وقوله لـه أشـهد وانـا معك، مع ما عرفت من كلمات علي عليه السلام المستفيضة بالطعن فيه وذم سيرته وخلافته ولا سيّما خطبته الشقشقية التي لم تبق من ذلك بقية، وبالجملة فهذا جميعه مما ذكرناه سابقًا من تتميم الاخبار إذ اشتملت على ما يوجب العار بما يصلحها ويدفع عنها الانكار، وهل يصلح العطار ما افسد الدهر، واقسم بالله العلي العظيم انه لو كان عمر يعلم من نفسه صحة شيء مما اخترعه لـه اولياؤه من تلك الاخبار التي بلغوه بها اعلى مراتب الابرار وجعلوه بها في عداد الانبياء الاطهار لما حصل عنده شيء من هذا الخوف والاضطراب بل ولا عشر معشار.

وأما الرواية الاخيرة المشتملة على ذكر الصحيفة فما ادري ما معناها عند هذا الشارح الضال وامثاله ممن ليس لـه من الله تعالى رهبة ولا خيفة، إذ لا مجال للحمل فيها على صحيفة اعمال عمر المملوة من الخطايا والمآثم والكبائر والجرائم ما يزيد على عدد الشجر والمدر.

أما أولاً: فلما علم من ذمه عليه السلام لـه في جملة من خطبه وكلامه الذي تقدم في هذا الكتاب، واعترف به الشارح في غير باب من تلك الابواب، فكيف يتمنى عليه السلام ان يلقى الله تعالى بصحيفة اعماله.

وأما ثانيًا: فانه لا معنى لكون شخص يحب ان يلقى الله تعالى بصحيفة اعمال غيره من الناس، إذ لا نفع ولا ضرر يتعلق به مما يعمله غيره، بقي في المقام احتمالان:

أحدهما: انه لما كانت صحيفة عمر وكذا صحايف اصحابه وشركائه

في ظلم أهل البيت عليهم السلام مملوة بظلم أهل البيت عليهم السلام وما فعلوه بهم من الذل والاهانة والاهتضام، وكان عمر هو الاصل والمؤسس لذلك في كل مقام تمنى عليه السلام ذلك لمخاصمته بصحيفته بين يدي الملك العلام.

وثانيهما: الاشارة إلى الصحيفة التي تعاقدوا على مضمونها من سلب الخلافة عنه عليه السلام، وهذا هو المعنى الذي فهمته من الخبر جملة علمائنا الاعلام اجزل الله تعالى لهم الاكرام والاعظام، وهو المروي عن أهل البيت عليهم السلام فروى المفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام لما نظر إلى الثاني وهو مسجى بثوبه ما احد احب اليّ ان القي الله بصحيفته من هذا المسجى، قال: عنى بها صحيفته التي كتبت في الكعبه.[1]

هذا ولا يخفى انه قد روي من طريق الشيعة أيضًا ما يناسب هذه الاخبار وفي جملة منها ما هو ظاهر في الاقرار بما اتاه من الخيانة على أهل بيت النبي الاطهار،[2] فروى شيخنا المجلسي ﴿عطر الله تعالى مرقده﴾ في كتاب بحار

١- البحار ١١٧/٢٨.

٢- من كلام شيخنا المفيد ما لفظه ومن حكايات الشيخ ﴿ادام الله عزه﴾قال: سئل هشام بن الحكم رحمه الله عما يرويه العامة من قول امير المؤمنين عليه السلام لما قبض عمر وقد دخل عليه وهو مسجى لوددت ان القى الله تعالى بصحيفة هذا المسجى وفي حديث آخر اني لأرجو ان القى الله تعالى بصحيفة هذا المسجى، قال هشام: هذا غير ثابت ولا معروف الاسناد وانما حصل من جهة القصاص واصحاب الطرفات ولو ثبت لكان المعنى فيه معروف وذلك ان عمر واطئ ابا بكر والمغيرة وسالم مولى أبي حذيفة وابن عبيدة على كتابة صحيفة بينهم يتعاقدون فيها على انه إذا مات محمد صلى الله عليه وآله لم يورثوا احدًا في اهل بيته ولم يولوا عليًا مكانه من بعده وكانت الصحيفة لعمر إذ كان عماد القوم فالصحيفة التي ود أمير المؤمنين عليه السلام ورجى ان يلقى الله عزّ وجل بها هذه الصحيفة ليخاصمه بها ويحتج عليه بمفهومها، والدليل على ذلك ما=

الأنوار عن كتاب تقريب المعارف لابي الصلاح ﴿قدس روحه﴾ قال: لما طعن عمر جمع بني عبدالمطلب، قال: يا بني عبدالمطلب اراضون انتم عني؟ فقال رجل من اصحابه: ومن ذا الذي يسخط عليك، فاعاد الكلام ثلاث مرات، فاجابه رجل بمثل جوابه، فانتهره عمر، وقال: نحن اعلم بما اشعرنا قلوبنا، انا والله اشعرنا قلوبنا ما نسأل الله ان يكفينا شره، وان بيعة أبي بكر كانت فلتة نسأل الله ان يكفينا شرها، وقال لابنه عبد الله وهو مسنده إلى صدره: ويحك ضع رأسي بالارض فأخذته الغشية فوجدت من ذلك، فقال: ويحك ضع رأسي بالارض فوضعت رأسه بالارض فعفر بالتراب، ثم قال: ويل لعمر، وويل لامه ان لم يغفر الله له[1].

وقال أيضًا حين حضره الموت: اتوب إلى الله من ثلاث، من اغتصابي هذا الامر انا وأبو بكر من دون الناس، ومن استخلافي عليهم، ومن تفضيلي المسلمين بعضهم على بعض، وقال أيضًا: اتوب إلى الله من ثلاث من ردي رقيق اليمن، ومن رجوعي عن جيش اسامة بعد إذ امّره رسول الله ﷺ عليه علينا، ومن تعاقدنا على أهل هذا البيت مذ قبض رسول الله ﷺ ان لا نولي

=روته العامة عن أُبي بن كعب انه كان يقول في هجر رسول الله ﷺ بعد ان افضى الامر إلى أبي بكر بصوت يسمعه اهل المسجد ألاّ تملك اهل العقدة وما آسى عليهم انما آسى على= =من يضلونه من الناس، فقيل له: يا صاحب رسول الله ﷺ من هولاء اهل العقدة؟ قال قوم تعاقدوا بينهم ان مات رسول الله ﷺ لم يورثوا أحدًا من أهل بيته ولم يولوهم مكانه امارات لئن عشت إلى يوم الجمعة لاقولن فيه شأنًا أيّ للناس امّر علي، قال: فما أتت عليه الجمعة، انتهى، ﴿منه﴾.

١- البحار ١٢١/٣٠.

منهم أحدًا[1].

ورووا عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: كنت عند عمر وهو يموت فجعل يجزع فقلت: يا أمير المؤمنين أبشر بروَح الله وكرامته، فجعلت كلما رأيت جزعه قلت هذا، فنظر إليّ وقال: ويحك فكيف بالممالاة على أهل بيت محمد، انتهى ما ذكره في تقريب المعارف[2].

وفي كتاب الخصال لشيخنا الصدوق ﴿نور الله مرقده﴾ باسناده عن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قال: قال عمر حين حضره الموت: اتوب إلى الله من ثلاث، اغتصابي هذا الأمر انا وأبو بكر من دون الناس، واستخلافي عليهم، وتفضيلي المسلمين بعضهم على بعض[3].

وروي فيه أيضًا بسنده عن جابر بن عبد الله قال: شهدت عمر عند موته يقول: اتوب إلى الله من ثلاث، من ردي رقيق اليمن، ومن رجوعي عن جيش اسامة بعد ان امّره رسول الله صلى الله عليه وآله علينا، ومن تعاقدنا على أهل هذا البيت ان قبض الله رسوله لا نولي منهم أحدًا[4].

وروي فيه بسنده عن أبي عبيدة الحذاء قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام لما حضر عمر الموت قال: أتوب إلى الله من رجوعي من جيش اسامة، وأتوب إلى الله من عتقي سبي اليمن، وأتوب إلى الله من غي كنا اشعرناه قلوبنا نسأل

١- البحار ١٢١/٣٠.

٢- البحار ١٢٢/٣٠.

٣- الخصال للصدوق/١٧٠.

٤- الخصال/١٧١.

الله ان يكفينا ضره، وان بيعة أبي بكر كانت فلتة[1].

وفي كتاب مجالس الشيخ المفيد روى بسنده إلى عثمان بن عفان قال: كنت آخر الناس عهدًا بعمر بن الخطاب ودخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله وهو يولول فقال له: ضع خدي بالارض فابى عبد الله، فقال له: ضع خدي بالارض لا أم لك فوضع خده على الأرض فجعل يقول: ويل أمي، ويل أمي ان لم يغفر لي، فلم يزل يقولها حتى خرجت نفسه[2].

وفي كتاب الكافية في ابطال توبة الخاطئه لشيخنا المفيد قدّس سرّه روى بسنده فيه عن عبد الله بن عباس، عن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: ليلتني كنت نسيًا منسيًا، ليت أمي لم تلدني[3].

وروى فيه بسنده إلى ابان بن عثمان قال: آخر كلمة قالها عمر حتى قضى: ويل أمي ان لم يغفر لي ربي، ويل أمي ان لم يغفر لي ربي، ويل أمي ان لم يغفر لي ربي[4].

وروى فيه بسنده عن يحيى بن جعدة قال: قال عمر حين حضره الموت: لو ان لي الدنيا وما فيها لافتديت بها من النار[5].

وروى فيه بسنده إلى ابن عباس قال: اتيت على عمر، فقال: وددت ان

١- الخصال/١٧١.

٢- البحار ١٢٦/٣٠.

٣- الكافية للمفيد/٤٦، وفيه: عن عبد الله بن عباس بن ربيعة، وفي هامشه عن عبد الله بن عامر بن ربيعة.

٤- الكافية/٤٦.

٥- الكافية/٤٧.

انجو منها كفافًا لا أجر ولا وزر[1].

وروى فيه أيضًا بسنده عن عمر بن ميمون خبر الشاب الذي نقله الشارح، وفيه روى بسنده إلى ابن عباس قال: دخلت على عمر حين طعن فقلت: ابشر يا أمير المؤمنين، اسلمت حين كفر الناس، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنك راض، ولم يختلف في خلافتك، وقتلت شهيدًا، فقال عمر: اعد عليّ قولك يا ابن عباس فاعدته عليه، فقال: ان المغرور من غررتموه، والذي لا اله غيره لو كان لي ما على الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع[2].

وروى الديلمي في كتاب ارشاد القلوب بحذف الاسناد مرفوعًا إلى عبد الرحمن بن غنم ختن معاذ بن جبل وكانت ابنته تحت معاذ بن جبل وكان افقه أهل الشام واشدهم اجتهادًا قال: مات معاذ بن جبل بالطاعون فشهدته يوم مات والناس متشاغلون بالطاعون، قال: وسمعته حين احتضر وليس معه في البيت غيري وذلك في خلافة عمر بن الخطاب فسمعته يقول: ويل لي، فقلت في نفسي: اصحاب الطاعون يهذون ويقولون الاعاجيب، فقلت له: اتهذي؟ قال: لا، قلت: تدعو بالويل والثبور؟ قال: لممالاتي عدو الله على ولي الله، فقلت له: من هم؟ فقال: ممالاتي عتيقًا وعمر على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت: انك لتهجر، فقال: يا ابن غنم هذا رسول الله وعلي بن أبي طالب يقولان لي أبشر بالنار أنت واصحابك أو ليس قلتم ان مات رسول الله

١- الكافية/٤٧.

٢- الكافية/٤٧.

زوينا الخلافة عن علي بن أبي طالب فلن تصل اليه، فاحققت أنا وأبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسالم، قلت: متى يا معاذ؟ قال: في حجة الوداع، قلنا نتظاهر على علي فلا ينال الخلافة ما حيينا، فلما قبض رسول الله قلت لهم أنا اكفيكم قومي بالانصار واكفوني قريشًا، ثم دعوت إلى هذا الذي تعاهدنا عليه بشير بن سعد واسد بن حصين[1] فبايعاني على ذلك، فقلت: يا معاذ انك لتهجر فالصق خده بالارض فما زال يدعو بالويل والثبور حتى مات، فقال ابن غنم: ما حدثت بهذا الحديث غير ابن قيس بن هلال احدًا الاّ ابنتي امرأة معاذ ورجل آخر، فإني فزعت مما رأيت وسمعت من معاذ.

قال: فحججت ولقيت الذي غمض ابا عبيدة وسالمًا فاخبراني انه حصل لهما ذلك عند موتهما لم يزد فيه حرفًا ولم ينقص حرفًا كأنهما قالا مثل ما قال معاذ بن جبل، فقلت: او لم يقتل سالم يوم تهامة؟ قال: بلى ولكنا احتملناه وبه رمق، قال سليم: فحدثت بحديث ابن غنم هذا كله محمد بن أبي بكر فقال لي: اكتم عليّ واشهد ان أبي قد قال عند موته مثل مقالتهم، فقالت عايشة: ان ابي يهجر، قال محمد: فلقيت عبد الله بن عمر في خلافة عثمان وحدثته بما سمعت من أبي عند موته فاخذت عليه العهد والميثاق ليكتم عليّ، فقال لي ابن عمر: اكتم عليّ فوالله لقد قال ابي مثل مقالة ابيك وما زاد ومانقص، ثم تداركها ابن عمر بعد وتخوف ان اخبر بذلك علي بن أبي طالب عليه السلام لما علم من حبي له

١- أقول: هذا الخبر يعلم مسابقة هذين المرشحين من الانصار إلى بيعة أبي بكر في السقيفة وعقدهما البيعة له من بين المهاجرين والانصار، فتأمل. ﴿منه﴾.

وانقطاعي إليه، فقال: انما كان أبي يهجر، فأتيت أمير المؤمنين عليه السلام فاخبرته بما سمعته من أبي وما حدثني به ابن عمر، فقال علي: قد حدثني بذلك عن ابيك وعن ابيه، وعن أبي عبيدة وسالم، وعن معاذ من هو اصدق منك ومن ابن عمر، فقلت: ومن ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال بعض من حدثني فعرفت ما عنى، فقلت: صدقت انما ظننت انسانًا حدثك وما شهد أبي وهو يقول ذلك غيري، قال سليم: قلت لابن غنم: مات معاذ بالطاعون، فيم مات أبو عبيدة؟ قال: مات بالدبيلة، فلقيت محمد بن أبي بكر فقلت: هل شهد موت ابيك غيرك واخيك عبد الرحمن وعايشة وعمر؟ قال لا، قلت: وهل سمعوا منه ما سمعت؟ قال: سمعوا منه طرفًا فبكوا وقالوا هو يهجر، فاما كلما سمعت انا فلا، قلت: فالذي سمعوا ما هو؟ قال: دعى بالويل والثبور، فقال له عمر: يا خليفة رسول الله مالك تدعو بالويل والثبور؟ قال: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي يبشراني بالنار معه الصحيفة التي تعاهدنا عليها في الكعبة وهو يقول قد وفيت بها وظاهرت على ولي الله واصحابك، فابشر انت واصحابك بالنار في اسفل السافلين، فلما سمعها عمر خرج وهو يقول [انه] ليهجر، قال: لا والله لا اهجر اين تذهب؟ قال عمر: كيف لا تهجر وأنت ثاني اثنين اذ هما في الغار، قال: الآن أيضًا أو لم احدثك ان محمدًا ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي وانا معه في الغار اني ارى سفينة جعفر واصحابه يقوم في البحر، فقلت: ارينها فمسح يده على وجهي فنظرت اليها واضمرت عند ذلك انه ساحر، وذكرت لك ذلك بالمدينة فاجمع رأيي ورأيك انه ساحر، فقال عمر: يا هؤلاء ان أبا بكر يهجر

فاكتموا ما تسمعون عنه لئلا يشمت بكم أهل هذا البيت، ثم خرج وخرج أخي وخرجت عايشة ليتوضؤا للصلاة فاسمعني من قوله ما لم يسمعوا فقلت لما خلوت به: يا ابت قل لا إله الاّ الله، قال: لا اقولها ولا اقدر عليها ابدًا حتى ارد النار وادخل التابوت، فلما ذكر التابوت، ظننت انه يهجر، فقلت له: أي تابوت؟ فقال: تابوت من نار مقفل بقفل من نار فيه اثنى عشر رجلاً انا وصاحبي هذا، قلت: عمر! قال: نعم، قل له عني في جب من جهنم عليه صخرة، فاذا اراد الله ان يسعر جهنم رفع الصخرة، قلت: اتهذي؟ قال: لا والله ما اهذي، فلعن الله ابن صهاك هو الذي اضلني عن الذكر بعد إذ جاءني فبئس القرين، الصق خدي بالارض فالصقت خده بالارض، فما زال يدعو بالويل والثبور حتى غمضته، ثم دخل عمر عليّ فقال: هل قال بعد شيئًا فحدثته، فقال: يرحم الله خليفة رسول الله اكتم، هذا كله هذيان، وانتم أهل بيت يعرف لكم الهذيان في موتكم، قالت عايشة: صدقت، ثم قال لي عمر: اياك ان يخرج منك شيء مما سمعت به إلى علي بن أبي طالب وأهل بيته.

قال سليم: فقلت لمحمد: من تراه حدث أمير المؤمنين عليه السلام عن هؤلاء الخمسة بما قالوا، فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله انه يراه في كل ليلة في المنام وحديثه اياه في المنام مثل حديثه اياه في اليقظة والحياة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من رآني في المنام فقد رآني، فان الشيطان لا يتمثل بي في نوم ولا يقظة ولا باحد من اوصيائي إلى يوم القيامة.

قال سليم: فقلت لمحمد: فمن حدثك هذا؟ قال: علي، قال: قد سمعت

انا أيضًا منه كما سمعت أنت، يا محمد فلعل ملكًا من الملائكة حدثه، قال: او ذاك، قلت: فهل محدث الملائكة الاّ الانبياء؟ قال: اما تقرأ كتاب الله ﴿**وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث**﴾ قلت: افأمير المؤمنين محدث؟ قال: نعم وفاطمة محدثة ولم تكن نبية، ومريم محدثة ولم تكن نبية، وام موسى محدثة ولم تكن نبية، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة ولم تكن نبية، فبشروها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب.

قال سليم: فلما قتل محمد بن أبي بكر بمصر وعزيت أمير المؤمنين عليه السلام وخلوت به فحدثت بما اخبرني به محمد بن أبي بكر وبما حدثني به عبد الرحمن بن غنم، قال: محمد رحمه الله اما انه شهيد حي مرزوق، يا سليم اني واوصيائي أحد عشر رجلاً من ولدي ائمة هدى مهديون محدثون، وقلت: يا أمير المؤمنين من هم؟ قال ابني الحسن والحسين ثم ابني هذا واخذ بيد علي بن الحسين وهو رضيع، ثم ثمانية من ولده واحد بعد واحد، وهم الذين اقسم الله بهم، فقال: ﴿ووالد وما ولد﴾، فالوالد رسول الله صلى الله عليه وآله، وانا وما ولد يعني هؤلاء الاحد عشر وصيًا ﴿صلوات الله عليهم﴾، قلت: يا أمير المؤمنين يجتمع امامان؟ قال: لا الاّ وأحدهما صامت لا ينطق حتى يهلك الأول[1].

١- أقول: قال شيخنا المجلسي قدس سره في كتاب البحار بعد نقل الخبر المذكور والكلام الذي نقلناه عنه في الاصل ما صورته: بيان: هذا الخبر احد الامور التي صارت بالقدح في كتاب سليم لان محمدًا ولد في حجة الوداع كما ورد في اخبار الخاصة والعامة فكان له عند موت ابيه سنتان واشهر، فكيف كان يمكنه التكلم بتلك الكلمات ويذكر تلك الحكايات ولعله مما صحف فيه النساخ والروات أو يقال ان ذلك كان من معجزات أمير المؤمنين عليه السلام ظهرت= =فيه، وقال بعض الافاضل رأيت فيما وصل إليّ من نسخة هذا=

قال شيخنا المجلسي ﴿عطر الله مرقده﴾ في كتاب البحار بعد نقل الخبر المذكور عن ارشاد الديلمي أقول: وجدت الخبر في كتاب سليم، عن ابان، عن سليم، عن عبد الله بن غنم، وذكر الحديث مثله، انتهى.

أقول: ويؤيد هذا الخبر أيضًا ما روي في كتاب مقتل عمر بن الخطاب، عن ابن عباس وكعب الاحبار، والحديث طويل وفيه انه قال عبد الله بن عمر: لما دنت وفاة أبي كان يغمى عليه تارة ويفيق أخرى، فلما افاق قال: يا بني ادركني بعلي بن أبي طالب قبل الموت، فقلت له: وما تصنع بعلي بن أبي طالب وقد جعلتها شورى واشركت معه غيره، قال يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان في النار تابوتًا يحشر فيه اثنى عشر رجلاً من اصحابي ثم التفت إلى أبي بكر وقال احذر ان تكون أولهم، ثم التفت إلى معاذ بن جبل فقال:

=الكتاب بان عبد الله بن عمر وعظ اباه عند موته، والحق ان بمثل هذا لايمكن القدح في كتاب معروف بين المحدثين واعتمدعليه الكليني والصدوق وغيرهما من القدماء واكثر اخباره مطابقة لما روي بالاسانيد الصحيحة في الاصول المعتبرة، وقل كتاب من الاصول المتداولة يخلو من مثل ذلك.

قال النعماني في كتاب الغيبة بعدما اورد من كتاب سليم اخبارًا كثيرة ما هذا لفظه: كتابه اصل من الاصول التي رواها اهل العلم وحملة حديث اهل البيت عليهم السلام واقدمها، لان جميع ما اشتمل عليه هذا الكتاب انما هو عن رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﴿صلوات الله عليه﴾ والمقداد وسلمان الفارسي وابي ذر ومن جرى مجراهم ممن شهد رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وسمع منهما، وهو من الاصول التي ترجع الشعية اليها وتعوّل عليها، انتهى ما ذكره شيخنا المشار إليه في كتاب البحار.

أقول: وقد وقفت على كلام للغزالي في كتاب سر العالمين يؤيد ما نقل عن كتاب سليم من نصح محمد ﴿رضي الله عنه﴾ لأبيه حيث قال في المقالة التي وضعها لتحقيق الخلافة ودخل محمد بن أبي بكر على ابيه في مرض موته فقال اتي بعمك عمر لاوصي له بالخلافة قال: يا ابت اكنت على حق او باطل؟ فقال: على حق، فقال: اوصي بها لأولادك، إلى آخره ﴿منه﴾.

اياك يا معاذ ان تكون الثاني، ثم قال لي: اياك يا عمر ان تكون الثالث، وقد اغمي عليّ يا بني ورأيت التابوت وليس فيه الاّ أبو بكر ومعاذ بن جبل وانا الثالث لا اشك فيه، قال: فمضيت إلى علي بن أبي طالب، وقلت: يا ابن عم رسول الله ﷺ أبي يدعوك لامر قد احزنه، فقام علي عليه السلام فلما دخل عليه قال: يا ابن عم رسول الله ﷺ ألا تعفو عني وتحللني عن نفسك وعن زوجتك فاطمة واسلم اليك الخلافة، فقال له علي عليه السلام: نعم، غير انك تجمع المهاجرين والانصار، واعط الحق الذي خرجت عليه من ملكه وما كان بينك وبين صاحبك من معاهدتنا، وأقرنا بحقنا فاعفو عنك واحلك واضمن لك عن ابنة عمي فاطمة، قال عبد الله: فلما سمع أبي حول وجهه إلى الحايط، وقال: النار يا أمير المؤمنين ولا العار، فقام أمير المؤمنين ﴿صلوات الله عليه﴾ وخرج من عنده، فقال له ابنه: لقد انصفك الرجل يا ابت، فقال له: يا بني انه اراد ان ينبش أبو بكر من قبره، ويضرم له ولأبيك نارًا وتصبح قريش موالين لعلي بن أبي طالب، والله لا كان ذلك أبدًا، قال: ثم ان عليًا عليه السلام قال لعبد الله بن عمر: ناشدتك الله يا عبد الله بن عمر ما قال لك أبوك حين خرجت من عنده؟ قال: اما إذا ناشدتني الله ما قال لي بعدك فانه قال لي بعدك: ان اصلع قريش يحملهم على المحجة البيضاء ويقيمهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم، قال: يا ابن عمر فما قلت له عند ذلك؟ قال: قلت له: فما يمنعك ان تستخلفه؟ قال: وما رد عليك؟ قال: ما رد عليّ اكتمه، قال علي عليه السلام: فان رسول الله ﷺ اخبرني به في حياته ثم أخبرني ليلة وفاته، فانشدتك الله يا ابن عمر إن انا اخبرتك به

لتصدقني، قال: إذا سألت، قال: انه قال لك حين قلت له فما يمنعك ان تستخلفه، قال: يمنعني الصحيفة التي كتبناها بيننا والعهد في الكعبة، فسكت ابن عمر، فقال له علي عليه السلام: سألتك بحق رسول الله صلى الله عليه وآله لما سكت عني.

قال سليم: رأيت ابن عمر في ذلك المحل قد خنقته العبرة ودمعت عيناه، ثم ان عمر مات آخر اليوم التاسع من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وقيل: لاربع بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة، والاصح الأول، وله يومئذ ثلاث وسبعون سنة، انتهى[1].

أقول: وهذا هو الذي ينطبق عليه ما صدر عنه من الاقوال عند تيقن الموت من التألم والحزن والاضطراب، وامر ابنه بوضع خده على التراب والبكاء والانتحاب كما فعله شركاؤه في هذا الباب لعلمهم جميعًا بسوء العاقبة في المآب.

١- الاحتجاج/٢٢٠، مجمع النورين/٢٣٥.

ختام به الاتمام والتأييد لما تقدم في المقام

نقل شيخنا المجلسي ﴿نور الله تعالى مرقده﴾ في كتاب البحار عن كتاب سليم بن قيس عن ابان قال: قال سليم: كتب أبو المختار بن أبي الصعق إلى عمر هذه الابيات:

ابلغ امير المؤمنين رسالة ... فانت امير الله في المال والامر
وانت امين الله فينا ومن يكن ... امينًا لرب الناس يسلم له صدري
فلا تدعن اهل الرساتيق والقرى ... يخونون مال الله في الادم والخمر
وارسل الى النعمان وابن معقل ... وارسل الى حزم وارسل الى بشر
وارسل الى الحجاج واعلم حسابه ... وذاك الذي في السوق مولى بني نصر
ولا تنسين التابعين كليهما ... وصهر بني غزوان في القوم ذا وقر
وما عاصم فيها بصفر خيانة ... ولا ابن غلاب من رباه بني نصر
واسل ذاك المال دون ابن محرز ... وقد كان منه في الرساتيق ذا وفر
فارسل اليهم يخبروك فيصدقوا ... ويردي يصدقوك فيخبروا
وقاسمهم اهلي فداؤك انهم ... سيرضون إن قاسمتهم منك بالشطر
ولا تدعوني للشهادة انني ... اغيب ولكني ارى عجب الدهر
ارى الخيل كالجدران والبيض كالدمى ... وخطيته في عدة النمل والقطر
ومن ريطة مطوية في قرابها ... ومن طي ابراد مضاعفة صفر
إذا التاجر الداري جاء بفارة ... من المسك راحت في مفارقهم تجري

قال سليم: فاغرم عمر بن الخطاب تلك السنة جميع عماله انصاف

اموالهم لشعر أبي المختار ولم يغرم قنفذ العدسي شيئًا وقد كان من عماله، ورد عليه ما أخذ منه وهو عشرون الف درهم ولم يأخذ منه عشرة ولا نصف عشرة، وكان من عماله الذين اغرموا ابا هريرة على البحرين فاحصى ماله فبلغ أربعة وعشرين الفًا فاغرمه اثنى عشر الفًا.

قال ابان: قال سليم: فلقيت عليًا ﴿صلوات الله عليه﴾ فسألته عما صنع عمر، فقال: هل تدري لم كف عن قنفذ ولم يغرمه شيئًا؟ قلت: لا، قال: لانه هو الذي ضرب فاطمة عليها السلام بالسوط حين جاءت لتحول بيني وبينهم فماتت ﴿صلوات الله عليها﴾، وان اثر السوط لفي عضدها مثل الدملج.

قال ابان: قال سليم: انتهيت إلى حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فيها الاّ هاشمي غير سلمان، وأبي ذر، والمقداد، ومحمد بن أبي بكر، وعمر بن أبي سلمة، وقيس بن عبادة، فقال العباس لعلي: ما ترى عمر منعه ان يغرم قنفذاً كما غرم جميع عماله؟ فنظر علي عليه السلام إلى من حوله ثم اغرورقت عيناه، ثم قال: شكر له ضربة ضربها فاطمة عليها السلام بالسوط فماتت وفي عضدها اثره كأنه الدملج، ثم قال: العجب مما اشربت قلوب هذه الامة من حب هذا الرجل وصاحبه من قبله، والتسليم له في كل شيء احدثه، لئن كان عماله خونة وكان هذا المال في ايديهم خيانة ما كان له تركه، وكان له ان يأخذه كله فانه فيء للمسلمين، فما باله يأخذ نصفه ويترك نصفه، ولئن كانوا غير خونة فما حل له ان يأخذ اموالهم ولا شيئًا منها قليلاً ولا كثيرًا، وانما اخذ انصافها، ولو كانت في ايديهم خيانة ثم لم يقروا بها ولم تقم عليهم البينة ما حل له ان يأخذ منهم

قليلاً ولا كثيرًا[1]، واعجب من ذلك اعادته اياهم إلى اعمالهم، لئن كانوا خونة ما حل له ان يستعملهم، ولئن كانوا غير خونة ما حلت له اموالهم، ثم أقبل علي على القوم فقال: العجب لقوم يرون سنة نبيهم تتبدل وتتغير شيئًا شيئًا وبابًا بابًا ثم يرضون ولا ينكرون بل يغضون ويعيبون على من عاب عليه وانكره، ثم يجيء بعدنا قوم فيتبعون بدعته وجوره واحداثه، ويتخذون احداثه سنّة ودينًا يتقربون بهما إلى الله تعالى في مثل تحويله مقام ابراهيم من الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ إلى الموضع الذي كان فيه في الجاهلية الذي حوله منه رسول الله ﷺ، وفي تغييره صاع رسول الله ﷺ مُده فيها فريضة وسنّة، فما كان زيادته الاّ سواء، لان المساكين في كفارة اليمين والظهار بهما يعطون، وما يجب في الزرع، وقد قال رسول الله ﷺ: اللهم بارك لنا في مدنا وصاعنا، لا يحولون بينه وبين ذلك لكنهم رضوا وقبلوا ما صنع، ومنعه صاحبه فدك وهي في يد فاطمة عليها السلام مقبوضة قد اكلت غلتها على عهد النبي ﷺ فسألها البينة على ما في يدها ولم يصدقها ولا صدق أم أيمن، وهو يعلم كما يعلم انها في يديها ولم يحل له ان يسئلها البينة على ما بيديها، ولا ان يتهمها، ثم استحسن الناس ذلك وحمدوه وقالوا انما حمله على ذلك الورع والفضل، ثم حسن قبح فعلهما أي عدلا عنها وقالا بالظن ان فاطمة عليها السلام لن تقول الاّ حقًا، وان عليًا لم

١- أقول: لله سبحانه الحمد على الوقوف على هذا الكلام الموافق لما قدمناه في المقام ونحن قد اثبتنا ذلك في صورة الكتاب قبل الوقوف على كلامه عليه السلام في هذا الباب وقبل وقوع نسخة كتاب البحار في اليد، وله سبحانه المنة على ذلك. ﴿منه﴾.

يشهد الاّ بحق ولو كانت مع ام ايمن امرأة أخرى مضينا لها، فحظا بـذلك عنـد الجهال وما لهما ومن امرهما ان يكونا حاكمين فيعطيان أو يمنعان، ولكن الامة ابتلوا بهما فادخلا انفسهما فيما لا حق لهما فيه ولا علم لهما، وقد قالـت فاطمـة عليها السلام حين اراد انتزاعها منها وهي في يدها، أليست في يدي وفيها وكيلي، وقـد اكلت غلتها ورسول الله صلى الله عليه وآله حي؟ قالا: بلى، قالت: فلم تسألاني البينة على ما في يدي؟ قالا: لانها فيء للمسلمين، فـان قامـت البينـة والاّ لـم نمـضها، فقالـت لهما والناس حولهما يسمعون: افتريدا ان تردا ما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وتحكما فينا خاصة بما لم تحكما في سـاير المـسلمين، ايهـا النـاس اسـمعوا مـا ركباهـا، قالت: ارأيتما ان ادعيت ما في ايدي المسلمين مـن امـوالهم تـسئلوني البينـة أو تسئلونهم؟ قالا: لا، بل نسئلك، قالت: فان ادعى جميع المـسلمين مـا فـي يـدي تـسئلونهم البينـة أم تـسئلوني؟ فغـضب عمـر، وقـال: ان هـذا فـيء للمـسلمين وارضهم وهي في يدي فاطمة تأكل غلتها، فان اقامت بينـة علـى مـا ادعـت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وهبها لها مـن بـين المـسلمين وهـي فيـئهم وحقهـم نظرنـا فـي ذلك، فقالت: انشدكم بالله اما سمعتم من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان ابنتي فاطمة سيدة نساء أهل الجنة؟ قالوا: اللهم نعم قد سمعناها مـن رسـول الله صلى الله عليه وآله قالـت: افسيدة نساء أهل الجنة تدعي الباطل وتأخذ مـا لـيس لهـا، ارأيـتم لـو ان أربعـة شـهدوا علـيّ بفاحـشة أو رجـلان بـسرقة اكنـتم مـصدقين علـيّ، فامـا أبـو بكـر فسكت، واما عمر فقال: نوقع عليك الحد، فقالت: كذبت ولئمت الاّ ان تقر انك لست على دين محمد صلى الله عليه وآله، ان الذي يجيز على سيدة نساء أهل الجنة شـهادة

أو يقيم عليها حد لملعون كافر بما انزل الله على محمد، ان من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا لا يجوز عليهم شهادة، لانهم معصومون من كل سوء، مطهرون من كل فاحشة، حدثني عن أهل هذه الآية لو ان قومًا شهدوا عليهم أو على أحد منهم بشرك أو كفر أو فاحشة كان المسلمون يتبرؤن منهم ويحدونهم؟ قال: نعم، وما هم وساير المسلمين في ذلك الاّ سواء، قالت: كذبت وكفرت، لان الله عصمهم وانزل عصمتهم وتطهيرهم واذهب عنهم الرجس، فمن صدق عليهم فانما يكذب الله ورسوله، فقال أبو بكر: اقسمت عليك يا عمر لما سكت، فلما كان الليل أرسل إلى خالد بن الوليد انا نريد ان نسر اليك [امرًا] ونحملك عليه، فقال: أحملاني ما شئتما فاني طوع ايديكما، فقالا: له انا لا ينفعنا ما نحن فيه من الملك والسلطان ما دام علي حيًا، اما سمعت ما قال لنا وما استقبلنا به ونحن لانأمن منه الاّ ان يدعو في السر فيستجيب له قوم فيناهضنا، فانه اشجع العرب، وقد ارتكبنا منه ما رأيت، وغلبناه على ملك ابن عمه ولا حق لنا فيه، وانتزعنا فدك من امرأته، فاذا صليت بالناس الغداة فقم إلى جانبه وليكن سيفك معك، فاذا صليت وسلمت فاضرب عنقه، فقال: صلى خالد بجنبي متقلد السيف، فقام أبو بكر في الصلاة وجعل يوامر نفسه وندم واسقط في يده حتى كادت الشمس ان تطلع، ثم قال قبل ان يسلم: لا تفعل يا خالد ما امرتك، ثم سلم، فقلت لخالد: وما ذاك؟ قال: قد كان امرني إذا سلم اضرب عنقك، قلت: أو كنت فاعلاً؟ قال: أي وربي إذًا لفعلت، ثم اقبل على العباس ومن حوله ثم قال: ألا تعجبون من حبسه وحبس صاحبه

عنا سهم ذي القربى الذي فرضه الله لنا في القرآن، وقد علم انهم سيظلمونا وينتزعونه منا، فقال ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[1]، والعجب من جهله وجهل جميع الامة انه كتب إلى جميع عماله ان الجنب إذا لم يجد الماء فليس له ان يصلي، وليس له ان يتيمم بالصعيد حتى يجد الماء وان لم يجده حتى يلقى الله، وفي رواية أخرى وان لم يجده سنة، ثم قبل الناس ذلك منه ورضوا به، وقد علم وعلم الناس ان رسول الله ﷺ قد امر عمارًا أو أبا ذر ان يتيمما من الجنابة، وشهدا به عنده فلم يقبل ذلك ولم يرفع رأسًا، والعجب لما قد خلط قضايا مختلفة في الحد بغير علم تعسفًا وجهلاً، وادعائه ما لم يعلم جرأة على الله وقلة ورع، ادعى ان رسول الله ﷺ مات ولم يقض في الجد شيئًا منه، ولم يدع أحدًا يعلم ما للجد من الميراث ثم تابعوه على ذلك وصدقوه، وعتقه امهات الاولاد وأخذ الناس بقوله، وتركوا أمر الله وأمر رسول الله ﷺ، وما صنع بنصر بن حجاج، وبجعدة بن سليم، وبابن زيد، واعجب من ذلك ان ابا كيف العبدي اتاه فقال: اني طلقت امراتي وانا غايب فوصل اليها الطلاق ثم راجعتها وهي في عدتها وكتبت اليها فلم يصل الكتاب حتى تزوجت، فكتب له ان كان هذا الذي تزوجها دخل بها فهي امرأته، وان كان لم يدخل بها فهي امرأتك، وكتب له ذلك وانا شاهد ولم يشاورني ولم يسألني، يرى استغناءه بعلمه عني، فاردت ان انهاه، ثم قلت: ما ابالي ان يفضحه الله ثم لم تعبه الناس بل استحسنوه واتخذوه

١- الأنفال/٤١.

سنّة، وقبلوه عنه ورأوه صوابًا، وذلك قضاء لا يقضي به مجنون، ثم تركه من الاذان حي على خير العمل فاتخذوه سنّة وتابعوه على ذلك، وقضيته في المفقود ان اجل امرأته اربع سنين ثم تزوجت، فان جاء زوجها خير بين امرأته وبين الصداق، فاستحسنه الناس واتخذوه سنّة وقبلوه عنه جهلاً وقلة علم بكتاب الله عزّ وجل وسنّة نبيه ﷺ، واخراجه من المدينة كل اعمى، وارساله إلى عماله بالبصرة بحبل خمسة أشبار وقوله ما اخذتموه من الاعاجم فبلغ طوله هذا الحبل فاضربوا عنقه، ورده سبايا تُستر وهن حبالى، وارساله بحبل من صبيان بالبصرة سرقوا بالبصرة، وقوله من بلغ طول هذا الحبل فاقطعوه، واعجب من ذلك ان كذابًا رجم بكذابة فقبلها وقبلها الجهال فزعموا ان الملك ينطق على لسانه ويلقنه، واعتاقه سبايا أهل اليمن، وتخلفه وصاحبه عن جيش اسامة بن زيد مع تسليمهما عليه بالامرة، ثم اعجب انه قد علم وعلم الناس انه الذي صدر رسول الله ﷺ عن الكتف الذي دعى به ثم لم يضره ذلك عندهم ولم ينقصه، وانه صاحب صفية حين قال لها ما قال، فغضب رسول الله ﷺ حتى قال ما قال، وانه الذي مررت به يومًا، فقال ما مثل محمد في أهل بيته الاّ كنخلة نبتت في كناسة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فغضب وخرج فأتى المنبر، وفزعت الانصار فجاءت شاكة في السلاح لما رأت من غضب رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: ما بال اقوام يعيرونني بقرابتي وقد سمعوا مني ما قلت في أفضل أهل بيتي وخيرهم مما خصه الله به واكرمه وفضله على من سبقه إلى الاسلام وتدينه فيه وقرابته مني، وانه مني بمنزلة هارون من موسى، ثم يزعمون

ان مثلي في أهل بيتي كمثل نخلة في كناسة ألا ان الله خلق خلقه ففرقهم فرقتين، فجعلني في خير الفرقتين، ثم فرق الفرقة في ثلاث فرق شعوبًا وقبائل وبيوتًا فجعلني في خيرها شعبًا وخيرها قبيلة، ثم جعلهم بيوتًا فجعلني في خيرها بيتًا فذلك، ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾، فحصلت في أهل بيتي وعترتي، وانا وأخي علي بن أبي طالب، ألا وان الله نظر إلى أهل الأرض نظرة فاختارني منهم، ثم نظر نظرة فاختار عليًا أخي ووزيري، ووارثي ووصيي، وخليفتي في أمتي، وولي كل مؤمن بعدي، فبعثني رسولاً ونبيًا ودليلاً، وأوحى إليّ ان اتخذ عليًا اخًا ووليًا، ووصيًا وخليفة في امتي بعدي، ألا وانه ولي كل مؤمن بعدي، من والاه والاه الله، ومن عاداه عاداه الله، ومن احبه احبه الله، ومن ابغضه ابغضه الله، لا يحبه الاّ مؤمن، ولا يبغضه الاّ كافر، وهو ربّ الأرض بعدي وسكنها، وهو كلمة التقوى، وعروة الله الوثقى، اتريدون ان تطفئوا نور الله بافواهكم والله متم نوره ولو كره المشركون، ويريد اعداء الله ان يطفئوا نور اخي، ويأبى الله إلاان يتم نوره، يا ايها الناس ليبلغ مقاتلتي شاهدكم غائبكم، اللهم اشهد عليهم، ايها الناس ان الله نظر نظرة ثالثة فاختار منها بعدي اثنى عشر وصيًا من أهل بيتي، وهم خيار امتي منهم أحد عشر امامًا بعد أخي واحدًا بعد واحد، كلما هلك واحد قام واحد، مثلهم كمثل النجوم في السماء، كلما غاب نجم طلع نجم، لانهم ائمة هداة مهتدون، لا يضرهم كيد من كادهم، ولا خذلان من خذلهم، بل ينصر الله بذلك من كادهم وخذلهم، فهم حجة الله في ارضه وشهداء على خلقه، من

اطاعهم اطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردا عليّ حوضي، اول الائمة علي خيرهم، ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين، وامهم ابنتي فاطمة ﴿صلوات الله عليهم﴾، ثم من بعدهم جعفر بن أبي طالب ابن عمي واخو أخي، وعمي حمزة بن عبدالمطلب، أنا خير النبيين والمرسلين، وفاطمة ابنتي سيدة نساء أهل الجنة، وعلي وبنوه الاوصياء خير الوصيين، وأهل بيتي خير أهل بيوتات النبيين، وابناي سيدا شباب أهل الجنة، أيها الناس ان شفاعتي تنال علوجكم، افيعجز عنها أهل بيتي، ما احد ولده جدي عبدالمطلب ولقى الله موحدًا لا يشرك به شيئًا الاّ ادخله الجنة ولو كان فيه من الذنوب عدد الحصى وزبد البحر، ايها الناس عظموا أهل بيتي في حياتي ومن بعدي، واكرموهم وفضلوهم، فانه لا يحل لاحد ان يقوم من محل لاحد الاّ لاهل بيتي، اني لو قد اخذت بحلقة باب الجنة ثم تجلى لي ربي فسجدت واذن لي بالشفاعة لم اؤثر على أهل بيتي احدًا، ايها الناس انسبوني من انا، فقامت الانصار فقالت: نعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، اخبرنا يا رسول الله من الذي آذاك في أهل بيتك حتى نضرب عنقه ونبير عترته، قال: انسبوني، انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم حتى انتسب إلى نزار ثم مضى في نسبه إلى اسماعيل بن ابراهيم خليل الله، ثم قال: اني وأهل بيتي لطيفة من تحت العرش إلى آدم نكاح غير سفاح، لم يخالطنا نكاح الجاهلية، فاسئلوني فوالله لا يسألني رجل عن ابيه وعن امه وعن نسبه الاّ اخبرته، فقام رجل فقال: من ابي؟ فقال: أبوك

فلان الذي تدعى اليه، فحمد الله واثنى عليه، ثم قال: والله لو نسبتني إلى غيره لرضيت وسلمت، ثم قام رجل آخر فقال: من أبي؟ فقال: أبوك فلان لغير ابيه الذي تدعى اليه فارتد عن الإسلام، ثم قال رجل آخر: امن أهل الجنة أنا أم من أهل النار؟ فقال: من أهل الجنة، ثم قام رجل آخر فقال: امن أهل الجنة أنا أم من أهل النار؟ فقال: من أهل النار، ثم قال رسول الله ﷺ وهو مغضب: ما يمنع الذي عير أهل بيتي واخي ووزيري ووصي وخليفتي في امتي وولي كل مؤمن بعدي ان يقوم فيسألني من ابوه؟ واين هو في الجنة أم في النار؟ فقام عمر بن الخطاب فقال: اعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، اعف عنا يا رسول الله، عفى الله عنك، اقلنا اقالك الله، استرنا سترك الله، اصفح عنا، صلى الله عليك، فاستحى رسول الله ﷺ وكف.

وهو صاحب العباس الذي بعثه رسول الله ﷺ ساعيًا، فرجع وقال: ان العباس قد منع صدقة ماله، فغضب رسول الله ﷺ وقال: الحمد لله الذي عافانا أهل البيت من شر ما يطلحونا[1] به، ان العباس لم يمنع صدقة ماله ولكنك عجلت عليه وقد عجل زكاة سنتين، ثم اتاني بعد يطلب ان امش معه إلى رسول الله ﷺ ليرضى عنه ففعلت.

وهو صاحب عبد الله بن أبي سلول حين تقدم رسول الله ﷺ ليصلي عليه فاخذ بثوبه من ورائه، وقال: لقد نهاك الله ان تصلي عليه، ولا يحل لك ان تصلي عليه، فقال له رسول الله ﷺ: انما صليت عليه كرامة لابنه، واني لا

١- الطلح: التسوية وافاد الكتابة واللطخ بالندرة ﴿منه قدّس سرّه﴾.

رجو ان يسلم به سبعون رجلاً من بني أبية وأهل بيته، وما يدريك ما قلت، انما دعوت الله عليه.

وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية حين كتب القضية إذ قال انعطي الدنية في ديننا، ثم جعل يطوف في عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله يحرضهم ويقول انعطي الدنية في ديننا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اخرجوا عني اتريدون ان اغدر بذمتي، وفي رواية أخرى اخرجوه عني اتريد ان أخفر ذمتي ولا أفي لهم بما كتبت لهم، خذ يا سهيل ابنك جذلاً، فأخذه فشده وثاقًا في الحديد، ثم جعل الله عاقبة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الخير والرشد والهدى والعزة والفضل.

وهو صاحب يوم غدير خم إذ قال هو وصاحبه حين نصبني رسول الله صلى الله عليه وآله لولايتي فقال: ما يألوا ان يرفع خَسيسته وقال الآخر: ما يألوا رفعًا بضبع ابن عمه، وقال لصاحبه وانا منصوب ان هذه فقطب صاحبه في وجهه وقال لا والله لا اسمع ولا اطيع ابدًا، ثم اتكأ عليه، ثم تمطى وانصرف فانزل الله فيه ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾[1] وعيدًا من الله له، وهو الذي دخل عليّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله يعوذني في رهط من اصحابه حين غمزه صاحبه، فقال: يا رسول الله قد كنت عهدت الينا في علي عهدًا واني لأراه لما به، فان هلك فالى من؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اجلس فاعادها ثلاث مرات فقال: انه لا يموت في مرضه هذا، ولا يموت حتى تمليا غيظًا وتوسعاه غدرًا وظلمًا، ثم تجداه صابرًا قوامًا، ولا يموت حتى يرى منكما هنات هنات، ولا

١- القيامة/٣١-٣٤.

تجداه صابرًا قوامًا، ولا يموت حتى يرى منكما هنات هنات، ولا يموت الاّ شهيدًا مقتولاً.

واعظم من ذلك كله ان رسول الله جمع ثمانين رجلاً اربعين من العرب واربعين من العجم وهما فيهم فسلموا عليّ بإمرة المؤمنين، ثم قال: اشهدكم ان عليًا اخي ووزيري، ووارثي وخليفتي في امتي ووصيي، وولي كل مؤمن بعدي، فاسمعوا له واطيعوا، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة والزبير، وسعد، وابن عوف، وسالم، ومعاذ بن جبل، ورهط من الانصار، ثم قال: اني أشهد الله عليكم، ثم أقبل على القوم فقال: سبحان الله ما اشربت قلوب هذه الامة من بليتها وفتنتها، من عجلها وسامريها، انهم اقروا وادعوا ان رسول الله ﷺ قال لا يجمع الله لنا أهل البيت النبوة والخلافة، وقد قال لاولئك الثمانين رجلاً سلموا على علي بإمرة المؤمنين، واشهدهم على ما اشهدهم عليه انهم اقروا ان رسول الله ﷺ لم يستخلف احدًا وانهم اقروا بالشورى، ثم اقروا انهم لم يشاوروا وان بيعته كانت فلتة، وأي ذنب اعظم من الفلتة، ثم استخلف أبو بكر عمر ولم يقتد برسول الله ﷺ فيدعهم بغير استخلاف طعنًا منه على رسول الله ﷺ ورغبه عن رأيه، ثم صنع عمر شيئًا ثالثًا لم يدعهم على ما ادعى ان رسول الله ﷺ لم يستخلف كما استخلف أبو بكر، وجاء بشيء ثالث جعلها شورى بين ستة نفر واخرج منها جميع العرب، ثم حطني بذلك عند العامة فجعلهم مع ما اشربت قلوبهم من الفتنة والضلالة أقراني ثم تابع ابن عوف عثمان فبايعوه وقد سمعوا من رسول الله ﷺ في عثمان ما سمعوا من

لعنه اياه في غير موطن، فعثمان على ما كان عليه خيرًا منهما، ولقد قال منذ أيام قولاً رققت لـه واعجبتني مقالتـه، بينمـا انـا قاعـد عنـده فـي بيتـه إذ اتتـه عايـشة وحفصة يطلبان ميراثهما من ضياع أموال الرسول ﷺ التي في يديه فقال: ولا كرامة لكن اجيز شهادتكما على انفسكما، فانكما شهدتما عند أبويكمـا انكمـا سمعتما من رسول الله ﷺ يقول: ان النبي لا يورث ما تـرك فهـو صـدقة، ثـم لقنتما اعرابيًا جلفًا يبول على عقبيه يتطهر ببوله مالـك بـن الحـرث بـن الحـدثان فشهد معكما لا من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا من الانصار احد شهد بذلك غير اعرابي، اما والله ما اشك في انه قد كذب علـى رسـول الله ﷺ وكـذبتما عليه معه، فانصرفتا من عنده تبكيان ويشتمانه، فقال: ارجعـا، ثـم قـال: اشـهدتما بذلك عند أبي بكر، قالتا: نعم، قال: فان شهدتما بحق فلا حق لكمـا وان كنتمـا شهدتما بباطل فعليكما وعلـى مـن اجـاز شـهادتكما علـى أهـل البيـت لعنـة الله والملائكه والناس اجمعين، قال: ثم نظر إليّ فتبسم، وقال: يا أبا الحسن شـفيتك منهما؟ قلت: نعم والله وابلغت وقلت حقًـا، فـلا يـرغم الله الاّ بأنفيهمـا، فرققـت لعثمان وعلمت انه اراد بذلك رضاي وانه أقرب منهما رحمًا وان كـان لا عـذر لـه ولا حجة بتأمره علينا وادعائه حقنا[1].

قال شيخنا المجلسي ﴿عطـر الله مرقـده﴾ بعـد نقـل الخبـر المـذكور بعـد تفسير بعض الفاظه: ثم ان ظاهر صدر الخبر كـون هـذا الكـلام منـه فـي خلافـة عمر، وقوله ثم صنع عمر شيئًا ثالثًا إلـى آخـره يـدل علـى انـه كـان فـي خلافـة

١- البحار ٣١٧/٣٠.

عثمان أو بعده، ولعل سليمًا سمع هذا الكلام منه عليه السلام في مقام آخر فالحقه بهذا الكلام، انتهى[1].

قال في المقام: ونذكر في هذا الموضع ما طعن به على عمر في المغني من المطاعن، وما اعترض به الشريف المرتضى على قاضي القضاة، وما اجاب به قاضي القضاة في كتابه المعروف بالشافي، ونذكر ما عندنا في البعض[2].

قال في الجزء الثالث عشر: الاصل، ومن كلام له عليه السلام كلم به عبدالله بن زمعة إلى آخره.

هو عبد الله بن زمعة بن الاسود بن عبدالمطلب بن أسد بن عبدالغرى بن قصي، وكان عبد الله بن زمعه شيعة لعلي عليه السلام ومن اصحابه، ومن ولد عبد الله هذا أبو البختري القاضي وهو وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعه، كان قاضي الرشيد هارون بن محمد المهدي، وكان منحرفًا عن علي عليه السلام وهو الذي افتى الرشيد ببطلان العهد الذي كتبه ليحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام واخذه بيده فمزقه، انتهى[3].

أقول: فيه كما ترى ما يدل على صحة ما قدمناه في الفائدة الثامنة من الفوائد الملحقة بالمقدمة من انقسام الناس الصدر الأول وهو زمن الخلفاء الثلاثة إلى زماننا هذا إلى شيعة وسنة، وان الشيعة هم المقدمون لعلي عليه السلام على

١- البحار ٣٢١/٣٠.

٢- يوجد هنا سقط في أصل الكتاب في كلتا النسختين. ومن اراد الاطلاع عليه فليرجع الى شرح نهج البلاغة ١٩٥/١٢ وما بعدها.

٣- شرح نهج البلاغة ١٠/١٣ — ١١.

من سواه في الخلافة، والسنة بخلافهم.

قال الاصل، ومن كلام لـه عليه السلام قاله وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه إلى آخره.

وفاته، فاما وفاته صلى الله عليه وآله وما ذكره ارباب السير فيها فقد ذكرنا طرفًا منه فيما تقدم، ونذكر ههنا طرفًا آخر مما أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه قال أبو جعفر: وروى محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عايشة إلى ان قالت في حديثها بعد ان شكت ثقل المرض به وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهن ان يمرض في بيتي، فاذن له فخرج بين رجلين من أهله الفضل بن العباس ورجل آخر يخط قدماه في الأرض عاصبًا رأسه حتى دخل بيتي، قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة فحدثت عبد الله بن العباس بهذا الحديث فقال: اتدري من الرجل الآخر؟ قلت: لا، قال: علي بن أبي طالب، لكنها كانت لا تقدر ان تذكره بخير وهي تستطيع[1].

وروى عبد الله بن مسعود قال: نعى الينا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، جمعنا في بيت عايشة فنظر الينا ودمعت عيناه فقال: مرحبًا بكم، وحياكم الله ورحمكم، أوصيكم بتقوى الله، واوصي الله بكم، واستخلفه عليكم، اني لكم منه نذير وبشير، ألاّ تعلوا على الله في عباده وبلاده، فانه قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ

١- البخاري ١٨/٧، الجمل للمفيد/٢٢٨.

﴿ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[1]، فقلنا: يا رسول الله فمتى اجلك؟ قال: قد دنى الفراق والمنقلب إلى الله والى سدرة المنتهى وإلى الرفيق الاعلى وإلى جنة المأوى وإلى العيش الاهنى، قلنا: فمن يغسلك يا رسول الله؟ قال: أهلي الادنى فالادنى، قلنا: فيم نكفنك؟ قال: في ثيابي هذه أو بياض مصر أو حلة يمانية، قلنا: فمن يصلي عليك؟ قال: فاذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري، ثم أخرجوا ساعة عني فان أول من يصلي عليّ جليسي وحبيبي وخليلي جبرئيل وميكائيل، ثم ملك الموت مع جنوده من الملائكة، ثم ادخلوا عليّ فوجًا فوجًا فصلوا عليّ وسلموا ولا تؤذوني بتزكية ولا رنة ولا ضجة، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال اهل بيتي، ثم نساؤهم، ثم انتم بعد، واقرؤا انفسكم مني السلام، ومن غاب من أهلي فاقرأوه مني السلام، ومن تابعكم بعدي فاقرأوه مني السلام، فاني اشهدكم اني قد سلمت على من تابعني في ديني من اليوم إلى يوم القيامة، قلنا: فمن يدخلك قبرك يا رسول الله؟ قال: أهلي مع ملائكة كثيرة يرونكم ولا ترونهم، قلت: العجب لهم كيف لم يقولوا له في تلك الساعة فمن يلي امرنا بعدك، لان ولاية الامر أهم من السؤال عن الدفن وعن كيفية الصلاة، وما اعلم ما أقوله في هذا المقام[2].

قال أبو جعفر الطبري: وروي عن سعيد بن جبير قال: كان ابن عباس يقول يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى تبل دموعه الحصى، قلنا

١- القصص/٨٣.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٩/١٣.

له: وما يوم الخميس؟ قال: يوم اشتد برسول الله ﷺ وجعه، قال: ائتوني باللوح والدواة أو قال بالكتف والدواة أكتب لكم مالا تضلوا بعدي، فتنازعوا ولا ينبغى عند نبي ان يتنازع، قالوا: فما شأنه اهجر استفهموه فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني فما انا فيه خير مما تدعوني إليه، ثم اوصى بثلاث فقال: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، واجيزوا الوفد بما كنت اجيزه، وسكت عن الثالثة عمدًا او قالها ونسيتها[1].

وروى أبو جعفر عن ابن عباس قال: خرج علي بن ابي طالب في وجعه الذي توفي فيه فقال له الناس: يا أبا الحسن كيف اصبح رسول الله ﷺ قال: اصبح بحمد الله بارئًا، فاخذ العباس بيده وقال: ألا ترى انك بعد ثلاث عبد العصى، اني لاعرف الموت في وجوه بني عبد المطلب، فاذهب إلى رسول الله ﷺ فأسئله فيمن يكون هذا الامر، فان كان فينا علمنا ذلك وان كان في غيرنا اوصى بنا، فقال: اخشى ان اسئله فيمنعناها فلا يعطيناها الناس ابدًا[2].

وروت عائشة قالت: اغمي على رسول الله ﷺ والدار مملوة من النساء أم سلمة وميمونه واسماء بنت عميس وعندنا عمه العباس بن عبدالمطلب، فاجمعوا على ان يلدوه، فقال العباس: ألا الده فلدوه، فلما افاق قال: من صنع بي هذا؟ قالوا: عمك، قال لنا هذا دواء جاءنا من نحو هذه الأرض واشار إلى أرض الحبشة، قال: ولم فعلتم ذلك؟ فقال العباس: خشينا يا رسول الله ان يكون

١- شرح نهج البلاغة ١٣/٣٠.

٢- شرح نهج البلاغة ١٣/٣١.

بك ذات الجنب، فقال: ان ذلك لداء ما كان الله ينفدني به، لا يبقى أحد في البيت الاّ لد إلاّ عمي، قال: فلقد لدت ميمونة وانها لصائمة لقسم رسول الله ﷺ عقوبة لهم بما صنعوا[1].

قال أبو جعفر: وقد وردت رواية أخرى عن عايشة قالت: لددنا[2] رسول ﷺ في مرضه فقال: لا تلدوني، فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما افاق قال: لا يبقى احد الاّ لد غير العباس عمي فانه لم يشهدكم[3].

قال أبو جعفر: والذي تولى اللدود بيده اسماء بنت عميس.

قلت: العجب من تناقض هذه الروايات في احدها ان العباس لم يشهد اللدود، فلذلك اعفاه رسول الله ﷺ من ان يلد، ولد من كان حاضرًا، وفي أحدها ان العباس حضر لده عليه السلام، وفي هذه الرواية التي تتضمن حضور العباس في لده كلام مختلف فيها ان العباس قال لا الده، ثم قال فلد فافاق فقال من صنع بي هذا؟ قالوا عمك انه قال هذا دواء جاءنا من أرض الحبشة لذات الجنب، فكيف يقول لا الده يكون هو الذي اشار بان يلد، وقال هذا دواء جاءنا من أرض الحبشة لكذا.

وسألت النقيب يحيى بن أبي يزيد البصري رحمه الله عن حديث اللدود، فقلت: الد علي بن أبي طالب ذلك اليوم، فقال: معاذ الله ولو كان لذكرته عايشة

١- شرح نهج البلاغة ٣١/١٣.

٢- اللدوة وهو – بالفتح- من الادوية مايسقاه المريض.

٣- شرح نهج البلاغة ٣٢/١٣.

فيما تذكره وتنعاه عليه، قال: وكانت فاطمة عليها السلام حاضرة في الدار وابناها معها افتراها لدت أيضًا ولد الحسن والحسين، كلا، هذا أمر لم يكن، وانما هو حديث ولده من ولده تقربًا إلى بعض الناس، والذي كان اسماء بنت عميس اشارت ان يلد وقالت هذا دواء جاءنا من أرض الحبشة جاء به جعفر بن أبي طالب وكان بعلها، وساعدتها على تصويب ذلك والاشارة به ميمونة بنت الحارث، فلد رسول الله، فلما افاق انكره وسأل عنه فذكر له كلام اسماء وموافقة ميمونة لها، فامر ان تلد الامرأتان لا غير فلدتا ولم يجر غير ذلك، والباطل لا يكاد يخفى على مستبصر.

وروى الارقم بن شرحيل قال سألت ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾ هل اوصى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لا، قلت: فكيف كان؟ قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال في مرضه: ابعثوا إلى علي فادعوه، فقالت عايشة: لو بعثت إلى أبي بكر، وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر، فاجتمعوا عنده جميعًا هكذا لفظ الخبر على ما اورده الطبري في التاريخ، ولم يقل فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله اليها، قال ابن عباس: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انصرفوا فان يكن لي حاجة ابعث اليكم فانصرفوا، وقيل لرسول صلى الله عليه وآله الصلاة، فقال: مروا أبا بكر يصلي بالناس، فقالت عايشة: ان أبا بكر رجل رقيق، فمر عمر، فقال: مروا عمر، فقال عمر: لا اتقدم وأبو بكر شاهد، فتقدم أبو بكر فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله حقًا فخرج، فلما سمع أبو بكر حركته تأخر فجذب رسول الله ثوبه فاقامه مكانه وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقرأ من حيث انتهى أبو بكر.

قلت: عندي في هذه الواقعة كلام ويعترضني فيها شكوك واشتباه إذا كان قد اراد ان يبعث إلى علي ليوصي إليه فنفست عايشة عليه فسألته ان يحضر أبوها، ونفست حفصة عليه فسألته ان يحضر ابوها، ثم حضرا ولم يطلبا، فلا شبهة ان ابنتيهما طلبتاهما، هذا هو الظاهر وقول رسول الله ﷺ وقد اجتمعوا كلهم عنده انصرفوا فان يكن لي حاجة بعثت اليكم قول من عنده ضجر وغضب من حضورهما وتهمة للنساء في استدعائهما، فكيف يطابق هذا الفعل وهذا القول ما روي من ان عايشة قالت لما عين اباها في الصلاة ان أبي رجل رقيق فمر عمر، واين ذلك الحرص من هذا الاستعفاء والاقالة، وهذا يوهم صحة ما تقوله الشيعة من ان صلاة أبي بكر كانت من أمر عايشة وان كنت لا أقول بذلك ولا اذهب اليه الاّ ان تأمل مضمون هذا الخبر يوهم ذلك، فلعل هذا الخبر غير صحيح، وأيضًا ففي الخبر ما لا يجيزه أهل العدل وهو ان يقول مروا أبا بكر، ثم يقول عقيبه مروا عمر، لان هذا النسخ للشيء قبل تقضي وقت فعله.

فان قيل: قد مضى من الزمان مقدار ما يمكن الحاضرين فيه ان يأمروا أبا بكر، وليس في الخبر الاّ انه أمرهم ان يأمروه ويكفي في صحة ذلك مضي زمان يسير جدًا يمكن فيه ان يقال يا أبا بكر صل بالناس.

قلت: الاشكال ما نشأ من هذا الأمر بل من كون أبي بكر مأمور بالصلاة وان كان بواسطة، ثم نسخ منه الامر بالصلاة قبل مضي وقت يمكن فيه ان يفعل الصلاة.

فان قلت: لم قلت في صدر كلامك هذا انه أراد ان يبعث إلى علي عليه السلام ليوصي اليه ولم لا يجوز ان يكون بعث اليه لحاجة.

قلت: لان مخرج كلام ابن عباس هذا المخرج، ألا ترى ان الارقم بن شرحيل الراوي لهذا الخبر قال: سألت ابن عباس هل اوصى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لا، فقلت: فكيف كان؟ فقال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال في مرضه: ابعثوا إلى علي فادعوه فسألته المرأة ان يبعث إلى ابيها، وسألته الاخرى ان يبعث إلى ابيها، فلولا ان ابن عباس فهم من قوله صلى الله عليه وآله ابعثوا إلى علي فادعوه أنه يريد الوصية اليه لما كان لاخباره الارقم بذلك متصلاً بسؤاله عن الوصية معنى.

وروى عروة عن عايشة قالت: اضطجع رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم موته في حجري فدخل رجل من آل أبي بكر في يده سواك اخضر، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله نظرًا عرفت انه يريده، فقلت له: اتحب ان اعطيك هذا السواك؟ قال: نعم، فاخذته ومضغته حتى النته، ثم اعطيته اياه فاستن به كاشد ما رأيته يستن بسواك قبله، ثم وضعه، ووجدت رسول الله صلى الله عليه وآله يثقل في حجري فذهبت إلى وجهه فاذا ببصره قد شخص وهو صلى الله عليه وآله يقول بل الرفيق الاعلى من الجنة، فقلت: لقد خيرت فاخترت والذي بعثك بالحق، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال الطبري: وقد وقع الاتفاق على انه يوم الاثنين من ربيع الأول، واختلف في أي الاثنين كان، فقيل: لليلتين خلتا من الشهر وقيل: لاثني عشر من الشهر، واختلف في تجهيزه أي يوم كان فقيل: يوم الثلاثاء للغد من يوم وفاته، وقيل: انما دفن بعد وفاته بثلاثة أيام، اشتغل الناس عنه بأمر البيعة، وقد

روى الطبري ما يدل على ذلك عن زياد بن كليب، عن ابراهيم النخعي، ان أبا بكر جاء بعد ثلاثة أيام إلى رسول الله ﷺ وقد اربد بطنه، فكشف عن وجهه وقبّل عينيه، وقال: بأبي أنت وأمي طبت حيًا وميتًا.[1]

قلت: وأنا اعجب من هذا، هب ان أبا بكر ومن معه اشتغلوا بأمر البيعة، علي بن أبي طالب والعباس وأهل البيت بماذا اشتغلوا حتى يبقى النبي ﷺ مسجى بينهم ثلاثة أيام بلياليهن لا يغسلونه ولا يمسونه؟

فان قلت: الرواية التي رواها الطبري في حديث الايام الثلاثة انما كانت قبل البيعة، لان لفظ الخبر عن ابراهيم انه لما قبض النبي ﷺ كان أبو بكر غائبًا فجاء بعد ثلاثة أيام ولم يجتر احد ان يكشف وجهه عليه السلام حتى أربد بطنه فكشف عن وجهه وقبّل عينيه، وقال بأبي أنت وأمي طبت حيًا وميتًا، ثم خرج إلى الناس فقال: من كان يعبد محمدًا فان محمدًا قد مات، الحديث بطوله.

قلت: لعمري ان الرواية هكذا اوردها الطبري، ولكنها مستحيلة، لان أبا بكر فارق رسول الله ﷺ وهو حي، ومضى إلى منزله بالسنح يوم الاثنين وهو اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ لانه رآه بارئًا صالح الحال، هكذا روى الطبري في كتابه، وبين السنح والمدينة نصف فرسخ بل هو طائفة من المدينة، فكيف يبقى رسول الله ﷺ ميتًا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ولا يعلم به أبو بكر وبينهما غلوة ثلاثة اسهم، وكيف يبقى طريحًا بين اهله ثلاثة أيام ولا يجتريء احد منهم ان يكشف عن وجهه وفيهم علي بن ابي طالب

١- شرح نهج البلاغة ٣٢/١٣ – ٣٦.

وهو روحه بين جنبيه، والعباس عمه القائم مقام ابيه، وابنا فاطمة وهما كولديه، وفيهم فاطمة بضعة منه، فما كان في هؤلاء من يكشف وجهه ولا من يفكر في جهازه، ولا من يأنف من انتفاخ بطنه واخضرارها، وينتظر بذلك حضور أبي بكر ليكشف عن وجهه، انا لا اصدق ذلك، ولا يسكن قلبي إليه، والصحيح ان دخول أبي بكر اليه وكشفه عن وجهه وقوله ما قال انما كان ذلك بعد الفراغ من البيعة، وانهم كانوا مشتغلين بها كما ذكر في الرواية الاخرى، وبقى الاشكال في قعود علي عليه السلام عن تجهيزه، وإذا كانوا اولئك مشتغلين بالبيعة فما الذي شغله هو؟

فأقول: يغلب على ظني ان صح ذلك ان يكون قد فعله شناعة على أبي بكر واصحابه حيث فاته الامر واستؤثر عليه به، فاراد ان يتركه صلى الله عليه وآله بحاله لا يحدث في جهازه أمرًا ليثبت عند الناس ان الدنيا شغلتهم عن نبيهم ثلاثة أيام حتى آل أمره إلى ما ترون، وقد كان عليه السلام يتطلب الحيلة في تهجين أمر أبي بكر حيث وقع في السقيفة ما وقع بكل طريق، ويتعلق بادنى سبب من أمور كان يعتمدها، وأقوال كان يقولها، ولعل هذا من جملة ذلك أو لعله ان صح ذلك فانما تركه صلى الله عليه وآله لوصية منه اليه وسر كان يعلمانه في ذلك.

إلى ان قال: قال أبو جعفر: واختلفوا في دفنه في مسجده فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل: ندفنه في البقيع مع اصحابه، وقال أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ما قبض نبي الاّ ودفن حيث قبض، فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وآله الذي توفي فيه وحفر له تحته.

قلت: كيف اختلفوا في موضع دفنه، وقد قال لهم: فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري، وهذا صريح في انه يدفن في البيت الذي جمعهم فيه، وهو بيت عايشة، فاما ان يكون ذلك الخبر غير صحيح أو يكون هذا الحديث الذي تضمن انهم اختلفوا في موضع دفنه وان أبا بكر روى لهم قال الانبياء يدفنون حيث يموتون غير صحيح، لان الجمع بين هذين الخبرين لا يمكن، وأيضًا فهذا الخبر ينافي ما ورد في موت جماعة من الانبياء نقلوا من موضع موتهم إلى موضع آخر، وقد ذكر الطبري في اخبار بني اسرائيل، وأيضًا لو صح هذا الخبر لم يكن مقتضيًا ايجاب دفن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حيث قبض، لانه ليس بامر بل هو اخبار محض، اللهم الاّ ان يكون فهموا من مخرج لفظه عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن مقصده انه اراد الوصية لهم بذلك والامر بدفنه حيث يقبض.

قال أبو جعفر: ثم دخل الناس فصلوا عليه ارسالاً الرجال حتى إذا فرغ الرجال ادخل النساء، حتى إذا فرغ النساء، ادخل الصبيان، ثم ادخل العبيد، ولم يأمهم امام، ثم دفن عَلَيْهِ السَّلَامُ وسط الليل من ليلة الاربعاء.

قال أبو جعفر: وروت عروة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عايشة قالت: ما علمنا بدفن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حتى سمعنا صوت المساحي في جوف الليل ليلة الاربعاء.

قلت: وهذا أيضًا من العجايب، لانه إذا مات يوم الاثنين وقت ارتفاع الضحى كما ذكر في الرواية ودفن ليلة الاربعاء ووسط الليل فلم يمض عليه ثلاثة أيام كما وردت به تلك الرواية، وأيضًا فمن العجب كون عايشة وهو في

بيتها لا تعلم بدفنه حتى سمعت صوت المساحي اترى اين كانت وسألت عن هذا جماعة، فقالوا قد كانت في بيت يجاور بيتها عندها نساء كما جرت عادة أهل البيت وتكون قد اعتزلت بيتها وسكنت ذلك البيت، لان بيتها مملو بالرجال من بيت رسول الله ﷺ وغيرهم من الصحابة، وهذا قريب، انتهى[1].

أقول: لينظر العاقل اللبيب والموفق المصيب إلى ما في هذه الاخبار المذكورة من الاختلاط والاختباط، والشيء على غير صراط، وهذا دأبهم وطريقتهم وعادتهم وسجيتهم لا يستنكفون من نقل المناكير، ولا يأبون من النكير بما يعلم وجهه وكذبه الصغير والكبير.

وكيف كان فنقول: اما حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ففيه:

أولاً: ان الحميدي قد روى في مسند عايشة في الحديث الثالث والسبعين من المتفق عليه في رواية أبي اسامة، ومحمد بن حرب، عن عايشة، عن النبي ﷺ انه ليتفقد في مرضه فيقول: أين أنا اليوم؟ أين أنا غدًا؟ استبطاء ليوم عايشة، قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري[2].

وهذا الخبر كما ترى يدل على انه ﷺ في مرضه انما ينتقل إلى بيتها في يومها خاصة حتى انه ليسأل عن الايام استبطاء ليومها، وانه قبض في يومها، والحديث المروي عنها في الشرح يدل على ان انتقاله إلى بيتها كان قبل يومها

١- شرح نهج البلاغة ٣٦/١٣ — ٤٠.

٢- صحيح مسلم ١٣٧/٧، صحيح البخاري ١٠٦/٢.

قال في لسان العرب: السحر الرئة، والسحر ايضًا الكبد، والسحر سواد القلب ونواحيه، وقيل: هو القلب. ﴿المحقق﴾.

بايام عديدة، وان ازواجه آثرنه بايامهن يقضيها في بيت عايشة، وأي الحديثين الصادق منهما؟ وايهما الكاذب؟ والجميع في صحاحهم المشتملة على امثال هذه العجايب.

وثانيًا: ان ما تضمنه من اخفاء عايشة لاسم أمير المؤمنين عليه السلام لشدة كراهتها له وبغضها حتى انها لا تطيق ذكر اسمه على لسانها كما افصح به كلام ابن عباس، فهو اوضح شاهد عليها باستحقاق النار والعذاب رغمًا على انف الشارح المرتاب الذي يدعي في غير موضع انهما من أهل الجنة بلا ارتياب، إذ بلوغ مرتبة بغضه عليه السلام إلى هذا المقدار دليل على كون صاحبها من أهل النار كما استفاضت به اخبار الطرفين، واجتمع عليه علماء الفريقين من ان بغضه كفر ونفاق، وحبه ايمان بالاتفاق، وهذا الخبر وامثاله مما تقدم مؤيد لما روته الشيعة الامامية، وقد تقدم أيضًا من انه لما قتل علي عليه السلام سألت عن قاتله فاخبروها انه عبد الرحمن بن ملجم فسمت غلامًا لها عبدالرحمن تيمنًا باسم عبد الرحمن قاتله عليه السلام، وما رواه الحافظ البرسي أيضًا في كتاب مشارق الانوار من انه لما قدم الحسن عليه السلام المدينة جاءت النسوة يعزونه بامير المؤمنين عليه السلام ودخلت عليه ازواج النبي صلى الله عليه وآله فقالت عايشة: يا أبا محمد ما فقد جدك الاّ يوم فقد أبوك، فقال لها الحسن عليه السلام: نسيت نبشك في بيتك بغير قبس حتى ضربت الحديدة كفك حتى صارت جرحًا إلى الآن تبغين جرارًا خضرًا فيها ما جعلت من خيانة حتى اخذت منها اربعين دينارًا عددًا لا تعلمين لها وزنًا ففرقتيها في مبغضي علي من تيم وعدي قد تشفيت بقتله، فقالت: قد كان

ذلك[1].

وثالثًا: ان ما ادعته من ان النبي صلى الله عليه وآله مات بين سحرها ونحرها فهو كذب محض من جملة أكاذيبها الواضحة وزلاتها الفاضحة كما قدمنا ذكره وبيانه، ويأتي ان شاء الله تعالى ما يستند اركانه.

وأما حديث عبد الله بن مسعود ففيه انه إذا كان هذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله عند موته من ان منقلبه إلى سدرة المنتهى، وإلى الرفيق الاعلى، وإلى جنة المأوى، والعيش الاهنى، فما بال من رووا في حقه انه لو كان نبيًا بعده لكان عمر، وانه ما ابطأ عنه جبرئيل الاّ ظن انه عدل عنه إلى عمر، وانه لو لم يبعث لبعث عمر، وامثال ذلك مما سلف نقله، وعمر يقول عند موته تلك الاقوال المؤذنة بالهلاك والوقوع في ضنك الاشراك وضيق الشباك، وهو قرينه صلى الله عليه وآله في مرتبة النبوة والرسالة بمقتضى تلك الاخبار، الاّ انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

وأما قول هذا الشارح الضال العجب لهم كيف لم يقولوا في تلك الساعة فمن يلي أمرنا بعدك إلى آخره ففيه:

أولاً: ان هذا المقام ليس بمحل عند المؤمن المتدين للعجب لما تقدم منه صلى الله عليه وآله على العموم والخصوص كما عرفت في المقصد الأول من المقدمة وفي تضاعيف ابحاث هذا الكتاب بما لا يبقى معه شك ولا ارتياب الاّ لكل معاند مرتاب، وانما العجب من ضلاله وتيهه في اودية الغواية التي قد تجاوز

١- البحار ٢٧٦/٣٢، نقلاً عن مشارق الانوار للبرسي.

فيه الغاية والنهاية، فانه قد نقل من الاخبار الدالة على النص في الجزء المتقدم ما اوجب اعترافه بالنص ولكن دافع ذلك لعناده باستبعاده مخالفة الصحابة لنصه صلى الله عليه وآله، وقد املا عليه شيخه النقيب ما يظهر منه العجب العجيب كما قدمنا جميعه مستوفى بحمد الله سبحانه ومبرهنًا مبينًا.

وثانيًا: ان حديث ابن عباس قد تكفل بدفع هذا الالتباس فانه ينادي بمنع الرسول صلى الله عليه وآله من كتابة ذلك الكتاب الذي قد اعترف امامه عمر في الجزء المتقدم انما كان لارادة النص على علي عليه السلام ولكن منع منه بزعمه حيطة على الإسلام، فكيف يبقى للسؤال هنا مجال ليهدر بما هدر به من الضلال.

وثالثًا: ان قوله انه لا يدري في هذا المقام ما يقول دليل على انه دائمًا في تيه الحيرة يجول، وقد تقدم له في شرح قوله عليه السلام الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم إلى آخره، نظير هذه الحيرة حيث قال: قلت: هذا الموضع مشكل وان صح ان عليًا عليه السلام قاله، قلت: كما قال، ثم تمحل لكلامه عليه السلام من المحمل الركيك الواهي ما رجع به في حافرته من الوقوع في اضلاله الغير المتناهي، وسيأتي أيضًا في شرحه لكتاب علي عليه السلام إلى أهل مصر مثل هذا الكلام الدال على عكوفه على الضلال وحيرته في تيه الاوهام مع سطوع نور الحق له، وانجلاء غياهب الظلام، وهذا ديدنه متى بهر نظره نور الحق، وظهر له أي ظهور، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

وأما حديث ابن عباس الوارد في الكتاب وما قيل له صلى الله عليه وآله في جوابه من قبيح الخطاب، فقد تقدم الكلام فيه مستوفى بما يفصح عن كفر ابن

الخطاب ومن ساعده من اولئك الاصحاب، وان تكلف هذا الناقل في حديثه هذا ما تكلفه لاصلاح هفوات امامه التي لا يسترها ساتر ولا حجاب.

وأما حديث ابن عباس الآخر وقولهم عنه قول العباس لعلي عليه السلام اذهب إلى رسول الله فسئله فيمن يكون هذا الامر إلى آخره.

ففيه: انه يكذبه باوضح تكذيب لا يخفى على من له من الفهم ادنى حظ ونصيب ما تقدم في الاخبار المتقدمة في الجزء المتقدم في الجزء المتقدم عن ابن عباس الدالة على النص فضلاً عما قدمناه في مقدمة الكتاب، ومن جملة الاخبار المتقدمة في الجزء المشار اليه قول ابن عباس لعمر بعد نقله عن علي عليه السلام دعوى النص عليه وازيدك اني سألت ابي عن ذلك فقال صدق، ثم ان هذا الخبر مما تعلق به بعض طغام العامة على عدم النص على علي عليه السلام، وقد وقفت فيه على كلام لشيخنا مفيد الطائفة المحقه ورئيس الفرقة المحقة حيث قال في كتاب الفصول: وقد سأل المخالفون في شيء يتعلق بهذا الفصل عن سؤال لم اجد لاحد من اصحابنا فيه جوابًا، وهو انهم قالوا إذا زعمتم ان النبي صلى الله عليه وآله نص على أمير المؤمنين عليه السلام بالامامة، وبين عن فرض طاعته ودعا الامة إلى اتباعه، فما معنى قول العباس بن عبد المطلب ﴿رحمة الله عليه﴾ لأمير المؤمنين عليه السلام في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله يابن اخ ادخل معي إلى النبي صلى الله عليه وآله فسئله عن الامر من بعده، هل هو فينا فتطمئن قلوبنا، أم هو في غيرنا فيوصي بنا، فدخلا عليه فسأله العباس عن ذلك فلم يجبه هل فيهم أو في غيرهم، وقال لهما على روايتكم معشر الشيعة انتم المظلومون وانتم المقهورون.

فيقال لهم: اخطأتم الغرض في معنى هذا المقال وضللتم عن المراد منه، وذلك ان العباس انما سأل النبي صلى الله عليه وآله عن كون الامر فيهم بعده وتسليم الامة لهم، وهل المعلوم عند الله تمكينهم منه وعدم الحيلولة بينهم وبينه فيطمئن ذلك قلبه ويسكن إلى وصوله إلى غرضه، وعدم المنازع وتمكنهم من الامر، أو يغلبون عليه ويحال بينهم وبينه، فيسأل النبي صلى الله عليه وآله ان يوصي بهم في الاكرام والاعظام، ولم يك في شك من الاستحقاق والإختصاص بالحكم، ألا ترى إلى جواب النبي صلى الله عليه وآله بانكم المقهورون، أنتم المضطهدون، فجميع هذه الالفاظ جاءت بها الرواية، إلى [آخر] كلامه زيد في اكرامه[1].

وهذا المعنى هو الذي تجتمع عليه الاخبار التي اشرنا اليها آنفًا.

وأما احاديث اللدود فهو من مخترعات القوم تبعًا لعايشة في اكاذيبها ومزخرفاتها واضاليلها وترهاتها، ولو كان لها اصل لوجدت في أخبار أهل بيته الاطهار الذين هم اعرف وادرى بما جرى من احواله ﴿صلوات الله عليه وعليهم﴾، ويدل على ذلك باوضح دلالة اختلاف اخبارها في المقام حتى تعجب منه هذا الشارح الضال الذي يدب عن اخبارها بجده وجهده في غير مجال.

وأما حديث الارقم بن شرحيل وما تضمنه من النقل عن ابن العباس من انه صلى الله عليه وآله مات ولم يوص إلى علي عليه السلام فكذبه اظهر من ان يخفى.

أما أولاً: فلما تقدم في الجزء المتقدم عن ابن عباس مما جبه عمر

١- الفصول المختارة للمفيد/٢٥٢.

واسكته واخرس شقاقه وبهته باظهار النص على علي عليه السلام كما عرفت.

وأما ثانيًا: فلما تقدم في المقدمة أيضًا من الأخبار المستفيضة على انه عليه السلام وصيه، وبه اعترف الشارح في الشرح ونقل من الأشعار والاراجيز الدالة على مدحه عليه السلام بهذه اللفظة حتى اعترف بالعجز عن احصائها وضيق كتابه عن استقصائها، وان كابر في حملها على غير النص بالامامة تمام المكابرة، وقد اوضحنا ثمة دلالتها على النص باوضح دلالة ظاهرة.

وأما ثالثًا: فلما تقدم أيضًا في شرح قوله عليه السلام فنظرت فاذا ليس لي معين الاّ أهل بيتي إلى آخره من الجزء الثاني في شرح المقالة الخامسة من رواية احمد بن حنبل في المسند عن أم سلمة ﴿رضي الله عنها﴾ وفيه فجعل يساره ويناجيه، ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي ذلك، الخبر.

وأما ما اشتمل عليه من أمر المرأتين وبعث كل منهما إلى ابيها منافسة وحسدًا لعلي عليه السلام فقد تقدم أيضًا مثله في الموضع المشار إليه برواية الحافظ بن مردويه وغيره، ومثله روت الشيعة أيضًا كما قدمنا ذكره في الموضع المشار إليه.

وأما ما اشتمل عليه من حديث الصلاة فقد تقدم القول فيه مستوفى.

وأما تعجب الشارح الضال وقوله ان عندي في هذه الواقعة كلام إلى آخره. ففيه: ان من عرف احوال رواياتهم وما فيها من الاضطراب والمناقضات التي لا يخفى على من نظر بعين الحق والصواب كما اوضحناه في غير موضع من هذا الكتاب لا يشك في كثرة دس الاكاذيب في أخبارهم، فان وضع

الاخبار من عايشة وأبي هريرة والاموية ومن بعدهم قد صار سنّة بينهم يعتمدون عليها في ترويج كاسدهم واصلاح فاسدهم في جميع الابواب.

وأما قول الشارح الضال ان هذا يوهم صحة ما تقوله الشيعة من ان صلاة أبي بكر كانت بأمر عايشة ففيه: ان الشيعة انما قالوا بذلك تبعًا لقول امامهم عليه السلام الذي قد نقل سابقًا عن بعض علمائهم اعترافه بذلك، فكان الاولى نسبته اليه عليه السلام كما نسبه اليه ذلك البعض الذي قدمنا نقل كلامه، لانه عليه السلام الاصل في هذه النسبة إلى عايشة، والحاضر يومئذ، والشيعة انما هم تبع له عليه السلام فيما قال، لاعتقادهم عصمته وانه مع الحق والحق معه في جميع الاحوال.

أما قوله ولا يذهب اليه فهو اظهر دليل بعد نقله ذلك عن أمير المؤمنن عليه السلام في مخالفته ونقضه عليه وان دلس باظهار حبه وتفضيله.

وأما حديث ابراهيم النخعي الدال على انه صلى الله عليه وآله بقي ثلاثة ايام حتى اربد بطنه من غير غسل ولا دفن حتى جاء أبو بكر فهو من اكاذيبهم الواضحة واساطيرهم الفاضحة.

أما أولاً: فلما وقع الاتفاق عليه من روايات الفريقين واخبار الطرفين من الامر بتعجيل الموتى إلى مضاجعهم، وانه لا ينتظر بهم غروب الشمس ولا شروقها، فكيف يجهل ذلك علي عليه السلام والعباس حتى يجعلونه صلى الله عليه وآله مثلة بين الناس.

وأما ثانيًا: فلما تقدم في روايات الجوهري في أخبار السقيفة في المقالة الثالثة من اول الجزء السادس في رواية حمله عليه السلام فاطمة عليها السلام إلى بيوت

المهاجرين والانصار واعتذارهم لها بانه لو سبق الينا قبل بيعة أبي بكر لما عدلنا به أحدًا من قول علي عليه السلام ما كنت اترك رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته ميتًا لا اجهزه واخرج إلى الناس انازعهم في سلطانه.

وأما ثالثًا: فلما تقدم في روايات الجوهري في الموضع المشار اليه من ان ابا بكر يوم موت النبي صلى الله عليه وآله كان حاضرًا في المدينة، وانه عجل مع عمر إلى السقيفة لما سمع باجتماع الانصار فهما لبيعة سعد بن عبادة، والعجب ولا عجب من هؤلاء الضلال الذين قد تهافتوا في نار الضلال كأنهم لا يستطيعون ان يثبتوا لابي بكر أو عمر منقبة الاّ بالطعن في الرسول ونسبته إلى ما يقتضي الهوان له والخمول كما عرفته سابقًا من أخبار الغناء والرقص في المسجد، وخبر الشاعر، ونحوها قاتلهم الله ما اجرأهم على الكذب والبهتان حتى صار لهم دينًا من الاديان، ومن أبو بكر يومئذ في الناس حتى يترك الرسول صلى الله عليه وآله بين عمه وابن عمه واهله فلا يكشف عن وجهه احد حتى صار مثله انتظارًا لمجيء أبي بكر.

وأما قول الشارح الضال والصحيح ان دخول أبي بكر اليه وكشفه عن وجهه إلى آخره ففيه: ما قدمنا بيانه وشيدنا اركانه في شرح المقالة الثانية في شرح قوله عليه السلام ولقد علم المستحفظون من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله إلى آخره من الجزء العاشر من أن أبا بكر لم يحضر تجهيز النبي صلى الله عليه وآله ولا الصلاة عليه ولا دفنه ولا احد من اصحاب السقيفة فانهم لم يفرغوا من النزاع والجدال والشقاق الاّ بعد دفن النبي صلى الله عليه وآله وقد تقدم أيضًا في اخبار السقيفة انه انما كان

همتهم بعد البيعة في السقيفة وانصرافهم منها إلى جر الناس إلى البيعة وجبرهم عليها وصعود منبر الرسول صلى الله عليه وآله كما تقدم في خبر البرّاء وغيره.

وأما تأويل الشارح المارد في ترك علي عليه السلام لتجهيز الرسول صلى الله عليه وآله على تقدير صحة الخبر بذلك التأويل البارد ففيه:

أولاً: انه إذا كان الخبر قد بطل عنده وظهر كذبه من حيث تضمنه لانتظار مجيء أبي بكر وأبو بكر انما كان منزله على نصف فرسخ من المدينة، واستبعد خفاء علمه بموت النبي صلى الله عليه وآله حتى تمضي ثلاثة أيام حتى قال أنا لا اصدق ذلك ولا يسكن اليه قلبي فكيف يقول هنا وبقي الاشكال إلى آخره ويجيب عنه بما تمحله من هذه الخرافات الفاسدة، وهذا الاشكال انما يترتب على صحة الخبر وهو قد رده وابطله.

وثانيًا: بما عرفته من دلالة الاخبار على انه عليه السلام بعد الموت بلا فصل اشتغل بتجهيزه عليه السلام والقوم مشغولون بالنزاع على البيعة في السقيفة.

وثالثًا: انه حاشا علي عليه السلام من هذا الظن السيء الذي هو من قبيل ان بعض الظن اثم بان يترك ابن عمه ومحجة قلبه جيفة بين الناس يتأذى به الناظر فضيحة ومثلة عند كل حاضر يطمع التشفي من أبي بكر، ارأيت ان عثرات أبي بكر يومئذ كانت قليلة وقبائحه ضئيلة ولكنه لاجل اطرائه أبا بكر وتعظيمه اياه يهدر بهذه الترهات الهمجة والتخرصات السمجة.

وأما حديث الدفن وما نقل عن أبي بكر في ذلك فكذبه اوضح من ان يحتاج إلى البيان لما عرفت من الاخبار واعتراف جملة من علمائهم بان أبا بكر

كانت همته بعد موته صلى الله عليه وآله مصروفة الى النزاع على الخلافة في السقيفة، وانه لم يفرغوا حتى دفن صلى الله عليه وآله وفاتهم الصلاة عليه وحضور تجهيزه كما تقدم اعتراف صاحب المواقف وشارحه بذلك، ومثله الكوشجي في شرح التجريد، وابن حجر في الصواعق وغيرهم.

وأما حديث عروة بنت عبد الرحمن عن عايشة فهو من جملة اكاذيبها الفاحشة وليس بمحل للعجب كما ذكره هذا الضليل الذي طرفه عن نظر الحق كليل، والله الهادي إلى سواء السبيل.

قال: الاصل، ومن خطبه له عليه السلام فمن الايمان ما يكون ثابتًا في القلوب، الى ان قال عليه السلام: والهجرة قايمة على حدها الاول ما كان لله في اهل الارض حاجة من مستسر الامة ومعلنها، لا يقع اسم الهجرة على احد الاّ بمعرفة الحجة في الارض، فمن عرفها أو اقر بها فهو مهاجر، ولايقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها اذنه ووعى قلبه، ان أمرنا صعب مستصعب لايحتمله الاّ عبد امتحن الله قلبه بالايمان، ولا يعي حديثنا الاّ صدور أمينة واحلام رزينة.[1]

شرح: بعد كلام في المقام وثالثها قوله صلى الله عليه وآله والهجرة قايمة على حدها الأول.

فنقول: هذا الكلام يختص به أمير المؤمنين عليه السلام وهو من اسرار الوصية، لان الناس يروون عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا هجرة بعد الفتح فشفع عمه العباس

١- شرح نهج البلاغة ١٠١/١٣.

في نعيم بن مسعود الاشجعي ان يستثنيه واستثناه، وهذه الهجرة التي يشير أمير المؤمنين عليه السلام انها ليست تلك الهجرة بل هي الهجرة إلى الإمام، قال انها قائمة على حدها الأول ما دام التكليف باقيًا، وهو معنى قوله ما كان لله تعالى في أهل الأرض حاجة، ثم ذكر انه لا يصح ان يعد الإنسان من المهاجرين الاّ بمعرفة امام زمانه، وهو معنى قوله الاّ بمعرفة الحجة في الأرض، قال فمن عرف الامام واقر به فهو مهاجر، قال ولا يجوز ان يسمى من عرف الامام مستضعفًا يمكن ان يشير به إلى آيتين في القرآن احداهما: قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾[١].

والمراد على هذا انه ليس من عرف الامام وبلغه خبره مستضعف كما كان هؤلاء مستضعفين وان كان في بلده واهله لم يخرج ولم يقتحم مشقة السفر إلى الإمام.

وثانيتهما: قوله تعالى في السورة التي فيها الآية المذكورة ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾[٢].

١- النساء/٩٧.

٢- النساء/٩٨-٩٩.

فالمراد على هذا ليس من عرف الامام وبلغه خبره بمستضعف كهؤلاء الذين استثناهم الله من الظالمين، لان اولئك كانت الهجرة بالبدن مفروضة عليهم وعفى عن ذوي العجز عن الحركة منهم، وشيعة الامام ليست الهجرة بالبدن مفروضة عليهم بل يكفي معرفتهم به واقرارهم بامامته، فلا يقع اسم الاستضعاف عليهم.

ورابعها: قوله ان امرنا صعب مستصعب، ثم ساق الكلام إلى ان قال وهذه الكلمة قد قالها مرارًا فوقفت له على خطبته في بعض الكتب من جملتها ان قريشًا طلبت السعادة فشقيت، وطلبت النجاة فهلكت، وطلبت الهدى فضلت، ألم يسمعوا ويحهم قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾[1]، فأين العدل والمنزع عن ذرية رسول الله ﷺ الذين شيد الله بنيانهم فوق بنيانهم، واعلى رؤوسهم فوق رؤوسهم، واختارهم عليهم ألا انّ افنان انا شجرتها، ودوحة انا ساقيها، وانا من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء كنا ضلالاً تحت العرش قبل البشر وقبل خلق الطينة التي كان بعضها البشر اشباحًا عالية لا اجسامًا نامية، ان امرنا صعب مستصعب لا يعرف كنهه الاّ ثلاثة ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للايمان، فاذا انكشف لكم او وضح لكم امر فاقبلوه والاّ فاسكتوا تسلموا، وردوا علمنا إلى الله فانكم في اوسع ما بين السماء والأرض، إلى آخره.

اقول: لا يخفى ما في كلام الشارح الضال من العمى او التعامي عن جادة

١- الطور/٢١.

الحق الواسعة المجال كما هي عادته في غير مقال.

أما قوله هذا الكلام يختص به أمير المؤمنين عليه السلام وهو من اسرار الوصية فكلام بارد نشأ من التحامل على أهل بيت النبوة عليهم السلام والعصبية، فان تخصيص قيام الهجرة على حدها الأول به عليه السلام دون ابنائه الائمة الكرام عليهم السلام مما ينافيه سوق الكلام كما سنوضحه ان شاء الله تعالى بما يرفع عنه حجاب الابهام والوصية التي لاجلها سمي أمير المؤمنين عليه السلام بالوصي انما هي عبارة عن الامامة والخلافة كما قدمنا ايضاحه في صدر الكتاب، والاسرار التي ذكرها وكذا جملة العلوم الموصية التي أوعزها صلى الله عليه وآله انما هي من لوازم الخلافة وتوابعها، لانه يجب عندنا في خليفته ونائبه ان يكون مستكملاً لجميع العلوم اسرارها وظاهرها بل كلما يجب له ويثبت عدا النبوة كما يدل عليه حديث المنزلة، نعم الخلافة عندهم التي هي عبارة عن مجرد الملك الدنيوي والرياسة ولو بالقهر والغلبة بحق كانت أو باطل لا يشترط فيها ذلك.

وأما قوله انها قائمة على حدها الأول ما دام التكليف باقيًا فهو اوضح شاهد على صحة ما ذكرنا وبطلان ما ادعاه، فانه لا معنى لقيام الهجرة إلى الامام مدة بقاء التكليف الاّ بوجود امام في كل زمان من ازمنة التكليف، وانه يجب على المكلفين الهجرة إليه، فكيف يتم دعواه، بان هذا الكلام مختص بأمير المؤمنين ويدعي اختصاص وجوب الهجرة إلى الامام به عليه السلام خاصة دون من بعده من أولاده عليهم السلام.

وأما قوله في تفسير قوله عليه السلام لا يقع اسم الهجرة على أحد الاّ بمعرفة

الحجة في الأرض، ان معناه انه لا يصح ان يعد الإنسان من المهاجرين الاّ بمعرفة امام زمانه، فهو مؤكد لما ذكرناه باوضح تأكيد، ومشيد له باعظم تشييد، فانه دال على انه لا بد لله تعالى من حجة في الأرض مدة بقاء الأرض، ولا بد من الامام في كل زمان من ازمنة التكليف، وهذا الضال يغمض عينه عن هذا الكلام الذي هو في الطعن عليه وعلى اصحابه امضى من حد السهام، وينبغي ان يقال له من هو الحجة وامام الزمان بعد أمير المؤمنين عليه السلام إلى انقضاء التكليف، أهم فجرة بني أمية وفسقة بني العباس وكل من لبس بعدهم هذا اللباس وتأمر بحق أو باطل على الناس، اهؤلاء حجج اهل الدين عناهم أمير المؤمنين عليه السلام في الكلام، فان كابر وقال نعم فينبغي ان يبين وجه حجيتهم أهو بشرب الخمور وارتكاب الفجور، ام هو بالجهل باحكام الدين حتى انهم انما يلتجئون إلى قضاة ينصبونهم للمسلمين، ما هذا الاّ عمى عن صريح الحق الواضح البيّن.

لقد اسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لا حياة لمن تنادي
ونار لو نفخت بها اضاءت ... ولكن انت تنفخ في رماد

أما قوله: قال: ولا يجوز ان يسمى من عرف الامام مستضعفًا، يمكن ان يشير به إلى آيتين إلى آخره ففيه: ان معنى كلامه عليه السلام لا يهتدي اليه الاّ من وقف على اخبارهم عليهم السلام في هذا المجال، وشرب من عذب تيار بحر علومهم الزلال لا مثله وامثاله من الضلال، وذلك فانه استفاضت اخبار الآل عليهم

صلوات ذي الجلال بتقسيم الناس بالنسبة إلى الامامة إلى ثلاثة اقسام مؤمن وهو المقر بها، وكافر وهو المنكر لها، ومستضعف وهو من لم يعرف ولم ينكر، وفي أكثر الاخبار التعبير عنهم باهل الضلال، والمراد بهم كما يستفاد من الاخبار ما هو اعم من ان يكون عدم معرفتهم بالامامة لقصور عقلهم كالنساء والبله والصبيان، أو لعدم سماعهم صيت الامامة بالكلية كأكثر الناس في الصدر الأول كما يدل عليه حديث صاحب الثريد المروي في الكافي[1]، وظاهر جملة من الاخبار ان هؤلاء الضلال من المرجئين لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم، بل ظاهرها انه تاب عليهم ويدخلون الجنة وذلك لعدم قيام الحجة عليهم اما لعدم العلم بالامامة وعدم سماعها أو لضعف عقولهم، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام جار على ما استفاضت به تلك الاخبار من ان المستضعف الذي يكون معذورًا انما هو من لم تبلغه الحجة ويقوم عليه الدليل بالامامة، وهو أعم من الجاهل بالامامة بالكلية، والمستضعف الذي يقصر فهمه ويضعف عقله كالذين اشارت اليهم الآية لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، واما من بلغه الدليل وقامت عليه الحجة فسمعتها اذنه ووعاها قلبه كجميع علماء المخالفين في جميع الازمان ورعاعهم واتباعهم الذين قد سمعوا بصيت الامامة والنزاع والخلاف فيها وجمدوا على تقليد الآباء والاسلاف، وقابلوا ادلة الامامة بالتأويلات الباردة والتخريجات الشاردة كهذا الشارح وامثاله، فانهم غير معذورين.

١- الكافي ٣٤٩/٥، باب مناكحة النصاب والشكاك، ح٧ و ٩ و ١٠.

إذا عرفت ذلك فاعلم ان الآية التي تدخل في هذا المقام انما هي الآية الثانية من الآيتين اللتين اوردهما الشارح كما ورد بذلك تفسيرها عن أهل البيت عليهم السلام من ان المراد بها انهم لا يستطيعون حيلة إلى الكفر ولا يهتدون سبيلاً إلى الايمان، فعن الباقر عليه السلام قال: لا يستطيع حيلة يدفع بها عنه الكفر، ولا يهتدي سبيلاً إلى الايمان[1].

وعن الصادق عليه السلام قال: لا يستطيعون حيلة إلى النصب فينصبون، ولا يهتدون سبيلاً إلى الحق فيدخلون فيه[2].

وأما الآية الاولى فالمستضعف فيها انما المراد به المقهور المضطهد المغلوب، ومرادهم بقولهم كنا مستضعفين أي كنا مغلوبين مقهورين من أهل الشرك لا نتمكن من اظهار الدين والقيام به، فلهذا اجيبوا حيث لم يكن ذلك عذرًا شرعيًا لهم بانه ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا وتخرجوا من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وتظهروا شعائره وتقوموا به احسن القيام كما امر به الملك العلام، وهذا ليس له ربط بكلامه عليه السلام في هذا المقام كما لا يخفى على ذوي الافهام.

وأما ما نقله عنه عليه السلام في خطبته التي وقف عليها وعمى او تعامى عما اشتملت عليه من الكلمات الدالة على ضلاله ولم يهتد اليها.

فنقول في بيان معناها: انه لا يخفى على كل ذي فهم سديد ما في هذا

١- تفسير الصافي ٤٩٠/١.

٢- معاني الاخبار/٢٠١.

الكلام من الذم الشديد لكل من حاد عنه عليه السلام وعن ذريته الطاهرة أو يحيد، فان قريشًا وان كان محملاً شاملاً للجمع الاّ انه انما رمز به للرؤساء والكبراء واصحاب الولايات الذين تصدروا عليه واخرجوا الامر عنه وعن أهل بيته، وكانوا الاصل والاساس في كل ظلم والتباس وما جرى في الدين من الانطماس والانعكاس كما ينادي به قوله عليه السلام ألم يسمعوا ويحهم قوله تعالى وبيانه عليه السلام معنى الآية بما يدل على انهم المعنيون بها، وقوله عليه السلام فأين المعدل والمنزع عن ذرية الرسول صلى الله عليه وآله إلى آخره الدال كما ترى بأوضح دلالة واصرح مقالة على انه عليه السلام وذريته الطاهرين هم اولوا الامامة والخلافة، والاحق بالتقدم والتصدر على الكافة وان من تقدمهم متصف بالشقاوة والهلاك والضلال، فأي كلام يريد هذا الضال في ثبوت امامته عليه السلام وامامة ابنائه الكرام وهلاك من تقدمهم في المقام اوضح من هذا الكلام، انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

قال شيخنا المحقق قدوة المتكلمين وثالث المعلمين والفيلسوف الشيخ ميثم البحراني ﴿نوّر الله مرقده﴾ في شرح الكتاب بعد كلام متقدم في المقام: الثالث: قوله والهجرة قائمة على حدها الأول لما كانت حقيقة الهجرة ترك منزل إلى منزل آخر لم يكن تخصيصها عرفًا بهجرة الرسول صلى الله عليه وآله ومن تبعه وهاجر اليه من مكة إلى المدينة مخرجًا لها عن حقيقتها وحدها اللغوي إذ كان أيضًا كل من ترك منزله إلى منزل آخر مهاجرًا.

إذا عرفت ذلك فنقول: ان مراده عليه السلام من بقاء الهجرة على حدها الأول

بقاء صدقها على من هاجر اليه وإلى الائمة من أهل بيته في طلب دين الله، وتعرف كيفية السلوك إلى صراطه المستقيم كصدقها على من هاجر إلى الرسول ﷺ، وفي معناها ترك الباطل إلى الحق، وبيان هذا الحكم بالمنقول والمعقول، أما المنقول فمن وجهين:

أحدها: قوله تعالى ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[1] فقد سمى من فارق رهطه وعشيرته في طلب دين الله وطاعته مهاجرًا، وقد علمت في اصول الفقه ان من للعموم فوجب ان يكون كل من سافر لطلب دين الله من معاديه مهاجر.

الثاني: قول الرسول ﷺ المهاجر من هاجر ما حرم الله عليه، وظاهر ان من هاجر معصية الائمة إلى طاعتهم والاقتداء بهم فقد هاجر ما حرم الله عليه، فكان اسم الهجرة صادقًا عليه.

وأما المعقول فلأن المفارق لوطنه إلى الرسول ﷺ مهاجرًا، فوجب ان يكون المفارق لوطنه إلى من يقوم مقامه من ذريته الطاهرين مهاجرًا لصدق حد الهجرة في الموضعين، ولان المقصود ليس الاّ اقتباس الدين وتعرف كيفية سبيل الله، وهذا المقصود حاصل ممن يقوم مقام الرسول ﷺ من الائمة الطاهرين بحيث لا فرق الاّ النبوة والامامة، ولا مدخل لاحد هذين الوصفين في تخصيص مسمى الهجرة ممن قصد الرسول ﷺ دون من قصد الائمة، فوجب عموم صدقه على من قصدهم.

١- النساء/١٠٠.

فإن قلت: هذا معارض بقوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لا هجرة بعد الفتح حتى شفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الاشجعي ان يستثنيه فاستثناه.

قلت: يحمل ذلك على انه لا هجرة من مكة بعد فتحها إلى المدينة توفيقًا بين الدليلين، وسلب الخاص لا يستلزم سلب العام.

واعلم ان فائدة هذا القول الدعوة إلى الدين واقتباسه منه ومن أهل بيته عَلَيْهِ السَّلَامُ بذكر الهجرة والتنبيه بها وما تستلزمه من الفضيلة على ان التارك لاهله ووطنه اليهم طلبًا للدين منهم ملحق بالمهاجرين الاولين في مراتبهم وثوابهم[1].

إلى ان قال قُدِّسَ سِرُّهُ: الخامسة: قوله لا تقع اسم الهجرة إلى قوله قلبه اشار بالحجة في الأرض إلى امام الوقت، لانه حجة الله في أرضه على عباده يوم القيامة وشاهده عليهم، وهذا الكلام تفسير لمواقع اسم الهجرة وبيان لمن تصدق عليه، فشرط صدقها على الإنسان بمعرفته لامام وقته، وذلك لان الامام هو الحافظ للدين ومعدنه الذي يجب اخذه عنه، فيكون قصده لذلك مشروطًا بمعرفته امام الوقت، فلذلك قال لا يقع اسم الهجرة على أحد الاّ بعد معرفة الحجة في الأرض، وقوله فمن عرفها وأقر بها فهو مهاجر يحتمل ان يريد به ان شرط إطلاق اسم المهاجرة على الإنسان مشروط بمعرفة امام الوقت بالمشاهدة المستلزمة للسفر إليه كما هو الظاهر من لفظ المهاجرة، ويحتمل ان يريد ان مجرد معرفة الامام والاقرار بوجوب اتباعه والاخذ عنه وان كان بالاخبار عنه دون المشاهدة كاف في إطلاق اسم الهجرة على من عرفه كذلك دون السفر

١- شرح نهج البلاغة لميثم البحراني ١٩٥/٤ وما بعدها.

اليه كما كفى في اطلاقه على ترك ما حرم الله بمقتضى قول الرسول ﷺ والمهاجر من ترك ما حرم الله عليه، وقوله ولا يصدق اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة، أي أخبار الحجة فحذف المضاف، ويحتمل ان يريد بالحجة نفس الاخبار التي تنقل عن الامام ويجب العمل بها، انتهى كلامه علا في الفردوس مقامه[1].

أقول: وهذا المعنى هو الذي ينادي به كلامه عليه السلام بأفصح لسان ويدل عليه بأوضح دلالة وبيان لا ما مجمج به هذا الضال، وغمض عينه عنه مع ظهوره ووضوحه من هذا المقام.

ثم ان الظاهر فيما ذكره شيخنا المشار إليه من معنى الحجة هو ما قدمنا ذكره من ان المراد بالحجة هي الدليل الدال على امامة ذلك الامام دون الاخبار المروية في نفس الاحكام او ذاته عليه السلام لما عرفت من الاخبار التي اشرنا اليها آنفًا في تفسير المستضعف الدالة على ان المستضعف هو من لم يعرف الامام اما لعدم العلم به بالكلية أو لقصور عقله عن تصور الحجج والبراهين الدالة على الامامة، وحينئذ فنفي الاستضعاف يتحقق بمعرفة الامام الناشئة عن معرفة الدليل الدال على امامته، وفي قوله عليه السلام في وصف الحجة فسمعتها اذنه ووعاها قلبه بما يشير إلى المعنى الذي ذكرناه.

قال: الاصل، ومن خطبته له عليه السلام: احمده شكرًا لانعامه إلى ان قال عليه السلام: الزموا الأرض واصبروا على البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم، وهوى

١- شرح نهج البلاغة لميثم البحراني ١٩٧/٤.

ألسنتكم، ولا تستعملوا ما لم يعجله الله لكم، فان من مات منكم على فراشه وهو على معرفة ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيدًا، ووقع اجره على الله واستوجب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام اصلاته بسيفه، فان لكل شيء مدة واجلاً، إلى آخره[1].

أقول: قد غمض الشارح عينه في هذه الخطبة عن هذا الكلام في معنى قوله عليه السلام فان من مات منكم على فراشه إلى قوله مقام اصلاته بسيفه وجعل محلها المدح لهذه الخطبة وانها من اعيان خطبه وان ابن نباتة قد سرق في خطبه كثير من الفاظها ونحو ذلك، وهذا من اظهر الظاهر في ضلاله وكذبه في الاطراء على أمير المؤمنين عليه السلام بمجرد اللسان مع عدم موافقة القلب له والجنان، والوجه في تغميض عينه عنه انه قد ادعى فيما قدمناه من الجزء التاسع في شرح قوله عليه السلام قد طلع طالع، ولمع لامع، دعوى انه لا يدخل الجنة الاّ من عرف خلفائه وائمته، فجعل معرفة ائمته شرطًا في الايمان واستحقاق دخول الجنان، وهذا الكلام ينادي بصريحه على انه ليس بعد الاقرار بالتوحيد والنبوة الاّ الاقرار بحق أهل البيت، وهو اظهر ظاهر في امامتهم وانهم الركن الثالث بعد التوحيد والنبوة، إذ ليس المراد من معرفة أهل البيت الاّ المعرفة بكونهم الائمة والخلفاء والاعتراف بذلك لا مجرد معرفة اسمائهم وانسابهم وهي على حد المعرفة بالله سبحانه ورسوله التي هي عبارة عن الاعتراف بالتوحيد والرسالة، ثم ان ما ذكره عليه السلام من ان الميت على هذه العقيدة محشور في زمرة

١- شرح نهج البلاغة ١٣/١١٠.

الشهداء ومعدود في نظام السعداء امر اختصت به الشيعة الامامية ببركة ولاية أهل البيت ﴿صلوات الله عليهم﴾، وقد استفاضت بذلك أخبار الائمة الاعلام ﴿عليهم الصلاة والسلام﴾، فروى ثقة الاسلام الكليني قدس سره في الكافي بسنده عن أبي بصير قال: قلت له: جعلت فداك الراد عليّ هذا الأمر فهو كالراد عليكم؟ فقال: يا أبا محمد من رد عليك هذا الأمر فهو كالراد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الله تعالى، يا أبا محمد ان الميت منكم على هذا الأمر شهيد، قال: قلت: وان مات على فراشه؟ فقال: أي والله على فراشه حي عند ربّه يرزق[1].

وروى البرقي في كتاب المحاسن باسناده عن زيد بن أرقم، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: ما من شيعتنا الاّ صديق شهيد، قال: قلت: جعلت فداك أنى يكون ذلك وعامتهم يموتون على فرشهم؟ فقال: اما تتلو كتاب الله في الحديد ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ﴾[2] قال: قلت: كأني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله عزّ وجل قط، قال: لو كان الشهداء ليس الاّ كما تقول كان الشهداء قليلاً[3].

وروي في الكافي أيضًا عن مالك الجهني قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مالك اما ترضون ان تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفوا وتدخلوا الجنة، يا مالك انه ليس من قوم ائتموا بامام في الدنيا الاّ جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه

١- المحاسن ١/١٦٤.

٢- الحديد/١٩.

٣- المحاسن ١/١٦٣.

الاّ انتم ومن كان على مثل حالكم، يا مالك ان الميت والله منكم على هذا الأمر لشهيد بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله[1].

إلى غير ذلك من الاخبار الواضحة المنار في علو درجة الشيعة الامامية الابرار.

أقول: وهل الوجه في ذلك هو ان جملة شيعتهم المتمسكين بوثيق حبل ولايهم والمعتصمين بذروة حبهم وامامتهم يتمنون دائمًا الحضور بين ايديهم والشهادة في حروبهم، فشاركوا بذلك الشهداء الذين استشهدوا معهم، واليه يشير قول أمير المؤمنين عليه السلام واستوجب ما نوى من صالح عمله، وقامت البينة مقام اصلاته بسيفه، فان النية تقوم مقام العمل، ويحتمل أيضًا ان جملة شيعتهم لما كانوا راضين مسلّمين لهم عليهم السلام في كل ما يقع منهم، وقد استفاضت الآيات القرآنية والاخبار المعصومية بان من رضي شيئًا كان كمن اتاه من خير أو شر، وقد صار شريكًا لمن جناه، ولا ريب ان الشيعة راضين مسلمين لائمتهم عليهم السلام فيما وقع من الحروب فصاروا بذلك من جملة من باشرها، وإلى هذا الوجه يشير كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيما قدمناه في صدر الكتاب من انه لما اظفره الله باصحاب الجمل وقد قال له بعض اصحابه وددت ان اخي فلانًا كان شاهدًا ليرى ما نصرك الله به على اعدائك، فقال: اهوى اخيك معنا؟ قال: نعم، قال: فقد شهدنا، والله لقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في اصلاب الرجال وارحام النساء

١- الكافي ١٤٦/٨، ح١٢٢.

سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الايمان[1].

وروى البرقي في كتاب المحاسن عن الحكم بن عيينة قال: لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج يوم النهروان قام اليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين طوبى لنا إذ شهدنا معك هذا الموقف وقتلنا معك هؤلاء الخوارج، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد شهدنا في هذا الموقف اناس لم يخلق الله آباءهم ولا اجدادهم بعد، فقال الرجل: وكيف شهدنا قوم لم يخلقوا؟ قال: بل قوم يكونون في آخر الزمان يشركوننا فيما نحن فيه ويسلّمون لنا، فاولئك شركاؤنا فيه حقًا حقًا[2].

ومن كلامه عليه السلام في هذا الكتاب: ايها الناس انما يجمع الناس الرضا والسخط، وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالبلاء لما عموه بالرضا، فقال سبحانه ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَندِمِينَ﴾[3] فما كان الاّ ان خارت ارضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة.

وقوله انما يجمع الناس، أي في عذاب الله واستحقاق رحمته رضاهم بالمنكرات وسخطهم لها وان كان أكثرهم لم يفعل ذلك ولم يباشره، ومصداق ذلك عاقر الناقة.

قال: الاصل، أنا وضعت بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة

١- نهج البلاغة ٤٤/١، خطبة ١٢.

٢- المحاسن ٢٦١/١.

٣- الشعراء/١٥٧.

ومضر، وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وانا وليد، ضمني الى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويمشني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول قط، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به من لدن كان فطيمًا اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه، يرفع لي في كل يوم علمًا من اخلاقه، وامرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولايراه غيري، ولايجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا ثالثهما، ارى نور الوحي والرسالة، واشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان آيس من عبادته، انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الاّ انك لست بنبي وانك لوزير وانك لعلى خير[1].

شرح: بعد كلام في المقام ونحن نذكر ما ذكره أرباب السير من معاني هذا الفصل روى الطبري في تاريخه قال: حدثنا، ثم ساق سنده إلى مجاهد قال: كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب عليه السلام وما صنع الله له واراد به من الخير ان قريشًا اصابهم ازمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للعباس عمه وكان ايسر بني هاشم: يا عباس ان اخاك أبا طالب كثير العيال وقد ترى ما اصاب الناس من هذه الازمة فانطلق بنا فنخفف

١- شرح نهج البلاغة ١٣/١٩٧.

عنه من عياله، آخذ من بنيه واحدًا وتأخذ واحدًا فنكفيهما عنه، قال العباس: نعم، فانطلقا واتيا أبا طالب فقالا: انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: ان تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وبقي مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حتى بعثه الله نبيًا، فاتبعه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فأقر به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى اسلم واستغنى عنه[1].

وروى الطبري في تاريخه، ثم ساق سنده عن عباد بن عبد الله قال: سمعت عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: انا عبد الله وأخو رسول الله، وانا الصديق الاكبر، وانا الفاروق الأول، اسلمت قبل اسلام أبي بكر، لا يقولها بعدي الاّ كاذب مفتر، صليت قبل الناس سبع سنين.

وفي غير رواية الطبري انا الصديق الاكبر، وانا الفاروق الأول، اسلمت قبل أبي بكر، وصليت قبل صلاته سبع سنين.

ومن غير رواية الطبري انا الصديق الاكبر أسلمت قبل أبي بكر كأن عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يرتض ان يذكر عمر ولا رآه أهلاً للمقايسة بينه وبينه، وذلك ان اسلام عمر كان متأخرًا[2].

وروى سعيد بن جبير قال: سألت انس بن مالك فقلت: ارأيت قول عمر عن الستة ان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مات وهو عنهم راض، ألم يكن راضيًا عن

١- شرح نهج البلاغة ١٣/١٩٧ – ١٩٩.

٢- شرح نهج البلاغة ١٣/٢٠٠.

غيرهم من الصحابة؟ فقال: بلى مات وهو راض عن كثير من المسلمين ولكن هؤلاء أكثر رضى، فقلت له: وأي الصحابة كان رسول الله صلى الله عليه وآله له أحمد؟ قال: فقال: ما فيهم احد الاّ وقد سخط منه فعلاً وانكر عليه امرًا الاّ اثنان علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة، فانهما لم يقترفا منذ اتى الله بالاسلام أمرًا سخطا فيه رسول الله، قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة ليلة التي اسري به فيها وهو بالحجر يصلي، فلما قضى صلاته وقضيت صلاتي سمعت رنة شديدة فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: ألا تعلم ان هذه رنة الشيطان علم انه اسري بي في هذه الليلة إلى السماء فآيس من ان يعبد في الارض[1].

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: كان علي عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الرسالة يرى الضوء ويسمع الصوت، وقال له صلى الله عليه وآله: لولا اني خاتم الانبياء لكنت شريكًا في النبوة، فان لا تكن نبيًا فانك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الاوصياء وامام الاتقياء[2].

واما خبر الموازرة فقد رواه الطبري في تاريخه عن عبد الله بن العباس، عن علي بن العباس، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[3] على رسول الله صلى الله عليه وآله دعاني فقال: يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعًا وعلمت انه متى أُناديهم

١- شرح نهج البلاغة ٢٠١/١٣.

٢- شرح نهج البلاغة ٢١٠/١٣.

٣- الشعراء/٢١٤.

بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت حتى جاء جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد انك ان لم تفعل ما امرت به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعًا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسًا من لبن، ثم اجمع بني عبد المطلب حتى اكلمهم وافهمهم ما امرت به، ففعلت ما امرني به، ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه وفيهم اعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا اليه دعى بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآله بضعة من اللحم فشقها باسنانه، ثم القاها في نواحي الصحفة، ثم قال كلوا باسم الله تعالى فاكلوا حتى ما لهم إلى شيء من حاجة، وايم الله الذي نفسي علي بيده ان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمته لجميعهم، ثم قال اسق القوم يا علي فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعًا، وايم الله ان كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وآله ليكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لشد ما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال من الغد: يا علي ان هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل [ان] اكلمهم فعد لنا اليوم إلى مثل ما صنعت بالامس، ثم اجمعهم لي ففعلت، ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالامس، ثم اكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه جميعًا حتى رووا، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابًا في العرب جاء قومه بافضل مما قد جئتكم به، اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد امرني الله ان ادعوكم

اليه فأيكم يوازرني على هذا الامر على ان يكون أخي وصيي وخليفتي فيكم، فاحجم القوم عنها، فقلت: انا واني لاحدثهم سنًا وارمضهم عينًا، واعظمهم بطنًا، واخمشهم ساقًا، انا يا رسول الله اكون وزيرك عليه، فأعاد القول فامسكوا، واعدت ما قلت فاخذ برقبتي، ثم قال لهم: هذا أخي ووصيي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له واطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع[1].

ويدل على انه وزير رسول الله ﷺ من نص الكتاب والسنة قول الله تعالى ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي ۝ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ۝ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾[2]، وقال النبي ﷺ في الخبر المجمع على روايته بين فرق الاسلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى الاّ انه لا نبي بعدي، فاثبت له جميع مراتب هارون ومنازله من موسى، فإذن هو وزير رسول الله ﷺ وشاد ازره، ولولا انه خاتم النبيين لكان شريكًا في أمره.

وروى أبو جعفر الطبري في التاريخ أيضًا ان رجلاً قال لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين بم ورثت ابن عمك دون عمك؟ فقال علي عليه السلام: هاؤم ثلاث مرات حتى اشرأب الناس ونشروا اذنابهم ثم قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب بمكة وهم رهط كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق وضع مدًا من طعام حتى أكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر

١- شرح نهج البلاغة ٢١٠/١٣.

٢- طه/٢٩-٣٢.

فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب، ثم قال ﷺ: يا بني عبدالمطلب اني بعثت اليكم خاصة وإلى الناس عامة، فأيكم يبايعني على ان يكون أخي وصاحبي ووارثي، فلم يقم اليه أحد فقمت اليه وكنت من أصغر القوم، فقال: اجلس، ثم قال ذلك ثلاث مرات كل ذلك أقوم اليه فيقول اجلس حتى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي، فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي، انتهى.[1]

أقول: أما حديث مجاهد وقوله فيه كان من نعمة الله على علي بن ابي طالب عليه السلام إلى آخره بناء منه على ان هذا كان هو السبب التام في اسلام علي عليه السلام فهو جهل منه بعلو قدره ورفيع منزلته عند الملك العلام أو لم يعلم هذا المتخرص انه كان مع الرسول ﷺ في عالم الأرواح وعالم الضلال بين يدي الملك المتعال قبل خلق آدم بآلاف من السنين والأعوام انوارًا من نوره جل ثناؤه يسبحونه ويقدسونه، وان الله عزّ وجل قد اختاره لنبيه ﷺ وقرنه به من تلك الاوقات كما صرح به عليه السلام فيما تقدم من كلامه في سابق هذه المقالة فيما نقله الشارح عن بعض خطبه عليه السلام من قوله: واني من أحمد بمنزله الضوء من الضوء، كنا ظلالاً تحت العرش قبل البشر، وقد تقدم في المقدمة مثله في حق ذريته الغرر.

وأما حديث عبّاد بن عبد الله المتضمن لقوله عليه السلام انه الصديق الاكبر والفاروق الأول، وانه لا يدعي غيره ذلك الاّ كاذب مفتر، ففيه اوضح دلالة على كذب القوم وافترائهم في دعوى هذين الاسمين لابي بكر وعمر، ومنهم

١- شرح نهج البلاغة ٢١١/١٣.

الشارح الضال في منظومته المتقدمة التي نظمها في عقايد اصحابه المعتزلة، فقد شهد على نفسه بما نقله من هذا الخبر بانه كاذب مفتر، قد بدّل وغيّر، وسينقل الشارح فيما سيأتي قريبًا عن شيخه أبي جعفر الاسكافي في كتاب نقض العثمانية جملة من الاخبار الدالة على ما دل عليه هذان الخبران.

وأما قول الشارح بعد نقل الحديث الثاني تنزيهًا بشأن أبي بكر كأنه عليه السلام لم يرتض ان يذكر عمر إلى آخره ففيه: ان الظاهر انه عليه السلام انما خص أبا بكر بالذكر لما علمه عليه السلام من انه سيدعي جملة من اوليائه له فضيلة السبق بالاسلام عليه السلام كما سيأتي نقله قريبًا عن الجاحظ في كتاب العثمانية ونقل اخباره المزوّرة في ذلك ورد الاسكافي عليه في كتابه نقض العثمانية، كما انه اشار بقوله بعد وصف نفسه بالصديق والفاروق لا يقولها الاّ كذاب مفتر إلى ما افتروه من وصف أبي بكر وعمر بذلك.

وأما حديث سعيد بن جبير عن انس بن مالك الذي تقدم من المطاعن فيه ما اورده المهالك وصير روحه إلى زبانية مالك ففيه:

أولاً: ان قوله انه صلى الله عليه وآله أنه مات وهو راض عن كثير من المسلمين ضلال واضح مبين، فانه صلى الله عليه وآله في مرض موته قد نص على تنفيذ جيش اسامة واكد وزجر من تأخر عنه حتى لعن من تأخر عنه بمسمع منهم ومنظر، فتأخروا خلافًا على الله تعالى وعليه، وكذلك بالكتاب الذي ذكر بانهم لا يضلون بعده فتنازعوا عنده واختلفوا عليه وقابلوه باقبح الخطاب حتى طردهم من جواره واخرجهم من داره، هذا ما فعلوه في أخبارهم واصحتهم، فان كان هذا يدل

على الرضا فقد صدق في دعواه والاّ فقد افترى وكذب بضلاله وغواه.

وأما ثانيًا: فان ابا بكر قد كان في ذلك الجيش باعتراف جملة من علمائهم كما تقدم ذكره وعليه تدل أيضًا اخبارهم وقد تخلف عنه بعد الامر والحث والزجر، بل هو وصاحبه الاصل في تأخير الجيش للطمع في تقمص الخلافة، فكيف يدعي هذا الضال استثناء أبي بكر وجعله كعلي عليه السلام، وكيف كان ففي هذا الخبر رد واضح على ابن الخطاب ومن تبعه من اوليائه فيما رموا به عليًا عليه السلام من خطبته لابنة ابي جهل وانه اغضب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى خطب بذلك على المنبر كما تقدم ذكره، وكلامه عليه السلام هنا أيضًا اصرح صريح في رد ذلك الخبر المزور لقوله عليه السلام وما وجد لي كذبة في قول قط ولا خطلة في فعل.

وأما حديث الصادق عليه السلام ففيه أوضح شاهد على كونه عليه السلام الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله والقائم في الامة مقامه كما تشهد به صحاح العقول، إذ لا معنى لكونه وصي نبي بعد وصفه له بالمشاركة له في رؤية ما يراه صلى الله عليه وآله وسماع ما يسمعه، وانه لم يمنعه من مرتبة النبوة الاّ كونه تعالى قد ختمها به صلى الله عليه وآله والاّ فما عداها من مراتب الشرف والرفعة والايالة والمنعة فهو ثابت له عليه السلام الاّ ذلك فانه لا مرتبة بعد النبوة اعلى من الامامة التي قد افتخر بها الخليل عليه السلام وتطاول اليها في ذريته لما قال الله سبحانه ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[1] فقال لعظم فرحه بها وسروره ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾.

١- البقرة/١٢٤.

وحينئذ فكما كان النبي صلى الله عليه وآله اماما للخلق في حياته، وقائما بالحق يكون علي عليه السلام شريكا في ذلك بعد وفاته، وهو المشار اليه بكونه وصي نبي بل زاده على ذلك بانه سيد الاوصياء المتقدمين، وهذا بحمد الله سبحانه واضح لمن استضاء بعين بصيرته بنور الحق المبين.

وأما حديث الموازرة المنقول عن ابن عباس فهو فيما ذكرناه من امامته وخلافته بعده واضح لا شبهة تعتريه ولا التباس، ومثله الخبر الاخير الدال على اختصاصه عليه السلام بميراث رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الميراث الذي ذكره عليه السلام في هذا الخبر لا يخلو اما ان يكون ميراث المال فيلزم منه الطعن على أبي بكر فيما ادعاه ان النبي لا يورث، واما ان يكون ميراث مرتبته ومنزلته في الخلق وكونه اولى بهم من انفسهم وهي الامامة والخلافة، فيلزم الطعن على من تقدم فيها، وهذا المعنى الثاني هو الذي صرحت به كلماته عليه السلام في مقام الشكاية والتظلم من القوم كما تقدم في غير موضع من قوله حقي وارثي ونحوهما، وما ادعاه الشارح الضال فيما تقدم من حمله على ميراث العلم فمع تعسفه كما قدمنا تحقيقه سابقا أيضا يلزم منه ان لا يجوز لهم العدول عن علومه عليه السلام إلى اجتهادات ابن الخطاب ومن اقتفى اثره من اولئك الاصحاب مع انهم لا يقفون عليه ولا يرجعون إليه.

ثم العجب من هذا الشارح الضال كأنه نسى أو تناسى ما قدمه من الاقوال ونفيه الدليل على خلافته وامامته عليه السلام وتأويله ما ينقله ذلك بتلك التأويلات الشاردة وتأويله كونه وصيا بالحمل على غير الخلافة والامامة من

أمور زخرفها لدفع الشقة والملامة، وكلامه في هذا المقام كما ترى أوضح واضح في المراد لا يعتريه اعتراض ولا ايراد، فان قوله ﷺ لقومه يوازرني بان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم، وقوله ثانيًا هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا، نص صريح واخبار فصيح عن كون علي عليه السلام هو الخليفة بعده في الامة، إذ لا معنى للخليفة الاّ كونه القايم مقامه بعد فقده وعطف الخليفة في كلا الموضعين على الوصي انما هو عطف تفسيري وبيان، لان المراد من الوصاية هي الخلافة لا ما تمحله الشارح الضال عليه انما هو المحامل البالغة في السخافة، ثم انه لا يخفى ان مقام الوزارة الذي اثبته ﷺ له عليه السلام ووافق الشارح الضال عليه انما هو عن التولي لتدبير مصالح في جملة أمور المبدأ والمعاد من بعده ﷺ والمعين له على ذلك والقائم مقامه فيما هنالك، فانه ﷺ في حياته كان هو القايم بتلك الأمور والمتولي لها في الورود والصدور، فيجب ان يكون ذلك بعد موته، وهو معنى الخلافة عنه والنيابة كما لا يخفى على من وفق للانصاف واصابه.

قال: الاصل، ولقد كنت معه ﷺ لما اتاه الملأ من قريش فقالوا يا محمد انك قد ادعيت عظيمًا إلى آخره بعد كلام في المقام، وينبغي ان نذكر في هذا الموضع ملخص ما ذكره أبو عثمان الجاحظ في كتابه المعروف بكتاب العثمانية في تفضيل اسلام أبي بكر على اسلام علي عليه السلام، لان هذا الموضع يقتضيه لقوله عليه السلام حكاية عن قريش لما صدّق رسول الله ﷺ وهل يصدّقك في أمرك الاّ مثل هذا، لانهم استصغروا سنّه فاستحقروا أمر محمد

صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ حيث لم يصدقه في دعواه الاّ غلام صغير السن، وشبهة العثمانية التي قررها الجاحظ من هذه الشبهة نشأت ومن هذه الكلمة تفرعت، لان خلاصتها ان أبا بكر اسلم وهو ابن اربعين سنة وعلي عَلَيْهِالسَّلَامُ اسلم ولم يبلغ الحلم، فكان اسلام أبي بكر افضل، ثم نذكر ما اعترض به شيخنا أبو جعفر الاسكافي على الجاحظ في كتابه المعروف بنقض العثمانية وينشب الكلام بينهما حتى يخرج من البحث في الاسلامين إلى البحث في افضلية الرجلين وخصائصهما، فان ذلك لا يخلو عن فائدة جليلة ونكتة لطيفة لا يليق ان يخلو كتابنا هذا عنها، ولان كلامهما بالرسائل والخطابة اشبه وفي الكتابة ادخل واقعد، وكتابنا موضوع لذلك.

قال أبو عثمان: قالت العثمانية: أفضل الامة وأولاهما بالامامة أبو بكر بن أبي قحافة لاسلامه على الوجه الذي لم يسلم عليه أحد في عصره، وذلك ان الناس اختلفوا في اول الناس اسلامًا، فقال قوم ابو بكر، وقال قوم زيد بن حارثه، وقال قوم حباب بن الارت: وإذا تفقدنا اخبارهم واحصينا احاديثهم وعددنا رجالهم ونظرنا في صحة أخبارهم كان الخبر في تقدم اسلام أبي بكر اعم ورجاله أكثر واسانيده اصح، وهو بذاك اشهر واللفظ فيه اظهر مع الاشعار الصحيحة والاخبار المستفيضة في حياة رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وبعد وفاته، وليس بين الاشعار والاخبار فرق إذا اجتمع في حجيتها، واصل مخرجها التساعد والاتفاق والتواطؤ ولكن ندع هذا المذهب جانبًا ونضرب عنه صفحًا، اقتدار على الحجة ووثوق بالفلج والقوة ويتقصر على ادنى منازل أبي بكر وتنزل

على حكم الخصم.

فنقول: انا وجدنا من يزعم انه اسلم قبل زيد وحباب، ووجدنا من يزعم انهما اسلما قبله، فأوسط الأمور اعدلها واقربها من محبة الجميع، ورضاء المخالف ان نجعل اسلامهما كان معًا، إذ الاخبار متكافئة والآثار متساوية على ما يزعمون، وليست احدى القضيتين اولى في صحة العقل من الاخرى،[1] ثم نستدل على امامة أبي بكر بما ورد فيه في الحديث وبما ابانه به رسول الله ﷺ من غيره، فمما روى من تقدم اسلامه ما حدث به أبو داود وابن مهدي، عن شعبة وابن عيينة، عن الجريري، عن أبي هبيرة قال: قال أبو بكر: انا احقكم بهذا الامر يعني الخلافة ألست أول من صلى.[2]

وروى عباد بن صهيب، عن يحيى، عن عمير، عن محمد بن المنكدر ان رسول الله ﷺ قال: ان الله بعثني بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة، فقالوا: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت.

وروى يعلى بن عبد الله قال: جاء رجل إلى ابن عباس فسأله من كان أول الناس اسلامًا؟ فقال: اما سمعت قول حسان بن ثابت شعرًا:

إذا تذكرت شجوًا من اخي ثقة ... فاذكر اخاك أبا بكر بما فعلا

الثاني الثاني المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

١- العثمانية للجاحظ/٣، وما بعده من الكلام لم يذكر في نسخة كتاب العثمانية التي بين ايدينا، وانما ذكره ابن ابي الحديد في شرحه ٢١٥/١٣ وما بعدها.

٢- شرح نهج البلاغة ٢١٦/١٣.

وقال أبو محجن:

سبقت إلى الاسلام والله شاهد وكنت حبيسًا بالعريش مشهرا

وقال: قال كعب بن مالك في هذا أيضًا شعرًا:

سبقت أخا تيم إلى دين أحمد

وكنت لدى الغيران في الكهف صاحبا

وحدث ابن ابي شيبة، عن عبد الله بن إدريس ووكيع، عن شعبة، عن عمرو بن مرة قال: قال النخعي: أبو بكر أول من اسلم.

وروى هيثم، عن يعلى بن عطا، عن عمرو بن عنبسة قال: اتيت رسول الله، فقلت له: من بايعك على هذا الامر؟ فقال: حر وعبد، ولقد رأيتني يومئذ وانا رابع الإسلام.

قال بعض اصحاب الحديث: الحر أبا بكر والعبد بلال.

وروى الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن سليم بن عامر، عن أبي امامة قال: حدثني عمرو بن عنبسة انه سأل النبي ﷺ وهو بعكاظ فقال له: من تبعك؟ فقال: عبد وحر، أبو بكر وبلال.

وروى عمرو بن ابراهيم الهاشمي، عن عبدالملك بن عمير، عن اسيد بن صفوان صاحب النبي ﷺ قال: لما قبض أبو بكر جاء علي بن أبي طالب فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول الناس اسلامًا.

وحدث عباد، عن الحسن بن دينار، عن بشر بن أبي زينب، عن عكرمة مولى ابن عباس قالوا: علي بن أبي طالب عليه السلام أول من اسلم وإذا لقيت الذين يعلمون قالوا: أبا بكر أول من اسلم[1].

قال الجاحظ: قالت العثمانية: فان قال قائل: فما بالكم لم تذكرون علي بن ابي طالب في هذه الطبقة وقد تعلمون كثرة مقدميه والرواية فيه؟

قلنا: قد علمنا بالرواية الصحيحة والشهادة القائمة انه اسلم وهو حدث غرير، وطفل صغير، فلم نكذب الناقلين، ولم نستطع ان نلحق اسلامه باسلام البالغين، لان المقلل زعم انه اسلم وهو ابن خمس سنين، والمكثر زعم انه اسلم وهو ابن تسع سنين، والقياس ان يؤخذ بالاوسط من الروايتين وبالأمر بين الامرين، وانما نعرف حق ذلك من باطله بان نحصي سنينه التي ولي فيها بالخلافة، وسنين عثمان، وسنين عمر، وسنين أبي بكر، ومقام النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة ومقامه بمكة عند اظهار الدعوة، فاذا فعلنا ذلك صح انه اسلم وهو ابن سبع سنين، فالتاريخ المجمع عليه انه قتل في شهر رمضان سنة أربعين[2].

قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي رحمه الله: لولا ما غلب على الناس من الجهل وحب التقليد لم يحتج إلى نقض ما احتجت به العثمانية، فقد علم الناس كافة ان الدولة والسلطان لارباب مقالتهم، وعرف كل احد علو اقدار شيوخهم وعلمائهم وامرائهم، فظهور كلمتهم وقهر سلطانهم وارتفاع التقية عنهم

١- شرح نهج البلاغة ٢١٧/١٣.

٢ – العثمانية للجاحظ/٥، شرح نهج البلاغة ٢١٨/١٣.

والكرامة والجائزة لمن روى الاخبار والاحاديث في فضل أبي بكر، وما كان من تأكيد بني أمية في ذلك وما ولده المحدثون من الاحاديث طلبًا لما في ايديهم، فكانوا لا يألون جهدًا في طول ما ملكوا ان يخملوا ذكر علي عليه السلام وولده ويطفئوا نورهم ويكتموا فضلهم ومناقبهم وسوابقهم، وحملوا الناس على شتمهم وسبهم ولعنهم على المنابر، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قلة عددهم وكثرة عدوهم، فكانوا بين قتيل وشريد واسير، وهارب ومستخف ذليل، وخائف مترقب حتى ان الفقيه والمحدث والقاص والمتكلم ليتقدم اليه ويتوعد بغاية الايعاد واشد العقوبة ان يذكروا شيئًا من فضائلهم، ولا يرخصون لاحد ان يطيف بهم وحتى بلغ من تقية المحدث انه إذا ذكر حديثًا عن علي عليه السلام كنى عن ذكره فقال قال رجل من قريش، وفعل رجل من قريش، ولا يذكر عليًا عليه السلام ولا يتفوه باسمه، ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقص فضائله ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها من خارجي مارق وناصب حنق، وثابت مستبهم، وناش معاند، ومنافق مكذب، وعثماني حسود، ويعترض فيها ويطعن، ومعتزلي قد نفذ في الكلام وابصر غل الاختلاف وعرف الشبهة في مواضع الطعن وضروب التأويل قد التمس الحيل في ابطال مناقبه وتأويل مشهور فضائله، فمرة يتأولها بما لا تحتمل، ومرة يقصد ان يضع من قدرها بقياس منتقض، ولا تزداد مع ذلك الاّ قوة ورفعة ووضوحًا واستنارة، وقد علمت ان معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بني مروان ايام ملكهم وذلك نحو من ثمانين سنة لم يدعوا جهدًا في حمل الناس على شتمه ولعنه، واخفاء فضائله،

وستر مناقبه وسوابقه.

روى خالد بن عبد الله الواسطي، عن حفص بن عبدالرحمن، عن هلال بن يساف، عن عبد الله بن ظالم انه قال: لما بويع لمعاوية اقام المغيرة بن شعبة خطباء يلعنون عليًا عليه السلام فقال سعيد بن عمرو بن زيد: ألا ترون إلى هذا الرجل الظالم يأمر بلعن رجل من أهل الجنة[1].

وروى سلمان بن داود، عن شعبة، عن الحر بن الصياح قال: سمعت عبد الحر من ابن الاخنس يقول: شهدت المغيرة بن شعبة خطب فذكر عليًا عليه السلام فنال منه.

وروى أبو كريت قال: حدثنا أبو اسامة، قال: حدثنا صدقة بن المثنى النخعي، عن رياح بن الحارث قال: بينما المغيرة بن شعبة في المسجد الاكبر وعنده اناس إذ جاء رجل يقال له قيس بن علقمة فاستقبل المغيرة فسب عليًا عليه السلام.

وروى محمد بن سعيد الاصفهاني، عن شريك، عن محمد بن اسحاق، عن عمر بن علي بن الحسين، عن ابيه علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال لي مروان: ما كان في القوم ادفع عن صاحبنا من صاحبكم، قلت: فما لكم تسبونه على المنابر؟ قال: لانه لا يستقيم لنا إلاّ بذلك[2].

وروى مالك بن اسماعيل أبو غسان النهدي، عن ابن أبي سيف قال:

١- شرح نهج البلاغة ٢١٩/١٣ - ٢٢٠.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٢٠/١٣.

خطب مروان والحسن عليه السلام جالس فنال من علي، فقال الحسن عليه السلام: ويلك يا مروان اهذا الذي تشتم شر الناس؟ قال: لا، ولكنه خير الناس[1].

وروى أبو غسان أيضًا قال: قال عمر بن عبد العزيز: كان أبي يخطب فلا يزال مشمرًا حتى إذا صار إلى ذكر علي وسبه تقطع لسانه واصفر وجهه وتغير حاله، فقلت له في ذلك، فقال لقد فطنت في ذلك ان هؤلاء لو يعلمون من علي ما علمه أبوك ما تبعنا منهم رجل.

وروى أبو غسان قال: حدثنا أبو اليقظان، قال: قام رجل من ولد عثمان إلى هشام بن عبد الملك يوم عرفة، فقال: ان هذا اليوم كانت الخلفاء يستحبون فيه لعن ابي تراب[2].

وروى عمرو القناد، عن محمد بن فضيل، عن اشعب بن سواد قال: سب عدي بن ارطاة عليًا عليه السلام على المنبر فبكى الحسن البصري، وقال: قد سب هذا اليوم رجل انه لأخو رسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة[3].

وروى عدي بن ثابت، عن اسماعيل بن ابراهيم قال: كنت انا وابراهيم بن يزيد جالسين في الجمعة مما يلي أبواب كندة فخرج المغيرة فخطب فحمد الله، ثم ذكر ما شاء ان يذكر، ثم وقع في علي فضرب ابراهيم على فخذي أو ركبتي، ثم قال اقبل عليّ فحدثني فانا لسنا في جمعة الاّ تسمع ما يقول هذا.

١- شرح نهج البلاغة ٢٢٠/١٣.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٢١/١٣، وفيه: روى ابو عثمان.

٣- شرح نهج البلاغة ٢٢١/١٣.

وروى عثمان بن عبد الله الثقفي قال: حدثنا ابن ابي سيف قال: قال ابن لعامر بن عبدالله بن الزبير لولده: لا تذكروا يا بني عليًا الاّ بخير، فان بني امية لعنوه على منابرهم ثمانين سنة فلم يزده الله الاّ رفعة، وان الدين لم يبن شيئًا قط فهدمته الدنيا، وان الدنيا لم تبن شيئًا قط الاّ رجعت على ما بنت فهدمته.

وروى عثمان بن سعيد قال: حدثنا مطلب بن زياد، عن أبي بكر بن ابي عبدالله الاصفهاني قال: كان دعي لبني امية يقال له خالد بن عبد الله لا يزال يشتم عليًا، فلما كان يوم الجمعة وهو يخطب الناس قال: والله ان كان رسول الله ليستعمله وانه ليعلم ما هو ولكنه كان ختنه وقد نعس سعيد بن المسيب ففتح عينيه، ثم قال: ويلكم ما لهذا الخبيث رأيت القبر انصدع ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول كذبت يا عدو الله.

وعن عمرو القناد قال: حدثنا اسباط بن نصر الهمداني، عن السدي قال: بينما انا بالمدينة عند احجار الزيت إذ اقبل راكب على بعير فوقف فسب عليًا عليه السلام فحف به الناس ينظرون اليه إذ اقبل سعد بن أبي وقاص، فقال: اللهم ان كان سب عبدًا لك صالحًا فأر الناس خزيه، فما لبث ان نفر به البعير فسقط فاندقت رقبته.[1]

وروى عثمان بن ابي شيبة، عن عبد الله بن موسى، عن فطر بن خليفة، عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة ﴿رحمهما الله﴾ فقالت: ايسب رسول الله وانتم احياء! قلت: وانى يكون هذا، قالت: أليس يسب عليًا

١- شرح نهج البلاغة ١٣/٢٢١ – ٢٢٢.

ومن يحبه.

وروى العباس بن بكار الضبي قال: حدثنا أبو بكر النهدي، عن الزهري قال: قال ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾ لمعاوية: الاّ تكف عن شتم هذا الرجل، قال: ما كنت لأفعل حتى يربوا عليه الصغير، ويعرفه الكبير، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كف عن شتمه، فقال الناس: ترك السنة.

قال: وقد روى عن ابن مسعود اما موقوفًا عليه أو مرفوعًا كيف انتم إذا شملتكم فتنه يربو عليها الصغير، ويهرم فيها الكبير يجري عليها الناس فيتخذونها سنة، فاذا غيّر منها شيء قيل غيرت السنة[1].[2]

قال أبو جعفر: وقد تعلمون ان بعض الملوك ربما احدثوا قولاً او دينًا لهوى، فيحملون الناس على ذلك حتى لا يعرفون غيره كنحو ما اخذ الناس الحجاج بن يوسف بقراءة عثمان وترك قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب، وتوعد على ذلك بدون ما صنع هو وجبابرته بني امية وطغاة بني مروان بولد علي وشيعته، وانما كان سلطانه نحو عشرين سنة، فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان، ونشأ ابناؤهم ولا يعرفون غيرها لامساك الآباء عنها وكف المعلمين عن تعليمها حتى لو قرئت عليهم قراءة عبد الله وأبي ما عرفوها ولظنوا بتأليفها الاستكراه والاستمحان لإلف العادة وطول الجهالة،

١- أقول: في هذين الخبرين ما يشير إلى صحة ما قدمناه في تسمية العامة انفسهم بأهل السنة والجماعة من ان المراد بالسنة سنة بني امية في سب علي عليه السلام، والجماعة جماعتهم حين بويع لمعاوية بعد صلح الحسن عليه السلام فسمي عام الجماعة. ﴿منه رحمه الله﴾.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٢٢/١٣.

لانه إذا استولت على الرعية الغلبة وطالت عليهم أيام التسلط، وشاعت فيهم المخالفة، وشملتهم التقية اتفقوا على التخاذل والتساكت، فلا تزال الايام تأخذ من بصايرهم وتنقص من ضمائرهم، وتنقض من سرائرهم حتى تصير البدعة التي احدثوها غامرة للسنة التي كانوا يعرفونها، ولقد كان الحجاج ومن ولاه كعبد الملك والوليد ومن كان قبلهما وبعدهما من فراعنة بني أمية على اخفاء محاسن علي عليه السلام وفضائله وفضائل ولده وشيعته واسقاط أقدارهم احرص منهم على اسقاط قراءة عبدالله وأبي، لان تلك القراءة لا تكون سببًا لزوال ملكهم وفساد امرهم وانكشاف حالهم، وفي اشتهار فضل علي عليه السلام وولده واظهار محاسنهم بوارهم وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم، فحرصوا واجتهدوا في اخفاء فضائله وحملوا الناس على كتمانها وسترها، وأبى الله إلاّ ان يزيد امره وامر ولده الاّ استنارة واشراقًا، وحبهم الاّ شغفًا وشدة، وذكرهم الاّ انتشارًا وكثرة، وحجتهم الاّ وضوحًا وقوة وفضلهم الاّ ظهورًا، وشأنهم الاّ علوًا، واقدارهم الاّ اعظامًا حتى اصبحوا باهانتهم اياهم أعزاء، وباماتتهم ذكرهم احياء، وما ارادوا به وبهم من الشر تحول خيرًا، فانتهى الينا من ذكر فضائله وخصائصه وسوابقه ما لم يتقدمه السابقون ولا ساواه فيه القاصدون، ولولا انها كالقبلة المنصوبة في الشهرة وكالسنين المحفوظة في الكثرة لم يصل الينا منها في دهرنا حرف واحد إذ كان الامر كما وصفناه[1].

قال: واما ما احتج به الجاحظ لامامة أبي بكر بكونه أول الناس اسلامًا،

١- شرح نهج البلاغة ١٣/٢٢٣.

فلو كان هذا احتجاجًا صحيحًا لاحتج به أبو بكر يوم السقيفة، وما رأيناه صنع ذلك، لانه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجراح فقال للناس: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا منهما من شئتم، ولو كان هذا احتجاجًا لما قال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها، ولو كان احتجاجًا صحيحًا لادعى واحد من الناس لأبي بكر الامامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام، وما عرفنا أحدًا ادعى له ذلك على ان جمهور المحدثين لم يذكروا ان أبا بكر اسلم الاّ بعد عدة من الرجال منهم علي بن أبي طالب، وجعفر، وزيد بن حارثة، وأبو ذر الغفاري، وعمرو بن عنبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص، وحباب بن الارت، وإذا تاملت الروايات الصحيحة والاسانيد القوية الوثيقة وجدتها ناطقة بان عليًا عليه السلام اول من اسلم، فاما الرواية عن ابن عباس ان أبا بكر أولهم اسلامًا فقد روي عن ابن عباس خلاف ذلك بأكثر مما رووا واشهر، فمن ذلك ما رواه يحيى بن حماد، عن أبي عوانة، وسعد بن عيسى، عن أبي داود الطيالسي، عن عمرو بن ميمون، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: اول من صلى من الرجال علي عليه السلام[1].

وروى الحسن البصري قال: حدثني عيسى بن راشد، عن أبي بصير، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: فرض الله الاستغفار لعلي عليه السلام في القرآن على كل مسلم بقوله تعالى ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[2] فكل

1- شرح نهج البلاغة ٢٢٤/١٣.

2- الحشر/١٠.

من اسلم بعد علي عليه السلام فهو يستغفر لعلي عليه السلام[1].

وروى سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: السباق ثلاثة، سبق يوشع بن نون إلى موسى، وسبق صاحب يس إلى عيسى، وسبق علي عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله[2].

فهذا قول ابن عباس في سبق علي عليه السلام للاسلام وهو اثبت من حديث الشعبي واشهر على انه قد روي عن الشعبي خلاف ذلك من حديث أبي بكر الهذلي وداود بن أبي هند عن الشعبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا أول من آمن بي وصدقني وصلى معي[3].

قال: فاما الاخبار الواردة بسبقه إلى الاسلام المذكورة في الكتب الصحاح والمسانيد الموثوق بها.

فمنها: ما رواه شريك بن عبد الله، عن سلمان بن المغيرة، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود انه قال: ما علمته من امر سول الله صلى الله عليه وآله اني قدمت مكة مع عمومة لي وناس من قومي وكان في انفسنا شراء عطر فارشدنا إلى العباس بن عبد المطلب فانتهينا اليه وهو جالس إلى زمزم، فبينما نحن عنده جلوس إذ اقبل رجل من باب الصفا وعليه ثوبان ابيضان له وفرة إلى انصاف اذنيه جعدة، اشيم، اقنى، ادعج العينين، كثيف اللحية، براق الثنايا، ابيض تعلوه

١- شواهد التنزيل الحاكم الحسكاني ٣٣٥/٢.

٢- ذخائر العقبى/٥٨، الآحاد والمثاني للضحاك ١٥٠/١، ينابيع المودة للقندوزي ١٤٦/٢.

٣- شرح نهج البلاغة ٢٢٤/١٣ – ٢٢٥.

حمرة، كأنه القمر ليلة البدر، وعلى يمينه غلام مراهق او محتمل حسن الوجه تقفوهم امرأة قد سترت محاسنها حتى قصدوا نحو الحجر فاستلمه، ثم استلمه الغلام، ثم استلمته المرأة، ثم طاف بالبيت سبعًا والغلام والمرأة يطوفان معه، ثم استقبل الحجر فرفع يده وكبر وقام الغلام إلى جانبه وقامت المرأة خلفهما فرفعت يديها وكبرت فاطال القنوت، ثم ركع وركع الغلام والمرأة معه، ثم سجد وسجد الغلام والمرأة معه يصنعون مثل ما يصنع، فلما رأينا ما ننكره ولا نعرفه بمكة اقبلنا على العباس فقلنا: يا أبا الفضل ان هذا الدين ما نعرفه فيكم، قال: والله، قلنا: فمن هذا؟ قال: هذا ابن أخي، هذا محمد بن عبد الله، وهذا الغلام ابن أخي أيضًا، هذا علي بن أبي طالب، وهذه المرأة زوجة محمد، هذه خديجة بنت خويلد، والله ما على وجه الأرض احد يدين بهذا الدين الآ هؤلاء الثلاثة[1].

ومن حديث موسى بن داود، عن خالد بن نافع، عن عفيف بن قيس الكندي وقد رواه عن عفيف أيضًا مالك بن اسماعيل النهدي، والحسن بن عنبسة الوراق، وابراهيم بن محمد بن ميمون قالوا جميعًا: حدثنا سعيد بن خيثم، عن اسد بن عبد الله البجلي، عن يحيى بن عفيف بن قيس،عن ابيه قال: كنت في الجاهلية عطارًا فقدمت مكة فنزلت على العباس بن عبدالمطلب، فبينا انا جالس عنده انظر إلى الكعبة وقد تحلقت الشمس في السماء اقبل شاب كأنه في وجهه قمر حتى رمى ببصره إلى السماء فنظر إلى الشمس في السماء ساعة،

١- شرح نهج البلاغة ٢٢٥/١٣ – ٢٢٦.

ثم اقبل حتى دنى من الكعبة وصف قدميه يصلي فخرج على أثره فتى كأن على وجهه صفيحة يمانية فقام عن يمينه، فجاءت امرأة متلفعة بثيابها فقامت خلفهما فاهوى الشاب راكعًا فركعا معه، ثم اهوى إلى الأرض ساجدًا فسجدا معه، فقلت للعباس: يا ابا الفضل أمر عظيم، فقال: والله أمر عظيم اتدري من هذا الشاب؟ قلت: لا، قال: هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، تدري من هذا الفتى؟ قلت: لا، قال: هذا ابن أخي هذا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، اتدري من المرأة؟ قال: لا، قال: هذه بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى، هذه خديجة زوج محمد ﷺ، وان محمدًا هذا يذكر أن الهه إله السماء والأرض امره بهذا الدين فهو عليه كما ترى، ويزعم انه نبي وقد صدقه على قوله علي ابن عمه هذا الفتى وزوجته خديجة هذه المرأة، والله ما اعلم على وجه الأرض كلها احدًا على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة، قال عفيف: فقلت له: فما تقولون انتم؟ قال: ننظر الشيخ ما يصنع يعني أبا طالب اخاه[1].

وروى عبد الله بن موسى، والفضل بن دكين، والحسن بن عطية، قالوا: حدثنا خالد بن طهمان، عن نافع بن أبي نافع، عن مفضل بن يسار قال: كان اوصى النبي ﷺ فقال لي: هل لك ان تعود فاطمة؟ قلت: نعم يا رسول الله، فقام يمشي متوكأ عليّ وقال: اما انه سيحمل ثقلها غيرك ويكون اجرها لك، قال: فوالله كأن لم يكن عليّ من ثقل النبي ﷺ شيء، فدخلنا على فاطمة عليها السلام فقال لها رسول الله ﷺ: كيف تجدنك؟ قالت: طال سقمي واشتد

١- شرح نهج البلاغة ١٣/٢٢٦ – ٢٢٧.

حزني، وقالت لي النساء: زوجك أبوك فقيرًا لا مال له، فقال ﷺ: اما ترضين اني زوجتك باقدم امتي اسلامًا، واكثرهم علمًا، وافضلهم حلمًا، قالت: بلى يا ابتاه قد رضيت.

وقد روى هذا الخبر يحيى بن عبد الحميد، وعبد السلام بن صالح، عن قيس بن الربيع، عن أبي أيوب الانصاري بالفاظه أو نحوها[1].

وروى عبد السلام، عن اسحاق الارزق، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله ﷺ لما زوج فاطمة عليها السلام دخل النساء عليها فقلن: يا بنت رسول الله خطبك فلان وفلان فردهم عنك وزوجك فقيرًا لا مال له، فلما دخل عليها أبوها عليه السلام رأى ذلك في وجهها، فسألها فذكرت له ذلك، فقال ﷺ: ان الله أمرني فانكحتك اقدمهم سلمًا، وأكثرهم علمًا، واعظمهم حلمًا، وما زوجتك الاّ بأمر من السماء، اما علمت انه اخي في الدنيا والآخرة.

وروى عثمان بن سعيد، عن الحكم بن ظهير، عن السدي ان أبا بكر وعمر خطبا فاطمة عليها السلام فردهما رسول الله ﷺ وقال: لم أومر بذلك، فخطبها علي عليه السلام فزوجه اياها، فقال لها: زوجتك اقدم الامة اسلامًا، وذكر تمام الحديث[2].

قال: وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة منهم اسماء بنت عميس، وام ايمن، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، قال: وقد روى محمد بن عبد الله بن

١- شرح نهج البلاغة ٢٢٧/١٣.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٢٧/١٣ – ٢٢٨.

أبي رافع، عن ابيه، عن جده أبي رافع قال: اتيت ابا ذر بالربذة أودعه، فلما اردت الانصراف قال لي ولا ناس معي: ستكون فتنة فاتقوا الله وعليكم بالشيخ علي بن ابي طالب فاتبعوه، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنت أول من اسلم، وأول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وأنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، وأنت أخي ووزيري، وخير من اترك بعدي، وأنت تقضي ديني، وتنجز عدتي.

قال: وقد روى ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن نمير، عن العلا بن صالح، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الاسدي قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: أنا عبد الله، وأنا أخو رسول الله، وأنا الصديق، لا يقولها غيري الاّ كذاب، ولقد صليت قبل الناس سبع سنين.

وروت معادة بنت عبد الله العدوية قالت: سمعت عليًا يخطب على منبر البصرة ويقول: أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل ان يؤمن أبو بكر، واسلمت قبل ان يسلم[1].

وروى حبة بن جوين القرني انه سمع عليًا عليه السلام يقول: انا أول رجل اسلم مع رسول الله ﷺ.

رواه أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن حبة بن جوين، وروى عثمان بن سعيد الخزاز، عن علي بن عامر، عن أبي الجحاف، عن عليم مولى زاذان، عن زادان، قال: سمعت عليًا عليه السلام

١- شرح نهج البلاغة ١٣/٢٢٨.

يقول: صليت قبل الناس سبع سنين، وكنا نسجد ولا نركع، وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر، فقلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: امرت به.

وروى اسماعيل بن عمير، عن قيس بن الربيع، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله قال: صلّى رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء بعده.

وفي الرواية الاخرى عن انس بن مالك استنبىء النبي ﷺ يوم الاثنين واسلم علي يوم الثلاثاء.

وروى أبو رافع ان رسول الله ﷺ أول صلاة صلاها غداة يوم الاثنين، وصلت خديجة ﴿رضي الله عنها﴾ آخر نهار يومها ذلك، وصلى علي يوم الثلاثاء غد ذلك اليوم[1].

قال: وقد روى بروايات مختلفة كثيرة متعددة عن زيد بن أرقم، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك ان عليًا أول من اسلم، وذكر الروايات والرجال باسمائهم.

وروى سلمة بن كهيل عن رجاله الذين ذكرهم أبو جعفر في الكتاب ان رسول الله ﷺ قال: أولكم ورودًا عليّ الحوض أولكم اسلامًا علي بن أبي طالب.

وروى ياسين بن محمد بن ايمن، عن ابي حازم مولى بن عباس، عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول: كفوا عن علي بن أبي طالب

١- شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٢٨ – ٢٢٩.

فاني سمعت من رسول الله ﷺ فيه خصالاً لو ان خصلة منها في جميع آل الخطاب كان احب إليّ مما طلعت عليه الشمس، كنت ذات يوم وابو بكر وعثمان وعبد الرحمن وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ نطلبه فانتهينا إلى باب أم سلمة فوجدنا عليًا متكئًا على تجافة الباب فقلنا: اردنا رسول الله ﷺ فقال هو في البيت رويدكم فخرج رسول الله ﷺ فثرنا حوله فاتكأ على علي عليه السلام وضرب بيده على منكبه، فقال: ابشر يا ابن أبي طالب انك مخاصم، وانك تخصم الناس بسبع لا يجاريك أحد في واحدة منهن، أنت أول الناس اسلامًا، واعلمهم بأيام الله، وذكر الحديث[1].

قال: وقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ مثل هذا الحديث، قال: وروى أبو أيوب الانصاري عن رسول الله ﷺ انه قال: لقد صلت الملائكة عليّ وعلى علي سبع سنين، وذلك انه لم يصل معي رجل غيره.

قال أبو جعفر رحمه الله: فاما ما رواه الجاحظ من قوله ﷺ انما تبعني حر وعبد، فانه لم يسم في هذا الحديث أبا بكر وبلال، وكيف وأبو بكر لم يشتر بلال الاّ بعد ظهور الاسلام بمكة، فلما اظهر بلال اسلامه عذبه امية بن خلف، ولم يكن ذلك في حال اخفاء رسول الله ﷺ الدعوة ولا في ابتداء أمر الإسلام، وقد قيل: انه عليه السلام انما عني بالحر علي بن أبي طالب عليه السلام، وبالعبد زيد بن حارثة، روى ذلك محمد بن اسحاق قال: وقد روى اسماعيل بن نصر الصفار، عن محمد بن ذكوان، عن الشعبي قال: قال الحجاج للحسن وعنده

١- شرح نهج البلاغة ٢٢٩/١٣.

جماعة من التابعين وذكر علي بن أبي طالب: ما تقول أنت ياحسن؟ فقال: ما أقول، هو أول من صلى القبلة، واجاب دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله، وان لعلي منزلة من ربه وقرابة من رسوله صلى الله عليه وآله، وسوابق لا يستطيع ردها أحد، فغضب الحجاج غضبًا شديدًا وقام عن سريره فدخل بعض البيوت وامر بصرفنا، قال الشعبي: وكنا جماعة ما منا الآ من نال من علي عليه السلام مقاربة للحجاج غير الحسن بن أبي الحسن.[1]

وروى محرز بن هشام، عن ابراهيم بن سلمة بن محمد بن عبيد الله قال قال رجل للحسن: ما لنا لا نراك تثني على علي وتقرضه؟ قال: كيف وسيف الحجاج يقطر دمًا، انه لأول من اسلم وحسبكم بذلك.

قال: فهذه الاخبار، واما الاشعار المروية فمعروفة كثيرة منتشرة فمنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن عبد المطلب مجيبًا للوليد بن عقبة بن ابي معيط شعرًا:

وان ولي الامر بعد محمد علي ... وفي كل المواطن صاحبه
وصي رسول الله حقًا وصنوه ... واول من صلى ومن لان جانبه

وقال خزيمة بن ثابت في هذا شعرًا:

وصي رسول الله من دون اهله ... وفارسه مذ كان في سالف الزمن
واول من صلى من الناس كلهم ... سوى خيرة النسوان والله ذو المنن

١- شرح نهج البلاغة ١٣/٢٣٠ – ٢٣١.

وقال أبو سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس حين بويع أبو بكر شعرًا:

ما كنت احسب ان الامر منصرف   من هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم   واعلم الناس بالاحكام والسنن

وقال أبو الاسود الدؤلي يهدد طلحة والزبير شعرًا:

وان عليًا لكم مصحر   يماثله الاسد الاسود
اما انه اول العابدين   بمكة والله لم يعبد

وقال سعد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين شعرًا:

هذا علي وابن عم المصطفى   أول من اجابه فيما روى
هو الامام لا يبالي من غوى

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الاسدي شعرًا:

فحوطوا عليًا وانصروه فانه   وصي وفي الاسلام أول أول
وان تخذلوه والحوادث جمة   فليس لكم عن ارضكم متحول

قال: والاشعار كالاخبار إذا امتنع في مجيء القبيلتين التواطؤ والاتفاق كان ورودهما حجة.

فاما قول الجاحظ فاوسط الأمور ان يجعل اسلامهم معًا فقد ابطل بهذا ما

احتج به لامامة أبي بكر، لانه احتج بالسبق وقد عدل عنه الآن.

قال أبو جعفر: ويقال لهم لسنا نحتاج من ذكر سبق علي عليه السلام الاّ مجامعتكم إيانا على انه قد اسلم قبل الناس، ودعواكم انه اسلم وهو طفل دعوى غير مقبولة الاّ بحجة[1].

فان قلتم: دعواكم انه اسلم وهو بالغ دعوى غير مقبولة الاّ بحجة.

قلنا: قد ثبت اسلامه بحكم اقراركم ولو كان طفلاً لكان في الحقيقة غير مسلم، لان اسم الايمان والاسلام والكفر والطاعة والمعصية انما تقع على البالغين دون الاطفال والمجانين، وإذا اطلقتم واطلقنا عليه الاسلام فالاصل في الاطلاق الحقيقة، كيف وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: أنت أول من آمن بي، وأنت أول من صدقني، وقال لفاطمة: زوجتك اقدمهم سلمًا، أو قال اسلامًا.

فان قالوا: انما دعاه النبي صلى الله عليه وآله على جهة العرض لا التكليف.

قلنا: وافقتمونا على الدعاء وحكم الدعاء وحكم الامر والتكليف، ثم ادعيتم ان ذلك على وجه العرض وليس لكم ان تنقلوا معنى الدعاء عن وجهه الاّ بحجة.

فان قالوا: لعله كان على وجه التأديب والتعليم كما يعتمد مثل ذلك في الاطفال.

قلنا: ان ذلك انما يكون إذا تمكن الاسلام بأهله أو عند النشو عليه والولادة فيه، فاما في دار الشرك فلا يقع مثل ذلك لا سيّما إذا كان الاسلام غير

١- شرح نهج البلاغة ٢٣٢/١٣.

معروف ولا معتاد بينهم على انه ليس من سنّة النبي صلى الله عليه وآله دعاء اطفال المشركين إلى الاسلام والتفريق بينهم وبين آبائهم قبل ان يبلغوا الحلم، وأيضًا فمن شأن الطفل اتباع اهله وتقليد أبيه والمضي على منشأه ومولده، وقد كانت منزلة النبي صلى الله عليه وآله حينئذ منزلة ضيق وشدة ووحدة، وهذه منازل لا ينتقل اليها الاّ من ثبت الاسلام عنده بحجة ودخل اليقين قلبه بعلم ومعرفة.

فان قالوا: ان عليًا كان يألف النبي صلى الله عليه وآله فوافقه على طريق المساعدة له.

قلنا: انه وان كان يألفه فلم يكن الفه أكثر من ابويه واخوته وعمومته وأهل بيته، ولم يكن الالف ليخرجه عما نشأ عليه ولم يكن الاسلام مما غذى به وكرر على سمعه، لان الاسلام هو خلع الانداد والبراءة، فمن اشرك بالله وهذا لا يجتمع في اعتقاد طفل، ومن العجب قول العباس لعفيف بن قيس ننظر الشيخ وما يصنع، فاذا كان العباس وحمزة ينتظران أبا طالب ويصدران عن رأيه، فكيف يخالفه ابنه ويؤثر القلة على الكثرة، ويفارق المحبوب إلى المكروه، والعز إلى الذل، والامن إلى الخوف من غير معرفة ولا علم بما فيه.

فاما قوله ان المقلل يزعم انه اسلم وهو ابن خمس سنين، والمكثر يزعم انه اسلم وهو ابن تسع سنين، فاول ما يقال له في ذلك ان الاخبار جاءت في سنّه يوم اسلم على خمس اقسام فجعلها في قسمين:

القسم الأول: الذين قالوا انه اسلم وهو ابن خمسة عشر سنة

حدثنا بذلك أحمد بن سعيد الاسدي، عن اسحاق بن بشر القرشي، عن الاوزاعي، عن ضمرة بن حبيب، عن شداد بن أوس، قال: سألت حباب بن

الأرت عن اسلام علي، فقال: اسلم وهو ابن خمس عشر سنة، ولقد رأيته يصلي قبل الناس مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وهو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ[١].

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن، ان اول من اسلم علي، وهو ابن خمسة عشر سنة[٢].

القسم الثاني: الذين قالوا اسلم وهو ابن أربع عشرة سنة

رواه أبو قتادة الحراني، عن أبي حازم الاعرج، عن حذيفة بن اليمان، قال: كنا نعبد الحجر، ونشرب الخمر وعلي من ابناء أربع عشرة سنة قائم يصلي مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه ليلاً ونهارًا، وقريش يومئذ تسافه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وما يذب عنه الاّ علي عَلَيْهِ السَّلَامُ[٣].

وروى ابن أبي شيبه، عن حرب بن عبد الحميد قال: اسلم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو ابن أربع عشرة سنة[٤].

القسم الثالث: الذين قالوا وهو ابن أحدى عشرة سنة

ورواه اسماعيل بن عبد الله البرقي، عن محمد بن عمير، عن عبد الله بن سمعان، عن جعفر بن محمد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، عن ابيه محمد بن علي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال: أول من اسلم وآمن بالله علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو ابن أحدى عشرة سنة، وهاجر

١- شرح نهج البلاغة ٢٣٤/١٣.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٣٤/١٣.

٣- شرح نهج البلاغة ٢٣٤/١٣.

٤- شرح نهج البلاغة ٢٣٥/١٣.

إلى المدينة وهو ابن أربع عشرة سنة[1].

القسم الرابع: الذين قالوا انه اسلم وهو ابن عشر سنين

رواه نوح بن دراج، عن محمد بن اسحاق قال: أول ذكر منا صدق بالنبوة علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين، ثم اسلم زيد بن حارثة، ثم اسلم أبو بكر وهو ابن ستة وثلاثين سنة فيما بلغنا[2].

القسم الخامس: الذين قالوا انه اسلم وهو ابن تسع سنين

رواه الحسن بن عنبسة الوراق، عن سليم مولى الشعبي، عن الشعبي قال: أول من أسلم من الرجال علي بن أبي طالب، وهو ابن تسع سنين، وكان له يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله تسع وعشرون سنة[3].

قال شيخنا أبو جعفر: فهذه الاخبار كما تراها فاما ان يكون الجاحظ جهلها أو قصد العناد.

فاما قوله فالقياس ان نأخذ باوسط الامرين، فنقول: انه اسلم وهو ابن سبع سنين، فان هذا الحكم منه، ويلزمه مثله في رجل ادعى قبل رجل عشرة دراهم فانكر ذلك، وقال انما يستحق قبلي أربعة فينبغي ان يأخذ بالامر الاوسط ويلزمه سبعة دراهم ويلزمه في ابي بكر حيث قال قوم كان كافرًا، وقال قوم كان امامًا عادلاً، أن يقول اعدل الأمور اوسطها وهو منزلة بين المنزلتين فيقول

١- شرح نهج البلاغة ٢٣٥/١٣.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٣٥/١٣.

٣- شرح نهج البلاغة ٢٣٥/١٣.

كان فاسقًا ظالمًا، وكذلك في جميع المختلف فيها[1].

واما قوله وانما يعرف حق ذلك من باطله بان نحصي سنين ولايته عليه السلام وولاية عثمان، وعمر، وأبي بكر، وسنين الهجرة، ومقام النبي صلى الله عليه وآله بمكة بعد الرسالة إلى ان هاجر.

فيقال له: لو كانت الروايات متفقة على هذه التاريخات لكان لهذا القول مساغ لكن الناس اختلفوا في ذلك، فقيل: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قام بمكة بعد الرسالة خمسة عشر سنة رواه ابن عباس، وقيل: ثلاثة عشرة سنة روي عن ابن عباس أيضًا وأكثر الناس يروونه، وقيل: عشر سنين رواه عروة بن الزبير، وهو قول الحسن البصري، وسعيد بن المسيب.

واختلفوا في سن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال قوم: كان ابن خمس وستين سنة، وقيل: كان ابن ثلاث وستين سنة، وقيل: ابن ستين سنة.

واختلفوا في سن علي عليه السلام فقيل: كان ابن سبع وستين سنة، وقيل: ابن خمس وستين سنة، وقيل: ابن ستين سنة، وقيل: ابن تسع وخمسين سنة، فكيف يمكن مع هذه الخلافات تحقيق هذه الحال، وانما الواجب ان يرجع إلى إطلاق قولهم اسلم علي عليه السلام فان هذا الاسم لا يكون مطلقًا الاّ على البالغ كما لا يطلق اسم الكافر الاّ على البالغ على ان ابن احدى عشرة سنة يكون بالغًا ويولد الاولاد، وقد روت الرواة ان عمرو بن العاص لم يكن اسن من ابنه عبد الله الاّ باثنتي عشرة سنة، وهذا يوجب انه احتلم وبلغ في أقل من احدى عشرة

١- شرح نهج البلاغة ١٣/٢٣٥ – ٢٣٦.

سنة، وروي أيضًا ان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كان اصغر من ابيه علي بن عبد الله بن العباس باحدى عشرة سنة، ويلزم الجاحظ ان عبد الله بن العباس حين مات رسول الله ﷺ غير مسلم على الحقيقة ولامثاب ولا مطيع بالاسلام، لانه كان يومئذ ابن عشر سنين، رواه هشيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: توفي رسول الله ﷺ وانا ابن عشرين سنة[1].

أقول: انما قصدنا إلى ايراد هذا الكلام ما نقلنا منه وما سننقله في المقام مع كونه خارجًا عن المقصود لنا فى هذا الكتاب والزام لفوائد عديدة عظام:

منها: ان يعلم ما بلغ اليه ضلال بعض علماء القوم في التعصب على أمير المؤمنين عليه السلام والمبالغة في انكار مناقبه وفضائله التي صارت في الوضوح والاشتهار كالشمس الساطعة في دائرة النهار.

ومنها: ما بلغ اليه بعضهم في التعصب له والانتصار حتى قدح في ائمته وخلفائه بما يوجب لهم العار والشنار مع تمسكه بامامتهم وخلافتهم في ذلك المضمار.

ومنها: بيان ضعف دينهم ومذهبهم وكونهم على غير بينة من ربهم حتى اوقع الله بينهم الاختلاف وكفو خصومهم فيه مؤونة الرد عليهم والطعن على تلك الاسلاف.

ومنها: ما اشتمل عليه كلام أبي جعفر الاسكافي من بيان جملة من مخترعات أخبارهم ومبتدعات آثارهم ليكون حجة لنا فيما ادعيناه في هذا

١- شرح نهج البلاغة ٢٣٦/١٣، وفيه: وانا ابن عشر سنين.

الكتاب من تعمدهم الكذب للتنويه باولئك الاصحاب الذين قد كشفوا عن مثالبهم النقاب، وان الكذب قد صار لهم سنة متى اضطروا اليه في باب من الأبواب، ومنه يعلم عدم ديانتهم وقلة صيانتهم.

ومنها: الدلالة على ابطال كثير من المناقب التي ادعوها لأبي بكر كما سيكشف عنه أبو جعفر حجاب الاحتجاب.

ومنها: مقابلة كلام الجاحظ هنا في كتاب العثمانية وتعصبه على امام البرية، وتنويهه بشأن خليفته أبي بكر بما عثرت عليه من كلامه المخالف لذلك، ومنه ما سيأتي ان شاء الله تعالى في بيان قصة فدك واعترافه بظلم أبي بكر لفاطمة عليها السلام بأبلغ تسجيل تشتاقه طباع ذوي الإسلام، ومنه ما وقفت عليه من رسالتين له نقلهما الوزير السعيد علي بن عيسى الاربلي قدس سره في كتاب كشفه الغمة في مقدمة الكتاب احداها تتضمن التفضيل لبني هاشم قاطبة على من عداهم من الصحابة بأبلغ وجه، والثانية تتضمن تفضيل علي عليه السلام والقول بامامته وانه الاحق بذلك المقام، وانا انقل الثانية منهما لكونها أوفق بالمراد وادخل في الايراد، ومن اراد الوقوف على الاولى فليرجع إلى الكتاب المذكور فانه متداول موجود ومشهور.

قال الوزير المشار اليه رحمه الله في الكتاب المذكور نقل الرسالة الاولى ما صورته: ووقع إليّ رسالة أخرى من كلامه أيضًا اثبتها أيضًا مختصرًا الفاظها وترجمتها رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في الترجيح والتفضيل، نسخ من مجموع الامير أبي محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله قال: هذا

كتاب من اعتزل الشك والظنة والدعوى والاهواء، واخذ باليقين والثقة من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، واجماع الامة بعد نبيها عليه السلام مما تضمنه الكتاب والسنة، وترك القول بالآراء فانها تخطيء وتصيب، لان الامة اجمعت ان النبي صلى الله عليه وآله شاور اصحابه في الاسرى ببدر، واتفق رأيهم على قبول الفداء منهم فانزل الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾[1] الآية، فقد بان لك ان الرأي يخطيء ويصيب ولا يعطي اليقين، وانما الحجة الطاعة لله ورسوله وما اجمعت عليه الامة من كتاب الله وسنة نبيها، ونحن لم ندرك النبي ولا واحدًا من اصحابه الذين اختلف الامة في حقهم، فنعلم ايهم اولى ونكون معهم كما قال الله ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[2] ونعلم ايهم على الباطل فنتجنبهم وكما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[3] حتى ادركنا العلم وطلبنا معرفة الدين واهله، وأهل الصدق والحق، فوجدنا الناس مختلفين يبرأ بعضهم من بعض، ويجمعهم في حال اختلافهم فريقان أحدهما قالوا ان النبي صلى الله عليه وآله مات ولم يستخلف احدًا، وجعل ذلك إلى المسلمين يختارونه، فاختاروا أبا بكر، والآخرون قالوا ان النبي استخلف عليًا فجعله امامًا للمسلمين بعده، وادعى كل من الفريقين منهم الحق، فلما رأينا ذلك وقفنا الفريقين لنبحث ونعلم المحق من المبطل، فسألناهم جميعًا

١- الأنفال/٦٧.

٢- التوبة/١١٩.

٣- النحل/٧٨.

هل للناس بد من وال يقيم اعيادهم ويُجبي زكواتهم ويفرقها على مستحقها، ويقضى بينهم ويأخذ لضعيفهم من قويهم، ويقيم حدودهم؟ فقالوا: لا بد من ذلك، فقلنا: هل لاحد ان يختار احدًا فيوليه بغير نظر في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؟ فقالوا: لا يجوز ذلك الاّ بالنظر، فسألناهم جميعًا عن الاسلام الذي أمر الله به، فقالوا: انه الشهادتان والاقرار بما جاء من عند الله، والصلاة والصوم، والحج بشرط الاستطاعة، والعمل بالقرآن يحل حلاله ويحرم حرامه، فقبلنا ذلك منهم، ثم سألناهم هل لله خيرة من خلقه اصطفاهم واختارهم؟ فقالوا: نعم، فقلنا: ما برهانكم، فقالوا: قوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[1]، فسألناهم من الخيرة؟ فقالوا: هم المتقون، قلنا: ما برهانكم؟ قالوا: قوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2] قلنا: هل لله خيرة من المتقين؟ قالوا: نعم المجاهدون بدليل قوله تعالى ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾[3]، فقلنا: هل لله خيرة من المجاهدين؟ قالوا: نعم السابقون من المهاجرين إلى الجهاد بدليل قوله ﴿ يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾[4] الآية، فقبلنا ذلك منهم لاجماعهم عليه، وعلمنا ان خيرة الله من خلقه المجاهدون والسابقون إلى الجهاد، ثم قلنا: هل لله منهم خيرة؟ قالوا: نعم قلنا: من هم؟ قالوا: أكثرهم عناء في الجهاد وطعنًا

١- القصص/٦٨.

٢- الحجرات/١٣.

٣- النسا/٩٥.

٤- الحديد/١٠.

منهم خيرة؟ قالوا: نعم قلنا: من هم؟ قالوا: أكثرهم عناء في الجهاد وطعنًا وضربًا وقتالاً في سبيل الله بدليل قوله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[1]، ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[2] فقبلنا ذلك منهم، وعلمناه وعرفنا ان خيرة الخيرة أكثرهم في الجهاد عناء، وابدلهم لنفسه في طاعة الله، واقبلهم لعدوه، فسألناهم عن هذين الرجلين علي بن ابي طالب وأبي بكر، ايهما كان أكثر عناء في الحرب، واحسن بلاء في سبيل الله، فاجمع الفريقان على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب انه كان أكثر طعنًا وضربًا، واشد قتالاً، وادب عن دين الله ورسوله، فثبت بما ذكرناه من اجماع الفريقين وادلة الكتاب والسنة ان عليًا عليه السلام افضل، وسألناهم ثانيًا عن خيرته من المتقين؟ فقالوا: الخاشعون بدليل قوله تعالى ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[3] إلى قوله ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾[4] وقال: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾[5] ثم سألناهم من هم؟ قالوا: العلماء لقوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[6]، ثم سألناهم

١- الزلزلة/٧.

٢- المزمل/٢٠.

٣- ق/٣١.

٤- ق/٣٣.

٥- الأنبياء/٤٨-٤٩.

٦- فاطر/٢٨.

جميعًا من اعلم الناس؟ قالوا: اعلمهم بالعدل واهداهم إلى الحق، واحقهم ان يكون متبوعًا ولا يكون تابعًا بدليل قوله تعالى ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[1]، فجعل الحكومة إلى أهل العدل، فقبلنا ذلك منهم، ثم سألناهم عن أعلم الناس بالعدل من هو؟ قالوا: اولهم أدلهم عليه، قلنا: من ادل الناس عليه؟ قالوا: اهداهم إلى الحق، واحق ان يكون متبوعًا ولا يكون تابعًا بدليل قوله تعالى ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾[2] الآية، فدل كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله والاجماع ان افضل الامة بعد نبيها أمير المؤمنين عليه السلام، لانه إذا كان اكثرهم جهادًا، كان أتقاهم، وإذا كان اتقاهم، كان اخشاهم، وإذا كان اخشاهم، كان اعلمهم، وإذا كان اعلم، كان ادل على العدل، وإذا كان ادل كان اهدى الامة إلى الحق، وإذا كان اهدى الامة كان اولى ان يكون متبوعًا، وان يكون حاكمًا لا تابعًا ولا محكومًا عليه، واجمعت الامة بعد نبيها انه خلّف كتاب الله عزّ وجل، وامرهم بالرجوع اليه إذا نابهم امر وإلى سنة نبيهم صلى الله عليه وآله فيتدبرونها ويستنبطون منها ما يزول به الاشتباه، فاذا قرأ قارؤهم ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[3] فيقال له اثبتها، ثم يقرأ ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَّنْ خَشِىَ

١- المائدة/٩٥.

٢- يونس/٣٥.

٣- القصص/٦٨.

ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[1] فدلت هذه الآية على ان المتقين هم الخاشعون، ثم يقرأ حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[2] فيقال له اقرأ حتى تنظر هل العلماء أفضل من غيرهم أم لا، إذا بلغ إلى قوله ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾[3] وقد اجمعت الامة على ان العلماء من اصحاب رسول الله ﷺ الذين يؤخذ عنهم العلم كانوا أربعة علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت ﴿رضي الله عنهم﴾، وقال طائفة: عمر بن الخطاب، فسألنا الامة من اولى الناس بالتقدم إذا حضرت الصلاة؟ فقالوا: ان النبي ﷺ يؤم الناس اقرأهم، ثم اجمعوا على ان الاربعة كانوا اقرأ لكتاب الله من عمر فسقط عمر، ثم سألنا الامة أي هلاء الاربعة أقرأ لكتاب الله وافقه لدينه فاختلفوا ففرقناهم حتى نعلم، ثم سألناهم ايهم اولى بالامامة؟ فاجمعوا على ان النبي ﷺ قال الائمة من قريش فسقط ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وبقي علي بن أبي طالب وابن عباس، فسألنا ايهما اولى بالامامة؟ فاجمعوا على ان النبي ﷺ قال إذا كان عالمين فقيهين قرشيين فأكبرهما سنًا واقدمهما هجرة فسقط عبد الله بن العباس، وبقي أمير المؤمنين عليه السلام احق بالامامة لما اجمعت عليه الامة، ولدلالة الكتاب والسنة عليه.

١- ق/٣١-٣٣.

٢- فاطر/٢٨.

٣- المجادلة/١١.

هذا آخر رسالة إلى أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

ثم قال صاحب كتاب كشف الغمة: أقول: ان أبا عثمان من رجال الاسلام، وافرد الزمان في الفضل والعلم، وصحة الذهن، وحسن الفهم والاطلاع على حقايق العلوم والمعرفة بكل جليل ودقيق، ولم يكن شيعيًا فيتهم، وكان عثمانيًا مروانيًا، وله في ذلك كتب مصنفة وقد شهد في هاتين الرسالتين من فضل بني هاشم وتقديمهم، وفضل علي عليه السلام وتقديمه بما لا شك فيه ولا شبهة، وهو أشهر من فلق الصباح، وهذا ان كان مذهبه فذاك والاّ فقد انطقه الله بالحق واجرى على لسانه الصدق، وقال ما يكون حجة عليه في الدنيا والآخرة، نطق بما لو اعتقده غيره لكان خصمه في محشره، فان الله عند لسان كل قائم، فلينظر قائل ما يقول، واصعب الأمور واشقها ان يذكر الإنسان ما يستحق به الجنة، ثم يكون ذلك موجبًا لدخول النار، نعوذ بالله من ذلك.

احرم منكم بما اقول وقد ... نال به العاشقون من عشقوا

صرت كأني ذبالة نصبت ... تضيء للناس وهي تحترق

وليكن هذا القدر كافيًا فانه حيث ثبت ما طلبناه بشهادة هذا الرجل شرعنا فيما نحن بصدده بعون الله وحوله، انتهى ما ارادنا نقله من كتاب كشف الغمة اعلا الله تعالى رتبة مصنفه في جوار الائمة[1].

ثم أقول وبالله تعالى الثقة لبلوغ المأمول: لا يخفى ان ما تكلفه أبو جعفر

١- كشف الغمة ٤١/١ وما بعدها.

الاسكافي في الجواب والرد على من قال باسلام علي عليه السلام قبل البلوغ بحمل اخبار اسلامه عليه السلام على ما بعد البلوغ والاحتلام اما لمجاراة الخصم نظرًا إلى تعصبه وعناده ومزيد انحرافه ولداده، واما ان يكون نشأ عن الجهل بقدره عليه السلام وعدم معرفة كنه حقيقته ومنزلته لدى الملك العلام بقياسه على غيره من سائر الانام، وهذا هو الأقرب في المقام، وها نحن نوضح ذلك بعون الله سبحانه على وجه تنكشف به غياهب الابهام.

فنقول: لا يخفى على من لاحظ الاخبار الواردة في حقه عليه السلام مما تقدم نقل يسير منها في المقدمة الدالة على انه عليه السلام كان مع النبي صلى الله عليه وآله في عالم الازل قبل خلق آدم بآلاف معدودة نوران من نور الله عزّ وجل، يسبحان الله ويقدسانه ويعبدانه وكذلك باقي الائمة المعصومين كما مر في بعض اخبار الفصل السادس من فصول المقصد الأول لا يعتريه الاشكال في هذا المجال، ولا يعبأ بقول كل ناصب معاند بان اسلامه عليه السلام في حال الطفولية لم يقع على وجه المعرفة واليقين، وانما هو على وجه التقليد والتلقين، فانه متى كانت هذه حالهم ﴿صلوات الله عليهم﴾ في عالم الأرواح التي ليس بمحل التكليف فكيف بعالم الاشباح، ومن الاخبار في ذلك ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده، عن زاذان، عن سلمان قال: سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كنت أنا وعلي نورًا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم باربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله تعالى آدم قسم ذلك النور جزئين فجزء انا وجزء علي[1].

١- العمدة لابن البطريق/٢٠٩.

ورواه ابن شيرويه في كتاب الفردوس وقد تقدم في المقدمة برواية الفقيه ابن المغازلي فلما خلق الله آدم ركّب ذلك النور في صلبه فلم تزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ففيّ النبوة، وفي علي الخلافة.[1]

ورواه أيضًا بطريق آخر عن جابر بن عبد الله وفيه حتى قسمه جزئين فجعل جزءاً في صلب عبد الله، وجزءاً في صلب أبي طالب، فاخرجني نبيًا، واخرج عليًا وصيًا[2].

ولا ريب عند العارف بهم ﴿صلوات الله عليهم﴾ انه ليس لهم حال طفولية كغيرهم من الاطفال ليستشكل في احوالهم في مثل هذا المجال بل هم في جملة الازمان والاحوال محفوظون بالعصمة من ذي الجلال.

ومما يؤيد ذلك ويوضحه ما تقدم نقله آنفًا عن ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري في الجواب عن من استشكل قول النبي صلى الله عليه وآله للحسن عليه السلام وهو طفل وقد وضع في فمه تمرة من تمر الصدقة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: كخ كخ، اما علمت ان الصدقة حرام علينا أهل البيت، بانه كيف يكلف الحسن عليه السلام وهو طفل؟ فاجاب الشارح المذكور بان الحسن عليه السلام في ذلك يطالع اللوح المحفوظ[3].

وحينئذ فاقتداء علي عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله ومتابعته له بعد البعثة في

١- الروضة في المعجزات والفضائل/١٢٩.

٢- العمدة/٩٠.

٣- فتح الباري لابن حجر ٤٨٣/١٠.

الاسلام، انما وقع على ذلك المنوال، وهذه مرتبة ليست لغيرهم ﴿صلوات الله عليهم﴾ من الرجال لكن لا يعرفهم بها الاّ من خصه الله تعالى منه بمزيد العناية والكمال.

ومما يؤيد ما قلناه ما رواه الشارح في موضع آخر من هذا الشرح في مقام نقل الاختلاف في سنّه عليه السلام وقت البعثة من قوله عليه السلام لقد عبدت الله ولم يعبده أحد من هذه الامة سبع سنين وكنت اسمع الصوت وابصر الضوء سنينًا سبعًا، الحديث.

وحينئذ فمن يسمع صوت الملائكة ويبصر ضياء الانوار الالهية في حال الطفولية لايعده في عداد غيره من البرية رجال على انه عليه السلام في اجابته الدعوة النبوية ولو كان في حال الطفولية لا ينقص عن حال عيسى عليه السلام في قوله وهو ابن ساعة ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[1] الآية، وحال يحيى عليه السلام في قول الله تعالى في حقه ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[2]، وحال سليمان عليه السلام في وقوع الحكم منه وهو صبي، وحال الطفل الذي شهد ليوسف عليه السلام بالبراءة من الزنا، وكذلك الطفل الذي خاطب امه في قصة أصحاب الاخدود وامثال ذلك، وكيف كان فلا ريب ان الطعن في اسلامه عليه السلام أيضًا ورد عليه إذ لا ريب ان جل الاخبار الواردة عنه صلى الله عليه وآله مما تقدم نقله وما لم ينقل هنا انما خرجت في مقام التفضيل لعلي عليه السلام والتنويه بشأنه وتقديمه

١- مريم/٣٠.

٢- مريم/١٢.

ورفعة قدره ومكانه، ومنها اخبار قوله عليه السلام ذلك لفاطمة عليها السلام لما شكت اليه انه زوجها فقيرًا لا مال له، وهي كثيرة، وكذلك الاخبار الواردة عن علي عليه السلام في مقام الافتخار على غيره من المهاجرين والانصار كما لا يخفى على من لاحظها بعين التدبر والاعتبار.

ومما يزيد هذا الكلام تأكيدًا ويعليه تشييدًا ما رواه الحافظ أبو نعيم، والفقيه ابن المغازلي الشافعي في عداد الآيات النازلة في حقه عليه السلام عن مجاهد ان قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ هو رسول الله صلى الله عليه وآله، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[1] هو علي عليه السلام.[2]

وحينئذ فكيف يمدح الله عزّ وجل وليًا وينوه باسمه في كتابه مع كون اسلامه لا يوجب فضلاً له ولا منقبة كما هدر به هذا الناصب، ومن العجب هنا تعصب الامام الرازي حيث قال ان السبق إلى الاسلام مخصوص بعلي وأبي بكر، ولما كان علي في ذلك الوقت طفلاً، ومن المعلوم ان تصديقه في ذلك

١- الزمر/٣٣.

٢- أقول : قد نقل شيخنا المفيد قدس سره في كتاب المجالس هذا الخبر بعدة طرق من جهة المخالفين قال: فممن روى ذلك على ما شرحناه ابراهيم ابن الحكم عن ابيه عن السدي عن ابن عباس في قوله تعالى: وانه من جاء بالصدق وصدق به، قال: هو امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ورواه عبيدة بن حميد عن منصور عن مجاهد مثل ذلك سواء. وروى سعيد عن الضحاك مثل ذلك ايضًا، وروى أبو بكر الحضرمي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله= =تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق﴾ وهو رسول الله صلى الله عليه وآله، ﴿وصدق به﴾ علي بن أبي طالب عليه السلام، وروى علي بن حمزة عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام مثل ذلك، أنتهى كلامه على في الخلد مقامه ﴿منه﴾.

الزمان ليس فيه مزيد قوة وشوكة للاسلام فحمل صدّق به على أبي بكر اولى.[1]

وفيه أولاً: ان دعوى السبق لابي بكر كعلي عليه السلام مع تقدم جماعة عليه باعتراف علمائهم كما تقدم في كلام الجاحظ وكلام أبي جعفر الاسكافي خلف ظاهر.

وثانيًا: انه ان استند في الحمل على أبي بكر إلى رواية فكان الاولى الاتيان بها لتعينه عن تكلفه وتمحله والاّ فمجرد الاعتماد على الاولوية مما لا يسمن ولا يغني من جوع عند ذي روية، وكيف لا وقد عرفت من الآيات المتقدمة ثبوت النبوة لجملة من الانبياء حال الطفولية، ولا ريب ان رتبة النبوة ارفع شأنًا واعلى مكانًا من رتبة الاسلام والتصديق به، فاذا ثبت اتصاف الاطفال بها حال الطفولية فبطريق الاولى اتصافهم بالاسلام.

وثالثًا: ورود الرواية المذكورة من طريقهم الدالة على ان المراد به علي عليه السلام والاعتماد على الاولوية في مقابلة الرواية لا يقع ممن له ادنى روية ودراية.

ورابعًا: ما تقدم من قول جملة من علمائهم وورود جملة من رواياتهم بانه عليه السلام اسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، ونقل عن شارح الطوالع وشارح المصابيح الميل إلى انه اسلم وهو ابن أربع عشرة سنة.

وخامسًا: ما ذكرناه في المقام من افتخاره عليه السلام بالسبق إلى الاسلام ومدح الرسول صلى الله عليه وآله له بذلك وتفضيله بما هنالك، والكل وارد في اخبارهم ومن

١- التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٦/٢٧٩.

طرقهم، وكذلك مدح المسلمين ايضًا لـه بذلك.

ومما يؤيد هذا المقام تأييدًا ما نقله بعض اصحابنا ﴿رضوان الله عليهم﴾ عن كتاب روضة الواعظين بسنده عن مجاهد، عن أبي عمرو وأبي سعيد الخدري في حديث طويل يتضمن انهما كانا عند النبي صلى الله عليه وآله فدخل عليه جماعة من اصحابه منهم سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وعلي وعلى وجوههم اثر الحزن والغم، فشكوا اليه قول بعض المعاندين ان سبق علي عليه السلام إلى الاسلام مع كونه طفلاً لا يوجب له مزيد فضل لـه، فقال صلى الله عليه وآله: ان عليًا عليه السلام مثله مثل من تقدم من الانبياء المرسلين، ثم عد صلى الله عليه وآله ابراهيم عليه السلام وبما قاله بعد تولده وما جرى لـه حال طفوليته، وعيسى عليه السلام وما تكلم به، وذكر ما تكلم به أمير المؤمنين عليه السلام بعد ولادته من الاقرار بالشهادتين، وقراءة الصحف الماضية، إلى ان قال صلى الله عليه وآله: فاذا كان هذا حال علي عليه السلام في مبدأ ولادته، فكيف يداخلكم الحزن والغم من أقوال هؤلاء المعاندين، إلى آخر الخبر.[1]

ثم انه لا يخفى ان كل من نقل عنهم الجاحظ تلك الروايات والاشعار الدالة على تقدم اسلام أبي بكر فهم من النصاب واعداء أمير المؤمنين عليه السلام بلا ارتياب، فلا يكون قولهم حجة عندنا في هذا الباب ولا سيّما حسان بن ثابت فانه كان عثمانيًا منحرفًا اشد الانحراف.

قال شيخنا المفيد في كتاب الفصول بعد نقل احتجاجهم بأبياته المذكورة: انه كان عثمانيًا حرّض الناس على علي بن أبي طالب عليه السلام وكان

١- روضة الواعظين/٨٢.

يدعو إلى نصرة معاوية وذلك مشهور عنه في نظمه ألا ترى إلى قوله شعر:

ياليت شعري وليت الطير تخبرني ... ما كان بين علي وابن عفانا
ضجوا باشمط عنوان السجود ... به يقطع الليل تسبيحًا وقرآنا
لتسمعن وشيكًا في ديارهم ... الله أكبر يا ثارات عثمانا

قال: فان جعلت الناصبة شعر حسان حجة في تقديم ايمان أبي بكر فلنجعله حجة في قتل أمير المؤمنين عثمان والقطع على انه اخص الناس بقتله، وان ثاراته يجب ان تطلب منه.

إلى ان قال: على ان حسان قد شهد في شعره بامامة أمير المؤمنين عليه السلام نصًا، وذكر ذلك بحضرة النبي صلى الله عليه وآله فجزاه خيرًا في قوله:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم واسمع بالنبي مناديا

في ابيات سأذكرها في موضعها، وشهد أيضًا لأمير المؤمنين بسبق قريش إلى الايمان حيث يقول:

جزى الله خيرا والجزاء بكفه ... ابا حسن عنا ومن كأبي حسن
سبقت قريشًا بالذي أنت اهله ... فصدرك مشروح وقلبك ممتحن

فشهد بتقديم ايمان أمير المؤمنين عليه السلام الجماعة هو مقابل لما تقدم له ومسقط له، ثم نقل قدس سره في مقابلة شعر حسان جملة من الاشعار عن شعراء

متعددين منهم خزيمة بن ثابت، ومنهم كعب بن زهير، ومنهم حسان بن ثابت، ومنهم ربيعة بن الحارث، والمفضل بن عتبة بن أبي لهب، ومالك بن عبادة العافقي حليف حمزة بن عبد المطلب، وعبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، والنجاشي بن الحارث بن كعب، وجرير بن عبدالله البجلي، وعبد الله بن حكيم التميمي، وعبد الله بن جبل حليف بني جمح، وأبو الاسود الدؤلي، وفي أكثرها تصريح بامامة علي عليه السلام.

وأنت خبير بأن ما ذكره أبو جعفر الاسكافي هنا من اختراع الاخبار في فضايل أبي بكر وغيره من الصحابة ومثالب علي وأهل بيته ﴿صلوات الله عليهم﴾ واضح التأييد لما سلف في الجزء الحادي عشر في شرح قوله ومن كلام له وقد سأله سائل عن احاديث البدع إلى آخره.

ثم انه لا يخفى ما في دلالة شعر أبي سفيان بن الحارث، وقوله وان ولي الامر بعد محمد علي إلى آخره من الدلالة الصريحة على انه عليه السلام كان المنصوص عليه بالولاية والمشهور بها يومئذ بعد النبي صلى الله عليه وآله.

ثم انه من أطرف الطرايف قول أبي جعفر في الزامه للجاحظ بالاخذ بالاوسط مع الاختلاف ويلزمه في أبي بكر حيث قال قوم كان كافرًا إلى آخره، ويناسب هذا المقام ما نقله بعض مشائخنا الاعلام رفع الله تعالى درجتهم في دار المقام من انه اختصم شيعي وسني في بغداد في الاحق بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله واصطلحا على الرضا بحكم من يخرج عليهم في المكان الذي كانا فيه، فخرج عليهما رجل ذمي من أهل الكتاب فحكماه فيما جرى بينهما

فاعتذر لهما بأني رجل ذمي لست على دينكما، فقالا: لابد ان تحكم بيننا لانا رضينا بحكم كل من يطلع علينا في هذا المكان، فالتفت الذمي إلى الشيعي منهما، فقال: اما انت فقد قدمت رجلاً اختلف الناس في حقه بين كونه الهًا معبودا أو امامًا، فطوبى لك بتقديمه، والتفت إلى السني وقال: واما أنت فقد قدمت رجلاً اختلف الناس فيه بين كونه كافرًا أو خليفة فالويل لك ان كان كافرًا، انتهى .

قال في المقام على أثر ما تقدم من الكلام: قال الجاحظ: فان قالوا: ولعله وهو ابن سبع سنين أو ثمان سنين قد بلغ من فطنته وذكائه وصحة لبه، وصدق حديثه، وانكشاف العواقب له، وان لم يكن جرب الأمور، ولا فاتح الرجال، ولا نازع الخصوم ما يعرف به جميع ما يجب على البالغ معرفته والاقرار به.

قيل لهم: انما نتكلم على ظواهر الاحوال وما شاهدنا عليه طبايع الاطفال، فانا وجدنا حكم ابن سبع سنين أو ثمان ما لم يعلم باطن امره وخاصة طبعه حكم الاطفال، وليس لنا ان نزيل ظاهر حكمه والذي يعرف من حال ابناء جنسه بلعل وعسى، لانا وان كنا لا ندري لعله قد كان ذا فضيلة في الفطنة فلعله قد كان ذا نقص فيها، هذا على تجويز ان يكون علي في الغيب قد اسلم وهو ابن سبع أو ثمان اسلام البالغ غير ان الحكم يجري على مجرى امثاله واشكاله الذين اسلموا وهم ابن سبع أو ثمان اسلام البالغ غير ان الحكم يجري على مجرى امثاله واشكاله الذين اسلموا وهم في مثل سنه إذا كان هؤلاء عن تربية الحاضن وتلقين القيم ورياضة السايس، فاما عند التحقيق فانه لا يجوز مثل

ذلك لانه لو كان اسلم وهو ابن سبع أو ثمان، وعرف فصل ما بين الانبياء والكهنة، وفرّق ما بين الانبياء والسحرة، وفرّق ما بين خبر النبي والمنجم وحتى عرف كيد الاديب، وموضع الحجة، ونقد التمييز، وكيف يلبس على العقلاء وتستمان عقول الدهماء، وعرف الممكن في الطبع من الممتنع وما يحدث بالاتفاق مما يحدث بالاسباب، وعرف قدر القوى وغاية الحيلة ومنتهى التمويه والخديعة وما لا يحتمل ان يحدثه الاّ الخالق سبحانه، وما يجوز على الله في حكمته مما لا يجوز، وكيف التحفظ من الهوى والاحتراس من الخداع لمكان كونه على هذه الحال مع فرط الصبا والحداثة وقله التجارب والممارسة خروجًا من المعروف مما عليه تركيب هذه الخلقة وليس يصل أحد إلى معرفة نبي وتكذيب مبتني حتى تجتمع فيه بهذه المعارف التي ذكرناها والاسباب التي فصلناها، ولو كان علي على هذه الصفة ومعه هذه الخاصية لكان حجة على العامة وآية تدل على النبوة ولم يكن الله عزّ وجلّ ليخصه بهذه الاعجوبة الاّ وهو يريد ان يحتج بها، ويجعلها قاطعه لعذر الشاهد وحجة على الغائب، ولولا ان الله تعالى اخبر عن يحيى بن زكريا ان آتاه الحكم صبيًا، وانه انطق عيسى في المهد ما كانا في الحكم الاّ كساير الرسل وما عليه جميع البشر، فاذا لم ينطق لعلي بذلك قرآن ولا جاء الخبر به بمجيء الحجة القاطعة والمشاهدة القائمة، فالمعلوم عندنا في الحكم ان طباعه كطباع عميه حمزة والعباس، وهما امس بمعدن الخير منه أو كطباع جعفر وعقيل من رجال قومه ورؤساء رهطه، ولو ان انسانًا ادعى مثل ذلك لاخيه جعفر أو لعمه حمزة والعباس ما كان عندنا

في أمره الآ مثل ما عندنا فيه[1].

اجاب شيخنا أبو جعفر رحمه الله فقال: هذا كله مبني على انه اسلم وهو ابن سبع أو ثمان، ونحن قد بينا انه اسلم بالغًا ابن خمس عشرة سنة أو ابن أربع عشرة سنة على انا لو نزلنا على حكم الخصوم وقلنا ما هو الاكثر والاشهر من الروايات، وهو انه اسلم ابن عشر لم يلزم ما قاله الجاحظ لان ابن عشر قد استجمع عقله ويعلم من مباديء المعارف ما يستخرج به كثيرًا من الأمور المعقولة، ومتى كان الصبي عاقلاً مميزاً كان مكلفًا بالعقليات، وكان تكليفه بالشرعيات موقوفًا على حد آخر، فليس بمنكر ان يكون علي عليه السلام وهو ابن عشر سنين قد عقل المعجزة فلزمه الاقرار بالنبوة واسلم اسلام عارف لا اسلام مقلّد، وان كان ما نسقه الجاحظ وعدده من معرفة السحر والنجوم والفصل بينها وبين النبوة، ومعرفة ما يجوز في الحكم ومالا يحدثه الآ الخالق، والفرق بينه وبين ما يقدر عليه القادرون بالقدرة، ومعرفة التمويه والخديعة والتلبيس والمماكرة شرطًا في صحة الاسلام لما صح اسلام أبي بكر ولا عمر ولا غيرهما من العرب، وانما التكليف لهولاء بالجهل ومباديء المعارف لا بدقايقها والغامض منها وليس يفتقر الاسلام إلى ان يكون المسلم قد فاتح الرجال، وجرب الأمور، ونازع الخصوم، وانما يفتقر إلى صحة الغريزة، وكمال العقل، وسلامة الفطرة، ألا ترى ان طفلاً لو نشأ في دار ولم يعاشر الناس فيها

---

١ – العثمانية/٦، مع اختلاف يسير لما في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٣٨/١٣.

ولا فاتح الرجال ولا نازع الخصوم، ثم كمل عقله وحصلت العلوم البديهية عنده لكان مكلفًا بالعقليات، واما توهمه ان عليًا عليه السلام اسلم عن تربية الحاضن وتلقين القيم ورياضة السايس، فلعمري ان محمدًا كان حاضنه وقيمه وسايسه ولكن لم يكن منقطعًا عن ابيه أبي طالب ولا عن اخوته طالب وعقيل وجعفر ولا عن عمومته وأهل بيته، وما زال مخالطهم ممتزجًا بهم مع خدمته لمحمد صلى الله عليه وآله، فما باله لم يمل إلى الشرك وعبادة الاصنام لمخالطته اخوته واباه وعمومته وهم كثير، ومحمد صلى الله عليه وآله واحد، وانت تعلم ان الصبي إذا كان له أهل ذو كثرة وأحدهم يذهب إلى رأي مفرد لا يوافقه عليه غيره منهم فانه إلى ذوي الكثرة اميل وعن ذلك الرأي الشاذ الفرد أبعد على ان عليًا لم يولد في دار الاسلام، وانما ولد في دار الشرك وربي بين المشركين وشاهد الاصنام وعاين بعينه اهله ورهطه يعبدونها، ولو كان في دار الاسلام لكان للقول مجال ولقيل ولد بين المسلمين فاسلامه عن تلقين الظئير وعن سماع كلمة الاسلام ومشاهدة شعاره، لانه لم يسمع غيره ولا خطر بباله سواه، ولما لم يكن ولد كذلك ثبت ان اسلامه اسلام المميز العارف بما دخل فيه، ولولا انه كذلك لما مدحه رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، ولا ارضى ابنته فاطمة لما وجدت من تزويجه بقوله لها زوجتك اقدمهم سلمًا، ولا قرن إلى ذلك واكثرهم علمًا واعظمهم حلمًا، والحلم العقل، وهذان الامران غاية الفضل، فلولا انه اسلم اسلام عارف عالم مميز لما ضم اسلامه إلى العلم والحلم الذي وصفه به، وكيف يمدحه بأمر لم يكن مثابًا عليه ولا معاقبًا على تركه، ولو ان اسلامه عن تربية وتلقين لما افتخر

هو عليه السلام على رؤوس الاشهاد وخطب على المنبر وهو بين عدو ومحارب وخاذل منافق، فقال انا عبد الله واخو رسول الله صلى الله عليه وآله، وانا الصديق الاكبر، وانا الفاروق الاعظم، صليت قبل الناس بسبع سنين، واسلمت قبل اسلام ابي بكر، وآمنت قبل ايمانه، فهل بلغكم ان أحدًا من أهل ذلك العصر انكر ذلك أو عابه أو ادعاه لغيره وقال له انما كنت طفلاً اسلمت على تربية محمد وتلقينه اياك كما يعلم الطفل الفارسية والتركية منذ يكون رضيعًا، فلا فخر له في تعلم ذلك وخصوصًا في عصر قد حارب فيه أهل البصرة والشام والنهروان، وقد اعتورته الاعداء وهجته الشعراء فقال فيه النعمان بن بشير شعرًا:

لقد طلب الخلافة من بعيد ... وسارع في الضلال أبو تراب
معاوية الامام وانت منها ... على وتح بمنقطع السراب

وقال فيه بعض الخوارج ﴿لعنهم الله﴾ شعرًا:

دسسنا له تحت الظلام ابن ملجم ... جزاء إذا ما جاء تعسًا كتابها
ابا حسن خذها على رأس ضربة ... بكف كريم بعد موت ثوابها

وقال عمران بن حطان يمدح قاتله:

يا ضربة من منيب ما اراد بها الاّ ... ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره حينًا فاحسبه ... اوفى البرية عند الله ميزانا

فلو وجد هولاء سبيلاً إلى دحض حجته فيما كان يفتخر به من تقدم اسلامه لبدأوا بذلك وتركوا ما لا معنى له، وقد اوردنا ما مدحه الشعراء عليه السلام به من سبقه إلى الاسلام فكيف لم يرد على هؤلاء الذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من أهل حربه، ولقد قال في امهات الاولاد قولاً خالف فيه عمر فذكروه بذلك وعابوه، فكيف تركوا ان يعيبوه بما كان يفتخر به مما لا فخر فيه عندهم، وعابوه بقوله في امهات الاولاد.

ثم يقال له: خبّرنا عن عبد الله بن عمر وقد اجازه النبي صلى الله عليه وآله يوم الخندق ولم يجزه يوم أحد هل يميز ما ذكرته، وهل كان يعلم ما بين النبي والمتنبي، ويفصل بين السحر والمعجز إلى غيره مما عددت وفصلت.

فان قال: نعم وتجاسر على ذلك.

قيل له: فعلي عليه السلام بذلك أولى من ابن عمر لانه ازكى وافطن بلا خلاف بين العقلاء، واني لأشك في ذلك وقد رويتم انه لم يميز بين الميزان والعود بعد طول السن وكثرة التجارب، ولم يميز أيضًا بين امام الرشد وامام الغي، فانه امتنع من بيعة علي عليه السلام وطرق على الحجاج بابه ليلاً ليبايع لعبدالملك لئلا يبيت الليلة بلا امام زعم انه روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من مات ولا امام له مات ميتة جاهلية حتى بلغ من احتقار الحجاج له واستزرائه حاله ان اخرج رجله من الفراش فقال اصفق بيدك عليها، فذلك تمييزه بين العود والميزان، وهذا اختياره في الائمة، وحال علي في ذكائه وفطنته وتوقد حسه وصدق حديثه معلومة مشهورة، فاذا جاز ان يصح اسلام ابن عمر، فقال

عنه انه عرف تلك الأمور التي سردها الجاحظ ونسقها، واظهر فصاحته وتشادقه فيها، فعلي عليه السلام بمعرفة ذلك احق وبصحة اسلامه اولى.

وان قال: لم يكن ابن عمر يعلم ويعرف ذلك بطل اسلامه وطعن في رسول الله صلى الله عليه وآله حيث حكم بصحة اسلامه واجازه يوم الخندق، لانه عليه السلام قال لا اجيز الاّ البالغ العاقل ولذلك لم يجزه يوم أحد.

ثم يقال له: ان ما نقوله في بلوغ علي عليه السلام الحد الذي يحسن فيه التكليف العقلي بل يجب، وهو ابن عشر سنين ليس بأعجب من مجيء الولد لستة أشهر، وقد صحح ذلك أهل العلم واستنبطوه من الكتاب وان كان خارجًا عن التعارف والتجارب، وكذلك مجيء الولد لسنتين خارج أيضًا من المتعارف والعادة، وقد صححه الناس والفقهاء، ويروى ان معاذاً لما نهى عمر عن رجم الحامل تركها حتى ولدت غلامًا نبتت ثناياه، فقال أبوه: ابني ورب الكعبة، فثبت بذلك سنة يعمل بها الفقهاء، وقد وجدنا العادة تقضي بان الجارية تحيض لاثنتي عشرة سنة وانه أقل سن تحيض فيه المرأة، وقد يكون في الاقل نساء تحيض لعشر ولتسع، وقد ذكرت ذلك الفقهاء، وقد قال الشافعي في اللعان: لو جاءت المرأة بحمل وزوجها صبي له دون عشر سنين لم يكن ولدًا له، لان من يبلغ عشر سنين من الصبيان لا يولد، وان كان له عشر سنين جاز ان يكون الولد له وكان بينهما لعان إذا لم يقر به، وقال الفقهاء أيضًا ان نساء تهامة لتسع سنين يحضن وذلك لشدة الحر ببلادهن[1].

١- شرح نهج البلاغة ٢٣٨/١٣ – ٢٤٣.

أقول: لقد احسن أبو جعفر الاسكافي في الجواب وطبق مفصل الصواب وان كان داء هذا البغض والحسد لا سيما إذ املأ الجوف والجسد لا دواء له الاّ الالحاق بذات حبل المسد الاّ ان ابا جعفر لم يتعرض إلى الجواب عن كلام الجاحظ ومنعه من كون علي عليه السلام مثل عيسى ويحيى عليهما السلام فيما نطق به في حال الطفولية من الكلام.

ولشيخنا مفيد الطائفة المحقة ﴿قدس الله روحه ونور ضريحه﴾ كلام يتعلق بهذا المقام احببت نقله ونقل ما قبله أيضًا مما ينتظم في سلك هذا النظام وان طال به زمام الكلام.

قال ﴿طيب الله مرقده﴾ في كتاب الفصول بعد ذكر ما اختصرنا نقله آنفًا: فاما قول الناصبة ان ايمان أمير المؤمنين عليه السلام لم يقع على وجه المعرفة وانما كان على وجه التقليد والتلقين، وما كان بهذه المنزلة لم يستحق صاحبه المدحة، ولم يجب له به الثواب، وادعائهم ان أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الحال ابن تسع سنين، ومن كانت هذه سنّه لم يكن كامل العقل ولا مكلفًا.

فانه يقال لهم: انكم قد جهلتم في ادعائكم انه كان وقت مبعث النبي صلى الله عليه وآله ابن سبع سنين وقلتم قولاً لا برهان له يخالف المشهور ويضاد المعروف، وذلك ان جمهور الروايات جاءت بانه عليه السلام قبض وله خمس وستون سنة، وجاء في بعضها ان سنّه كانت عند وفاته ثلاثًا وستين سنة، فاما ما سوى هاتين الروايتين فشاذ مطرح لا يعرف في صحيح النقل ولا يقبله أحد من أهل الرواية والعقل، وقد علمنا ان أمير المؤمنين عليه السلام صحب رسول الله صلى الله عليه وآله

ثلاثًا وعشرين سنة منها ثلاث عشرة قبل الهجرة وعشر بعدها، وعاش بعده ثلاثين سنة، وكانت وفاته في سنة أربعين عن الهجرة، فاذا حكمنا في سنّه على خمس وستين بما تواترت به الاخبار كانت سنّه عند مبعث النبي ﷺ اثنتي عشرة سنة، وان حكمنا على ثلاث وستين كانت سنّه عند المبعث عشر سنين، وكان يخرج من هذا الحساب ان يكون سنّه عند المبعث سبع سنين، اللهم الاّ ان يقول قائل ان سنّه كانت عند وفاته ستين سنه فيصح ذلك له الاّ انه يكون دافعًا للمتواتر من الاخبار منكرًا للمشهور من الآثار معتمدًا على الشاذ من الروايات، ومن صار إلى ذلك كان الاولى من مناظرته البيان له عن وجه الكلام في الاخبار والتوقيف على طرق الفاسد من الصحيح منها، وكيف يمكن عاقلاً سمع الاخبار أو نظر في شيء من الآثار ان يدعي ان أمير المؤمنين ﴿صلوات الله عليه﴾ توفي وله ستون سنة مع قوله عليه السلام الشايع عنه الذايع في الخاص والعام عندما بلغه من ارجاف اعدائه به في التدبير والرأي، بلغني ان قومًا يقولون ان علي بن أبي طالب شجاع لكن لا بصيرة له بالحرب، لله ابوهم، وهل فيهم أحد ابصر بها حتى لقد قمت فيها وما بلغت العشرين، وها انا ذا قد ذرفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع، فخبّر عليه السلام بانه قد نيف على الستين في وقت عاش بعده دهرًا طويلاً، وذلك في أيام صفين وهذا يكذب قول من زعم انه ﴿صلوات الله عليه وسلامه﴾ توفي وله ستون سنة مع ان الروايات قد جاءت مستفيضة ظاهرة بان سنّه عليه السلام كانت عند وفاته بضعًا وستين سنة، وفي مجيئها بذلك على الانتشار دليل على بطلان مقال من أنكر

ذلك، ثم ساق جملة من الاخبار الدالة على ما ذكره[1].

أقول: وفي هذا الكلام ما يجاب به عن كلام الجاحظ وقوله في المقالة المتقدمة وانما يعرف حق ذلك من باطله بان يحصى سنين ولايته إلى آخره.

وأبو جعفر قد اعتذر باختلاف الاخبار عندهم في هذا المقام كما تقدم.

إلى ان قال شيخنا المشار اليه فاض الله تعالى رواشح قدسه عليه: على انا لو سلمنا لخصومنا ما ادعوه من انه عليه السلام كان عند المبعث سبع سنين لم يدل ذلك على صحة ما ذهبوا اليه من ان ايمانه على وجه التلقين دون المعرفة واليقين، وذلك ان صغر السن لا ينافي كمال العقل، وليس دليل وجوب التكليف بلوغ الحلم فيراعى ذلك، هذا باتفاق أهل النظر والعقول، وانما يراعى بلوغ الحلم في الاحكام الشرعية دون العقلية، وقد قال الله سبحانه في قصة يحيى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[2]، وقال في قصة عيسى ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[3]، فلم ينف صغر السن عن هذين النبيين عليهما السلام كمال عقلهما والحكمة التي أتاهما الله سبحانه، ولو كانت العقول تحيل ذلك لاحالته في كل احد وعلى كل حال، وقد اجمع أهل

١- الفصول المختارة للمفيد/٢٧١.

٢- مريم/١٢.

٣- مريم/٢٩-٣١.

التفسير الاّ من شذ منهم في قوله تعالى ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[1] الآية، انه كان طفلاً صغيرًا في المهد انطقه الله عزّ وجل حتى برّأ يوسف من الفحشاء وازال عنه التهمة.

والناصبه إذا سمعت هذا الاحتجاج قالت ان هذا الذي ذكرتموه فيمن عددتموه كان معجز الخرقة والعادة، ودلالة لنبي من انبياء الله عزّ وجل، فلو كان أمير المؤمنين عليه السلام مشاركًا لمن وصفتموه في خرق العادة لكان معجزًا له عليه السلام أو للنبي صلى الله عليه وآله، وليس يجوز ان يكون المعجز له، ولو كان للنبي صلى الله عليه وآله لجعله في معجزاته واحتج به في جملة بيناته، ولجعله المسلمون من آياته، فلما لم يجعله رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه علمًا ولا عده المسلمون في معجزاته، علمنا انه لم يجر فيه الامر على ما ذكرتموه.

فيقال لهم: ليس كلما خرق الله به العادة وجب ان يكون علمًا ولا لزم ان يكون معجزاً ولا شاع علمه في العام، ولا عرف من جهة الاضطرار، وانما المعجز العلم وهو خرق العادة عند دعوة داع أو براءة معروف يجري براءته مجرى التصديق له في مقاله، بل هي تصديق له في المعنى وان لم يك تصديقًا بنفس اللفظ والقول، وكلام عيسى عليه السلام انما كان معجزًا لتصديقه له في قوله ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾[2] مع كونه خرقًا

١- يوسف/٢٦.

٢- مريم/٣٠.

للعادة وشاهدًا لبراءة امه من الفاحشة ولصدقها فيما ادعته من الطهارة، وكانت حكمة يحيى عليه السلام في حال صغره تصديقًا له في دعوته في الحال ولدعوة ابيه زكريا عليه السلام، فصارت مع كونها خرق العادة دليلاً ومعجزًا، وكلام الطفل في براءة يوسف انما كان معجزاً لخرق العادة بشهادته ليوسف عليه السلام بالصدق في براءة ساحته، ويوسف عليه السلام نبي مرسل، فثبت ان الامر على ما ذكرناه، ولم يك كمال عقل أمير المؤمنين عليه شاهدًا في شيء مما ادعاه ولا استشهد هو عليه السلام به فيكون مع كونه خرقًا للعادة معجزًا، ولو استشهد به عليه السلام أو شهد على حد ما شهد الطفل ليوسف وكلام عيسى له ولامه وكلام يحيى لابيه بما يكون في المستقبل، والحال لكان لخصومنا وجه المطالبة بذكر ذلك في المعجزات ولكن لا وجه له على ما بيناه على ان كمال عقل أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن ظاهرًا للحواس ولا معلومًا بالاضطرار فيجري مجرى كلام المسيح، وحكمة يحيى، وكلام شاهد يوسف عليه السلام فيمكن الاعتماد عليه في المعجزات، وانما طريق العلم به مقال الرسول صلى الله عليه وآله أو الاستدلال الشاق بالنظر الثاقب والسبر لحاله عليه السلام على مرور الاوقات بسماع كلامه والتأمل والاستدلال والنظر فيما يؤدي إلى معرفته وفطنته، ثم لا يحصل ذلك الاّ لخاص من الناس ومن عرف وجوه الاستنباطات وما جرى هذا المجرى، فارق حكمه حكم ما سلف للانبياء من المعجزات، وما كان لنبينا صلى الله عليه وآله من الاعلام إذ تلك بظواهرها تقدح في القلوب باسباب اليقين، ويشترك الجميع في علم الحال الظاهرة منها المنبئة عن خرق العادات دون ان يكون مقصورة على ما ذكرناه من البحث الطويل

والاستبراء للاحوال على مرور الاوقات والرجوع فيه إلى نفس قول الرسول ﷺ الذي يحتاج في العلم به إلى النظر في معجز غيره والاعتماد على ما سواه من البينات، فلا ينكر ان يكون الرسول عليه السلام انما عدل عن ذكر ذلك واحتجاجه به في جملة آياته لما وصفناه، وشيء آخر وهو انه لا ينكر ان يكون الله سبحانه علم من مصلحة خلقه الكف من رسول الله ﷺ عن الاحتجاج بذلك والدعاء إلى النظر فيه، وان اعتماده على ما ظاهره خرق العادة أولى في مصلحة الدين، وشيء آخر وهو ان رسول الله ﷺ وان لم يحتج به على التفضيل والتعيين فقد فعل ما يقوم مقام الاحتجاج به على البصيرة واليقين، فابتدأ عليًا عليه السلام بالدعوة قبل الذكور كلهم ممن ظاهره البلوغ، وافتتح بدعوته قبل اداء رسالته واعتمد عليه في ايداعه سره واودعه ما كان خائفًا من ظهوره عنه، فدل باختصاصه بذلك على ما يقوم مقام قوله عليه السلام انه معجز له، وان بلوغ عقله علم على صدقه، ثم جعل ذلك من مفاخره وجليل مناقبه وعظيم فضايله، ونوّه بذكره وشهره بين اصحابه، واحتج له به في اختصاصه وكذلك فعل أمير المؤمنين عليه السلام في ادعائه له فاحتج به على خصومه، وتمدح به من اوليائه واعدائه، وفخر به على جميع أهل زمانه وذلك هو معنى النطق بالشهادة بالمعجز له، بل هو الحجة في كونه نائبًا في القوم بما خصه الله تعالى به ونفس الاحتجاج بعلمه دليل الله وبرهانه، وهذا يسقط ما اعتمدوه[1].

ثم قال: ومما يدل على ان أمير المؤمنين عليه السلام كان عند بعثته ﷺ بالغًا

١-الفصول المختارة/٢٧٦.

مكلفًا وان ايمانه به كان بالمعرفة والاستدلال، وانه وقع على أفضل الوجوه وآكدها في استحقاق عظيم الثواب، ثم اطال قدس سره في الكلام والاستدلال إلى ان قال: وشيء آخر وهو انه صلى الله عليه وآله دعى عليًا عليه السلام في حال كان مستترًا فيها بدينه كاتمًا لامره خائفًا ان شاع من عدوه، فلا يخلو اما ان يكون قد كان واثقًا من أمير المؤمنين عليه السلام بكتم سره وحفظ وصيته وامتثال أمره، وحمله من الدين ما حمله أو لم يكن واثقًا بذلك، فان كان واثقًا فلم يثق به الاّ وهو في غاية كمال العقل وعلى غاية الامانة وصلاح السريره والعصمة والحكمة وحسن التدبير، لان الثقة بما وصفناه دليل على جميع ما شرحناه على الحال التي قدمنا وصفها، وان كان غير واثق من أمير المؤمنين عليه السلام بحفظ سره وغير آمن من تضييعه واذاعة أمره فوضعه عنده من التفريط وضد الحزم والحكمة والتدبير، حاشا الرسول صلى الله عليه وآله من ذلك ومن كل صفة نقص، وقد اعلى الله رتبته واكذب مقالة من ادعى ذلك فيه، وإذا كان الامر على ما بيناه فما نرى الناصبة قصدت بالطعن في ايمان أمير المؤمنين عليه السلام الاّ عيب الرسول صلى الله عليه وآله وتهجينه والذم لافعاله، ووصفه بالعبث والتفريط، ووضع الأشياء غير مواضعها، والازراء عليه في تدبيراته، وما اراد مشايخ القوم ومن ألقى هذا المذهب اليهم الاّ ما ذكرناه، والله متم نوره ولو كره الكافرون، انتهى كلامه علا في الخلد مقامه[1].

هذا وأما قول الجاحظ انه انما يتكلم على ظواهر الاحوال وما شاهد عليه الاطفال فيجب ان يقال له:

١- الفصول المختارة/٢٨١ – ٢٨٢.

أولاً: انا أيضًا نقول ذلك في اسلام أبي بكر، وذلك لان هنا شيئين أحدهما اظهار الاسلام والقيام بشعائره بين الانام الموجب لحقن المال والدم واجراء سائر الاحكام الدنيوية.

وثانيهما: التصديق القلبي والايمان اللبي الموجب للمحبة واستحقاق رفع الدرجات فيها، وغاية ما يعطيه ظاهر الحال إذا رجعنا اليه هو الحكم بمجرد اظهار أبي بكر للاسلام واحتمال النفاق قائم كغيره من منافقي الصحابة، لانه قد كان كافرًا بالاتفاق، والتصديق واليقين أمر قلبي لا يعلمه الاّ الله تعالى أو من يطلعه الله تعالى عليه، واما علي عليه السلام فلم تسبق له حال كفر بالاتفاق، فالنفاق لا يتوجه في حقه بالاجماع من ذوي الخلاف والوفاق، فمن اين يحكم بترجيح هذا الاسلام المحتمل النفاق على ايمان من وقع على سلامة ايمانه الاتفاق.

وثانيًا: انه معذور لما غشى على بصر بصيرته من غشاوة الحمية الجاهلية، واعمى عين رؤيته من العصبية الموجبه للشقاوة الابدية والاّ فلو رجع إلى ما روى من طرقهم في حقه عليه السلام من الاخبار العلية المنار الدالة على انه في المرتبة الثانية عن النبي المختار، وانه لا امتياز له عنه الاّ بالنبوة في ذلك المضمار كما كشفنا عنه في هذا الكتاب ولا سيّما في المقدمة، وكذا ما تقدم في سابق هذه المقالات، واعترف به الشارح لعرف امتيازه عليه السلام عن ابناء النوع، ثم انه مما يدخل فيما عدده أبو جعفر من الأمور الخارقة العادة اخيرًا او عد منه بقاء الولد في بطن امه سنتين بقاء الشافعي احد ائمتهم في بطن امه اربع سنين

كما ذكره علماؤهم، واليه ذهب الشافعي فجوز بقاء الحمل في بطن امه أربع سنين، ثم تولده، بل نقل عن مالك بقاءه في بطن امه سبع سنين، والقول بالسنتين منقول عن أبي حنيفة، وما ذكره الشافعي ومالك ابلغ في خرق العادة، فكان الاولى تقديمه في الذكر، والجاحظ لا ينكر مذاهب ائمته البتة.

قال على أثر الكلام المتقدم أيضًا: قال الجاحظ: ولو لم يعرف باطل هذه الدعوى من أثر التقوى ويتحفظ من الهوى الأ بترك علي ذكر ذلك لنفسه والاحتجاج به على خصمه، وقد نازع الرجال ونادى الاكفاء وجامع أهل الشورى وولى عليه لكان كافيًا، ومتى لم تصح لعلي هذه الدعوى في ايامه ولم يذكرها لاهل عصره فهي عن ولده اعجز ومنهم اضعف، ولم ينقل الينا ناقل ان عليًا احتج بذلك في موقف ولا ذكره في مجلس ولا قام به خطيبًا ولا أدلى به واثقًا لا سيما وقد رضيه الرسول عندكم مفزعًا ومعلمًا وجعله للناس امامًا، ولا ادعى احد له ذلك في عصره كما لم يدعه لنفسه حتى يقول انسان او احد الدليل على امامته ان النبي ﷺ دعاه إلى الاسلام أو كلفه التصديق قبل بلوغه ليكون ذلك آية للناس في عصره وحجة له ولولده من بعده، فهذا كان اشد على طلحة والزبير وعايشة من كل ما ادعاه من سوابقه وفضايله وذكر قرابته[1].

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: ان مثل الجاحظ مع فضله وعلمه لا يخفى عليه كذب هذه الدعوى وفسادها، ولكنه يقول ما يقوله تعصبًا وعنادًا، وقد روى

١- العثمانية للجاحظ/٩، مع اختلاف لما ذكره ابن ابي الحديد في شرح النهج، شرح نهج البلاغة ٢٤٢/١٣ - ٢٤٣.

الناس كافة افتخار علي عليه السلام بالسبق إلى الاسلام، وان النبي صلى الله عليه وآله تنبأ يوم الاثنين واسلم علي عليه السلام يوم الثلاثاء، وانه كان يقول صليت قبل الناس سبع سنين، وانه ما زال يقول انا اول من اسلم ويفتخر بذلك ويفتخر له اولياؤه ومادحوه وشيعته في عصره وبعد وفاته عليه السلام، والامر في ذلك اشهر من كل شهير، وقد قدمنا منه طرفًا، وما علمنا احدًا من الناس فيما خلا استخف باسلام علي عليه السلام ولا تهاون به ولا زعم انه اسلام حدث غرير وطفل صغير، ومن العجب مثل العباس وحمزة ينتظران أبا طالب وفعله ليصدرا عن رأيه، ثم يخالفه علي عليه السلام ابنه لغير رغبة ولا رهبة يؤثر القلة على الكثرة، والذل على العز من غير علم ولا معرفة بالعاقبة، وكيف ينكر الجاحظ والعثمانية ان رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه إلى الاسلام وكلفه التصديق، وقد ورد في الخبر الصحيح انه كلفه في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الاسلام وافشائها بمكة ان يصنع لهم طعامًا وان يدعو له بني عبد المطلب، فصنع لهم طعامًا ودعاهم له فخرجوا ذلك اليوم ولم ينذرهم لكلمة قالها عمه أبو لهب، فكلفه اليوم الثاني ان يصنع مثل ذلك الطعام وان يدعوهم ثانية فصنعه ودعاهم فأكلوا، ثم كلمهم صلى الله عليه وآله فدعاهم إلى الدين ودعاه معهم لانه من بني عبد المطلب، ثم ضمن لمن يوازره منهم وينصره على قوله ان يجعله اخاه في الدين، ووصيه بعد موته، وخليفته من بعده، فامسكوا كلهم واجابه علي عليه السلام وحده، وقال: انا انصرك على ما جئت به، واوازرك وابايعك، فقال لهم لما رأى منهم الخذلان ومنه النصرة، وشاهد منهم العصبية ومنه الطاعة، وعاين منهم الإباء ومنه الاجابة، هذا

اخي ووصيي وخليفتي من بعدي، فقاموا ليسخرون ويضحكون ويقولون لأبي طالب اطع ابنك، فقد امره عليك، فهل تكلف عمل الطعام ودعاء القوم صغيرًا غير مميز وغير عاقل، وهل يؤتمن على سر النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع سنين! وهل يدعى في جملة الشيوخ الكهول الاّ عاقل لبيب، وهل يضع رسول الله ﷺ يده في يده ويعطيه صفقة يمينه بالاخوة والوصية والخلافة الاّ وهو أهل لذلك بالغ حد التكليف، محتمل لولاية الله وعداوة اعدائه، وما بال هذا الطفل لم يأنس باقرانه ولم يلصق باشكاله، ولم ير الصبيان في ملاعبهم بعد اسلامه وهو كأحدهم في طبقته، وكبعضهم في معرفته، وكيف لم يفزع اليهم في ساعة من الساعات فيقال دعاه نقص الصبا وخاطر من خواطر الدنيا، وحمله الغرة والحدثة على حضور لهوهم والدخول في حالهم، بل ما رأيناه الاّ ماضيًا في اسلامه، مصممًا محققًا لقوله وفعله، قد صدق اسلامه بعفافه وزهده، ولصق برسول الله ﷺ من بين جميع من بحضرته، وهو امينه واليفه ودنياه وآخرته، وقد قهر شهوته وجاذب خواطره، صابرًا على ذلك نفسه لما يرجو من فوز العاقبة وثواب الآخرة، وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه وخطبه بدأ حاله وافتتاح أمره حيث اسلم لما دعا رسول الله ﷺ الشجرة فاقبلت تخد الأرض، فقالت قريش ساحر خفيف السحر، فقال علي عليه السلام يا رسول الله انا أول من آمن بك، آمنت بالله ورسوله وصدقتك فيما جئت به، انا اشهد ان الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقًا لنبوتك، وبرهانًا على صحة دعوتك، فهل يكون ايمان قط اصح من هذا الايمان واوثق عقدة أو احكم امرة، ولكن حنق العثمانية

وغيظهم وعصبية الجاحظ وانحرافه مما لا حيلة فيه، ثم لينظر المنصف وليدع الهوى جانبًا ليعلم نعمة الله على علي عليه السلام بالاسلام حيث اسلم على الوضع الذي اسلم عليه فانه لولا الاّ الالطاف التي خص بها، والهداية التي منحها لما كان الاّ كبعض اقارب محمد صلى الله عليه وآله واهله، فقد كان ممازجًا كممازجته، ومخالطًا كمخالطته كثيرًا من أهله، ولم يستجب احد منهم له الاّ بعد حين، ومنهم من لم يستجب له اصلاً، فان جعفرًا عليه السلام كان ملتصقًا به ولم يسلم حينئذ، وكان عتبه ابن أبي لهب ابن عمه وصهره زوج ابنته ولم يصدقه بل كان شديدًا عليه، وكان لخديجة ﴿رضي الله عنها﴾ بنون من غيره ولم يسلموا حينئذ وهم ربائبه ومعه في دار واحدة، وكان أبو طالب اباه في الحقيقة وكافله وناصره والمحامي عنه، ومن لولاه بعد الله لما كانت قائمته ومع ذلك لم يسلم في اغلب الروايات، وكان العباس عمه وكان القرين له في الولادة والمنشأ والتربية ولم يستجب له الاّ بعد حين طويل، وكان أبو لهب عمه وكدمه ولحمه لم يسلم، وكان شديدًا عليه، فكيف ينسب اسلام علي عليه السلام إلى الالف والتربية والقرابة واللحمة، والتلقين والحضانة، والدار الجامعة وطول العشرة، والانس والخلوة، وقد كان كل ذلك حاصلاً لهؤلاء أو لكثير منهم ولم يهتد أحد منهم إذ ذاك بل كانوا بين من جحد وكفر ومات على كفره، ومن ابطأ وتأخر وسبق الاسلام وجاء مسكينًا، وقد فاز بالمنزلة غيره، وهل يدل تأمل حال علي عليه السلام مع الانصاف الاّ على انه اسلم لانه شاهد الاعلام، ورأى المعجزات، وشم ريح النبوة، ورأى نور الرسالة، وثبت اليقين في قلبه بمعرفة

وعلم ونظر صحيح لا بتقليد ولا حمية، ولا رغبة ولا رهبة الاّ فيما يتعلق بـامور الآخرة، انتهى[1].

أقول: لقد اجاد أبو جعفر فيما افاد ووافق المقصود والمراد لكنه لفرط شغفه بتفضيل علي عليه السلام والانتصار له والرد على معاندته قد اوقع نفسه في مقام الايراد بايراده لحديث الدار وما يتضمنه من العار عليه وعلى ائمته، فانه إذا اعترف بكون النبي صلى الله عليه وآله قد جعل عليًا عليه السلام باجابته له أول الناس في ذلك المجلس اخاه ووصيه والخليفة من بعده وبايعه على ذلك، فهل يكون نص اصرح منه في وجوب الخلافة له عليه السلام، وانه هو القائم بعده بذلك المقام، وهل بلغهم بعد هذا نسخ منه صلى الله عليه وآله لهذا الكلام وعدول عنه، بل النصوص كما عرفت انما تواترت وتكاثرت بما يتضمن التأكيد لذلك والتأييد واعلاء المنار والتشييد كما عرفت في المقدمة وغيرها، فكيف استجاز هذا الفاضل وكذلك الشارح الناقل تغميض العين عن هذا الخبر وما فيه من العبر التي لا يخفى على ناظر من البشر.

قال على أثر الكلام المتقدم أيضًا: قال الجاحظ: فلو ان عليًا كان بالغًا حيث اسلم لكان اسلام أبي بكر، وزيد بن حارثة، وحباب بن الارت افضل من اسلامه، لان اسلام المقتضب الذي لم يعتد به ولم يعوده ولم يمرن عليه أفضل من اسلام الناشيء الذي ربي فيه ونشا وحبب اليه، وذلك لان صاحب التربية يبلغ حيث يبلغ وقد اسقط عنه الفه مؤونة الروية والخاطر، وكفاه علاج القلب

١- شرح نهج البلاغة ٢٤٥/١٣ – ٢٤٦.

واضطراب النفس، وزيد وحباب وأبو بكر يعانون من كلفة ومؤنة التأويل ومشقة الانتقال من الدين الذي طال الفهم له ما هو غير خاف، ولو كان علي حيث اسلم بالغًا مقتضيًا كغيره ممن عددنا كان اسلامهم أفضل من اسلامه، لان من اسلم وهو يعلم ان له ظهرًا كأبي طالب وردئًا كبني هاشم وموضعًا في بني عبد المطلب ليس كالحليف والمولى والتابع والعسيف وكالرجل من عرض قريش، أو لست تعلم ان قريشًا خاصة وأهل مكة عامة لم يقدروا على اذى النبي ﷺ ما كان أبو طالب حيًا، وأيضا فان اولئك اجتمع عليهم مع فراق الالفة مشقة الخواطر، وعلي كان بحضرة الرسول ﷺ يشاهد الاعلام في كل وقت ويحضر منزل الوحي والبراهين له أشد انكشاف، والخواطر على قلبه أقل اعتلاجًا وعلى قدر الكلفة والمشقة يعظم الفضل ويكثر الاجر[1].

قال شيخنا أبو جعفر: ينبغي ان ينظر أهل الانصاف هذا الفصل ويقفوا على قول الجاحظ والاصم في نصرة العثمانية واجتهادهما في القصد إلى فضايل هذا الرجل تهجينًا مرة ببطلان معناها، ومرة يتوصلان إلى حط قدرها، ولينظر في كل باب اعترضا فيه اين بلغت حيلتهما وما صنعا في حيلهما في قصصهما كسجعهما، اليس إذا تأملتها علمت انها الفاظ ملفقة بلا معنى، وانها عليهما شحناء وبلاء والاّ فما عسى ان تبلغ حيلة الحاسد ويغني كيد الشاني لمن قد جل قدره عن النقص، واضاءت فضائله اضاءة الشمس، واين قول الجاحظ من دلايل السماء وبراهين الانبياء، وقد علم الصغير والكبير والعالم والجاهل

١ – العثمانية/٢٢ مع اختلاف لما نقله ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٤٧/١٣.

ممن بلغه ذكر علي عليه السلام وعلم مبعث النبي صلى الله عليه وآله ان عليًا عليه السلام لم يولد في دار الاسلام ولا غذى في حجر الايمان، وانما استضافه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى نفسه سنة القحط والمجاعة وعمره يومئذ ثمان سنين، فمكث معه سبع سنين حتى اتاه جبرئيل بالرسالة فدعاه وهو بالغ عاقل كامل العقل إلى الاسلام فاسلم بعد مشاهدة المعجزة وبعد اعمال النظر والفكر وان كان قد ورد في كلامه عليه السلام انه صلى سبع سنين قبل الناس كلهم، فانما يعني ما بين الثمان والخمس عشرة، ولم يكن حينئذ دعوة ولا رسالة ولا ادعاء نبوة، وانما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعبد على ملة إبراهيم ودين الحنفية، ويتجنب ويجانب الناس ويعتزل، ويطلب الخلوة، وينقطع في جبل حرى، وكان علي عليه السلام كالتابع والتلميذ، فلما بلغ الحلم وجاء النبي الملائكة وبشرته بالرسالة دعاه فاجاب عن نظر ومعرفة بالاعلام المعجزة، فكيف يقول الجاحظ ان اسلامه لم يكن مقتضيًا وان كان اسلامه ينقص عن اسلام غيره في الفضيلة لما كان يمرن عليه من التعبد مع رسول الله صلى الله عليه وآله ليكونن طاعة كثير من المكلفين افضل من طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وامثاله من المعصومين، لان العصمة عند أهل العدل لطف يمنع من اختص به من ارتكاب القبيح، فمن اختص بذلك اللطف كانت الطاعة عليه اسهل، فوجب ان يكون ثوابه انقص من ثواب من اطاع من غير تلك الالطاف، وكيف يقول الجاحظ ان اسلامه ناقص عن اسلام غيره وقد جاء في الخبر انه اسلم يوم الثلاثاء وتنبىء صلى الله عليه وآله يوم الاثنين، فمن هذا حاله لم تكثر حجج الرسالة على سمعه ولا تواترت اعلامه على مشاهدته ولا تطاول الوقت عليه

لتخف محنته ولسقط ثقل تكليفه، بل بان فضله وظهر حسن اختيـاره لنفسه إذا أسلم في حال بلوغه وعانى نوازع طبعه، ولم يؤخر ذلك بعد ساعة، وقـد زعـم الجاحظ في كتابه هذا ان أبا بكـر كـان قبـل اسـلامه مـذكورًا أو رئيسًا معروفًا يجتمع اليه كثير من أهل مكة، وينشدون الاشعار ويتذاكرون الاخبار ويشربون الخمر، وقد كان سمع دلائل النبوة وحجج الرسالة وسافر إلى البلدان، ووصلت اليه الاخبار، وعـرف دعـوة الكهنـة، وحيـل السحرة، ومـن كـان كـذلك كـان انكشاف الأمـور إليـه اظهـر والاسـلام عليـه أسـهل، والخـواطر علـى قلبـه أقـل اعتلاجًا، وكان ذلك عونًا لأبي بكر على الاسلام ومسهلاً لـه سبيله، ولذلك لمـا قال النبـي ﷺ اتيـت بيـت المقـدس سـأله أبـو بكـر عـن المسجد ومواضـعه فصدقه، وبان لـه امره وخفت مؤنتـه لمـا تقـدم مـن معرفتـه بالبيـت، فخـرج إذًا اسلام أبي بكر على قول الجاحظ من معنى المقتضب، وفـي ذلـك رويـتم عنـه ﷺ انه قال ما دعوت أحد إلى الإسلام الاّ وكان لـه تـردد ونبـوة الاّ مـا كـان من أبي بكر فانه لم يتلعثم حتى هجم به اليقين إلى المعرفة والاسلام، فأين هذا ومن خلى وعقله والجأ إلى نظـره مع صـغر سـنه واعـتلاج الخـواطر علـى قلبـه ونشأته في ضد ما دخل فيه، والغالب علـى اقرانـه وامثالـه حـب اللعـب واللهـو، فلجأ إلى ما ظهـر لـه مـن دلايـل الـدعوة، ولـم يتـأخر اسـلامه فيلزمـه التقـصير بالمعصية، فغلب شهوته وقهر خواطره، وخـرج مـن عادتـه ومـا كـان غـذى بـه لصحة نظره ولطافة فكره وغامض فهمه، فعظم استنباطه، ورجح فضله، وشرف قدر اسلامه، ولم يأخذ من الدنيا بنصيب، ولا تنعم فيها بنعـيم حـدثًا ولا كبيـرًا،

وكسر شره حداثته بالتقوى، واشتغل بهمّ الدين عن نعيم الدنيا، واشغل بهمّ الآخرة قلبه، ووجه اليه رغبة، واسلامه هو السبيل الذي لم يسلم عليه أحد غيره، وما سبيله في ذلك الاّ كسبيل الانبياء ليعلم ان منزلته من النبي صلى الله عليه وآله منزلة هارون من موسى، وانه وان لم يكن نبيًا فقد كان في سبيل الانبياء سالكًا، ولمناهجهم متبعًا، وكانت حاله كحال ابراهيم عليه السلام فان أهل العلم ذكروا انه لما كان صغيرًا جعلته امه في سرب لم يطلع عليه أحد، فلما نشأ ودرج قال لامه من ربي؟ فقالت: أبوك، فقال: ومن رب أبي؟ فزبرته ونهرته إلى ان طلع من شق السرب ورأى كوكبًا ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]، وفي ذلك يقول الله عزّ وجلّ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[2]، وعلى هذا كان اسلام الصديق الاكبر عليه السلام ولسنا نقول انه كان مناويًا له في الفضل ولكن كان مقتديًا بطريقته على

١- الأنعام/٧٦-٧٩.

٢- الأنعام/٧٥.

ما قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فأما اعتلال الجاحظ بان له ظهرًا كأبي طالب وردئًا كبني هاشم فانه يوجب عليه ان يكون محنة أبي بكر وبلال وثوابهما وفضل اسلامهما اعظم مما لرسول الله ﷺ، لان أبا طالب ظهره وبني هاشم ردؤه، وحسبك جهلاً من معاند لم يستطع حط قدر علي عليه السلام الاّ بحط من قدر رسول الله ﷺ ولم يكن أحد أشد على رسول الله ﷺ من قراباته الادنى منهم فالادنى كأبي لهب عمه وامرأة أبي لهب وهي أم جميل بنت حرب بن أمية واحدى أولاد عبد مناف، ثم ما كان من عقبة بن أبي معيط وهو ابن عمه، وما كان من النضر بن الحارث وهو من بني عبد الدار بن قصي وهو ابن عمه أيضًا، وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم، وكلهم كان يطرح الاذى في طريقه وينقل اخباره ويرميه بالحجارة ويرمى الكرش والفرث عليه، وكانوا يأذون عليًا عليه السلام كأذاه، ويجتهدون في غمه ويستهزؤن به، وما كان لأبي بكر قرابة تؤذيه كقرابة علي عليه السلام، ولما كان بين علي عليه السلام وبين النبي ﷺ من الاتحاد والالفه والامتنان احجم المنافقون بالمدينة عن اذى رسول الله ﷺ خوفًا من سيفه، وانه صاحب الدار والجيش، وامره مطاع وقوله نافذ، فخافوا على دمائهم منه، فاتقوا وامسكوا عن اظهار بغضه واظهروا بغض علي عليه السلام وشنآنه، فقال رسول الله ﷺ في حقه في الخبر الذي روي في جميع الصحاح لا يحبك الاّ مؤمن ولا

١- آل عمران/٦٨.

يبغضك الاّ منافق، وقال كثير من أعلام الصحابة في الخبر المشهور بين المحدثين ما كنا نعرف المنافقين الاّ ببغض علي عليه السلام، واين كان ظهر أبي طالب عن جعفر وقد ازعجه الاذى عن وطنه حتى هاجر إلى بلاد الحبشة وركب البحر، ايتوهم الجاحظ ان أبا طالب نصر عليًا وخذل جعفرًا، انتهى[1].

أقول: ما ذكره أبو جعفر هنا من جعل النبي صلى الله عليه وآله حب علي عليه السلام وبغضه ميزانًا لمعرفة منافقي المسلمين من الصحابه من المؤمنين، وان بغض علي عليه السلام دليل على بغضه صلى الله عليه وآله ومنبيء عنه مما يعود نقضه أيضًا عليه، لان ما فعله ائمته وخلفائه بعلي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام بعد موت النبي صلى الله عليه وآله كما استفاضت به أخبار السقيفة المتقدمة مما ينادي بأوضح لسان بالبغض له عليه السلام فيكون موجبًا لكفرهم لدلالته على بغض النبي صلى الله عليه وآله باعترافه هنا، ويتبعهم في ذلك من تبعهم من قريش كما تقدم تحقيق ذلك في غير مقام ولا سيما في شرح قوله عليه السلام اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم إلى آخره من الجزء الرابع، ومنه يعلم هنا كفر الجاحظ وجملة العثمانية المبغضين لامام البرية، وترى الشارح الضال مع ما نقله عن الجاحظ في هذا المجال في غير موضع من هذا الشرح إذا نقل عنه انما يعبر ويقول قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ منوهًا بشأنه ومعلنًا لقدره ومكانه، ومبتهجًا بكونه شيخًا له، ومعتمدًا على كلامه في نقضه وابرامه مع ظهور كفره كما ترى، ووجوب البراءة ممن حاد الله ورسوله وافترى، وهذه عقايدهم الفاسدة الذي يرجعون فيها عن الدين

١- شرح نهج البلاغة ٢٤٧/١٣ – ٢٥١.

القهقرى، فلا دين لهم ولا صيانة، ولا ثقة ولا امانة، ومع هذا يتمدح بحب علي عليه السلام وتفضيله، ويجعل نفسه انه لا محب له سواه، قاتله الله من ضال ما اغواه، والله الهادي لمن يشاء.

قال على أثر الكلام السابق أيضًا: قال الجاحظ: ولابي بكر فضيلة في اسلامه لانه كان في اسلامه كثير الصديق، عريض الجاه ذا يسار وغنى، يعظم لماله ويستفاد من رأيه، فخرج عن عز الغنى وكثرة الصديق إلى ذل الفاقة وعجز الوحدة، وهذا غير اسلام من لا حراك به ولا عز له، تابع غير متبوع، لان من اشد ما يبتلى به الكريم السب بعد التحية، والضرب بعد الهيبة، والعسر بعد اليسر، ثم كان أبو بكر داعية من دعاة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يتلوه في جميع احواله، فكان الخوف اليه اشد والمكروه نحوه اسرع، وكان ممن يحسن مطالبته ولا يستحيي من ادراك الثار عنده لنباهته ونجدة ذكره، والحدث الصغير يزدرى ويحتقر لصغر سنّه وخمول ذكره[1].

قال شيخنا أبو جعفر: اما ما ذكره من كثرة المال والصديق، واستفاضة الذكر، وبُعد الصيت وكبر السن فكله عليه لا له، وذلك لانه قد علم من حسن سيرة العرب واخلاقها حفظ الصديق والوفاء بالذمام، والتهيب لذي الثروة، واحترام السن العالية، في كل هذا ظهر شديد، وسند وثقة يعتمد عليها عند المحن، ولذلك كان المرء منهم إذا تمكن من صديقه ابقى عليه واستحيى منه، وكان ذلك سببًا لنجاته، والعفو عنه، على ان علي بن ابي طالب ان لم يكن

---

١ – العثمانية/٢٥، مع اختلاف لما نقله ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٥١/١٣.

شهره سنّه فقد شهره نسبه وموضعه من بني هاشم، وان لم تستفض ذكره بلقاء الرجال وكثرة الاسفار استفاض بأبي طالب، وانتم تعلمون انه ليس يتم في بعد الصوت كهاشم ولا أبو قحافة كأبي طالب وعلى حسب ذلك يعلو ذكر الفتى على ذي السن، ويبعد صيت الحدث على الشيخ، ومعلوم أيضًا ان عليًا عليه السلام على اعناق المشركين اثقل إذ كان هاشميًا وإذ كان أبوه حامي رسول الله صلى الله عليه وآله والمانع لحوزته، وعلي هو الذي فتح على العرب باب الخلاف واستهان بهم بما اظهر من الاسلام والصلاة، وخالف رهطه وعشيرته، واطاع ابن عمه فيما لم يعرف من قبل ولا ظهر له نظير كما قال الله تعالى ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾[1]، ثم كان بعد صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ومشتكي حزنه، وانيسه في خلوته، وجليسه واليفه في ايامه كلها، وكل هذا يوجب التحريض عليه ومعاداة العرب له، ثم انتم معاشر العثمانية تثبتون لأبي بكر فضيلة بصحبة الرسول من مكة إلى يثرب ودخوله إلى الغار، قلتم مرتبة شريفة وحالة جليلة، إذ كان شريكه في الهجرة، وانيسه في الوحشة، فأين هذا من صحبة علي عليه السلام في خلوته وحيث لا يجد انيسًا غيره ليله ونهاره بايام مقامه بمكة، يعبد الله ويتكلف له الحاجة جهرًا، ويخدمه كالعبد يخدم مولاه، ويشفق عليه ويحوطه، وكالولد يبر والده ويعطف عليه، ولما سئلت عايشة من كان احب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: اما من الرجال فعلي، واما من النساء فاطمة.

١- يس/٦.

أقول: لا يخفى ان جميع ما ادعاه الجاحظ والعثمانية من هذه الدعاوى لابى بكر وافتخر بها له لو كان لشيء منها اصل لافتخر به أبو بكر أو افتخر له في عصره وايامه به بعض اتباعه ولو كان لنقل، وليس فليس، ألا ترى ان جميع ما ذكره أبو جعفر لعلي عليه السلام من الصحبة للرسول والخدمة له والخلوه معه والسبق إلى متابعته والإختصاص من بين الناس به ونحو ذلك كله مشهور منشور في كلام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة وغيره مما نقله الشارح في مواضع من شرحه وما لم ينقله، ومجرد الدعاوي الكاذبة سهلة التناول على من عدم الديانة وخلع ربقه الصيانة، ثم ان ما ادعاه لابي بكر من الغنى والثروة والمال فقد قدمنا في المقدمة ما هدم بنيانه وزعزع اركانه، وسيأتي في كلام أبي جعفر أيضًا ما يؤيده وينير برهانه، وما ادعاه له من العز وعرض الجاه والشهرة وعلو المنزلة في الناس فكله ناش من البهت والحيرة في المقام، وها نحن نسرد عليك جملة مما نقله العلماء الاعلام، ودالاً على رذالة أبي بكر وطائفته بين الانام:

فمن ذلك: ما استفاض نقله من الخاص والعام من قول أبي سفيان لبني هاشم لما بويع لأبي بكر بالخلافة ارضيتم يا بني عبد مناف ان يلي عليكم الرذل بن الرذل أبو الفصيل[1]، وقد تقدم في أخبار السقيفة.

ومثله ما رواه القوم من قول أبي قحافة لما بلغه الخبر بنصب أبي بكر خليفة من تعجبه وقوله: اللهم لا رافع لما وضعت، ولا واضع لما رفعت.

١- البحار ٥٢٠/٢٢.

وقال الشارح في هذا الجزء في شرح قوله عليه السلام فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبني اسحاق وبني اسرائيل إلى آخره ما صورته: وروى الزبير بن بكار في الموفقيات ان أبا بكر قال في الجاهلية لقيس بن عاصم المنقري ما حملك على ان وأدت؟ قال: مخافة ان يخلف عليهن مثلك.

فانظر إلى ما في هذا الخبر من الصراحة في رذالة أبي بكر في زمن الجاهلية حيث انه لما سأل الرجل عن قتله بناته كما هي سنّة الجاهلية، وهي الموؤدة التي ذكرها الله عزّ وجل في القرآن اجابه مخافة ان يتزوجها مثله، يعني من الاراذل الذين ليسوا من الاكفاء.

ونقل الشارح في المسئلة السابعة من شرح قوله عليه السلام اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم إلى آخره من الجزء الرابع عن المدائني في كتاب الامثال، عن المفضل الضبي ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج من مكة يعرض نفسه على قبايل العرب خرج إلى ربيعة معه علي وأبو بكر، فدفعوا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر وكان نسابة فسلم فردوا عليه السلام، فقال: ممن القوم؟ فقالوا: من ربيعة، قال: امن هامتها أم من لهازمها؟ فقالوا: من هامتها العظمى، فقال: من أي هامتها العظمي انتم؟ قالوا: من ذهل الاكبر، قال: أفمنكم عوف الذي يقال له لا حر بوادي عوف؟ قالوا: لا، قال: افمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الاحياء؟ قالوا: لا، قال: افمنكم جساس حامي الديار ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: افمنكم الجوفران قاتل الملوك وسالبها انفسها؟ قالوا: لا، قال: افأنتم اخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا، قال: فلستم إذاً ذهل الاكبر انتم

ذهل الاصغر، فقام اليه غلام قد بقل وجهه اسمه دعفل فقال:

ان علـــى سائلنـــا ان نـــسأله والعيـــب لا نعرفـــه أو نجهلـــه

يا هذا انك قد سألتنا فاجبناك، ولم نكتمك شيئًا، فمن الرجل؟ قال: من قريش، قال: بخ بخ أهل الشرف والرياسة، فمن أي قريش انت؟ قال: من تيم بن مرة، قال: امكنت والله الرامي من الثغرة، امنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبايل من فهر وكان يدعى مجمعًا؟ قال: لا، قال: افمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه؟ قال: لا، قال: افمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء؟ قال: لا، قال: افمن المفيضين بالناس انت؟ قال: لا، قال: افمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا، قال: افمن أهل الرفادة أنت؟ قال: لا، قال: افمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا، قال: افمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، فاجتذب أبوبكر زمام ناقته ورجع إلى رسول الله ﷺ هاربًا من الغلام، فقال دعفل:

صادف در السيل درًا صدعه

اما والله لو ثبت لاخبرتك انه من زمعات قريش، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال علي لأبي بكر: لقد وقعت يا أبا بكر من الاعرابي على طامة، فقال: أجل ان لكل طامة طامة، والبلاء موكل بالمنطق، انتهى.

قال ابن الاثير في النهاية في حديث ابي بكر والنسابة: انك من زمعات قريش، الزمعة – بالتحريك – التلعة الصغيرة، أي لست من اشرافهم انتهى[1].

١- النهاية ٢/٣١٣، (زمع).

قال الجوهري: الزمع رذال المال، يقال هو من زمعهم[1].

وقال الشارح في الجزء الحادي عشر كتاب عبد الملك بن مروان إلى مصعب بن الزبير جوابًا وفيه ما هذا لفظه: اما ما ذكرت من وفائك لي، فلعمري لقد وفى أبوك لتيم وعدي بعداء قريش وزعانفها، انتهى.

قال في القاموس الزعنفة -بالكسر والفتح- القصير والقصيرة وطائفة من كل شيء، وطرف الاديم كاليدين والرجلين، والرذل، انتهى[2].

ولا يخفى ان المعنى المراد في المقام هو الاخير، إذ لا مناسبة لسواه بمقتضى الحال.

وقال شيخنا المفيد ﴿عطر الله مرقده﴾ في كتاب الفصول: حضرت يومًا مجلسًا فجرى فيه كلام في رذالة بني تيم بن مرة وسقوط اقدارهم فقال شيخ من الشيعة: قد ذكر أبو عيسى الورّاق فيما يدل على ذلك قول الشاعر:

ويقضى الامر حين تغيب تيم	ولا يستأذنون وهم شهود
وانك لو رأيت عبيد تيم	وتيمًا قلت ايهم العبيد

فذكر الشاعر ان الرائي لهم لا يفرّق بين عبيدهم وساداتهم من الضعة وسقوط القدر، فانتدب له أبو العباس هبة الله المنجم، فقال له: يا شيخ ما اعرفك باشعار العرب هذا في تيم بن مرة أو تيم الرباب وجعل يتضاحك

١- الصحاح ١٢٢٦/٣، (زمع).

٢- القاموس المحيط ١٤٨/٣ (زعفه).

بالرجل ويتماجن عليه ويقول له: سبيلك ان تؤلّف دواوين العرب فان بصرك بها حسن، فقلت له: جعلت هذا الباب رأس مالك، ولو انصفت في الخطاب لانصفت في الاحتجاج، وان أخذنا معك في إثبات هذا الشعر تعلق البرهان فيه، فالرجال والكتب المصنفات، اندفع المجلس ومضى الوقت، ولكن بيننا وبينك كتب السير وكل من اطلع على حرب الجمل وحرب أهل البصرة، فهل ريب في شعر عمير بن الاهلب الضبي وهو يجود بنفسه بالبصرة، وقد قتل بين يدي الجمل وهو يقول:

لقد اوردتنا حومة الموت امنا ... فلم ننصرف الاّ ونحن رواء

نصرنا قريشًا ضلة من حلومنا ... ونصرتنا أهل الحجاز عناء

لقد كان عن نصر ابن ضبة امه ... وشيعتها مندوحة وغناء

نصرنا بني تيم بن مرة شقوة ... وهل تيم الاّ اعبد واماء

فهذا رجل من انصار عايشة، ومن سفك دمه في ولايتها يقول هذا القول في قبيلتها بلا ارتياب بين أهل السير، ولم يك بالذي يقوله في تلك الحال الاّ وهو معروف عند الرجال غير مشكوك فيه عند العارفين بقبائل العرب في سائر الناس، فأخذ في الضجيج ولم يأت بشيء، انتهى كلامه زيد مقامه[1].

فليضحك الجاحظ واصحابه قليلاً وليبكوا كثيرًا، وقد لقوا بما اتوه عذابًا وسعيرًا.

١- الفصول المختارة/٨٧.

قال: قال الجاحظ: وكان أبو بكر من المفتونين المعذبين بمكة قبل الهجرة، ضربه نوفل بن خويلد المعروف بابن العدوية مرتين حتى ادماه، وشده وطلحة بن عبيد الله في قرن وجعلهما في الهاجرة عمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، ولذلك يدعيان المقرنين، ولو لم يكن له غير ذلك لكان لحاقه عسيرًا، وبلوغ منزلته شديدًا، ولو كان يومًا واحدًا لكان عظيمًا، وعلي بن أبي طالب رافه وادع ليس بمطلوب ولا طالب، وليس انه لم يكن في طبقه الشهامة والنجدة وفي غريزته البسالة في الشجاعة، لكنه لم يكن قد تمت أوانه ولا استكملت آلته، ورجال الطلب واصحاب المال يغمضون ذا الحداثة، ويزرون بذي الصبى والغرارة إلى ان يلحق بالرجال ويخرج من طبع الاطفال[1].

قال شيخنا أبو جعفر: أما القول فممكن، والدعوى سهلة على مثل الجاحظ، وانه ليس على لسانه من دينه وعقله رقيب، وهو من دعوى الباطل غير بعيد، فمعناه نزر، وقوله لغو، ومطلبه سجع، وكلامه لعب، وهو يقول الشيء وخلافه، ويحسن القول وضده، ليس له من نفسه واعظ، ولا لدعواه حد قائم، والاّ فكيف تجاسر على القول بان عليًا عليه السلام حينئذ لم يكن مطلوبًا ولا طالبًا، وقد بينا بالاخبار الصحيحة والحديث المرفوع السند انه كان يوم اسلم بالغًا كاملاً منابذًا بلسانه وقلبه لمشركي قريش، ثقيلاً لقلوبهم، وهو المخصوص دون أبي بكر بالحصار في الشعب، وصاحب الخلوات برسول الله صلى الله عليه وآله في تلك

---

١ – العثمانية/٢٧، مع اختلاف لما ذكره ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٥٣/١٣.

الظلمات، المتجرع لغصص المرار من أبي لهب وأبي جهل وغيرهما، والمصطلي لكل مكروه، والشريك في كل اذى، وقد نهض بالحمل الثقيل، وبان بالامر الجليل، ومن الذي كان يخرج ليلاً من الشعب على هيئة السارق، ويخفي نفسه وفضايل شخصه حتى يأتي إلى من يبعثه اليه أبو طالب من كبراء قريش كمطعم بن عدي وغيره فيحمل لبني هاشم على ظهره اعدال الدقيق والقمح، وهو على أشد خوف من اعدائهم كأبي جهل وغيره لو ظفروا به لاراقوا دمه، علي كان يفعل ذلك ايام الحصار في الشعب أم أبو بكر، وقد ذكر هو عليه السلام حاله يومئذ فقال في خطبة له مشهورة: فتعاقدوا على ان لا يعاملونا، ولا يناكحونا، واوقدت الحرب نيرانها، واضطررنا إلى جبل وعر، مؤمننا يرجو الثواب، وكافرنا يحامي عن الاصل.

ولقد كانت القبايل كلها اجتمعت عليهم وقطعوا عنهم الماء والميرة، فكانوا يتوقعون الموت من الجوع صباحًا ومساء، لا يرون وجهًا ولا فرجًا، وقد اضمحل عزمهم وانقطع رجاؤهم، فمن الذي خلص اليه مكروه تلك الاحن بعد محمد صلى الله عليه وآله الاّ علي وحده، وما عسى ان يقول الواصف والمطنب في هذه الفضيلة من تقضي معانيها، وبلوغ غاية كنهها، وفضيلة الصابر عندنا، ودامت هذه المحنة عليهم ثلاث سنين حتى انفرجت عنهم بقصة الصحيفة، والقصة مشهورة، وكيف يستحسن الجاحظ لنفسه ان يقول في علي انه قبل الهجرة كان وادعًا برًا فهمًا، لم يكن مطلوبًا ولا طالبًا، وهو صاحب الفراش الذي فدا رسول الله صلى الله عليه وآله ووقاه بمهجته، واحتمل وقع السيوف ورضخ الحجارة دونه،

وهل ينتهي الواصف وان اطنب، والمادح وان اسحب الاّ الابانة عن مقدار هذه الفضيلة والايضاح لمرتبة هذه الحقيقة.

فاما قوله ان أبا بكر عذب بمكة وانا لا نعلم ان العذاب كان واقعًا الاّ بعبد أوعسيفًا أو لا عشيرة له تمنعه، فأنتم في أبي بكر بين امرين تارة تجعلونه ذليلاً ساقطًا وهجينًا ورذلاً، وضعيفًا ذليلاً، وتارة تجعلونه رئيسًا متبعًا، وكبيرًا مطاعًا، فاعتمدوا على أحد القولين لنكلمكم بحسب ما تختارونه لانفسكم، ولو كان الفضل في الفتنة والعذاب لكان عمار وحباب وبلال وكل معذب بمكة أفضل من أبي بكر لانهم كانوا من العذاب في أكثر مما كان فيه، ونزل فيهم من القرآن ما لم ينزل فيه كقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾[1] قالوا: نزلت في حباب وبلال، ونزل في عمار ﴿رضي الله عنه﴾ قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[2]، وكان رسول الله ﷺ يمر على عمار وابيه وهم يعذبون يعذبهم بنوا مخزوم لانهم كانوا حلفائهم، فيقول صبرًا آل ياسر فان موعدكم الجنة، وكان بلال يقلب على الرمضاء وهو يقول أحد أحد، وما سمعنا لأبي بكر في شيء من ذلك ذكرًا، وقد كان لعلي ﴿رضي الله عنه﴾ عنده يد غراء ان صح ما رويتموه لانه قتل نوفل بن خويلد، وعمير بن عثمان يوم بدر، ضرب نوفلاً فقطع ساقه فقال اذكرك الله والرحم، فقال: قد قطع الله كل رحم وصهر الاّ من كان تابعًا لمحمد

١- النحل/٤١.

٢- النحل/١٠٦.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثم ضربه أخرى ففاضت نفسه، ثم صمد لعمير بن عثمان التميمي فوجده يروم الهرب وقد ارتج عليه المسلك فضربه على شراسيف صدره فصار نصفه الأعلى بين رجليه، وليس ان أبا بكر لم يطلب بثاره منهما ويجتهد، ولم يقدر ان يفعل فعل علي عليه السلام فبان لعلي عليه السلام عمله دونه[1].

أقول: ما نقله أبو جعفر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له مشهورة قد صرح عليه السلام بمثله بل أوضح منه في بعض كتبه التي كتبها إلى معاوية كما نقله في هذا الكتاب حيث قال عليه السلام: فأراد قومنا قتل نبينا، واجتياح اصلنا، وهموابنا الهموم، وفعلوا بنا الافاعيل، ومنعونا العذب، واجلسونا الخوف، واضطرونا إلى جبل وعر، واوقدوا لنا نار الحرب، فعزم الله لنا على الذب عن حوزته، والرمي من وراء حرمته، مؤمننا يبغي بذلك الاجر، وكافرنا يحامي عن الاصل، ومن اسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحليف يمنعه أو عشيرة تقوم دونه، فهو من القتل بمكان امن، إلى ان قال عليه السلام: فيا عجبا للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي، ولم يكن له سابقة كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثلها الاّ ان يدعي مدع ما لا اعرفه، ولا اظن الله يعرفه، والحمد لله على كل حال، انتهى.

كأن أبا جعفر لم يقف في هذا المقام عليه مع صراحته ونصه فيما ذكره وجنح إليه.

١- شرح نهج البلاغة ٢٥٣/١٣ – ٢٥٥.

قال الشارح في شرح الكلام المذكور: قوله عليه السلام إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي اشارة إلى معاوية في الظاهر وإلى من تقدم عليه من الخلفاء في الباطن، والدليل قوله التي لا يدلي احد بمثلها، فاطلق القول اطلاقًا عامًا مستغرقًا لكل الناس اجمعين، ثم قال عليه السلام الآن يدعي مدع ما لا اعرفه ولا اظن الله يعرفه، أي كل من ادعى خلاف ما ذكرته فهو كاذب، لانه لو كان صادقًا لكان عليه السلام يعرفه لا محالة، فاذا قال عن نفسه ان كل دعوى يخالف ما ذكرت فاني لا اعرف صحتها فمعناه انها باطلة، وقوله ولا اظن الله يعرفه فالظن هاهنا بمعنى العلم كقوله تعالى ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾[1] إلى آخر كلامه الموجب لمزيد توبيخه وملامه.

قال: قال الجاحظ: ولأبي بكر مراتب لا يشرك فيها علي ولا غيره وذلك قبل الهجرة، فقد علم الناس ان عليًا انما ظهر فضله وانتشر صيته، وامتحن ولقى المشاق منذ يوم بدر، وانه انما قاتل في الزمان الذي استوى فيه أهل الاسلام وأهل الشرك، وطمعوا في ان يكون الحرب بينهم سجالاً، واعلمهم الله ان العاقبة للمتقين، وأبو بكر قبل الهجرة كان معذبًا ومطرودًا مشردًا في الزمان الذي ليس بالاسلام وأهله نهوض ولا حركة، ولذلك قال أبو بكر في خلافته طوبى لمن مات في فأفأت الاسلام، يقول في ضعفه[2].

١- الكهف/٥٣.

٢ – العثمانية/٣٩، مع اختلاف لما نقله ابن ابي الحديد، وفيه: طوبى لمن مات في نأنأة الاسلام، شرح نهج البلاغة ٢٥٥/١٣ – ٢٥٦.

قال شيخنا أبو جعفر: لا شك ان الباطل خان أبا عثمان، والخطأ اقعده، والخذلان أصاره إلى الحيرة، فما علم وعرف حتى قال ما قال، وزعم ان عليًا لم يمتحن قبل الهجرة ولم يكابد المشاق، وانه انما قاسى مشاق التكليف ومحن الابتلاء منذ يوم بدر، ونسى الحصار في الشعب وما مني به، وأبو بكر وادع رافه يأكل ما يريد ويجلس مع من يحب مسرور، طيبة نفسه، ساكنًا قلبه، وعلي يقاسي الغمرات، ويكابد الاهوال، ويجوع ويظمأ، ويتوقع القتل صباحًا ومساء، لانه كان هو المتوصل المحتال في احضار قوت زهيد من شيوخ قريش وعقلائها سرًا ليقيم به رمق رسول الله ﷺ وبني هاشم في الحصار، ولا يأمن في كل وقت مفاجأة اعداء رسول الله ﷺ بالقتل كأبي جهل بن هشام، وعقبه بن أبي معيط، والوليد بن المغيرة، وعقبه بن ربيعة وغيرهم من فراعنه قريش وجبابرتها، ولقد كان يجيع نفسه ويطعم رسول الله ﷺ زاده، ويظمأ نفسه ويسقيه ماءه، وهو كان المعلل له إذا مرض، والانيس له إذا استوحش، وأبو بكر بنحوة عن ذلك لا يمسه مما يسمهم ألم، ولا يلحقه مما يلحقهم مشقة، ولا يعلم بشيء من أخبارهم واحوالهم الاّ على سبيل الاجمال دون التفصيل، ثلاث سنين محرمة معاملتهم ومناكحتهم ومجالستهم، محبوسين ممنوعين، محصورين من الخروج والتصرف في انفسهم، فكيف أهمل الجاحظ هذه الفضيلة ونسى هذه الخصوصية ولا نظير لها، ولكن الجاحظ لا يبالي بعد ان يسوغ له لقلة ما صنع من المعنى ورجع عليه من الخطأ.

فأما قوله واعلمهم ان العاقبة للمتقين ففيه اشارة إلى معنى غامض قصده

الجاحظ بمعنى انه لا فضيلة لعلي عليه السلام في الجهاد، لان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اعلمه انه منصور وان العاقبة له، وهذا من دسايس الجاحظ وهمزاته ولمزاته، وليس بحق ما قاله، لان رسول الله صلى الله عليه وآله اعلم اصحابه جملة ان العاقبة لهم ولم يعلم واحدًا منهم بعينه انه لا يقتل لا عليًا ولا غيره وان صح انه كان اعلمه انه لا يقتل، فلم يعلمه انه لا يقطع عضو من اعضائه، ولم يعلمه انه لا تمسه الم الجراح في جسده، ولم يعلمه انه لا يناله الضرب الشديد وعلى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد اعلم اصحابه قبل بدر وهو يومئذ بمكة ان العاقبة للمتقين، كما اعلم اصحابه بعد الهجرة ذلك، فان لم يكن لعلي عليه السلام والمجاهدين فضيلة في الجهاد لإعلامه اياهم بذلك، فلا فضيلة لأبي بكر وغيره في احتمال المشاق وقبل الهجرة لإعلامه اياهم بذلك، فقد جاء في الخبر انه وعد قبل الهجرة بالنصر، وانه قال له ارسلت إلى هؤلاء بالذبح، وان الله سيغنمنا اموالهم، ويملكنا ديارهم، فالقول في الموضعين متساو ومتفق.

أقول: من أوضح الواضح في رد ما هدر به الجاحظ هنا كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي نقلناه آنفًا، واعترف الشارح بان باطنه رمز واشارة إلى الخلفاء المتقدمين.

ثم أقول: لا يخفى انه ان صح تعذيب أبي بكر كما ذكره الجاحظ فانما كان بامر الهي وقدر رباني واستحقاق لذلك العذاب لا كغيره من اولئك الاصحاب حيث ان اظهاره الاسلام والايمان انما هو على جهة النفاق دون التصديق والايقان برسول الملك المنان والاّ فلو كان تعذيبه على ايمان حقيقي

وتصديق باطني مع كونه عند الجاحظ وامثاله اعلى رتبة وارفع منزلة في ايمانه من ايمان علي عليه السلام لكان اولى بنزول الآيات القرآنية في حقه من عمار وابيه وبلال الذي هو عبده مع ان الأمر كما تقدم في كلام أبي جعفر على خلاف ذلك.

قال: قال الجاحظ: وان بين المحنة في الدهر الذي صار فيه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله مقرنين لاهل مكة ومشركي قريش، ومنهم أهل يثرب اصحاب النخيل والاطام، والشجاعة والصبر، والمواساة والايثار والمحاماة، والعدد الدثر، والفضل الجزل، وبين الدهر الذي كانوا فيه بمكة يعنتون ويشتمون، ويضربون ويشردون، ويجوعون ويعطشون، مقهورين لا حراك بهم، وإذلاء لا عز لهم، وفقراء لا مال لهم، ومستخفين لا يمكنهم اظهار دعوتهم لفرق واضح، ولقد كانوا في حال احوجت لوطًا وهو نبي إلى ان قال ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾[1]، وقال النبي صلى الله عليه وآله: عجبت من أخي لوط كيف قال او ﴿ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ وهو يأوي إلى الله تعالى، ثم لم يكن ذلك يومًا ولا يومين، ولا شهرًا ولا شهرين، ولا عامًا ولا عامين، ولكن السنين بعد السنين، وكان اغلظ القوم واشدهم محنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر، لانه اقام بمكة ما اقام رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث عشرة سنة، وهو

١- هود/٨٠.

اوسط ما قالوه في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

قال شيخنا أبو جعفر: ما نرى الجاحظ احتج لكون أبي بكر اغلظهم واشدهم محنة الاّ بقوله لانه اقام بمكة مدة مقام رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه الحجة لا تخص أبا بكر وحده، لان عليًا عليه السلام قام معه هذه المدة، وكذلك طلحة، وزيد، وعبد الرحمن، وبلال، وحباب، وغيرهم، وكان الواجب عليه ان يخص أبا بكر وحده بحجة تدل على انه كان اغلظ الجماعة واشدهم محنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فالاحتجاج في نفسه فاسد.

ثم يقال له: ما بالك اهملت امر مبيت علي عليه السلام على الفراش بمكة ليلة الهجرة، هل نسيته ام تناسيته، فانها المحنة العظيمة، والفضيلة الشريفة التي متى امتحنها الناظر واجال فكره فيها رأى تحتها فضايل متفرقة ومناقب متغايرة، وذلك انه لما استقر الخبر عند المشركين ان رسول الله صلى الله عليه وآله يجمع على الخروج من بينهم والهجرة إلى غيرهم قصدوا إلى معاجلته، وتعاقدوا على ان يبيتوه على فراشه، وان يضربوه باسياف كثيرة، بيد صاحب كل قبيلة من قريش سيف منها ليضيع دمه بين الشعوب، ويتفرق بين القبايل، ولا يطلب بنو هاشم بدمه قبيلة بعينها من بطون قريش، وتحالفوا على تلك الليلة واجتمعوا عليها، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك من امرهم دعى أوثق الناس عنده وامثلهم في نفسه، وابذلهم في ذات الله لمهجته، واسرعهم اجابة إلى طاعته، فقال له: ان قريشًا قد تحالفت على ان تبيتني هذه الليلة فامض إلى فراشي، ونم في

---

١ – العثمانية/٤١، مع اختلاف لما نقله ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٥٦/١٣.

مضجعي، والتف في بردي الحضرمي، ليروا اني لم أخرج، واني خارج ان شاء الله، فمنعه أولاً عن التحرز واعمال الحيلة، وصده عن الاستظهار لنفسه بنوع من أنواع المكايد والجهات التي تحتاط بها الناس لنفوسهم، والجأه إلى ان يعرض نفسه ضباء السيوف المشحذة من ايدي أرباب الحنق والبغضة، فاجاب إلى ذلك سامعًا مطيعًا، طيبة بها نفسه، ونام على فراشه صابرًا محتسبًا، واقيًا له بمهجته، ينتظر القتل، ولا نعلم فوق بذل النفس درجة يلتمسها صابر، ولا يبلغها طالب، والجود بالنفس اقصى غاية الجود، ولولا ان رسول الله ﷺ علم انه أهل لذلك لما أهله، ولو كان عنده نقص في صبره أو شجاعته أو في مناصحته لابن عمه واختار ذلك لكان من اختاره منقوصًا في رأيه، مقصرًا في اختياره، ولا يجوز ان يقول هذا احد من الاسلام، وكلهم مجمعون على ان رسول الله ﷺ أعلم بالصواب واحسن في الاختيار، ثم في ذلك إذا تأمله المتأمل وجوه من الفضل:

منها: انه وان كان عنده في موضع الثقة، فانه غير مأمون عليه الاّ بضبط السر فيفسد التدبير بافشائه تلك الليلة إلى من يلقاه من الاعداء.

ومنها: انه وان كان ضابطًا للسر وثقة عند من اختاره، فغير مأمون عليه الجبن عند مفاجأة المكروه ومباشرة الاهوال، فيفر من الفراش فيفطن لموضع الحيلة ويطلب رسول الله ﷺ فيظفر به.

ومنها: وان كان ثقة ضابطًا للسر شجاعًا نجدًا فلعله غير محتمل للمبيت على الفراش، لان هذا امر خارج عن الشجاعة، إذ كان قد اقامه مقام المكتوف

الممنوع بل هو اشد من المكتوف الممنوع، لان المكتوف الممنوع يعلم من نفسه انه لا سبيل له إلى الهرب، وهذا يجد السبيل إلى الهرب وإلى الدفع عن نفسه ولا يهرب ولا يدافع.

ومنها: انه وان كان ثقة عنده ضابطًا للسر شجاعًا محتملاً للمبيت على الفراش، فانه غير مأمون ان يذهب صبره عند العقوبة الواقعة والعذاب النازل بساحته حتى يبوح بما عنده ويصير إلى الاقرار بما يعلمه، وهو انه أخذ طريق كذا فيطلب فيؤخذ.

قال علماء المسلمين: ان فضيلة علي عليه السلام تلك الليلة لا يعلم احد من البشر نال مثلها الاّ ما كان من اسحاق وإبراهيم عليهما السلام عند استسلامه للذبح، ولولا ان الانبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا ان محنة علي عليه السلام اعظم، لانه روي ان اسحاق تلكأ لما امره ان يضطجع وبكى على نفسه، وقد كان أبوه يعلم ان عنده في ذلك وقفة، ولذلك قال له فانظر ماذا ترى، وحال علي عليه السلام بخلاف ذلك، لانه ما تلكأ ولا تتعتع ولا تغير لونه ولا اضطربت اعضاؤه، ولقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يشيرون عليه بالرأي المخالف لما كان امر به وتقدم فيه فيتركه ويعمل ما اشاروا به كما جرى يوم الخندق في مصانعة الاحزاب بثلث تمر المدينة، فانهم اشاروا عليه بترك ذلك فتركه، وهذه كانت قاعدته معهم وعادته بينهم، وقد كان لعلي عليه السلام ان يعتل بعلة ويقف ويقول يا رسول الله اكون معك احميك من العدو، واذب بسيفي عنك، فلست مستغنيًا في خروجك عن مثلي، وتجعل عبدًا من عبيدنا في فراشك قائمًا مقامك يتوهم القوم برؤيته

نائم في بردك انك لم تخرج ولم تفارق مركزك، فلم يقل ذلك ولا تحبس ولا توقف ولا تلعثم، وذلك لعلم كل واحد منهما عليهما السلام ان احدًا لا يصبر على ثقل هذه المحنة، ولا يتورد هذه الهلكة الاّ من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها والفوز بفضيلتها، وله من جنس ذلك افعال كثيرة كيوم دعى عمرو بن عبد ود المسلمين إلى المبارزة فاحجم الناس كلهم عنه من بأسه وشدته، ثم كرر النداء فقام علي عليه السلام فقال انا ابرز إليه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: انه عمرو، فقال عليه السلام: وانا علي، فأمره بالخروج إليه، فلما خرج قال النبي صلى الله عليه وآله: بزر الايمان كله إلى الشرك كله، وكيوم احد حيث حمى رسول الله من ابطال قريش وهم يقصدون قتله فقتلهم دونه حتى قال جبرئيل: يا محمد ان هذه هي المواساة، فقال: انه مني وانا منه، فقال جبرئيل: وانا معكما.

ولو عددنا مقاماته وايامه التي شرى فيها نفسه لله تعالى لأطلنا الكتاب[1].

أقول: ومما يؤيد كلام أبي جعفر ويؤكده في فضيلة المبيت على الفراش ما رواه أحمد بن حنبل في المسند في حديث طويل يرويه عن عمرو بن ميمون يشتمل على عشر مناقب لعلي عليه السلام شهد له بها النبي صلى الله عليه وآله بقوله في بعضه في تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[2] قال: وشرى علي نفسه لبس ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم نام مكانه، قال: وكان المشركون يتوهمون انه رسول الله،

١- شرح نهج البلاغة ٢٥٦/١٣ – ٢٦١.

٢- البقرة/٢٠٧.

ثم قال فيه: وجعل علي يرمى بالحجارة كما يرمى نبي الله ﷺ وهو يتضور وقد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى اصبح، ثم كشف رأسه، قالوا: اين صاحبك؟ كنا نرميه بالحجارة فلا يتضور وقد استنكرنا ذلك.[1]

وذكر الثعلبي في تفسير هذه الآية الكريمة باسناد رفعه قال: ان رسول الله ﷺ لما اراد الهجرة خلّف علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة لقضاء ديونه ورد الودايع التي كانت عنده، وأمره ليلة خروجه إلى الغار وقد احاط المشركون بالدار ان ينام على فراشه.

ثم قال الثعلبي بعد كلام ذكره: ففعل ذلك علي فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل عليهما السلام اني قد آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى ألا كنتما مثل علي بن ابي طالب، واخيت بينه وبين محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرئيل عليه السلام عند رأسه، وميكائيل عليه السلام عند رجليه، فقال جبرئيل عليه السلام: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله تعالى بك الملائكة، فانزل الله تعالى على رسول الله ﷺ وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي بن ابي طالب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[2] الآية.

٢- مسند احمد ٣٣١/١.

٢- البقرة/٢٠٧.

ونقل في كتاب كشف الغمة عن ابن الاثير في كتاب الانصاف الذي جمع فيه بين الكشف والكشاف نزول الآية المذكورة في علي عليه السلام وحديث جبرئيل وميكائيل بما هو منقول هنا عن الثعلبي أيضًا[1].

ثم أقول: لما رأى الناصبة ما في مبيت علي عليه السلام على الفراش في الدار من الفضل له عليه السلام والفخار ونزول الآية الشريفة الدالة على شراء نفسه من المنار حملهم الحسد والنصب على مقابلة ذلك بآية الغار واكثروا فيها من الاشعار واطنبوا في التبجح بها والافتخار مع انها كما قدمناه في المقدمة انما تدل على مزيد العار والشنار، وهذا كما جرى لهم في حرب بدر، فانه لما ظهر لعلي عليه السلام من الفضل والجهاد وقتل الابطال في ميدان الجلاد، وأبو بكر خلو من هذه المواد لجبنه وضعفه الذي ليس عليه ازدياد، جعلوا جلوسه في ظلال العريش مع الرسول صلى الله عليه وآله منقبة وفضلاً له بل فضلوه بذلك على جهاد علي عليه السلام كما سيأتيك في كلام الجاحظ رأس ذوي العناد والالحاد.

ومما يؤيد كلام أبي جعفر أيضًا في هذا المقام ما ذكره صاحب الطرايف خصه الله تعالى باسنى المواهب واللطايف حيث قال قدس سره: ومن ذلك مبيت علي بن أبي طالب على فراش النبي الامي صلى الله عليه وآله يفديه بمهجته، ولولا هذا المبيت وفكاكه من الاعداء ما تمكن من هجرته ولا اتمام رسالته، ومن المعلوم ان اتباع الانبياء والرؤساء متى انكسر الرئيس أو هرب لم يبق لمن تبعه قوة على ثبوت قدم، ولا رفع علم، ولا يكلف ما عجز عنه رئيسه ومتقدمه،

١- كشف الغمة ٣١٦/١.

وعلي بن ابي طالب عليه السلام يقف ويثبت في الوقت الذي اندفع فيه رئيسه ونبيه ومتقدمه، ومن العجب انه ما كان الامر مقصورًا على ان يبيت في موضع النبي صلى الله عليه وآله بعض الليل وكل الليل فحسب حتى يبعد النبي صلى الله عليه وآله من مكة، فانه لو كان كذلك لكان اهون، ولكنه تكلف ان يفديه بنفسه ويصبح بين الاعداء وقد جنى عليهم هذه الجناية وقولهم من يعتقدون انه اعدى الاعداء لهم، وكان سبب هجرته وسلامته منهم، ثم العجب انه ما كفى لعلي بن أبي طالب اقامته حتى يصبح بينهم ظاهرًا ساكنًا، ثابت الجنان مع خذلان البشر له، وقلة الاعوان، ويكون مع ذلك على صفة قوة القلب واللسان حتّى ان الكفار لما هجموا عليه ولم يجدوا النبي صلى الله عليه وآله وسألوه عنه ما قال ما أدري اين مشى كما يقول المعتذر الخائف بل قال في حفظ الله تعالى كأنه قصد اظهار العداوة لهم عليهم ثقة بالله، وتثبيتًا لمقام النبوة، وكسر شوكة الكفار، وردًا عليهم في مثل ذلك الوقت الهايل، ان هذا يتعجب منه كل عاقل، ثم العجب انه ما كفاه ذلك كله حتى يقيم ثلاثة أيام بمكة بعد النبي صلى الله عليه وآله يرد الودايع، ويقضي الديون، ويجهز عياله، ويسد مسده، ويحمل حرمه إلى المدينة بقلب راسخ، ورأي شامخ، ان هذا مما يعجز عنه قوة الطبايع البشرية الاّ بمواد قوية من القدرة الالهية، وكل خير جرى بعد ذلك في الاسلام والمسلمين إلى يوم الدين فهو من بركة تلك الفدية والمبيت على تلك الفراش، وحصلت لعلي عليه السلام فضيلة حفظ النبي صلى الله عليه وآله والمشاركة في فوايد نبوته ورسالته وفي سعادة من اهتدى من امته إلى يوم القيامة، وهو أعظم من استسلام اسماعيل الذبيح لذبح ابراهيم،

لان اسماعيل استسلم لذبح والد شفيق كان يمكن ان ينظر الله إلى قلب والده فيعفيه من ذبحه كما جرى أو كان يجوز ان يموت أحدهما قبل ذبح اسماعيل أو كان يذبح بغير تألم اكرامًا لكون الذبح على يد والد لولده، وغير ذلك من تجويز اسباب السلامة اشفاقًا من الله تعالى، وعلي بن ابي طالب استسلم للاعداء بعد وفاة والده أبي طالب وتفرق الاولياء، فهل ترى كان يجوز التقدم عليه بعد النبي صلى الله عليه وآله في شيء من الأشياء، وكم وقى رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظ ذلك لما وهبه الله من العناية والاكرام مثل يوم بدر واحد وخيبر وحنين، ويوم قتل عمرو بن عبد ود كما قال النبي صلى الله عليه وآله: برز الايمان كله إلى الشرك كله، وغيرها من المقامات التي ما قام احد مقامه كتأدية سورة براءة وما يضيق الوقت عن ذكره ونشره، انتهى كلامه علا في الخلد مقامه[1].

وأما ما ذكره أبو جعفر في مبارزة علي عليه السلام لعمرو بن عبد ود، وقوله صلى الله عليه وآله ما قاله فيؤكده أيضًا ما رواه صدر الائمة عندهم موفق بن أحمد المكي أخطب خطباء خوارزم في كتابه باسناده ان النبي صلى الله عليه وآله قال: لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود افضل من اعمال امتي إلى يوم القيامة[2].

ولله در بعض اصحابنا الاعلام افاض الله تعالى على ارواحهم شآبيب الجود والاكرام حيث قال: ولو نظر المخالفون لأهل البيت عليهم السلام بعقول صحيحة وقلوب سليمة إلى حال أمير المؤمنين عليه السلام لعلموا قطعًا انه لو لم يكن

١- الطرائف لابن طاووس/٣٣.

١ – المناقب للخوارزمي/١٠٧، المستدرك للحاكم ٣٢/٣.

نصوص صريحة عليه بالخلافة لكانت ذاته الطاهرة، وصفاته الباهرة، ومناقبه العالية، ومذاهبه الشافية قاضية بانها نصوص صريحة عليه بالخلافة، ولقد بلغت خصائصه إلى ان التبس على خلق كثير من العقلاء إلى آخره، واعتقدوا انه فاطر الأرض والسماء، وخالق الاموات والاحياء، كما بلغ الامر في عيسى عليه السلام، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: ان فيك مثلاً من عيسى عليه السلام، ومن عجيب الامر انه ما التبس الحال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين الله جلاله، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله الاصل فيما وصل علي عليه السلام اليه، وللنبي صلى الله عليه وآله الفضيلة عليه ومع هذا فالتبس الامر في علي بن أبي طالب عليه السلام، وهل هو اله معبود أو عبد مجذوذ، ولعل الله جل جلاله لما سبق في علمه ما تجري حاله عليه من كثرة الباغضين والمعاندين وما يبلغون اليه من مساواته بمن لا يجري مجراه كساه من حلل انواره وجليل مناره ما يبلغ به إلى حد تقوم به الحجة على الخلايق، ولا يبقى عذر لمنافق أو مفارق، ولبعض الشعراء ابيات في المعنى وهي هذه:

تبًا لنصاب الامام لقد ... تهافتوا في الضلال بل تاهوا
قاسوا عتيقاً بحيدر ... سخنت عيونهم بالذي به فاهوا
كم بين من شك في هدايته ... وبين من قيل انه الله

إلى ان قال قدس سره: ولكن كيف يستغرب من قوم كانوا في الجاهلية لا يفرقون بين الله تعالى وبين الصنم والخشب والحجر، بل يفضلون اصنامهم ويتعوضون بها عن الله الذي كماله اشهر من كل مشتهر ان يجهلوا الفرق بين

علي بن أبى طالب ﴿صلوات الله عليه﴾ وبين أبي بكر وعمر وعثمان، ومن ذا فم مريض يجد مرآته الماء الزلالا، انتهى.

قال: قال الجاحظ: وان احتج محتج لعلي بالمبيت على الفراش فبين الغار والفراش بين واضح، لان الغار وصحبة أبي بكر للنبي ﷺ قد نطق به القرآن فصار كالصلاة والزكاة وغيرها مما نطق به الكتاب، وامر علي ونومه على الفراش وان كان ثابتًا صحيحًا الاّ انه لم يذكر في القرآن وانما جاء مجيء الروايات والسيرة، وهذا لا يوازن هذا، ولا يكايله[1].

قال شيخنا أبو جعفر: هذا فرق غير مؤثر وقد ثبت بالتواتر حديث الفراش، فلا فرق بينه وبين ما ذكر في نص الكتاب، ولا يجحده الاّ مجنون أو غير مخالط لاهل الملة، ارأيت كون الصلاة خمسًا وكون زكاة الذهب ربع العشر، وكون خروج الريح ناقضًا للطهارة، وامثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه، هل هو مخالف لما نص عليه في الكتاب من الاحكام، هذا مما لا يقوله رشيد ولا عاقل على ان الله تعالى لم يذكر اسم أبي بكر في الكتاب، وانما قال إذ يقول لصاحبه، وانما علمنا انه أبو بكر بالخبر، وما ورد في السير، وقد قال أهل التفسير ان قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾[2] كناية عن علي عليه السلام، لانه قد مكر بهم، وأول الآية ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ

---

١ – العثمانية/٤٤، مع اختلاف لما نقله ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٦١/١٣.

٢– الأنفال/٣٠.

وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾، انزلت في ليلة الهجرة، ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش، ومكر الله هو منام علي عليه السلام على الفراش، فلا فرق بين الموضعين في انهما مذكوران كناية لا تصريحًا، وقد روى المفسرون كلهم ان قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1] انزلت في علي عليه السلام ليلة المبيت على الفراش، فهذا مثل قوله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾[2] لا فرق بينهما[3].

أقول: هذا ما اشرنا اليه سابقًا من ان آية الغار انما نوه بها هؤلاء الفجار حسدًا وبغضًا لامام الابرار، وماخصه الله تعالى به من الفضيلة في مبيته على فراش المختار، وسيأتي من أبي جعفر بيان الطعن فيما ارادوه منها ما يغني عن التكرار.

قال: قال الجاحظ: وفرق آخر وهو انه لو كان مبيت علي على الفراش جاء مجيء كون أبي بكر في الغار لم يكن في ذلك كبير طاعة، لان الناقلين نقلوا انه صلى الله عليه وآله قال له نم فلن يصل اليك شيء تكرهه، ولم ينقل ناقل انه قال لأبي بكر في صحبته اياه وكونه معه في الغار مثل ذلك، ولا قال له انفق واعتق

١- البقرة/٢٠٧.

٢- التوبة/٤٠.

٣- شرح نهج البلاغة ١٣/٢٦١ — ٢٦٢.

فانك لن تفتقر ولن يصل اليك مكروه[1].

قال شيخنا أبو جعفر: هذا هو الكذب الصريح والتحريف والادخال في الرواية ما ليس منها، والمعروف والمنقول انه صلى الله عليه وآله قال له اذهب واضطجع في مضجعي وتغش في بردي الحضرمي، فان القوم سيفقدوني إذا اتوا الى مضجعي، فلعلهم إذا رأوك ليسكنهم ذلك حتى يصبحوا، فاذا أصبحت فقم في اداء امانتي، ولم ينقل ما ذكره الجاحظ ولا اصل له، ولو كان هذا صحيحًا لم يصل اليه مكروه منهم، وقد وقع الاتفاق على انه ضرب ورمي بالحجارة قبل ان يعلموا من هو حتى تضور، وانهم قالوا له رأينا تضورك، فانا كنا نرمي محمدًا ولا يتضور، ولان لفظ المكروه ان كان قالها فانما يراد به القتل، فهب انه أمن القتل كيف يأمن من الضرب والهوان ومن أن يقطع بعض اعضاءه وان سلمت نفسه، أليس الله تعالى يقول لنبيه ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[2] ومع ذلك فقد كسرت رباعيته، وشج وجهه، وادميت ساقه، وذلك لانه عصمه من القتل خاصة، وكذلك المكروه الذي اؤمن علي عليه السلام منه ان كان صح ذلك الحديث انما هو مكروه القتل.

ثم يقال له: وأبو بكر أيضًا لا فضيلة له في الغار، لان النبي صلى الله عليه وآله قال

١- العثمانية/٤٤، مع اختلاف لما نقله ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٦٢/١٣.

٢- المائدة/٦٧.

له ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] ومن يكن الله له معه فهو آمن لا محالة من كل سوء، فكيف قلت ولم ينقل ناقل انه قال لأبي بكر مثل ذلك، فكلما يجيب به فهو جوابنا عما أورده، ويقال له هذا ينقلب عليك في النبي صلى الله عليه وآله، لان الله تعالى وعده بظهور دينه وعاقبة أمره، فيجب على قولك ان لا يكون مثابًا عند الله تعالى على ما يحتمله من المكروه، ولا ما يصيبه من الاذى، إذ كان قد ايقن بالسلامة والفتح[2].

أقول: لو نظر الجاحظ وامثاله بعين الانصاف وجانبوا العصبية والاعتساف لوجدوا فضيلة المبيت على الفراش من الاصول التي ابتنى عليها الاسلام وقام النظام واستقام، وكان بها تمام النبوة وظهور الدعوة، وذلك لانه لولا مبيت علي عليه السلام على الفراش لما استطاع الرسول الخروج والفرار والسلامة من ايدي اولئك الفجار، ومن المعلوم انه لا يقوم بهذا الامر احد سواه عليه السلام ولا يثق به الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك الأمر الذي هو من اعظم المهام، لما ذكره أبو جعفر من الوجوه فيما قدمنا نقله عنه، ولذلك خصه بالدعوة لذلك دون غيره من الانام مع كونه كنفسه الزكية في كل مقام، فخروج الرسول صلى الله عليه وآله وهجرته التي ابتنى عليها الاسلام كان متوقفًا على مبيت علي عليه السلام بالاتفاق من ذوي الخلاف والوفاق.

وأما صحبة ابي بكر له فلا توقف لهجرته صلى الله عليه وآله عليها بالكلية على انه

١- التوبة/٤٠.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٦٣/١٣ – ٢٦٤.

لم يدع احد انه دعاه وطلبه للصحبة وانما وقع ذلك اتفاقًا مع ان الشيعة تدعي انه انما صحبه معه خوفًا من أن يدل عليه المشركين، وقد تقدم بهذا المعنى أيضًا رواية من طريقهم[1]، وكيف كان فانه لو اتفق شخص آخر من المسلمين في صحبته لصحبه معه، إذ ليس الغرض منها الاّ مجرد الانس والالفة، فلا مزية لأبي بكر في ذلك على غيره، نعم لو كان صحبته له لأمر لا يقوم به غيره مثل قصد الحماية والشجاعة ونحوهما امكن ان يكون له بذلك فضل على غيره الاّ انه من المقطوع به والمجزوم والمتفق عليه والمعلوم ان الرجل ليس من فرسان هذا الميدان، ولا من مجلي حلبة هذا البرهان.

قال: قال الجاحظ: ومن جحد كون أبي بكر صاحب رسول الله ﷺ فقد كفر، لانه جحد نص الكتاب، ثم انظر إلى قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ من الفضيلة لأبي بكر، لانه شريك رسول الله ﷺ في كون الله تعالى معه، وانزال السكينة، قال كثير من الناس: انه في الآية مخصوص بأبي بكر، لانه كان محتاجًا إلى السكينة لما تداخله من رقة الطبع البشري، والنبي ﷺ غير محتاج اليه، لانه يعلم انه محروس من الله تعالى، فلا معنى لنزول السكينة عليه،

١- أقول: وعليه يدل مارواه محمد بن جرير الطبري في الجزء الثاني من تاريخه حيث روى ان ابا بكر أتى عليًا عليه السلام فسأله عن رسول الله ﷺ فأخبره انه يلحقه بالغار من فوره وقال= =له ان كانت لك فيه حاجة فالحقه فخرج ابو بكر مسرعًا ولحق رسول الله في الطريق سمع جرس ابي بكر في ظلمة الليل فظنه من المشركين فأسرع رسول الله ﷺ في المشي فانقطع شراك نعله فانفلق ابهامه بحجر فكثر دمها واسرع المشي وخاف ابو بكر ان يشق على رسول الله ﷺ فلحقه وانطلقا ورجل رسول الله دمها يسيل دمًا حتى انتهى الغار مع الصبح، انتهى. ﴿منه رحمه الله﴾.

وهذه فضيلة ثالثه[1].

قال شيخنا أبو جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ: ان أبا عثمان يجري على نفسه مالا طاقة له به من مطاعن الشيعة، ولقد كان في غنية عن التعلق بما يتعلق به، فان الشيعة تزعم بان هذه الآية بان تكون عيبًا وطعنًا على أبي بكر أولى من ان تكون فضيلة ومنقبة له، لانه قال له ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ دل على انه قد حزن وقنط واشفق على نفسه، وليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين، ولا يجوز حزنه ان يكون طاعة، لان الله لا ينهى عن الطاعة، فلو لم يكن ذنبًا لم ينه عنه، وقوله أيضًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ أي ان الله عالم بحالنا أو ما تضمره من اليقين والشك، كما يقول الرجل لصاحبه: لا تضمرن سوء أو لا تنوين قبيحًا، فان الله يعلم ما تضمره وما تعلنه، وهذا مثل قوله تعالى ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾[2] أي عالم بهم.

وأما السكينة فكيف يقول انها ليست راجعة إلى النبي وبعدها قوله ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[3] اترى المؤيد بالجنود كان أبا بكر أم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وقوله انه مستغني عنها ليس بصحيح، ولا يستغني أحد عن الطاف الله تعالى وتوفيقه وتأييده، وتثبيت قلبه، وقد قال الله تعالى في قصة حنين ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

١– شرح نهج البلاغة ٢٦٤/١٣.

٢– المجادلة/٧.

٣– التوبة/٤٠.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾[1].

وأما الصحبة فلا تدل الاّ على المرافقة والاصطحاب لا غير، وقد يكون حيث لا ايمان، كما قال الله تعالى ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾[2]، ونحن وان كنا نعتقد اخلاص أبي بكر وايمانه الصحيح السليم وفضيلته التامة الاّ أنا لا نحتج له بمثل ما يحتج به الجاحظ من الحجج الواهية، ولا نتعلق بما يجر علينا دواهي الشيعة ومطاعنها[3].

أقول: ما ذكره الجاحظ ان من جحد كون أبي بكر صاحب رسول الله ﷺ فقد كفر، لانه جحد نص الكتاب، فيه زيادة على ما قدمنا نقله عن أبي جعفر ان من جحد أيضًا كون علي عليه السلام نفس رسول الله ﷺ في قوله سبحانه ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[4] فقد كفر، لانه كما اتفق الفريقان على ان المراد بالصاحب في آية الغار ابو بكر، اتفقا أيضًا على ان المراد بنفسه ﷺ في آية المباهلة هو علي عليه السلام، ومن المعلوم لكل عاقل ان من عبر عنه الله تعالى وبيّنه بكونه نفس الرسول اشرف وافضل ممن عبر عنه بلفظ الصحبة بزعم الخصم والاّ فقد عرفت انه ليس في آية الغار الاّ مجرد العار المستمر على ممر الادوار، ثم انه لا يخفى عليك ان أبا جعفر هنا غمض عينه عما في

١- التوبة/٢٥-٢٦.

٢- الكهف/٣٧.

٣- شرح نهج البلاغة ٢٦٤/١٣ – ٢٦٥.

٤- آل عمران/٦١.

الآية من الدلالة على عدم ايمان أبي بكر كما ذكره جمع من علماء الامامية، وذلك فان الله تعالى قد ذكر انزال السكينة على رسوله في موضعين من القرآن وفي كل منهما كان معه جماعة من المؤمنين فادخلهم وشركهم معه في انزال السكينة.

أحدهما: في واقعة حنين في الآية التي ذكرها أبو جعفر وان كان لم يتمها بذكر لفظ المؤمنين ولعله لخوف التنبيه لهذا الداء الدفين.

وثانيهما: في سورة الفتح قوله سبحانه ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1] الآية، وفي هذا الموضع قد خصه الله تعالى بالسكينة وحده، فلو ان الرجل من المؤمنين لأدخله معه ﷺ فيها كما ادخل غيره من المؤمنين في ذينك الموضعين، وقد قدمنا الكلام في هذا المقام مستوفى في الفصل السادس من المقصد الثاني من المقدمة، ونزيده هنا بما ذكره شيخنا مفيد الطائفة المحقة ورئيس الفرقة المحقة، نور الله تعالى مرقده واعلى في الفردوس مقعده في كتاب الفصول الذي جمعه سيدنا المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾ من كلام حيث قال بعد ذكره اشرنا اليه من انزال السكينة على الرسول ﷺ وادخال من معه من المؤمنين فيها فى ذينك الموضعين وتخصيصه بها في هذا الموضع، وان في ذلك دلالة على خروج الرجل المصاحب له من الايمان ما صورته: وقد حير هذا الكلام جماعة من الناصبة، وضيق صدورهم، فتشعبوا واختلفوا في الحيلة في التخلص

١- الفتح/٢٦.

منه مما اعتمد منهم احد الاّ على ما يدل على ضعف عقله وسخافة رأيه وضلاله من الطريق، فقال قوم منهم: ان السكينة انما نزلت على أبي بكر واعتلوا في ذلك بانه كان خائفًا رعبًا، ورسول الله صلى الله عليه وآله كان آمنًا متطمئنًا، قالوا الآمن غني عن السكينة، وانما يحتاج اليها الخايف الوجل.

فيقال لهم: قد جنيتم بجهلكم على انفسكم بطعنكم في كتاب الله بهذا الضعف الواهي من استدلالكم، وذلك انه لو كان ما اعتللتم به صحيحًا لوجب ان لا يكون السكينة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم بدر ولا يوم حنين، لانه لم يك عليه السلام في هذين الموضعين خائفًا ولا جزعًا بل كان آمنًا مطمئنًا متيقنًا بكون الفتح له، لان الله تعالى يظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وفيما نطق به القرآن من تنزيل السكينة ما يدل على الاعتلال.

فان قلتم: ان النبي صلى الله عليه وآله كان في هذين المقامين خائفًا وان كان لم يبد خوفه، فلذلك نزلت السكينة عليه فيهما وحملتم انفسكم على هذه الدعوى.

قلنا لكم: وهذه كانت قضيته عليه السلام في الغار فبم تدفعون ذلك.

إلى ان قال: وقال قوم منهم: ان السكينة وان اختص بها النبي صلى الله عليه وآله فليس يدل على نقص الرجل، لان السكينة انما يحتاج اليها الرئيس المتبوع دون التابع.

فيقال لهم: هذا رد على الله سبحانه، لانه قد انزلها على الاتباع المرؤسين ببدر وحنين وغيرهما من المقامات، فيجب على ما اصلتموه ان يكون الله سبحانه فعل بهم ما لم يكن بهم الحاجة اليه، ولو فعل ذلك لكان عابثًا، تعالى

الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا[1].

قال: قال الجاحظ: وان كان المبيت على الفراش فضيلة فأين هي من فضايل أبي بكر أيام مكة من عتق المعذبين وانفاق المال وكثرة المستجيبين له مع فرق ما بين الطاعتين، لان طاعة الشاب الغرير والحدث الصغير الذي في عز صاحبه عزه، ليس كطاعة الحليم الذي لا يرجع تسويده صاحبه إلى رهطه وعشيرته[2].

قال شيخنا أبو جعفر رَحِمَهُ الله: اما كثرة المجيبين فالفضل فيه راجع إلى المجيب لا إلى المجاب على انا قد علمنا ان من استجاب لموسى عليه السلام أكثر ممن استجاب لنوح عليه السلام، وثواب نوح أكثر لصبره على الاعداء، ومقاساته خلافهم وعنتهم، واما انفاق المال فأين محنة الغني من محنة الفقير، وأين يعتدل اسلام من اسلم وهو غني ان جاع اكل، وان أعيى، ركب وان عرى لبس، قد وثق بيساره واستغنى بماله، واستعان على نوائب الدنيا بثروته ممن لا يجد قوت يومه، وان وجد لم يستأثر به، فكان الفقر شعاره، وفي ذلك قيل الفقر شعار المؤمن، وقال الله تعالى لموسى عليه السلام: يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحبًا بشعار الصالحين، وفي الخبر ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسة مائة عام، وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول اللهم احشرني في زمرة الفقراء، ولذلك ارسل الله تعالى محمدًا صلى الله عليه وآله فقيرًا، وكان بالفقر سعيدًا، فقاسى

١- الفصول المختارة/٤٤ — ٤٥.

٢- العثمانية/٤٣، مع اختلاف لما ذكره ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٦٥/١٣.

محنة الفقر، ومكابدة الجوع حتى شد الحجر على بطنه، وحسبك بالفقر فضيلة في دين الله لمن صبر، فانك لا تجد صاحب الدنيا يتمناه لانه مناف لحال الدنيا واهلها، وانما هو شعار أهل الآخرة.

وأما طاعة علي عليه السلام وكون الجاحظ زعم انها كانت له في عز محمد عزه وعز رهطه بخلاف طاعة أبي بكر فهذا يفتح عليه ان جهاد حمزة ﴿رضي الله عنه﴾ وكذلك جهاد عبيدة بن الحارث، وهجرة جعفر إلى الحبشة بل لعل محاماة المهاجرين من قريش على رسول الله كانت لا في دولته ودولتهم وفي نصرته استجداد ملك لهم، وهذا يجر الالحاد ويفتح باب الزندقة، ويفضي إلى الطعن في الاسلام والنبوة[1].

قال الجاحظ: على انا إذا نزلنا على ما يريدونه جعلنا الفراش كالغار وخلصت فضايل أبي بكر في غير ذلك عن معارض[2].

قال شيخنا أبو جعفر: قد بينا فضيلة المبيت على الفراش على الصحبة في الغار بما هو واضح لمن انصف، ونزيده هنا تأكيدًا بما لم نذكره فيما تقدم، فنقول: ان فضيلة المبيت على الفراش على الصحبة في الغار لوجهين:

أحدها: ان عليًا عليه السلام قد كان انس بالنبي صلى الله عليه وآله وحصل له بمصاحبته قديمًا انس عظيم وألف شديد، فلما فارقه عدم ذلك الانس وحصل به أبو بكر فكان ما يجده علي عليه السلام من الوحشة وألم الفراق موجبًا لزيادة ثوابه، لان

١- شرح نهج البلاغة ٢٦٦/١٣.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٦٦/١٣.

الثواب على قدر المشقة.

وثانيهما: ان أبا بكر كان يؤثر الخروج من مكة، وكان قد خرج من قبل فرد فازداد كراهية للمقام، فلما خرج رسول الله ﷺ وافق ذلك هوى قلبه ومحبوب نفسه فلم يكن له من الفضيلة ما يوازن فضيلة من احتمل المشقة العظيمة وعرض نفسه لوقع السيوف ورأسه لرضخ الحجارة، لان على قدر سهولة العبادة يكون نقصان الثواب[1].

أقول: قد عرفت مما قدمنا من الكلام في هذا المجال ما يدمّر على كلام هذا الضال التايه في اودية الضلال، ثم انه ينبغي ان يعلم ان مبيت علي عليه السلام على فراش رسول الله ﷺ لفدائه من شر قريش قد وقع مرتين:

احديهما: في خروجه ﷺ للغار.

والثانية: في حياة أبي طالب وخروجه ﷺ للشعب ولكن الثاني لم أقف عليه في أخبار العامة، وانما الذي وقفت عليه عندهم هو الأوّل خاصة، وسيأتي الاخبار الدالة على الثاني في الجزء الآتي في الكلام على اسلام أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾، وبذلك أيضًا صرح شيخنا المفيد على ما نقله عنه سيدنا المرتضى ﴿رضي الله عنهما﴾ في الكتاب المتقدم ذكره، وانا اذكر هنا نبذة من كلامه في هذا المقام وان طال به زمام الكلام.

قال في الكتاب المشار اليه آنفًا: فصل: واخبرني الشيخ ﴿ادام الله عزه﴾ قال: لما اراد رسول الله ﷺ الاختفاء من قريش والهرب منهم الى الشعب

١- شرح نهج البلاغة ١٣/٢٦٦ – ٢٦٧.

لخوفه على نفسه استشار اباطالب ﴿رحمة الله عليه﴾ فاشار به عليه، ثم تقدم ابوطالب الى اميرالمومنين عليه السلام بان يضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليوقيه بنفسه فاجابه الى ذلك، فلما نامت العيون جاء ابوطالب ومعه اميرالمومنين عليه السلام فاقام رسول الله صلى الله عليه وآله واضجع اميرالمومنين عليه السلام مكانه، فقال اميرالمومنين عليه السلام: يا ابتا اني مقتول، فقال ابوطالب ﴿رضي الله عنه﴾:

اصبرن يا بني فالصبر احجي | كل حي مصيره لشعوب
قد بدلناك والبلاء شديد | لفداء النجيب وابن النجيب
لفداء الاعز ذي الحسب الثاقب | والباع والعناء الرحيب
ان تصبك المنون فالنبل يبري | فمصيب منها وغير مصيب
كل حي وان تملى بعيش | آخذ من سهامها بنصيب

قال: فقال اميرالمومنين عليه السلام:

اتأمرني بالصبر في نصر احمد | ووالله ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني احببت ان ترى نصرتي | وتعلم اني لم ازل لك طائعا
وسعيي لوجه الله في نصر احمد | نبي الهدي المحمود طفلاً ويافعا

وقال اميرالمؤمنين ﴿صلوات الله عليه﴾ بعد ذلك:

وقيت بنفسي خير من وطيء الحصى | ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله الخلق اذ مكروا به | فنجاه ذو الطود الكريم من المكر

وبــت اراعــيهم وهــم يثبتــونني | وقد صبرت نفسي علي القتل والاسر
وبات رسـول الله فـي الـشعب آمنًـا | وذلـك فـي حفـظ الإلـه وفـي سـتر
اردت بـــه نـــصر الإلـــه تبـــتلاً | واضـمرته حتـى اوسـد فـي قبـري

قــال الــشيخ ﴿ادام الله عــزه﴾: واكثــر الاخبــار جــاءت بمبيــت اميرالمؤمنين عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله في ليلة مضي رسول الله صلى الله عليه وآله الى الغار، وهذا الخبر وجدته في ليله مضيه الى الشعب، ويمكن ان يكون قد بات عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي مبيته صلى الله عليه وآله حجج على اهل الخلاف من وجوه شتى:

احدها: قولهم ان اميرالمؤمنين عليه السلام آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن خمس سنين او سبع سنين او تسع سنين ليبطلوا بذلك فضل ايمانه، ويقولوا انه وقع منه على سبيل التلقين دون المعرفة واليقين، اذ لو كانت سنه عند دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله على ما ذكروا ما له لم يكن امره يلتبس عند مبيته على الفراش، ويشبه برسول الله صلى الله عليه وآله حتى يتوهم القوم انه هو فيرصدونه الى وقت السحر، لان جسم الطفل لا يلتبس بجسم الرجل الكامل، فلما التبس على قريش الامر في ذلك حتى ظنوا ان عليًا عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله بايتًا على حاله في مكانه، وكان هذا اول الدعوة وابتدائها عند مضيه الى الشعب دل على ان اميرالمؤمنين عليه السلام كان عند اجابته للرسول صلى الله عليه وآله بالغًا كاملاً في صورة الرجال ومثلهم في الجسم او يقاربهم، وان كانت الحجج على صحة ايمانه وفضيلته

وانه لم يقع الاّ بالمعرفة لا يفتقر الى ذكر هذا، وانما اوردناه استظهارًا.

ومنها: ان الله سبحانه قص علينا في محكم كتابه قصة اسماعيل في تقييده بالصبر على ذبح ابيه ابراهيم عليه السلام ثم مدحه بذلك وعظمه، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾[1]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في افتخاره بآبائه: انه ابن الذبيحين اسماعيل وعبد الله، واذا كان ما خبر الله به سبحانه و تعالى من محنة اسماعيل بالذبح يدل على اجل فضيلة وافخر منقبة احتجنا الى ان ننظر في حال مبيت اميرالمؤمنين عليه السلام على الفراش، وهل يقارب ذلك أو يساويه، فوجدناه يزيد في الظاهر عليه، وذلك ان ابراهيم عليه السلام قال لابنه اسماعيل ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2] فاستسلم لهذه المحنة مع علمه باشفاق الوالد بولده بل لم يقع فيما مضى ولن يتوهم فيما يستقبل، وكان هذا الامر يقوى في ظن اسماعيل عليه السلام ان المقال من ابيه خرج مخرج الامتحان له في الطاعة دون تحقيق العزم على ايقاع الفعل فيزول كثير من الخوف معه، وترجى السلامة عنده، واميرالمؤمنين عليه السلام دعاه ابوطالب الى المبيت على فراش الرسول صلى الله عليه وآله وفدائه بنفسه، وليس له من الطاعة عليه ما للانبياء على البشر، ولم يأمره بذلك عن وحي من الله عزوجل كما امر ابراهيم عليه السلام ابنه، واسند امره الى الوحي ومع علم

---

١ - الصافات/١٠٦.

٢ - الصافات/١٠٢.

اميرالمؤمنين عليه السلام ان قريشًا اغلط الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله واقساهم قلبًا، وما يعرفه كل عاقل من الفرق بين الاستسلام للعدو الناصب المبغض المعاند الذي يريد أن يشفي نفسه ولا يبلغ الغاية في شفائها الاّ بنهاية التنكيل، وغاية الاذى بضروب الآلام، وبين الاستسلام للولي المحب والوالد المشفق الذي يغلب في الظن ان اشفاقه يحول بينه وبين ايقاع الضرر بولده، اما مع الطاعة لله عزوجل بالمسئلة والمراجعة او بارتكاب المعصية، فمن يجوز عليه ارتكاب المعاصي او يحمل ذلك منه على ما قدمناه من الاخبار والتورية ليصح له مطلوبه من الامتحان، واذا كانت محنة اميرالمؤمنين عليه السلام اعظم من محنة اسماعيل بما كشفناه ثبت ان الفضل الذي حصل به اميرالمؤمنين عليه السلام يرجح على كل فضيلة لاحد من الصحابه واهل البيت عليهم السلام، وبطل قول من رام المفاضلة بينه وبين ابي بكر من العامه والمعتزلة الناصبه له عليه السلام، اذ قد حصل له فضل يزيد عن الفضل الحاصل للانبياء الى آخر كلامه قدس سره في المقام[1].

قال: قال الجاحظ: الذي لقى ابوبكر في مسجده الذي بناه على بابه في بني جمح، فقد كان بنى مسجدًا يصلي فيه ويدعو الناس الى الاسلام، وكان له صوت رقيق ووجه فتيق، وكان اذا قرأ بكى فيقف عليه المارة من الرجال والنساء والصبيان والعبيد، فلما اوذي في الله وضع من ذلك المسجد استاذن رسول الله صلى الله عليه وآله في الهجرة فاذن له، فاقبل يريد المدينة فتلقاه الكناني يعتد له جوارًا، وانه قال: والله لا ادع مثلك يخرج من مكة، فرجع اليها ودعا الى صنيعه

---

١ - الفصول المختارة/ ٦٠ -٦٢.

في المسجد، فمشت قريش الى جاره الكناني واجلبوا عليه، فقال له دع المسجد وادخل بيتك واصنع ما بدا لك[1].

قال شيخنا ابو جعفر رَحِمَهُ الله: كيف كانت بنو جمح توذي عثمان بن مظعون وتضربه وهو فيهم ذو بسطة وقدر، وتترك ابا بكر يبني مسجدًا يفعل فيه ما ذكرتم وانتم الذين رويتم عن ابن مسعود انه قال: ما صلينا ظاهرين حتى اسلم عمر بن الخطاب، والذي تذكرونه من بناء المسجد كان قبل اسلام عمر، فكيف بهذا؟!

وأما ما ذكرتم من رقة صوته وعتاق وجهه، فكيف يكون ذلك وقد روى الواقدي وغيره ان عايشة رأت رجلاً من العرب خفيف العارضين، معروق الخدين، غاير العينين، حتى لا يمسك ازاره، فقالت: ما رأيت أشبه بابي بكر من هذا، فلا نراها دلت على شيء من الجمال في صفته[2].

اقول: لقد صدق من قال من لا يستحي فليعمل ما يشتهي، فان هولاء الضلال لترددهم في حيرة الضلال لا يدرون ما يهدرون به من المقال، فما بين ان يعدوا ابا بكر من المعذبين المهانين في مكة، وانه قرن مع طلحة في الهاجرة، و ما بين ان يعدونه صاحب قوة وبسطة يد حتى انه يبني مسجدًا اعلى باب داره يعبد الله فيه، و يقرأ القرآن جهارًا ومع ان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه الذي هو صاحب الدعوة وذو الشوكة والقوة لم يتمكن من ذلك، ومن اسلم من اصحابه

١- العثمانية/٢٨.

٢- شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٦٧ – ٢٦٨.

انما انفذهم الى اليمن لضعفه عن الحماية عليهم، وما بين ان يعدونه انه قد عاداه للاسلام الاصحاب والاحباب، وتبرأ منه الاقرباء والانساب، وبين ان يقولون انه لعزته ورفعة مقامه بينهم قد شحوا بخروجه من مكة حتى عقد له بعضهم الجوار محبة له وشفقة عليه من الاضرار، وما بين ان يصفونه بالغنى وكثرة الاموال، وما بين ان يصفونه بالفقر وسوء الحال يدورون في ذلك مدار اغراضهم في كل مقام، وليسوا لهم رابطة تمنعهم من خوف التناقض فيما يوردونه من الكلام والايراد عليهم والالزام.

قال: قال الجاحظ: وحيث رد ابو بكر جوار الكناني، فقال: لا اريد جارًا سوى الله لقي من الاذي والذل والاستخفاف والضرب ما بلغكم، فهذا موجود في جميع السير، وكان آخر ما لقي واهله في امر الغار، وقد طلبته قريش وجعلت فيه مائة بعير، كما جعلت في النبي ﷺ، ولقي ابوجهل اسماء بنت ابي بكر فسألها فكتمته فلطمها حتى رمت قرطًا كان في اذنها[1].

قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله: هذا الكلام وهجران السكران سواء في تقارب المخرج واضطراب المعنى، وذلك ان قريشًا لم تقدر على اذى النبى ﷺ وابو طالب حي يمنعه، فلما مات طلبته لتقتله، فخرج تارة الى بني عامر، و تارة الى ثقيف، وتارة الى بني شيبان، ولم يكن يتجاسر على المقام بمكة الاّ مستترًا حتى اجاره مطعم بن عدي، ثم خرج الى المدينة فبذلت فيه مائة بعير لشدة حنقها عليه حتى فاتها فلم تقدر عليه، فما بالها بذلت في ابي بكر مائة بعير

---

١ – العثمانية/٢٩، مع اختلاف لما ذكره ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٦٨/١٣.

اخرى، و قد كان رد الجوار وبقي بينهم فردًا لا ناصر له ولا دافع عنده يصنعون به ما يريدون، واما ان يكونوا اجهل البرية كلها او تكون العثمانيه اكذب جيل في الارض واوقحهم وجهًا، وهذا مما لم يذكر في سيرة، ولا روي في اثر ولا سمع به بشر، ولا سبق الجاحظ به احد[1].

اقول: ثم من العجب قوله انه لما رد الجوار لقي من الاذى والذل والاستخفاف والضرب ما بلغكم، فان هذا الجوار ورده انما هو بعد بناء المسجد الذي ذكره.

وحينئذ فكيف تمكن من بناء ذلك المسجد يوم بناه وليس له جوار يومئذ، وتمكن من قراءة القرآن فيه بذلك الصوت الرقيق الذي يقف له المارة، وهو اذا كان يلقى الاذي والضرب والاهانة والاستخفاف على مجرد اظهار كلمة الاسلام، فكيف يتمكن من اظهار شعاره واعلاء مناره بين الانام، ما هذا الاّ رمي في الظلام، ثم لا يخفى ان الباعث له على اختراع خبر ابي جهل وسؤاله لاسماء عن ابيها انما هو الدلالة على ان ابا بكر كان غنيًا ثريًا وان ابنته كان في اذنها اقراط الذهب حتى ان قرطًا من اذنها وقع من لطمة ابي جهل، وحديث البخاري الذي قدمناه في المقدمة الدال على انها لفقر ابيها وصعلكته وسوء حاله ومسكنته كانت تنقل النوى على رأسها من ارض الزبير أصدق منه.

قال: قال الجاحظ: ثم الذي كان من دعائه الى الاسلام وحسن احتجاجه حتى اسلم على يديه طلحة والزبير، وسعد وعثمان وعبدالرحمن، لانه ساعة

---

١ - شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٦٨ – ٢٦٩.

اسلم دعا الى الله تعالى والى الرسول[1].

قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله: ما اعجب هذا القول ان تدعي العثمانية لابي بكر الرفق في الدعاء وحسن الاحتجاج، وقد اسلم ومعه في منزله ابنه عبد الرحمن فما قدر أن يدخله في الاسلام طوعًا برفقه ولطف احتجاجه ولا كرهًا بقطع النفقة عنه، وادخال المكروه عليه، ولا كان لابي بكر عند ابنه عبد الرحمن من القدر ما يطيعه فيما يأمره به ويدعوه اليه كما روي ان ابا طالب فقد النبي صلى الله عليه وآله وكان يخاف عليه من قريش ان يقتلوه فخرج ومعه ابنه جعفر يطلبان النبي صلى الله عليه وآله فوجده قائمًا في بعض شعاب مكة يصلي وعلي عليه السلام معه عن يمينه، فلما رآهما ابو طالب قال لجعفر: تقدم فصل جناح ابن عمك، فقام جعفر عن يسار النبي صلى الله عليه وآله، فلما صاروا ثلاثة تقدم النبي صلى الله عليه وآله وتأخر الاخوان، فبكى ابوطالب وقال شعرًا:

ان عليًا وجعفرًا ثقتي	عند ملم الخطوب والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما	اخي لامي من بينهم وابي
والله ما اخذل النبي ولا	يخذله من بني ذو حسب

فتذكر الرواة ان جعفرًا اسلم من ذلك اليوم، لان أباه امره بذلك فاطاع امره وابوبكر لم يقدر على ادخال عبد الرحمن في الاسلام حتى اقام بمكة على كفره ثلاث عشرة سنة، وخرج يوم احد في عسكر المشركين ينادي انا

---

١ — العثمانية/٣١، مع اختلاف لما ذكره ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٦٩/١٣.

عبد الرحمن بن عتيق، هل من مبارز، ثم مكث بعد ذلك على كفره حتى اسلم عام الفتح، وهو اليوم الذي دخلت فيه قريش الاسلام طوعًا وكرهًا، ولـم يجد احد منهم الى ترك ذلك سبيلاً، واين كان رفق ابي بكر وحسن احتجاجه عن ابيه ابي قحافه وهو معه في دار واحدة، هلا رفق به و دعاه الى الاسلام، فاسلم، وقد علمتم انه بقي على الكفر الى يوم الفتح فاحضره ابنه عند النبي ﷺ وهو شيخ كبير رأسه كالثغامة، فنفر رسول الله ﷺ منه، وقال غيروا هذا فخضبوه ثم جاءوا به فاسلم، وابو قحافه فقير مذقع سيء الحال، وابوبكر عندكم كان ثريًا فايض المال فلم يمكنه استمالته الى الاسلام بالنفقه والاحسان، وقد كانت امراة ابي بكر ام عبد الله ابنه واسمها نملة بنت عبد الغرى بن سعد بن عبد ود العامرية لم تسلم واقامت على شركها بمكة، وهاجر ابو بكر وهي كافرة، فلما نزل قوله ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾[1] طلقها ابوبكر فمن عجز عن ابنه وابيه وامرأته فهو عن غيرهم من الغرباء اعجز، ومن لم يقبل منه ابوه وابنه وامرأته لا برفق واحتجاج، ولا خوفًا من قطع النفقة عنهم وادخال المكروه عليهم، فغيرهم أقل قبولاً منه واكثر خلافًا[2].

أقول: لقد اجاد ابو جعفر بما افاد وطبق المفصل ووافق السداد.

قال: قال الجاحظ: وقالت اسماء بنت ابي بكر ما عرفت ابي الاّ وهو يدين بالدين، ولقد رجع الينا يوم اسلم فدعانا الى الاسلام، فما رضا حتى اسلمنا

---

١ - الممتحنة/١٠.

٢- شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٦٩ - ٢٧٠.

واسلم اكثر جلسائه، ولذلك قالوا من اسلم بدعاء ابي بكر اكثر ممن اسلم بالسيف، ولم يذهبوا في ذلك الى العدد بل عنوا الكثرة في القدرة، لانه اسلم على يديه خمسة من اهل الشورى وكلهم يصلح للخلافه، وهم اكفاء علي ومنازعوه الرياسة والامامه، فهؤلاء الاكثر من جميع الناس[1].

قال شيخنا ابو جعفر رَحِمَهُ اللهُ: اخبرونا عن هذا الذي اسلم ذلك اليوم من اهل بيت ابي بكر، اذا كانت امرأته لم تسلم وابنه عبد الرحمن لم يسلم وابوه ابوقحافة لم يسلم، واخته ام فروة لم تسلم، وعايشة لم يكن قد ولدت في ذلك الوقت، لانها ولدت بعد مبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بخمس سنين، ومحمد بن ابي بكر ولد بعد مبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بثلاث وعشرين سنة، لانه ولد في حجة الوداع، واسماء بنت ابي بكر التي روى الجاحظ هذا الخبر عنها كانت يوم مبعث رسول الله بنت اربع سنين، وفي الرواة من يقول بنت سنتين فمن الذي اسلم من اهل بيته يوم اسلم، نعوذ بالله من الجهل والمكابرة، وكيف اسلم سعد والزبير وعبد الرحمن بدعاء ابي بكر وليسوا من رهطه ولا من اترابه ولا من جلسائه، ولا كانت بينهم قبل ذلك صداقة متقدمة، ولا انس وكيد، وكيف ترك ابو بكر عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة لم يدخلهما في الاسلام برفقه وحسن دعائه، وقد زعمتم انهما كانا يجلسان اليه لعلمه وطريف حديثه، وما باله لم يدخل جبير بن مطعم في الاسلام وقد ذكرتم انه أدّبه وخرجه، ومنه اخذ جبير العلم بأنساب قريش ومآثرها، فكيف عجز عن هولاء الذين عددناهم وهم بالحال

١- العثمانية/٣١، مع اختلاف لما ذكره ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٧٠ - ٢٧١.

الذي وصفنا، ودعى من لم يكن بينه انس ولا معرفة الاّ معرفة عيان، وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب، وقد كان شكله واقرب الناس شبهًا به في اغلب اخلاقه، ولئن رجعتم الى الانصاف لتعلمن ان هولاء لم يكن اسلامهم الاّ بدعاء رسول الله ﷺ لهم وعلى يده اسلموا، ولو فكرتم في حسن التأني في الدعاء ليصبحن لابي طالب في ذلك على شركه اضعاف ما ذكرتموه لابي بكر، لانكم رويتم ان ابا طالب قال لعلي: يا علي الزمه فانه لن يدعوك الاّ الى خير، و قال لجعفر صل جناح ابن عمك فاسلم بقوله، ولأجله أصفق بنو عبد مناف على نصرة رسول الله ﷺ بمكة من بني مخزوم، وبني سهم، وبني جمع، ولأجله صبر بنو هاشم على الحصار في الشعب، وبدعائه واشباله على محمد ﷺ اسلمت امرأته فاطمة بنت اسد، فهو احسن رفقة وأيمن نقيبة من ابي بكر وغيره، وانما منعه عن الاسلام ان ثبت انه لم يسلم الأنفة، و ابوبكر لم يكن له الاّ ابن واحد وهو عبد الرحمن فلم يمكنه ان يدخله في الاسلام ولا امكنه اذ لم يقبل منه الاسلام ان يجعله كبعض المشركين في قلة الاذي لرسول الله ﷺ، وفيه انزل قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[1]، وانما يعلم حسن رفق الرجل وتأنيه بان يصلح أولاً بيته واهله ثم يدعو الاقرب فالاقرب، فان رسول الله ﷺ لما بعث كان

---

١ - الاحقاف/١٧.

اول من دعى زوجته خديجه ثم مكفوله وابن عمه عليًا، ثم مولاه زيدًا، ثم ام ايمن خادمه، فهل رأيتم احدًا ممن كان يأوي رسول الله صلى الله عليه وآله لم يسارع، وهل الثالث عليه احد من هؤلاء، فهكذا يكون حسن التأني والرفق في الدعاء، هذا ورسول الله صلى الله عليه وآله مقل وهو من جمله عيال خديجه حين بعثه الله، وابوبكر عندكم كان موسرًا، وكان ابوه مقترًا، وكذلك ابنه وامرأته أم عبد الله، والمؤسر في فطرة العقول اولى ان يتبع من المقتر، وانما حسن التأني والرفق في الدعاء ما صنعه مصعب بن عمير بسعد بن معاذ لما دعاه، وما صنع سعد بن معاذ ببني اشهل لما دعاهم، وما صنع بريدة بن الخصيب بأسلم لما دعاهم، قالوا اسلم بدعائه ثمانون بيتًا من قومه، واسلم بنو عبد الاشهل بدعاء سعد في يوم واحد، واما من لم يسلم ابنه وامرأته ولا ابوه ولا اخته بدعائه، فهيهات ان يوصف بالرفق في الدعاء وحسن التأني[1].

اقول: أما قول الجاحظ في الخمسة الذين من اصحاب الشورى انهم الذين نازعوا عليًا عليه السلام في الرياسة والامامة، فاراد ان يذم بذلك عليًا عليه السلام فمدح، واراد ان يفضح فافتضح، وان يمدح الخمسه المذكورة فذم وقبّح، لاتفاق المخالف والموالف على قوله صلى الله عليه وآله علي مع الحق والحق مع علي لن يفترقا الى يوم القيامة يدور معه حيثما دار، فكل من نازعه وشاقه فقد خرج عن الحق الى النار وبس القرار، وقوله صلى الله عليه وآله حب علي ايمان وبغضه كفر ونفاق،

١- شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٧١ – ٢٧٣.

كما وقع عليه من الفريقين الاتفاق وامثال ذلك مما روته محدثو اهل السنة كما تقدم في المقدمه.

وأما قول ابي جعفر ان ابا بكر كان الذي ادب جبير بن مطعم، ومنه اخذ جبير العلم بانساب قريش ومثله عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، فهو دليل على صحته ما قدمنا نقله من ان ابا بكر كان في الجاهليه معلم الصبيان، والحمد لله الذي جعل على ألسنتهم الاعتراف به والبيان.

قال: قال الجاحظ: ثم اعتق ابو بكر بعد ذلك جماعة من المعذبين في الله وهم رقاب منهم بلال، وعامر بن فهيرة، زنيرة، الهندية وابنتها، ومر بجاريتها يعذبها عمر بن الخطاب فابتاعها منه واعتقها، وعتق ابا عبس فانزل الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[1] الى آخر السورة.[2]

قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله: اما بلال وعامر بن فهيرة فانهما اعتقهما رسول الله صلى الله عليه وآله، روى ذلك الواقدي وابن اسحاق وغيرهما، واما باقي الاربعة فان سامحناكم في دعواكم لم يبلغ ثمنهم في تلك الحال وشدة بغض مواليهم لهم الاّ مائة درهم او نحوها، فأي فخر في هذا، واما الآية قال ابن عباس قال في تفسيرها: فاما من اعطى زكاة ماله فسنيسره لليسرى، أي لإن يعود، وقال غيره

---

١ – الليل/٥-٧.

١ – العثمانية/٣٣ مع اختلاف لما ذكره ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٧٣/١٣.

نزلت في مصعب بن عمير[1].

اقول: قد قدمنا في الفصل السادس من المقصد الثاني من المقدمة ان الآية المذكور برواية جمع من محدثيهم انما نزلت في ابي الدحداح، وتقدم رواية البخاري عن عايشة أنها قالت ما انزل الله فينا شيئًا من القرآن الاّ انه انزل عذري، ومن ابعد البعيد انه ينزل في ابيها مدح في القرآن ولا نعلمه، وهي عالمة القوم راوية جل احكامهم المأمورين باخذ الدين عنها كما رووه مع حرصها على قيام الناس لابيها كما اكثرت له من الروايات في قصة الصلاة حسبما قدمناه.

قال: قال الجاحظ: وقد علمتم ما صنع ابوبكر في ماله، وقد كان ماله اربعين الف درهم فانفقه في نوائب الاسلام وحقوقه، ولم يكن خفيف الظهر قليل العيال والنسل، فيكون فاقد جميع اليسارين، بل كان ذا بنين وبنات وزوجة وخدم وحشم، ويعول والديه وما ولدا، ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله قبل ذلك عنده مشهورًا فيخاف العار في ترك مواساته، فكان انفاقه على الوجه الذي لا يجد في غاية الثقل مثله، ولقد قال النبي صلى الله عليه وآله: ما نفعني مال كما نفعني مال ابي بكر[2].

قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله: اخبرونا على أي نوائب الاسلام انفق هذا المال، وفي أي وجه وضعه؟ فانه ليس بجايز أن يخفى ذلك ويدرس حتى

١- شرح نهج البلاغة ٢٧٣/١٣.

٢- العثمانية/ ٣٥، مع اختلاف لما ذكره ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٧٣/١٣.

يفوت حفظه وينسى ذكره، وانتم فلم تتقوا على شيء اكثر من عتقه بزعمكم ست رقاب لعلها لا يبلغ ثمنها في ذلك الوقت مائة درهم، وكيف يدعى له الانفاق الجليل، وقد باع من رسول الله ﷺ بعيرين عند خروجه الى يثرب ثم اخذ منه الثمن في تلك الحال، روى ذلك جميع المحدثين، وقد رويتم انه كان بالمدينه غنيًا موسرًا، رويتم عن عايشة انها قالت هاجر ابوبكر وعنده عشرة آلاف درهم، وقلتم ان الله انزل فيه ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1] قلتم هي في ابي بكر ومسطح بن اثاثة، فأين الفقر الذي زعمتم انه انفق حتى تجلل بالعبا، رويتم ان لله تعالى في سمائه ملائكة تجللوا بالعباء، وان النبي ﷺ ليلة الاسرى سئل جبرئيل عنهم فقال: هؤلاء ملائكة تأسوا بابي بكر بن ابي قحافة صديقك في الارض، فانه سينفق عليك ماله حتى تجلل بالعباء في عنقه، وايضًا رويتم ان الله تعالى لما انزل آية النجوى فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[2] الآية، لم يعمل بها الاّ علي بن ابي طالب عليه السلام مع اقراركم بفقره وقله ذات يده[3]، وابو بكر في الحال التي ذكرنا من السعة امسك عن مناجاته، فعاتب الله المؤمنين في ذلك فقال ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ

١- النور/٢٢.

٢- المجادلة/١٢.

٣- تفسير ابن كثير ٤١٨/٤، تفسير القرطبي ٢٥٥/١٧، فتح القدير ٢٦٨/٥، تفسير البيضاوي ٣١٢/١، الدر المنثور ٨٤/٨.

صَدَقَٰتٍۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ ﴾[1] فجعله سبحانه ذنبًا يتوب عليهم منه وهو امساكهم عن مناجاة الرسول ﷺ، وانما كان يحتاج فيه الى اخراج درهمين، فاما ما ذكره من كثرة العيال والنفقة عليهم فليس في ذلك دليل على تفضيله، لان نفقته على عياله واجبة مع ان ارباب السير ذكروا انه لم ينفق على ابيه شيئًا، وانه كان اجيرًا لابن جذعان على مائدته يطرد عنها الذبان[2].

اقول: قد قدمنا في المقدمة ما هو القول الفصل والبيان الجزل في هذا الكذب الصراح والبهتان الذي لا يزيد ناقله ومن نسب اليه الاّ الافتضاح، ولكن الناصبة من الاموية ومن تبعهم لما بهرت عقولهم مناقب علي عليه السلام وفضايله المشهورة بين الخاص والعام مع خلو ائمتهم وخلفائهم من اقل قليل من تلك المراتب العظام، بل اتصافهم بالمثالب المشهورة بين الانام اضطربت آراءهم وانحل منهم الزمام، فصاروا يزخرفون لائمتهم الاكاذيب، ويروون في حقهم الاعاجيب، وربما تراهم يرفعون رتبهم على رتب الأنبياء عليهم السلام كما قدمنا الاشارة اليه في غير مقام، وكل ذلك ناش من الحيرة والبهت، ومن عجب القدرة الالهيه في ابطال هذه التمويهات الزبرجية ان قيض لكل كذاب منهم من اهل نحلته وعلماء ملته من يكشف عن بيان بطلان ما يدعيه وكذب ما يرويه كما في هذا المقام وامثاله فيما تقدم.

١- المجادلة/١٣.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٧٤/١٣.

قال: قال الجاحظ: وقد تعلمون ما كان يلقى اصحاب النبي صلى الله عليه وآله ببطن مكة من المشركين، وحسن صنيع كثير منهم كصنيع حمزة حين ضرب ابا جهل بقوسه ففلق هامته، وابوجهل يومئذ سيد البطحاء ورأس الكفر، وامنع اهل مكة، وقد عرفتم ان الزبير سل سيفه واستقبل به المشركين لما ارجف ان محمدًا قد قتل، وان عمر بن الخطاب قال حين اسلم لا يعبد الله سرًا بعد اليوم، وان سعدًا ضرب بعض المشركين بلحى جمل فأراق دمه فكل هذه الفضائل لم يكن لعلي بن ابي طالب فيها نافة ولا جمل، وقد قال الله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟﴾[1] فاذا كان الله تعالى قد فضل من انفق قبل الفتح، لانه لا هجرة بعد الفتح على من انفق بعد الفتح، فما ظنكم بمن انفق من قبل الهجرة ومن لدن مبعث النبي صلى الله عليه وآله الى الهجرة والى بعد الهجرة[2].

قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله: انا لا ننكر فضل الصحابة وسوابقهم ولسنا كالامامية الذين يحملهم الهوى على جحد الامور المعلومة، ولكننا ننكر تفضيل احد من الصحابة على علي بن ابي طالب عليه السلام، لسنا ننكر غير ذلك، وننكر تعصب الجاحظ للعثمانية، وقصده الى مناقب هذا الرجل وفضايله بالرد والاباطيل، فاما حمزة ﴿رضي الله عنه﴾ فهو عندنا ذو فضل عظيم ومقام جليل، وهو سيد الشهداء الذين استشهدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، واما فضل عمر

١– الحديد/١٠.

٢– العثمانية/٣٧، شرح نهج البلاغة ٢٧٥/١٣.

فغير منكر، وكذلك الزبير وسعد، وليس فيما ذكر ما يقتضي كون علي مفضولاً لهم او لغيرهم الاّ ان قوله وكل هذه الفضايل ليس لعلي فيها ناقة ولاجمل، فان هذا من التعصب البارد والحيف الفاحش، وقد قدمنا من آثار علي عليه السلام قبل الهجرة وما له اذ ذاك من المناقب والخصايص ما هو افضل واعظم واشرف من جميع ماذكر هولاء على ان ارباب السيرة يقولون ان الشجة التي شجها سعد، والسيف الذي سله الزبير هو الذي جلب الحصار في الشعب على النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم، وهو الذي سير جعفرًا واصحابه الى الحبشة، وسل السيف في الوقت الذي لم يؤمر المسلمون بسل السيف فيه غير جايز، قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾[1] فبيّن ان التكليف له اوقات، فمنها وقت لا يصلح فيه سل السيف، ومنها وقت يصلح فيه ويجب.

وأما قوله لا يستوي منكم، فقد ذكرنا ما عندنا في دعواهم لابي بكر انفاق المال، وايضا ان الله تعالى لم يذكر انفاق المال مفردًا، وانما قرن به القتال، ولم يكن ابوبكر صاحب قتال وحرب، فلا تشمله الآية، وكان علي عليه السلام صاحب قتال وانفاق قبل الفتح، اما القتال فمعلوم بالضرورة، واما انفاقه فقد كان على حسب حاله وفقره، وهو الذي اطعم الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا واسيرًا، فانزل الله فيه وفي زوجته وابنيه سورة كاملة من القرآن، وهو

١- النساء/٧٧.

الذي ملك اربعة دراهم، فاخرج منها درهمًا سرًا، ودرهمًا علانية ليلاً، ثم اخرج منها في النهار درهمًا سرًا، وردهمًا علانية، فانزل فيه قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[1]، وهو الذي قدم بين يدي نجواه صدقة دون المسلمين كافة، وهو الذي تصدق بخاتمه وهو راكع فانزل الله فيه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[2].[3]

اقول: ما ذكره ابو جعفر في هذا المقام من ان الامامية يحملهم الهوى على جحد الامور المعلومة من فضل الصحابة على اطلاقه ممنوع.

وذلك اما أولاً: فان الامامية لا تثبت ولا تصرف الاّ بما ثبت من طريقهم ورواياتهم، فانهم لما رأوا ان خصومهم من اهل الخلاف قد حملهم التعصب والحمية لاولئك الاسلاف على خلع ربقة الديانة فضلاً عن العدول عن جادة الانصاف فسطروا الاساطير، واكثروا من التزاوير في صحاحهم وكتب اخبارهم كما اعترف به هنا في حق الجاحظ والعثمانية، وما وقع من الاموية كما تقدم مفصلاً مشروحًا، بل صرحوا بما هو اعظم كما عرفت في المقدمة من كلام جملة من علمائهم وتصريحهم بمخالفه السنن النبوية بعد اعترافهم بها مراغمة للشيعة حيث انهم يعملون بها ويلازمون عليها، لم يعتمدوا على رواياتهم ولم

١- البقرة/٢٧٤.

٢- المائدة/٥٦.

٣- شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٧٥ – ٢٧٧.

يثقوا بدياناتهم على ان اهل السنة قد امتنعوا من العمل بما تفرد به الشيعة مع انه لم تظهر لهم من الشيعة ما ظهر للشيعة منهم ليكون حجة لهم عليكم.

وثانيًا: ان بعض اولئك الاصحاب الذين ظهر لهم من الفضايل ما لا يحتمل الانكار قد احبطوها بمخالفة النبي المختار، كما اعترف به اولياءهم، وان راموا التستر عنها بالاعذار، وما عدا ذلك فالامامية لا تنكره اذا ثبت من الطرق الواضحة النيرة.

قال: قال الجاحظ: والحجة العظمى للقائلين بتفضيل علي قتله الاقران وخوض الحروب، وليس في ذلك كثير فضيلة، لان كثرة القتل والمشي بالسيف للاقران لو كان من اشد المحن واعظم الفضايل، وكان دليلاً على الرياسة والتقدم لوجب ان يكون للزبير وأبي دجانة، ومحمد بن مسلمة، وابن عفراء والبرّاء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله ﷺ، لانه لم يقتل بيده الاّ رجلاً واحدًا، ولم يحضر الحرب يوم بدر ولا خالط الصفوف، وانما كان معتزلاً عنهم في العريش ومعه ابو بكر، وانت ترى الرجل الشجاع قد يقتل الاقران ويجدل الابطال وفوقه في العسكر من لا يقتل ولا يبارز، وهو الرئيس وذو الرأي والمستشار في الحرب، لان في الرؤساء من الاكتراث والاهتمام وشغل البال والعناية والتفقد ما ليس لغيرهم، ولان الرئيس هو المخصوص بالمطالبة وعليه مدار الامور، وبه يستبصر المقاتل ويستنصر، وباسمه ينهزم العدو، ولو لم يكن له الاّ ان الجيش لو ثبت وفروا لم يغن ثبوت الجيش كله وكانت الدائرة عليه، ولو ضيع القوم جميعًا وحفظ هو لانتصر وكانت الدولة،

ولهذا لا يضاف النصر والهزيمة الاّ اليه، ففضل ابي بكر بمقامه في العريش مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه يوم بدر اعظم من جهاد علي ذلك اليوم وقتله ابطال قريش.[1]

قال شيخنا ابو جعفر: لقد اعطي ابو عثمان مقولاً وحرم معقولاً ان كان يقول هذا عن اعتقاد وجد، ولم يذهب مذهب اللعب والهزال أو على طريق التفاضح والتشادق، واظهار القوة والسلاطة وذلاقة اللسان، وحدة الخاطر والقوة على جدال الخصوم، ألم يعلم ابو عثمان ان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه كان اشجع البشر، وانه خاض الحروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الالباب وبلغت القلوب الحناجر، فمنها يوم احد ووقوفه بعد ان فر المسلمون باجمعهم ولم يبق معه الاّ اربعة علي عَلَيْهِ السَّلَام، والزبير وطلحة وابو دجانة، فقاتل ورمي بالنبل حتى فنيت نبله وانكسرت قوسه وانقطع وتره، فامر عكاشة بن محصن ان يوترها، فقال: يا رسول الله لا يبلغ الوتر، فقال له: اوتر وبالغ، قال عكاشة: فوالذي بعثه بالحق لقد اوترت حتى بلغ وطويت منه شبرًا على القوس، ثم اخذها فما زال يرميهم حتى نظرت الى قوسه قد انحطمت، وبارز لابي بن خلف، فقال له الصحابة: ان شئت عطف عليه بعضنا فابى، وتناول الحربة منا ثم انتفض كما انتفض البعير، قالوا: فتطايرنا عنه تطاير الشعاير فطعنه بالحربة، فجعل يخور في دمه كما يخور الثور، وقد نزل على ثباته حين انهزم اصحابه وتركوه قوله تعالى ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ

١- آل عمران/١٥٣.

أُخْرَىٰكُمْ﴾[1]، وكونه عليه السلام في اخراهم وهم يصعدون ولا يلوون هاربين دليل على انه ثبت ولم يفر، وثبت يوم حنين في تسعة من اهله ورهطه الادنين، وقد فر المسلمون كلهم والنفر التسعة محدقون به العباس آخذ بخطمة بغلته، وعلي بين يديه مصلت سيفه، والباقون حول رسول الله صلى الله عليه وآله يمينًا وشمالاً، وقد انهزم المهاجرون والانصار، وكلما فروا اقدم هو صلى الله عليه وآله وصمم مستقدمًا يلقى السيوف والنبال بنحره وصدره، ثم اخذ كفًا من البطحاء وحصب المشركون وقال: شاهت الوجوه، والخبر المشهور عن علي عليه السلام وهو اشجع البشر كنا اذا اشتد البأس وحمي الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله ولذنا به، فكيف يقول الجاحظ انه ما خاض الحرب ولا خالط الصفوف، وأي مزية من نسب رسول الله صلى الله عليه وآله الاجماع واعتراف الحرب، ثم أي مناسبة بين ابي بكر وبين رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى ليقيسه الجاحظ وينسبه الى رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الجيش والدعوة، ورئيس الاسلام والملة، والملحوظ بين اصحابه واعدائه بالمسارة واليه الايماء والاشارة، وهو الذي احنق قريشًا والعرب، وركب اكبادهم بالبراءة من آلهتم، وعيب دينهم، وتضليل اسلافهم، ثم وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم واكابرهم، وحق لمثله اذا انتحى عن الحرب واعتزلها ان ينتحي ويعتزل، فان ذلك شأن الملوك والرؤساء اذا كان الجيش منوطًا بهم وببقائهم، ومتى هلك الملك هلك الجيش، ومتى سلم الملك امكن ان يبقى على ملكه وان عطب جيشه بان يستجد جيشًا آخر، ولهذا نهى الحكماء ان

1- شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٧٥ – ٢٧٧.

يباشر الملك الحرب بنفسه، وخطئوا الاسكندر لما بارز فورًا ملك الهند ونسبوه الى مجانبة الحكم ومفارقة الصواب والحزم، فليقل لنا الجاحظ أي مدخل لابي بكر في هذا المعنى، ومن الذي كان يعرفه من اعداء الاسلام ليقصده بالقتل، وهل هو الاّ واحد من عرض المهاجرين حكم عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان وغيرهما، بل كان عثمان ابين منه صيتًا، واشرف منه مركبًا، والعيون اليه اطمح والعدو عليه احنق واكلب، ولو قتل ابوبكر في بعض تلك المعارك هل كان يؤثر قتله في الاسلام ضعفًا او يحدث فيه وهنًا او يخاف على الملة لو قتل ابوبكر في تلك الحروب ان تندرس وتعفى آثارها ويطمس منارها، ليقول الجاحظ ان ابابكر كان حكمه حكم رسول الله ﷺ في مجانبة الحرب واعتزالها، نعوذ بالله من الخدلان، وقد علم العقلاء كلهم ممن له بالسير معرفة وبالآثار والاخبار ممارسة حال حروب رسول الله صلى الله عليه وكيف كانت وحاله عليه السلام فيها كيف كان ووقوفه حيث وقف وحربه حيث حارب، وجلوسه في العريش يوم جلس، وان وقوفه ﷺ وقوف رياسة وتدبير، ووقوف ظهر وسند، يتعرف امور اصحابه، ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم وتخلفه عن المتقدم في اوايلهم، ومتى علموا انه في آخرهم اطمأنت قلوبهم ولم تتعلق بامره نفوسهم فيشتغلوا بالاهتمام به عن عدوهم، ولا يكون لهم فئة يلجأون اليها وظهر يرجعون اليه، ويعلمون انه متى كان خلفهم تفقد امورهم وعلم مواقفهم، واراه كل انسان مكانه في الحماية والنكاية وعند المقارنة في الكر والحملة، فكان وقوفه حيث وقف اصلح لامرهم واحمى

واحرس لبيضتهم، ولأنه المطلوب من بينهم، اذ هو مدبر امرهم ووالي جماعتهم، ألا ترون بأن موقف صاحب اللواء موقف شريف، وان صلاح الحرب في وقوفه، وان فضيلته في ترك التقدم في اكثر حالاته، فللرئيس حالات فحاله يتخلف ويقف اخيرًا ليكون سندًا وقوة وردئًا وعدة، وليتولى تدبير الحرب، ويعرف موضع الخلل، وحالة يتقدم فيها في وسط الصف ليقوي الضعيف وليشجع الناكص، وحالة ثالثة وهي اذا انصدم الفيلقان وتكافح السيفان اعتمد ما يقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح أأمن من مباشرة الحرب بنفسه فانها آخر المنازل وفيها تظهر شجاعة الشجاع المنجد، وبسالة الجبان المموه، فاين مقام الرياسة العظمى لرسول الله ﷺ، واين منزله ابي بكر ليسوى بين المنزلتين ويناسب بين الحالين، ولو كان ابوبكر شريكًا لرسول الله ﷺ في الرساله وممنوحًا من الله تعالى بفضيلة النبوة، وكانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمد ﷺ، وكان يدبر من امر الاسلام وتسريب العساكر وتجهيز السرايا وقتل الاعداء ما يدبره محمد ﷺ لكان للجاحظ ان يقول ذلك، فاما وحاله وهو اضعف المسلمين جنانًا واقلهم عند العرب ترةً لم يرم بسهم قط، ولا سل سيفًا، ولا اراق دمًا، احد الاتباع غير مشهور ولا معروف، ولا طالب ولا مطلوب، فكيف يجوز ان يجعل منزلته ومقامه مقام رسول الله ﷺ، ولقد خرج ابنه عبد الرحمن مع المشركين يوم احد فرآه ابوبكر فقام معتظلاً عليه فسل من السيف مقدار اصبع يروم البراز اليه، فقال اليه رسول الله ﷺ يا ابا بكرشم سيفك وامتعنا بنفسك، ولم يقل له وامنعنا بنفسك

الاّ لعلمه انه ليس اهلاً للحرب ولا لملاقات الرجال، وانه لو بارز لقتل.

وكيف يقول الجاحظ لا فضيلة لمباشرة الحرب ولقاء الاقران، وقتل الابطال من اهل الشرك، وهل قامت عمد الاسلام الاّ على ذلك، وهل ثبت الدين واستقر الاّ بذلك! اتراه لم يسمع قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1] والمحبة من الله هي ارادة الثواب، فكل من كان أشد ثبوتًا في هذا الصف، واعظم قتالاً كان احب الى الله تعالى، وعنى الافضل هو الاكثر ثوابًا، فعلي عليه السلام اذًا هو احب المسلمين الى الله تعالى، لانه اثبتهم قدمًا في الصف المرصوص لم يفرفط باجماع الامة ولا بارز قرنًا الاّ قتله، وتراه لم يسمع قوله تعالى ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2]، وقوله تعالى ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾[3]، ثم قال سبحانه موكدًا لهذا البيع والشراء ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، وقال تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ

١- الصف/٤.

٢- النساء/٩٥.

٣- التوبة/١١١.

﴿مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌ﴾[1] فمواقف الناس في الجهاد على احوال وبعضهم في ذلك أفضل من بعض، فمن زلف الى الاهوال واستقبل السيوف والاسنة كان الثقيل على اكتاف الاعداء لشدة نكايته فيهم ممن وقف في المعركة واعان ولم يقدم، وكذلك من وقف في المعركة واعان ولم يقدم الاّ انه بحيث تناله السهام والنبل اعظم عناء وافضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك، ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة لقلة بسط الكف وترك الحرب وان ذلك يشارك فعل النبي ﷺ لكان اوفر الناس حظًا في الرياسة واشدهم لها استحقاقًا حسان بن ثابت، وان بطل فضل علي عليه السلام في الجهاد لان النبي ﷺ كان أقلهم قتالاً كما زعم الجاحظ ليبطلن على هذا القياس فضل ابي بكر في الانفاق، لان رسول الله ﷺ كان اقلهم مالاً.

وانت اذا تاملت امر العرب وقريش، ونظرت السير وقرأت الاخبار عرفت انها كانت تطلب محمدًا ﷺ وتقصد قصده وتروم قتله، فان اعجزها وفاتها طلبت عليًا عليه السلام وارادت قتله، لانه كان اشبههم بالرسول حالاً، واقربهم منه قرابة ودفعًا، وانهم متى قصدوا عليًا فقتلوه اضعفوا محمدًا ﷺ وكسروا شوكته، اذ كان علي من ينصره في البأس والقوة والشجاعة والنجده والاقدام والبسالة، ألا ترى الى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر وقد خرج هو واخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة، فاخرج اليهم رسول الله ﷺ نفرًا من الانصار فاستنسبوهم فانتسبوا لهم فقالوا ارجعوا الى قومكم ثم نادوا يا محمد، اخرج الينا الاكفاء من

١- التوبة/١٢٠.

قومنا، فقال النبي ﷺ لاهله الادنين قوموا يا بني هاشم فانصروا حقكم الذي اتاكم الله على باطل هولاء، قم يا علي، قم يا حمزة، قم يا عبيدة ألا ترى ما جعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم أحد، لانه اشرك هو وحمزة في قتل ابيها يوم بدر، الم تسمع هندًا ترثي اهلها شعرًا:

ما كان عن عتبة لي من صبر ... ابي وعمي وشقيق صدري
اخي الذي كان كضوء البدر ... بهم كسرت يا علي ظهري

وذلك لانه قتل اخاها الوليد بن عتبة، وشرك في قتل ابيها عتبة، واما عمها شيبة فان حمزة تفرد بقتله، وقال جبير بن مطعم لوحشي مولاه يوم احد إن قتلت محمدًا فانت حر، وان قتلت عليًا فانت حر، وان قتلت حمزة فانت حر، ولما قلناه من مقارنة علي عليه السلام في هذا الباب لحال رسول الله ﷺ ومناسبتها اياه، وما وجدناه في السير والاخبار من اشفاق رسول الله ﷺ وحذره عليه ودعائه له بالحفظ والسلامة قال ﷺ يوم الخندق وقد برز علي عليه السلام الى عمرو ورفع يده الى السماء قال: اللهم انك اخذت عمي حمزة يوم احد، وعبيدة يوم بدر، فاحفظ اليوم عليًا، رب لا تذرني فردًا وانت خير الوارثين، ولذلك ظن انه من مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس الى نفسه مرارًا في كلها يحجمون ويقدم علي عليه السلام فيسأل الاذن له حتى قال ﷺ: انه عمرو، فقال: وانا علي، فأدناه وقبله وعممه بعمامته وخرج معه خطوات كالمودع له المقلق لحاله، المنتظر لما يكون منه، فلم يزل ﷺ رافعًا يديه الى السماء مستقبلاً لها

بوجه، والمسلمون صموت حوله كأن على رؤوسهم الطير حتى صارت الغبرة وسمعوا التكبير من تحتها، فعلموا ان عليًا عليه السلام قتل عمرو، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين، ولذلك قال حذيفة بن اليمان: لو قسمت فضيلة علي عليه السلام بقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق من المسلمين بأجمعهم لوسعتهم[1]، قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾[2] قال: بعلي[3].

اقول: ويظهر وجه ما نقله ابو جعفر هنا عن حذيفة مما قدمنا نقله برواية صدر الائمه بسنده عنه صلى الله عليه وآله انه قال: لمبارزة علي ابن ابي طالب لعمرو بن عبد ود افضل من اعمال امتي الى يوم القيامة[4].

ثم اقول: حيث ان قضية الجلوس في العريش مما كثر التمويه بها من مثل الجاحظ وامثاله على ناقصي العقول، ومن ليس له قدم راسخ في معقول او منقول، فلا بأس لو زدنا في الكلام فيها على ما ذكره ابو جعفر في المقام، فانه وان كان شافيًا كافيًا لذوي الافهام الاّ ان شيخنا مفيد الطائفة المحقة ورئيس الفرقة المحقة في كتاب الفصول المتقدم ذكره كلامًا جيدًا يعجبني ايراده لدلالته على ان ذلك انما هو لنفاق الرجلين وعدم ايمانهما.

---

١ - الغدير ٢١٢/٧.

٢- الأحزاب/٢٥

٣- شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٧٧ – ٢٨٤، الدر المنثور ٥٩٠/٦، روح المعاني ١٧٥/٢١، المناقب لابن شهرآشوب ٣٢٤/٢.

٤ - الطرائف لابن طاووس/٦٠.

قال ﴿قدس الله تعالى روحه ونوّر ضريحه﴾: مسئلة اخرى: فان قالوا: ان الامة مجتمعة على ان رسول الله صلى الله عليه وآله خص ابا بكر وعمر في يوم بدر بالكون معه في العريش وصانهما عن التبدل في الحرب، واشفق على صحبتيهما من ضرب السيوف وفزع اليهما في الرأي والتدبير، وهذا امر ابين فضلاً، وأجل منقبة فقولوا في ذلك ما عندكم في معناه.

الجواب قيل لهم: ما اراكم تعتمدون في الفضايل الاّ على الرذائل، ولا تصلون في المناقب الاّ بذكر المثالب، وذلك دليل خذلانكم وخزيكم في الدين وضلالكم، اما كون ابي بكر وعمر مع رسول الله صلى الله عليه وآله في العريش ببدر فلسنا ننكره لكنه لغير ما ظننتموه، والامر فيه اوضح من ان يلتبس بما توهمتموه، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله علم من جبنهما عن الحروب، وخوفهما من البراز والحتوف، وجزعهما من لقاء الابطال، وضعف بصيرتهما وثباتهما في القتال بما اوجب في الحكمة والدين والتدبير حبسهما في ذلك المكان ومنعهما من التعرض في القتال، والاحتياط عليهما لئلا يوقعا في تدبيره الفساد، ولو علم صلى الله عليه وآله منهما قوة في الجهاد وبصيرة في حرب اهل العناد، ونية في الاصلاح والسداد لما حال بينهما وبين اكتساب الثواب، ولا منعهما من التعرض لنيل المنازل العالية بجهاد الاعداء، ولا اقتصر بهما على منازل القاعدين، ولا ادخلهما في حكم المفصولين بما نطق به الذكر الحكيم حيث يقول سبحانه ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ

وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]، ويؤكد ذلك ان الله تعالى اخبر عباده في كتابه بانه ﴿ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2]، فلا يخلو ان يكونا في جملة المؤمنين الذين بعثهم الله فاخبر عنهم بما ضمنه القرآن الحكيم او ان يكونا من غيرهم بخلاف صفاتهم التي جاء بها التنزيل، فلو كانوا من جمله المؤمنين لما منعهم رسول الله صلى الله عليه وآله من الوفاء بشرط الله عليهم في القتال ولا حال بينهما وبين التوصل بالجهاد الى ما وعد الله عليه اهل الايمان من عظيم الثواب في محل النعيم والاجر الكبير الذي من ظهر به كان من الفائزين، لانه عليه السلام انما بعث بالحث على اعمال الخيرات والاجتهاد بالقرب والطاعات، والترغيب في بذل النفوس في جهاد الاعداء، واقامة المفترضات، ولما وجدناه عليه السلام قد منع هذين الرجلين من الجهاد، وحبسهما عما ندب اليه خيار العباد، دل على انهما بخلاف صفات من اشترى الله تعالى نفسه بالجنه من اهل الايمان، وهذا واضح لذوي العقول والاذهان، ويزيد ذلك ايضًا بيانًا انهزامهما مع المنهزمين في يوم احد، وفرارهما من مرحب يوم خيبر، وكونهما من جملة

١- النساء/٩٥.

٢- التوبة/١١١.

المولين للادبار في يوم الخندق، وانهما لم يثبتا لقرن قط، ولا بارزا بطلاً ولا أراقا في نصرة الاسلام دمًا، ولا حملا في الذب عن رسول الله صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ألمًا، ولا كان بهما في ذلك جرحًا، ويؤكد ما ذكرناه في معناه ويزيل عن ذوي الاعتبار الشبهات فيما ذكره اهل الضلالات، واما قولهم ان رسول الله صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ صانهما عن البذل في الحرب واشفق عليهما من ضرب السيف فهو من اوهن كلام واضعفه، وذلك انه عرض في ذلك اليوم عمه حمزة اسدالله واسد رسوله للحرب، وبدر اليها اخاه وابن عمه وصهره واحب الخلق اليه اميرالمؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ، وابن عمه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ﴿رحمهم الله﴾ واحبائه من الانصار وخلصائه من اهل الايمان، فكان عَلَيْهِالسَّلَامُ يقدم كل من عظمت منزلته عنده للجهاد معرضًا له بذلك الى اجل منازل الثواب، ويرى ان تأخره عن ذلك حط له عن شيء من المقام الاّ ان يكون بصفة من ذكرناه من المرتابين في الايمان، والشاكين في نعيم الجنان، ولم يك عَلَيْهِالسَّلَامُ من ابناء الدنيا الداعين اليها والى التمسك باعمال اهلها و الترغيب في حطامها فيتضور بما ذكره الجاهلون من الاشفاق على احبته من الشهادة، والمنع لهم مما يعقب الراحة، وتحصل به الفضيلة، ولو كان بهذه الصفة لخرج عن النبوة ولحق باهل الكبر والجبرية وحاشاه من ذلك صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ.

ثم اطال قُدِّسَسِرُّهُ في الكلام وذكر انه لو كان حبسهما لاجل الاشفاق والمحبه لأشفق عليهما يوم خيبر، ولم يعرضهما حتى افتضحا بالهزيمة، وابان لامته عن حاليهما في الظاهر وسماهما فرارين، واخرجهما من محبة الله بقوله لا

عطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ثم ذكر الرد عليهم في قولهم انما حبستهما عن القتال للحاجة الى رأيهما، ورده بانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان معصومًا وكان مؤيدًا بالملائكة، ممدودًا بالوحي من الله، وان الله سبحانه لم يكله في شيء من امره الى رعيته، ولا اخرجه الى احد من امته، وهو عز وجل المتولي لحراسته وهدايته وتدبيره، ولو جاز ان يلجئه الى احد من امته ويضطره اليه لجعله تابعًا له فيما يدركونه بالقياس والاجتهاد، وهذا ما لا يذهب اليه مسلم، فبان ان الفرض من حبسهما عن القتال انما هو ما قدمناه، انتهى ملخصًا[1].

قال: قال الجاحظ: على ان مشي الشجاع بالسيف الى الاقران ليس على ما توهمه من لا يعرف باطن الامر، لان معه في حال مشيه الى الاقران امور لا يبصرها الناس، وانما يقضون على ظاهر ما يرون من اقدامه وشجاعته، فربما كان سبب ذلك الحرج، وربما كان الغرارة والحداثة، وربما كان الاخراج والحمية، وربما كان لمحبته النفح والأحدوثة، وربما كان طباعًا كطباع القاسي والرحيم، والسخي والبخيل.

قال شيخنا ابو جعفر رَحِمَهُ اللهُ: فيقال للجاحظ على ايها كان مشي علي بن ابي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ الى الاقران بالسيف فايما قلت من ذلك بانت عداوتك لله ولرسوله، وان كان مشيه ليس على وجه ما ذكرت وانما كان على وجه النصرة والقصد الى المسابقة الى ثواب الآخرة والجهاد في سبيل الله واعزاز الدين، كنت

---

١ - شرح نهج البلاغة ٢٨٤/١٣.

بجميع ما قلت معاندًا وعن سبيل الانصاف خارجًا، وفي امام المسلمين طاعنًا، وان تطرق مثل هذا التوهم على علي عليه السلام ليتطرقن مثله على اعيان المهاجرين والانصار ارباب الجهاد والقتال الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وآله بانفسهم، وفدوه بمهجهم ووقوه بابنائهم وآبائهم، فلعل ذلك كله لعلة من العلل المذكورة، وفي ذلك الطعن في الدين وفي جماعة المسلمين، ولو جاز ان يتوهم هذا في علي عليه السلام وغيره لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حكاية عن الله تعالى لاهل بدر اعملوا ما شئتم قد عقرت لكم، ولا قال لعلي عليه السلام برز الايمان كله الى الشرك كله، ولا قال اوجب طلحة، وقد علمنا ضرورة من دين الرسول صلى الله عليه وآله تعظيمه لعلي عليه السلام تعظيمًا دينيًا لاجل جهاده ونصرته، فالطاعن فيه طاعن في رسول الله صلى الله عليه وآله، اذ زعم انه قد يمكن ان يكون جهاده لا لوجه الله بل لامر آخر من الامور التي عددها، وبعثه على التفوه بها اغواء الشيطان وكيده، والافراط بعداوة من امر الله بمحبته، ونهى عن بغضه وعداوته، اترى رسول الله صلى الله عليه وآله خفي عليه من امر علي عليه السلام ما لاح للجاحظ والعثمانية، فمدحه وهو غير مستحق للمدح[1].

قال الجاحظ: فصاحب النفس المختارة المعتدلة يكون قتاله طاعة، وفراره معصية، لان نفسه معتدلة كالميزان في الاستقامة بلسانه وكفتيه، واذا لم يكن كذلك كان اقدامه طباعًا وفراره طباعًا[2].

---

١ - شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٨٥ – ٢٨٦.

٢ – العثمانية/٤٧، شرح نهج البلاغة ٢٨٦/١٣.

قال شيخنا ابو جعفر رَحِمَهُ الله: فيقال له: فلعل انفاق ابي بكر على ما تزعم اربعين الف درهم لا ثواب له، لان نفسه ربما تكون غير معتدلة، لانه يكون مطبوعًا على الجود والسخاء، ولعل خروجه يوم الهجرة الى الغار لا ثواب له فيه، لان اسبابه كانت مهيجة، ودواعيه غالبة لحبه كان الخروج وبغضه المقام، ولعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في دعائه الى الاسلام واكبابه على الصلوات الخمس في جوف الليل، وتدبيره امر الامة لا ثواب له فيه، لانه قد يكون نفسه غير معتدلة، بل يكون في طباعه الرياسة وجهاد العبادة والالتذاذ بها، ولقد كنا نعجب من مذهب ابي عثمان ان المعارف ضرورة وانها تقع طباعًا، وفي قوله بالتولد وحركه الحجر بالطبع حتى رأينا من قوله ما هو اعجب منه، فزعم انه ربما يكون جهاد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وقتله المشركين لا ثواب له فيه، لانه فعله طباعًا، وهذا اطرف من قوله في المعرفة وفي التولد[1].

قال الجاحظ: ووجه آخر ان عليًا لو كان كما تزعم شيعته ما كان له بقتل الاقران كبير فضل، ولا عظيم طاعة، لانه قد روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين، فاذا كان قد وعده بالبقاء بعده، فقد وثق بالسلامة من الاقران، وعلم انه منصور عليهم وقاتل لهم، فعلى هذا يكون طلحة والزبير اعظم طاعة منه[2].

قال شيخنا ابو جعفر رَحِمَهُ الله: هذا راجع على الجاحظ في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لان

---

١ - شرح نهج البلاغة ٢٨٦/١٣.

٢ – العثمانية/ ٤٩، شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٨٦ – ٢٨٧.

الله تعالى قال له ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1]، فلم يكن له في جهاده كبير طاعة، وكثير من الناس يروي عنه ﷺ اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر، فوجب ان يبطل جهادهما، وقد قال للزبير: ستقاتل عليًا وانت ظالم له، فاشعره بذلك انه لا يموت في حياة رسول الله ﷺ، وقال في الكتاب العزيز لطلحة: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾[2] قالوا: انزلت في طلحة فاعلمه بذلك انه يبقى بعده،[3] فوجب ان لا يكون لهما كثير ثواب في الجهاد، والذي صح عندنا من الخبر هو قوله ستقاتل بعدي الناكثين، انه قاله له لما وضعت الحرب اوزارها، ودخل الناس في دين الله افواجًا، ووضعت الجزية، ودانت العرب[4].

أقول: ويرد ما قاله الجاحظ المنافق الخارج من الدين والمارق:

أولاً: انه هب انه ﷺ اعلمه انه لا يقتل في تلك المدة الاّ انه لم يعلمه انه لا يضرب ولا يجرح ولا يقطع منه عضو من اعضائه، وكل هذا مما يتقيه الناس على انفسهم، ولقد ضربه عمرو بن عبد ود على رأسه ضربة شنيعة، وجرحه جراحة فضيعه حتى انه روي عنه عليه السلام انه قال: مازالت ضربة عمرو

١- المائدة/٦٧.

٢- الأحزاب/٥٣.

٣ - تفسير ابن كثير ٦٦٤/٣، تفسير البغوي ٣٦٩/١.

٤- شرح نهج البلاغة ٢٨٧/١٣.

تعاودني في السنة مرتين، وروي ان ضربة ابن ملجم (لعنه الله) كانت على موضع تلك الضربة.

وثانيًا: ما تقدم في كلام ابي جعفر من دعاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عليه السلام لما بارز عمروًا واشفاقه وخوفه عليه.

قال: قال الجاحظ: ثم قصد الناصرون لعلي والقائلون بتفضيله الى الاقران الذين قتلهم فأطروهم وغلوا فيهم وليسوا هناك، فمنهم عمرو بن عبد ود تركوه اشجع من عامر بن الفضل، وعتبة بن الحارث، وبسطان بن قيس، وقد سمعنا بأحاديث حروب الفجار ما كان بين قريش ودوس، وحلف الفضول فما سمعنا لعمرو بن عبد ود في ذ لك ذكرًا[1].

قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله: امر عمرو بن عبد ود اكبر وأشهر من ان يحتج له، فليفتح كتب المغازي والسير ولينظر ما رثته به شعراء قريش لما قتل، فمن ذلك ما ذكره محمد بن اسحاق في مغاريه، قال: وقال مسافع بن عبد مناف بن زهرة من حذافة بن جمح يبكي عمرو بن عبد ود حين قتله علي بن ابي طالب مبارزة لما جذع المزاد، اي قطع الخندق شعرًا:

عمرو بن عبدٍ ود كان اول فارس ... جذع المزاد وكان فارس يليل

سمح الخلايق ماجد ذو مرة ... يبغي القتال بسكة لم ينكل

ولقد علمتم حين ولوا عنكم ... ان ابن عبد منهم لم يعجل

حتى تكنفه الكماة وكلهم ... يبغي القتال له وليس بمؤمل

١ – العثمانية/٥٨، شرح نهج البلاغة ٢٨٧/١٣.

ولقــد تكنفــت الفــوارس فارسًــا | بجنــوب ســلع غيــر نكــس اميــل
سـأل النـزال هنـاك فـارس غالـب | بجنــوب ســلع ليتــه لــم ينــزل
فاذهـب علـي فمـا ظفـرت بمثلهـا | فخـرًا ولا لاقيـت مثـل المعـضل
نفـسي الفـداء لفـارس مـن غالـب | لاقـى حمـام المـوت لـم يتحلحـل
اعني الذي جذع المزاد ولـم يكـن | فـشلاً ولـيس لـذي الحـروب بزيـل

وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي يعتذر في فـراره عـن علـي بـن ابـي طالب وتركه عمروًا يوم الخندق يبكيه شعرًا:

لعمـرك مـا وليـت ظهـري محمـدًا | واصـــحابه حينًــا ولا خيفــة القتــل
ولكننـي قلبـت امـري فلـم اجـد | لـسيفي عنـاء ان وقفـت ولا نبلـي
وقفـت فلمـا لـم اجـد لـي مقـدمًا | صدرت كضرغام هزبرٍ الى شبل
ثنى عطفه من قرنـه حيـن لـم يجـد | مجالاً وكان الحزم والرأي مـن فعلـي
فـلا تبعـدن يـا عمـروٍ حيًـا وهالكًـا | فقدمت محمـود الثنـا ماجـد الفعـل
فـلا تبعـدن يـا عمـرو حيًـا وهالكًـا | فقد كنت في حرب العدا أرهف النصل
فمـن لطـراد الخيـل يقـرع بالقنـا | وللبـزل يومًـا عنـد قرقـرة البـزل
كفتك علي لـن تـرى مثـل موقـف | وقفت على شلوا المقـدم كالفحـل
فمـا ظفـرت كفـاك يومًـا بمثلهـا | امنت بها مـا عـشت مـن زلـة النعـل

وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي ايضا يرثي عمروًا ويبكه شعرًا:

لقد علمت عليا لوي بن غالب | لفارسها عمرو اذا ناب نائب
وفارسها عمرو اذا ما يسوقه | علي وان الموت لا شك طالب
عشية يدعوه علي وانه | لفارسها اذ حام عنه الكتائب
فيا لهف نفسي ان عمروًا لكائن | بيثرب لا زالت هناك المصايب
لقد احرز العليا علي بقتله | وللخير يومًا لا محالة جالب

وقال حسان بن ثابت الانصاري يذكر عمروًا:

امس الفتى عمرو بن عبد ودٍ ناظرًا | كيف الصبور وليته لم ينظر
فلقد وجدت سيوفنا مشهورةً | ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد لقيت غداة بدر عصبة | ضربوك ضربًا غير ضرب الحسر
اصبحت لا تدعى ليوم عظيمة | يا عمرو أو لجسيم أمرٍ منكرٍ

وقال حسان ايضًا:

لقد شفيت بنو جمح بن عمرو | ومخزوم وتيمٍ ما تقيل
وعمروًا كالحسام فتى قريش | كأن جبينه سيف صقيل
فتى من نسل عامر ارجحي | تطاوله الاسنة والنصول
دعاه الفارس المقدام لما | تكنفت المقانب والخيول
ابو حسن فقنعه حسامًا | جوازًا لا أفل ولا نكول
فغادره مكبًا مسلحبًا | على عفرٍ ألا بعدٍ القتيل

فهذه الأشعار فيه بل بعض ما قيل فيه، وأما الآثار والأخبار فموجودة في كتب السير وأيام الفرسان ووقايعهم، وليس أحد من أرباب هذا العلم يذكر عمروًا الاّ قال فارس قريش وشجاعهم، وانما قال حسان ولقيت غداة بدر عصبة، لانه شهد مع المشركين بدرًا، وقتل قومًا من المسلمين، ثم فر مع من فروا ولحق بمكة، وهو الذي كان قال وعاهد الله عند الكعبة ان لا يدعوه احد الى واحدة من ثلاث إلاّ اجابه، وآثاره في ايام الفخار مشهورة تنطق بها كتب الايام والوقايع، ولكنه لم يذكر مع الفرسان الثلاثة وهم عتبة وبسطام وعامر، لانهم كانوا اصحاب غارات ونهب واهل بادية، وقريش اهل مدينة وساكنوا مدر وحجر، لا يرون الغارات ولا ينهبونهم غيرهم من العرب، وهم مقتصرون على المقام ببلدتهم، وحماية حرمهم، فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء، ويقال له اذا كان عمرو كما تذكر ليس هناك فما باله لما جذع الخندق في ستة فرسان هو احدهم، فصار مع اصحاب النبي ﷺ على ارض واحدة وهم ثلاثة آلاف، ودعاهم الى البراز مرارًا فلم ينتدب احد للخروج اليه، ولا احد سمح بنفسه حتى وبخهم وقرعهم وناداهم الستم ترغمون انه من قتل منا فالى النار، ومن قتل منكم فالى الجنة، افلا يشتاق احدكم الى ان يذهب الى الجنة او يقدم عدوه الى النار، فجبنوا كلهم وملكهم الرعب والوهن، فاما ان يكون هذا اشجع الناس كما قد قيل عنه، او يكون المسلمون كلهم اجبن العرب واذلهم وافشلهم، وقد روى الناس كلهم الشعر الذي انشده لما نكل القوم عنه وانه جال بفرسه واستدار وذهب ميمنه ثم ذهب ميسرة ثم وقف تجاه القوم

وانشد وقال شعرًا:

ولقد بحححت عن النداء ... لجمعكم هل من مبارز

ووقفت اذ جبن المنيع ... وموقف القرن المناجز

وكذاك انـي لم ازل ... متسرعًا نحو الهزاهز

ان الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

فلما برز علي عليه السلام اجابه:

لا تعجلن لقد اتاك ... مجيب صوتك غير عاجز

ذو نية وبصيرة يرجو ... الغداة نجاة فايز

اني لارجو ان اقيم ... عليك نائحة الجنايز

من ضربة تفنى ... ويبقى ذكرها عند الهزائز

و لعمري لقد سبق الجاحظ بما قاله بعض جهال الانصار لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر، فقال فتى من الانصار شهد معه بدرًا: ان قتلنا الآّ عجايزًا صلفًا، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ولا تقل ذلك يا ابن اخ اولئك الملا[1].

قال الجاحظ: ولقد اكثروا في الوليد بن عتبة بن ربيعة قتله يوم بدر، وما علمنا الوليد حضر حربًا قبلها قط ولا ذكر فيها[2].

---

١ - شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٨٨ – ٢٩٢.

٢ – العثمانية/ ٥٩، شرح نهج البلاغة ٢٩٢/١٣.

قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله: كل من دوّن اخبار قريش وآثار رجالها وصف الوليد بالشجاعة والبسالة، وكان مع شجاعته ابدًا يصارع الفتيان فيصرعهم، وليس لانه لم يشهد حربًا قبلها ما يجب ان يكون بطلاً شجاعًا، فان عليًا عليه السلام لم يشهد قبل بدر حربًا، وقد رأى الناس آثاره فيها[1].

قال الجاحظ: وقد ثبت ابو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد كما ثبت علي، فلا فخر لاحدهما على الآخر[2].

قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله: اما ثباته يوم احد فاكثر المؤرخين وارباب السير ينكرونه، وجمهورهم يروي انه لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله الاّ علي عليه السلام وطلحة والزبير وابو دجانة، وقد روي عن ابن عباس انه قال ولهم خامس وهو عبد الله بن مسعود، ومنهم من اثبت سادسًا وهو المقداد بن الاسود.

وروى يحيى بن مسلمة بن كهيلان قال: قلت لابي بكر: من ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد؟ فقال: اثنان، قلت من هما؟ قال: علي وابو دجانة.

وهب ان ابا بكر ثبت يوم احد كما يدعيه الجاحظ ايجوز له ان يقول ثبت كما ثبت علي فلا فخر لاحدهما على الآخر، وهو يعلم آثار علي عليه السلام ذلك اليوم، وانه قتل اصحاب الالوية من بني عبدالدار منهم طلحة بن ابي طلحة الذي رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه انه مردف كبشًا فأوله وقال: كبش الكتيبة، فقتله، فلما قتله علي عليه السلام مبارزة وهو اول قتيل قتل من المشركين

١- شرح نهج البلاغة ٢٩٢/١٣.

٢- العثمانية/ ٦٣، شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٩٣.

ذلك اليوم كبر رسول الله ﷺ وقال: هذا كبش الكتيبة، وما كان منه من المحاماة عن رسول الله ﷺ وقد فر الناس واسلموه فتعمد له كتيبه من قريش فيقول: يا علي اكفني هذه، فيحمل عليها فيعزمها ويقتل عميدها حتى سمع المسلمون والمشركون صوتًا من السماءِ لا سيف الاّ ذوالفقار ولا فتى الاّ علي، وحتى قال النبي ﷺ عن جبرئيل ما قال، اتكون هذه افعاله وآثاره ثم يقول الجاحظ لا فخر لاحدهما على الآخر، ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾[1].[2]

قال الجاحظ: ولأبي بكر في ذلك اليوم مقام مشهود، وخرج ابنه عبدالرحمن فارسًا مكثرًا في الحديد يسأل المبارزة، ويقول انا عبد الرحمن بن عتيق، فنهض اليه ابوبكر يسعى بسيفه، فقال له النبي ﷺ: شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك[3].

قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله: ما اغناك يا ابا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهود لابي بكر فانه لو تسمعه الامامية لاضافته الى ما عندها من المثالب، لان قول النبي ﷺ ارجع دليل على انه لا يحتمل مبارزة احد، لانه اذا لم يحتمل مبارزة ابنه وانت تعلم حنو الابن على الاب وتبجيله له واشفاقه عليه، وكفه عنه لم يحتمل مبارزة الغريب الاجنبي، وقوله ومتعنا بنفسك ايذان بانه

١- الأعراف/٨٩

٢- شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٩٣ – ٢٩٤.

٣- العثمانية/٦٢، شرح نهج البلاغة ٢٩٤/١٣.

كان يقتل لو خرج، ورسول الله صلى الله عليه وآله كان اعرف به من الجاحظ، فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذي صلى بالحرب ومشى الى السيف بالسيف فقتل السادات والقادات والفرسان والرجال[1].

قال الجاحظ: على ان ابا بكر وان لم يكن آثاره في الحروب كغيره، فقد بذل الجهد وفعل ما يستطيعه وتبلغه قوته، واذا بذل المجهود فلا حال اشرف من حاله[2].

قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله: اما قوله انه بذل المجهود فقد صدق، ورحم الله ابا بكر، واما قوله لا حال اشرف من حاله فخطأ، لان حال من بلغت قوته عملها في قتل المشركين اشرف من حال من نقصت قوته عن بلوغ الغاية، ألا ترى ان حال الرجل في الجهاد اشرف من حال المرأة، وحال البالغ اشرف من حال الصبي الضعيف.

فهذه جملة ما ذكره الشيخ ابو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي رحمه الله في نقض العثمانية اقتصرنا عليها هاهنا وسنعود فيما بعد الى ذكر جملة اخرى من كلامه اذا اقتضت الحال ذكره[3].

اقول: ما ادعاه الجاحظ من بذل ابي بكر جهده و فعل ما يستطيعه ووافقه عليه ابو جعفر لا نعرف وجهه، فانا لا نعرف له شيئًا من الجهد والمشقة في تلك

١- شرح نهج البلاغة ٢٩٤/١٣.

٢- العثمانية/ ٦٢، شرح نهج البلاغة ٢٩٤/١٣.

٣- شرح نهج البلاغة ٢٩٥/١٣.

الحروب غير انه يذهب فيمن ذهب، ويرجع فيمن رجع، ويأكل ويشرب كالدواب التي في صحبتهم، اللهم الاّ ان يقال هذا نهاية جهده وما يستطيعه وفيه ما فيه، اذ لا اقل لجبنه وضعفه لا يمكنه القرب من العدو بالسيف، فليرم بالنبل من بعد، ومع جبنه او قلة معرفته بالرمي بالنبل ان تعين الرمي بالاحجار كالنسوان والصبيان الصغار، ولم ينقل ذلك عنه في اثر من الآثار ولاخبر من الأخبار.

ثم اقول: وقد لغى الجاحظ ثمرة ما اورده من هذا الكلام في دنياه قبل يوم القيام، فنقل القاضي ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان في ترجمته انه كان في اواخر عمره قد اصابه الفالج، فكان يطلي نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته، والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض لما احس من حوزه وشدة برده، وكان يقول في مرضه: اصطلحت على جسدي الاضداد، ان اكلت باردًا اخذ برجلي، وان اكلت حارًا احد برأسي، وكان يقول: انا من جانبي الايسر مفلوج، فلو أُقرض بالمقاريض ما علمت، ومن جانبي الايمن منقرس فلو مر بي الذباب لألمت، وفيّ خصاة لا ينشرح البول منها، انتهى. ولعذاب الآخرة اشد وابقى.

قال: الاصل، ومن كلام الى آخره قاله لعبد الله بن عباس وقد جاءه برسالة من عثمان بن عفان وهو محصور بعد تفسير مفردات كلامه عليه السلام، قرأت في كتاب صنفه ابو حيان التوحيدي في تقريظ الجاحظ قال: نقلت من خط الصولي، قال الجاحظ: ان عباس بن عبد المطلب وصى علي بن ابي طالب في

علته التي مات فيها، فقال: أي بني اني مشف على الظعن من الدنيا الى الله الذي فاقني الى عفوه وتجاوزه اكثر من حاجتي الى ما انصحك فيه واشير عليك، ولكن العرق نبوض، والرحم عروض، فاذا قضيت حق العمومه فلا تأل في نقصان هذا الرجل يعني عثمان، قد جاءني مرارًا بحديثك وناظر فيّ ملاينًا ومخاشنًا في امرك، ولم اجد عليك ما اجد منك عليه، ولا رأيت لك منه الاّ مثل مارأيت منك له، ولست تؤتى من قلة علم، ولكن من قلة قبول، ومع هذا كله فالرأي الذي اودعك به ان تمسك عنه لسانك ويدك، وغمزك وهمزك، فانه لا يبدأك بما لم تبدأه، ولا يجيبك عما لم يبلغه وانت المتجني، وهو المتأني، وانت المعاتب، وهو الصامت.

فان قلت: كيف هذا وقد جلس مجلسًا انا به احق، فقد قارنت ولكن ذاك بما كسبت يداك، ونكص عنه عقباك بالامس الادنى، هرولت اليهم تظن انهم يجلون جيدك، ويحتمون اصبعك، ويطئون عقبك، ويرون الرشد بك، ويقولون لا بد لنا منك، ولا معدل لنا عنك، وكان هذا من هفواتك الكبر، وهناتك التي ليس لك منها عذر، والآن بعد ما ثللت عرشك، ونبذت رأي عمك في البيداء قيل هذه في الساقياء، وخذ بأحزم ما يتوضح به وجه الامر، لا تشار هذا الرجل وتماره، ولا يبلغنه عنك ما يحنقه عليك، فانه ان كاشفك اصاب انصارًا، وان كاشفته لم تر الاّ ضرارًا، ولم تستلج الاّ عثارًا واعرف من هو بالشام له، ومن هاهنا حوله، ومن يطيع امره ويمتثل قوله، ولا تغتر بناس يطعنون بك، ويدعون الحنو عليك، والحب لك، فانهم بين محب مولى جاهل، وصاحب متمنٍ،

وجليس يرعى العين، ويبتدر المحضر، ولو ظن الناس بك ما تظن بنفسك لكان الامر بك، والزمام بيدك، ولكن هذا حديث يوم مرض رسول الله ﴿صلى الله عليه﴾ فات، ثم حرم الكلام فيه حين مات، فعليك الآن بالمعروف عن شيء عرضك له رسول الله فلم يتم، وتصديت له من بعده مرة فلم يستقم، ومن ساور الدهر غلب، ومن حرص على ممنوع تعب، وعلى ذلك فقد اوصيت عبد الله بطاعتك، وبعثته على متابعتك، واوجرته محبتك، ووجدت عنده من ذلك ظني به لك، لا توتر قوسك الاّ بعد الثقة بها، فاذا اعجبتك فانظر الى سيها، ثم لا تفوق الاّ بعد العلم، ولا تفوق في النزع الاّ ليصيب الريبة، وانظر لا تطرف بيمينك عينك، ولا تجن شمالك شينك، ودعني بآيات من آخر سورة الكهف، وقم اذا بدا لك.

قلت: والناس يستحسنون رأي العباس لعلي في ان لا يدخل مع اصحاب الشورى، فاما انا فاني استحسنه ان قصد معنى، ولا استحسنه ان قصد به معنى آخر، وذلك لانه ان اجرى هذا الرأي الى ترفّعه عليهم وعلو قدره عن ان يكون مماثلاً لهم او اجرى به الى زهده في الامارة ورغبته عن الولاية، فكل هذا رأي حسن وصواب، وان كان منزعه في ذلك الى انك ان تركت الدخول معهم وانفردت بنفسك في ذلك، وخرجت من المدينة الى بعض اموالك، فانهم يطلبونك ويضربون اليك بالابل حتى يولوك الخلافة، وهذا هو الظاهر من كلامه، فليس هذا الرأي بمستحسن، لانه لو فعل ذلك لولوا عثمان الخلافة او واحد منهم غيره، ولم يكن عندهم من الرغبة فيه ما يبعثهم على طلبه، بل كان

تأخره عنهم قرة اعينهم، وواقعًا بايثارهم، فان قريشًا كانت كلها تبغضه اشد البغض، ولو عمّر عمر نوح، وتوصل الى الخلافة بجميع انواع التوصل كالزهد فيها تارة والمناشدة بفضائله تارة، وربما فعله في ابتداء الامر من اخراج زوجته واطفاله ليلاً الى بيوت الانصار، وبما اعتمده اذ ذاك من تخلفه في بيته، واظهاره انه قد انعكف على جمع القرآن وساير انواع الحيل فيها، لم تحصل له الاّ بتجريد السيف، كما فعله في آخر الامر، ولست ألوم العرب ولا سيما قريشًا في بغضها له، وانحرافها عنه، فانه وترها وسفك دمائها، وكشف القناع في منابذتها، ونفوس العرب واكبادها كما تعلم، وليس الاسلام بمانع من بقاء الاحقاد في النفوس، كما نشاهده اليوم عيانًا، فالناس كالناس الاول، والطباع واحدة، فاحسب انك كنت من سنتين او ثلاث جاهليًا او من بعض الروم وقد قتل واحد من المسلمين ابنك او اخاك، ثم اسلمت لمكان اسلامك يذهب عنك ما تجده من بغض ذلك القاتل وشنآنه، كلا ان ذلك لغير ذاهب، هذا اذا كان الاسلام صحيحًا والعقيدة محققة لا كاسلام كثير من العرب، فبعضهم تقليدًا، وبعضهم للطمع والكسب، وبعضهم خوفًا من السيف، وبعضهم على طريق الحمية والانتصار للنسب او لعداوة قوم آخرين من اضداد الاسلام واعدائه.

واعلم ان كل دم اراقه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بسيف علي او بسيف غيره، فان العرب بعد وفاته عصبت تلك الدماء بعلي بن ابي طالب وحده، لانه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعهم وسنتهم وعادتهم ان تعصب به تلك الدماء الاّ علي وحده، وهذه عادة العرب اذا قتل منها قتيل طالبت بتلك الدماء القاتل، فان

مات او تعذر عليها مطالبته طالبت به امثل الناس به من اهله، لما قتل قوم من بني تميم اخًا لعمرو بن هند قال بعض اعدائهم يحرض عمروًا عليهم شعرًا:

مـــن مبلـــغ عمـــروًا بـــأن	المـــرء لـــم يخلـــق صـــباره
وحــــــوادث الايـــــام لا	يبقـــى لهـــا الاّ الحجـــاره
هـــا ان عجـــزة امـــه	بالـــسفح اســـفل مـــن أواره
تـــسفي الريـــاح خـــلال كـــشحيه	وقـــــد ســـــلبوا ازاره
فاقتـــــــــل زرارة لا ارى	فـــي القـــوم أمثـــل مـــن زراره

فامر ان يقتل زرارة بن عدس رئيس بني تميم، ولم يكن قاتل اخا الملك ولاحاضرًا قتله، ومن نظر في ايام العرب ووقايعها ومقاتلها عرف ما ذكرناه.

وسألت النقيب أبا جعفر يحيي بن أبي زيد قلت له: اني لاعجب من علي كيف بقي تلك المدة الطويلة بعد رسول الله ﷺ، وكيف ما اغتيل وفتك به في جوف منزله لتلظي الاكباد عليه، فقال: لولا انه رغم أنفه بالتراب، ووضع خده في حضيض الارض لقتل، ولكنه اخمل نفسه، واشتغل بالعبادة والصلاة، والنظر في القرآن، وخرج عن ذلك الزي الاول، وذلك الشعار، ونسي السيف، وصار كالفاتك يتوب ويصير سائحًا في الارض، وراهبًا في الجبال، ولما اطاع القوم الذين ولوا الامر، وصار أذل لهم من الحذاء، تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدم عليه الاّ بمواطاة من متولي الامر، وباطن في السر منه، فلما لم يكن لولاة الامر باعث وداع الى قتله، وقع الامساك عنه، ولولا ذلك لقتل،

ثم الاجل بعده معقل حصين.

فقلت له: احق ما يقال في حديث خالد؟ فقال: قوم من العلوية يذكرون ذلك، وقد روي ان رجلاً جاء الى زفر بن الهذيل صاحب ابي حنيفة فسأله عما يقول ابو حنيفة في جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم نحو الكلام او الفعل الكثير او الحدث، فقال: انه جايز، قد قال ابوبكر في تشهده ما قال، فقال الرجل: وما الذي قال ابو بكر؟ قال: لا عليك، فاعاد السؤال عليه ثانية وثالثة، فقال: اخرجوه، قد كنت احدث انه من اصحاب ابي الخطاب.

قلت: فما الذي تقوله أنت؟ قال: انا استبعد ذلك، وان روته الامامية ثم قال: اما خالد فلا استبعد منه الاقدام عليه لشجاعته في نفسه، ولبغضه اياه، ولكن استبعد من ابي بكر، فانه كان ذو ورع، وما كان ليجمع بين اخذ الخلافة، ومنع فدك، واغضاب فاطمه عليها السلام، وقتل علي عليه السلام، حاشا لله من ذلك.

فقلت له: اكان خالد يقدر على قتله؟ قال: نعم، لم لا يقدر على ذلك والسيف في عنقه، وعلي أعزل غافل عما يراد به، قد قتله ابن ملجم غيلة، وخالد اشجع من ابن ملجم.

فسألته عما ترويه الامامية في ذلك كيف الفاظه؟ فضحك، وقال: وكم عالم بالشيء وهو يسئل، ثم قال: دعنا من هذا، انتهى[1].

اقول: لا يخفي على من نظر ما نقلناه في آخر الجزء العاشر من كلام التوحيدي المتقدم، وما اشتمل عليه من التكلف في عبايره، والتنمق في

١- شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٩٦ – ٣٠٢.

تحريره، واخراجه مخرج الخطابة و التسجيع، وما يبديه في مطاوي كلامه من الهمز واللمز والغمز في حق اميرالمؤمنين عليه السلام، وقصده تهجينه وتحقيره، وتصغير عظيم قدره، يعلم يقينًا ان هذا الكلام منه خرج، وفي باب نصبه وعداوته لاميرالمؤمنين عليه السلام ولج، ولكنه لما ذكره الشارح ثمة يتستر عن اظهار النصب الذي يتبرأ كل أحد منه، لانه كفر محض كما قام الدليل العقلي والنقلي عليه بنسبة الكلام الى غيره من ابناء صنفه وجنسه، وهؤلاء النصاب لما لم يجدوا مغمزاً على اميرالمؤمنين عليه السلام في باب من الابواب حملتهم العداوة والنصب له على نقل هذه الحكايات المخترعة، والترهات المصطنعة، وحاشا العباس بل غيره من مؤمني الناس من التكلم بامثال هذا الكلام القبيح، والبهتان الصريح ولو بكلمة واحدة، وتلبيس هذا الزنديق الذي بنار الدنيا قبل نار الآخرة حقيق وأي حقيق، لا يروج الاّ على كل جاهل غبي، او ناصب عدل عن نهج ذلك الصراط السوي، كما لا يخفى على من لاحظ كتب السير والاخبار، وما اشتملت عليه من فضل امام الابرار، وما هو عليه من علو المنار، كما قدمناه في المقدمة وغيرها، وانما هو قطرة من ذلك البحر الزخار، ولكن هذا الزنديق لما اخترع في تهجين علي عليه السلام وذمه ما اظهر به التنويه بزعمه بشأن ابي بكر وعمر، كما تقدم في الموضع المشار اليه اراد أيضًا ان يضع من قدره عليه السلام هنا، ما يرفع به شأن عثمان المشهور في الامة بالجور والطغيان والعصيان، ولكن زيفه لا يروج الاّ على ناقصي الاذهان او عادمي الايمان.

ثم اقول: انه يعترضني شك في قوله قلت الناس يستحسنون رأي العباس

الى آخره، أهل هو من كلام الجاحظ الذي نسبه هذا الزنديق اليه؟ او من كلام الشارح؟ وان كان بمشرب الجاحظ انسب والى رأيه في علي عليه السلام اقرب، وكيف كان فلنبين ما فيه، ونكشف عن باطنه وخافيه، وذلك من وجوه:

احدها: الدلالة الصريحة والشهادة الصحيحة الصريحة على صحة ما تدعيه الشيعة من نفاق قريش وكفرها، وعدم ايمانها بالله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله بأسرها، وانما تظاهرت بالاسلام لما ذكره من العلل في المقام لا فرق في ذلك بين سايرها ولا عتيقها وعمرها، وهو دليل على صحة ما قدمنا تحقيقه واوسعنا مضيقه من ان اجتماعهم بعد موته صلى الله عليه وآله على غصب الخلافة، وقهرهم الناس على البيعة، وفعلهم بوصيه وأهل بيته تلك الافعال الشنيعة، انما هو لطلب تلك الثارات الجاهلية، والحقود البدرية، ولا ريب ان بغض عليّ عليه السلام كاشف عن البغض له صلى الله عليه وآله كما دلت عليه الأخبار المتقدمة في المقدمة، وكشف عنه هنا قوله ان كلّ دم اراقه رسول الله صلى الله عليه وآله بسيف علي أو غيره انما عصبته بعلي عليه السلام وحده بعد وفاته، ومن ثم استفاضت الأخبار من الطرفين، وتكاثرت من الجانبين بان بغضه عليه السلام كفر ونفاق بغير مين، وان بغضه عليه السلام مسبب عن بغض الرسول صلى الله عليه وآله المريق لتلك الدماء، وبغضه صلى الله عليه وآله مسبب عن البغض لله عز وجل الذي ارسله وأمره بذلك، وأيده بملائكته، ونصره ونجاه من تلك المهالك، وهو عين ما قلناه، ونفس ما ادعيناه، ولله در دعبل الخزاعي ﴿رضي الله عنه﴾ في قصيدته المشهورة حيث قال:

وكيف يحبّون النبي ورهطه　　　وهم تركوا احشاءهم وغرات

وثانيها: ان ما ادعاه وموّه به من انه على تقدير كون الأسلام صحيحًا والعقيدة محققة، فانه لا يمنع من بقاء احقاد الجاهلية في النفوس، والطلب بالأوتار القديمة، فهو باطل، فان ذلك لا يجامع صحة الاسلام وتحقيق العقيدة به، فان من استنار قلبه بنور الاسلام، وانقشعت عنه غشاوة ذلك الظلام، عادى في الله سبحانه الآباء والابناء، وقتل في مرضاة الله اعزّ الاعزاء، واقرب الاقرباء، ولاتأخذه في ذلك رأفة ولا رحمة، لقوله عزّ وجل ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[1] الآية، ومثلها آيات اخر أيضًا، ولقول امير المؤمنين عليه السلام في بعض كلامه في هذا الكتاب: ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل ابنائنا وآبائنا، واخوالنا واعمامنا، مايزيدنا ذلك الاّ ايمانًا وتسليمًا، الى آخره.

وقال عليه السلام في موضع آخر منه: ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وان القتل ليدور بين الآباء والابناء، والأخوان والقرابات، فما نزداد على كل مصيبة وشدة الاّ ايمانًا ومضيًا على الحق، وتسليمًا للأمر، وصبرًا على مضض الجراح.

وقد نقل القوم عن أبي بكر في قضية احد انّه لما برز عبد الرحمن بن ابي بكر وانتسب، وقال انا عبد الرحمن بن عتيق، قام ابو بكر مغضبًا وجرد سيفه من غمده، واراد مبارزته، لولا ان رسوله الله صلى الله عليه وآله منعه لعلمه بجبنه وضعفه، وقال له: شم سيفك، وامتعنا بنفسك.

١- المجادلة/٢٢.

وروى الواقدي كما نقله الشارح في قصة بدر، فقال: قال الواقدي: ونظر رسول الله ﷺ الى عتبة بن ربيعة يجر الى القليب، وكان رجلاً جسيمًا، فتغير وجه ابنه ابي حذيفة بن عتبة، فقال له النبي ﷺ: ما لك كانّك شاك مما اصاب اباك؟ قال: لا والله يا رسول الله ولكني رأيت لابي عقلاً وشرفًا كنت ارجو ان يهديه ذلك الى الاسلام، فلما اخطأه ذلك ورأيت ما اصابه غاظني.

وحينئذ فكيف يدعي هذا الضال المموّه صحة اسلام قريش، وصحة عقيدتهم في الاسلام مع بغضهم لعلي عليه السلام، والذي جعله رسول الله ﷺ معيارًا للكفر والايمان، فجعل حبه ايمانًا، وبغضه كفرًا، باتفاق الفريقين، وقد كان محمد بن أبي حذيفة هذا مع ما سمعت من امر جده عتبة، وانه من الموتورين بقتله، لما كان اسلامه صحيحًا، وعقيدته ناصحة لله ورسوله، لم يدخل فيما دخلت فيه قريش من عداوة علي عليه السلام، بل كان من شيعته المخلصين الذين شهدوا معه عليه السلام حرب الجمل وصفين، ولم يشهد معه عليه السلام تلك المشاهد سوى أربعة اخرى من قريش وهم محمد بن ابي بكر، وجعدة بن هبيرة بن اخت اميرالمؤمنين عليه السلام، وهاشم بن عتبة بن ابي وقاص ابن أخ سعد بن ابي وقاص، وهو المشهور بهاشم المر قال، وابو الربيع بن العاص بن ربيعة، وجملة قريش بقضها وقضيضها وعيالها كانت مع معاوية في حرب صفين.

وبالجمله فان الامر في ذلك واضح من ان يقابل بهذا التمويه الذي زخرفه هذا السفيه، وهدر به ملأ فيه، وما ادعاه من مشاهدة ذلك عيانًا في هذا الزمان على اطلاقه ممنوع، فان المشاهد المعلوم انه ان كان القتل عن مجرد

عداوة دنيوية، كما هو الغالب، فما ذكره صحيح الاّ انه ليس من محل البحث في شيء، وان كان عن حكم شرعي بحد قصاص ونحوه، وهذا هو نظير محل البحث، فما ذكره ممنوع.

وثالثًا: ان ما ادعاه على علي عليه السلام من توصله الى الخلافه بأنواع التوصل والحيل كالزهد فيها الى آخر ما ذكره في المقام، فكله من قبيل الرمي في الظلام، والنفخ في غير ضرام، لعدم معرفته له عليه السلام، وقد تبع فيه امامه ابن الخطاب الذي تقدم عنه الطعن على علي عليه السلام، بانه اشتغل بالعبادة رياء ليعرض نفسه لاهلية الخلافة بين الانام، وذلك فان عليًا عليه السلام كان عالمًا علمًا لا تخالجه الظنون والاوهام بان الخلافه لاتصل اليه مدة اولئك الثلاثة التي عكفوا على عبادتها كالاصنام، كما صرح به عليه السلام في هذا الكتاب من ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد اسدى اليه ذلك، واعلمه بما يجري عليه، ويمر على رأسه من المحن والآلام، وانما كانت منازعته واستصراخه بالمهاجرين والانصار لاقامة الحجة، وايضاح المحجة على الجميع، الموجب لمزيد المؤاخذة والانتقام، كما اسلفنا تحقيقه.

وأما ما نقله الشارح عن النقيب في عدم قتل علي عليه السلام واغتياله بتلك المدة الطويلة ففيه:

أولاً: انه مناف للكلام المتقدم، لان تلك النخوة الجاهليه والاحقاد البدرية لا يطفيها كف علي عليه السلام عن القتال، ولا يبرد ما في قلوبهم من تلك الاغلال، وانما العلة الحقيقية في ذلك هي ما يعلمونه من قوة بأسه، وشدة

سطوته، وهو عليه السلام وان لان لهم وصبر على ما جرى منهم في غصب الخلافة عملاً بوصية النبي صلى الله عليه وآله بمنعه له عن تجريد السيف في ذلك، وعلم القوم ايضًا بذلك، ولاجله فعلوا به عليه السلام ما فعلوا يومئذ الاّ انهم يعلمون انهم لو هموا به على وجه يغضبه في غير ذلك لنالهم منه ما يكرهونه ويتقونه، ومع هذا فهو عليه السلام يريهم في ضمن تلك المدة ما يرعب قلوبهم، ويفطر مرايرهم، مثل قضية الطوق الذي طوقه خالد بن الوليد، وقتل الاشجعي، وقضية القوس الذي رماه على عمر فصار ثعبانًا يريد ان يأكله، كما قدمنا نقله، وامثال ذلك، وان انكر جميع ذلك القوم كما يشير اليه كلام هذا القايل من دعواه انه صار لهم أذل من الحذاء، ومع هذا كله فهو عليه السلام ليس كسائر الناس الذين لا يعلمون الاّ مايشافهونه ويسمعونه حتى تمكن اغتياله، بل هو ينظر ما وراءه كما ينظر قدامه، والملائكة من الله عز وجل قد وكلهم به، وجعلهم خدامه يأتونه منه سبحانه بالمعلوم، ويوقفونه على كل مخزون ومكتوم، ولكن هذا القايل وامثاله معذور فيما قال، لعدم معرفته له عليه السلام الاّ على ظاهر الحال، كغيره من سائر الرجال، وشيعته عليه السلام المطلعون على دقايق اسراره، ومخزون آثاره، اعرف بجملة احواله واطواره.

وثانيًا: ان تنظيره باغتيال ابن ملجم له عليه السلام غلط محض، فانه عليه السلام كان عالمًا بذلك، وعالمًا بالوقت، كما علم من حاله تلك الليلة التي اغتيل في صبحها، وما وقع له من الدخول والخروج، والحركات والسكنات، والاذكار والحولقات، ولكن لما علم الله سبحانه له ذلك وان عمره عليه السلام قد كمل،

وانقضي بالخروج من الدنيا على هذه الحال قابل بالرضا والتسليم لذي الجلال، وقد استفاضت اخبارهم عليهم السلام بان الامام عليه السلام لا يقبض الله روحه، ولا يخرج من الدنيا على أي نحو كان الاّ باختياره، لكن اختيارهم عليهم السلام تابع لما اختاره الله سبحانه لهم، وكفاك بخروج الامام الحسين عليه السلام الى أرض كربلا مع علمه قبل ذ لك بانها ارض مقتله، وعلمه بجميع ما يقع عليه فيها.

وثالثًا: ان قوله ولم يكن العرب لتقدم عليه الاّ بمواطاة من متولي الامر، فيه ان قتله عليه السلام كان قرة عين لمتولى ذلك الامر، وبرد فؤاده وشفاء غليله، لو وجد اليه السبيل، ويزيل لما في صدره من داء ذلك الغليل، كما ينبيء عنه قصة خالد بن الوليد التي ليس عليها في الحجية من مزيد، وان كان جملة منهم ينكرونها، وآخرون يذكرونها بالاشارات كما في نقله هاهنا عن زفر تلميذ أبي حنيفة، وهو مؤيد لما قدمناه في المقدمة في مطاعن القوم.

وأما قوله ولكني استبعد من ابي بكر، فانه كان ذا ورع الى آخره، فان فيه ان ثبوت الورع له ينافي قوله في المقام وما كان ليجمع بين اخذ الخلافة، ومنع فدك، واغتصاب فاطمه عليها السلام، وقتل علي عليه السلام، فأي ورع وخوف لمن يغصب الخلافة بعد سماعه النص عليها من الرسول صلى الله عليه وآله، كما هو مذهب هذا القائل على ما عرفت فيما تقدم، و أي ورع لمن اغضب فاطمة التي سمع في حقها ان من اغضبها فقد اغضب الله ورسوله، ومن آذاها فقد آذاهما، ولا ريب انه لا يتهجم على هذه المخالفات بعد سماعه تلك النصوص الاّ منافق كافر بالله ورسوله، ومن كان كذلك فلا يستبعد منه قتل علي عليه السلام، لتصفوا له الرياسة،

وتنتظم له السياسة.

ومما يؤيد ما ذكرناه في قضية خالد زيادة على ما قدمناه في المقدمة ما ذكره ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتابه المسمى بكتاب المسترشد في الامامة من طريق العامة رفعه الى جماعة من مشايخهم وعلمائهم منهم سفيان الثوري، وابن عنبسة، والحسن بن صالح، وابن حي، وابي بكر بن عياش، ووكيع بن الجراح، ويعقوب عباد الاسدي، وعمرو بن المقدم، عن أبي اسحاق الشيباني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، ان ابا بكر امر خالد بن الوليد فقال: اذا انصرفت من صلاة الفجر، فاضرب عنق علي بن أبي طالب، قال: فصلى ابو بكر ثم ندم على ذلك، فجلس في مصلاه حتى كادت الشمس تطلع، ثم قال قبل ان يسلم: يا خالد لا تفعل ما امرتك به، ثلاثًا، فالتفت علي عليه السلام فاذا خالد مشتمل على السيف الى جانبه، فقال: يا خالد اكنت فاعلاً ما أمرك به؟ قال: اي والله، لو وضعته لوضعته في اكثرك شعرًا، فقال عليه السلام: كذبت لا أم لك، انت اضيق حلقة است من ذاك، اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ونصب القبلة، لولا ما سبق به القضاء لكنت ممن هو شر مكانًا، و اضعف جندًا، وكان اميرالمؤمنين عليه السلام كره ان يعجل حتى استثبت من خالد، واوجب الحجة عليه، فقال: أبعد قول رسول الله صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فعلي مولاه، وبعد قوله انت مني بمنزلة هارون من موسى، فعدد خصالاً هذا سبيلها، قال: نعم، قال: فقبض على صدره بيده فجعل يرغو مثل رغاء البكر، واشاح ببوله في المسجد، واجتمع الناس عليهما ليخلصوه من يده فراموا مرامًا صعبًا مستحيلاً لا يمكن،

فناداهم ابوبكر يحلف بالله العلي العظيم لو تمالى عليه اهل الارض ما استنقذوه من يده، ولكن نادوه بصاحب القبر، فلما نادوه به خلى عنه، وقال: والله لو عزمت على ما هممت به لشققتك شق الثوب.

و لقد قيل لابن عنبسة، ووكيع، وابي بكر بن عياش، والحسن بن صالح، وابن حي ما تقولون فيما كان من ابي بكر فيما امره به؟ قالوا: كانت سيئة لم تتم، وقد قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من هم بسيئة ولم يفعلها، كتبت له حسنة، وجعل سفيان الثوري هذا الفعل اصلاً في جامعه، فقال في رجل يحدث قبل ان يسلم ان صلاته جائزة تامة، لان ابا بكر كان أمر خالدًا ان يعمل شيئًا، ثم بدا له قبل ان يسلم، فقال: لا يفعل خالد ما امرته، فكانت صلاته تامة.

اقول: وقد نقلت هذا الخبر بهذه الصورة من كتاب الانوار المضية في علم الكلام تضنيف السيد علي بن عبد الحميد الحسيني النجفي، وتاريخ تصنيفها في السنه الرابعة والسبعين بعد السبعمائة، وكان السيد الاجل الاكمل السيد عبد العزيز النجفي ﴿سلمه الله تعالى﴾ يذكر ان هذا السيد المصنف هو الجد العاشر من اجداده.

اقول: ومن الروايات الواردة بذلك من طرق الامامية ما رواه الطبرسي في كتاب الاحتجاج قال: روي ان ابا بكر وعمر بعثا الى خالد بن الوليد فواعداه وفارقاه على قتل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فضمن ذلك لهما، فسمعت اسماء بنت عميس امرأة أبي بكر، وهي في خدرها، فأرسلت خادمة لها، وقالت ترددي في دار علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وقولي ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، ففعلت الجارية، وسمعها علي

عليه السلام، فقال: رحمها الله، قولي لمولاتك فمن يقتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ووقعت المواعدة لصلاة الفجر، اذ كان اخفى، واخرت للسدفة والشبهة[1] ولكن الله بالغ امره، وكان ابو بكر قال لخالد بن الوليد اذا انصرفت من صلاة الفجر فاضرب عنق علي، فصلى الى جنبه لاجل ذلك، وابو بكر في الصلاة يفكر في العواقب، فندم فجلس في صلاته حتى كادت الشمس تطلع بتعقب الآراء، و يخاف الفتنة، ولا يأمن على نفسه، فقال قبل ان يسلم في صلاته: يا خالد لا تفعل ما امرتك به، ثلاثًا[2].

وفي راية اخرى لا يفعلن خالدًا ما امرته، فالتفت علي عليه السلام فاذا خالد مشتمل على السيف الى جانبه، فقال: يا خالد أوكنت فاعلاً؟ فقال: اي والله، لولا انه نهاني لوضعته في اكثرك شعرًا، فقال له علي عليه السلام: كذبت لا ام لك من يفعله اضيق حلقة است منك، اما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا ما سبق من القضاء لعلمت اي الفريقين شرمكانًا واضعف جندًا[3].

وفي رواية ابي ذر رحمه الله ان اميرالمؤمنين عليه السلام اخذ خالدًا باصبعه السبابة والوسطى في ذلك الوقت، فعصره فصاح خالد صيحة منكرة، ففزع الناس

١- أقول: قوله وأخرت، قال في القاموس: خات الرجل ماله تنقصه، والخوات بالتشديد الرجل الجري، وخات الرجل اختطف، وخات الذئب الشاة ختلها فسرقها، وخاوت طرفه دوني سرق، وفي أكثر النسخ اخترت السدفة، والسدفة بالضم الظلمة أو اختلاط الضوء والظلمة معًا لوقت ما بين طلوع الفجر الى الاسفار. ﴿منه رحمه الله﴾.

٢- الاحتجاج ١٢٧/١.

٣- الايضاح لابن شاذان/١٥٦ – ١٥٧.

وهمتهم انفسهم، واحدث خالد في ثيابه، وجعل يضرب برجليه ولا يتكلم، فقال ابو بكر لعمر: هذه مشورتك المنكوسة، كأني انظر الى هذا واحمد الله على سلامتنا منه، وكلما دنى احد ليخلصه من يده لحظه لحظة تنحى عنه رعبًا، فبعث ابوبكر عمر الى العباس، فجاء وتشفع اليه واقسم عليه، فقال: بحق القبر ومن فيه، وبحق ولديه وامهما الاّ ما تركته، ففعل ذلك وقبّل العباس بين عينيه انتهى[1].

قال: الاصل، ومن خطبة له في شأن الحكمين الى آخره، الى ان قال بعد كلام في المقام: ونحن نذكر أبي موسى الاشعري وشيئًا من سيرته وحاله نقلاً من كتاب الاستيعاب لابن عبد البر المحدث، ثم ساق كلامه، الى ان قال عنه: فلما كره اهل الكوفة سعيد بن العاص، ودفعوه عنها ولوا أبا موسى، وكتبوا الى عثمان يسئلونه ان يوليه، فأقره على الكوفة، فلما قتل عزله علي بن ابي طالب عنها، فلم يزل واجدًا لذلك على علي حتى جاء منه ما قال حذيفة رحمه الله فيه، فقد روي فيه لحذيفة كلام كرهت ذكره، والله يغفر له[2].

ثم قال الشارح: قلت: الكلام الذي اشار اليه ابو عمرو بن عبد البر ولم يذكره قوله فيه، وقد ذكره عنده بالدين، أما أنتم فتقولون ذلك، وأما أنا فاشهد انه عدو لله ولرسوله، وحرب لهما في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الاشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة، ولهم سوء الدار، وكان حذيفة

١- الاحتجاج ١١٨/١.

٢- شرح نهج البلاغة ٣١٤/١٣.

عارفًا بالمنافقين، أسر اليه رسول الله ﷺ امرهم، واعلمهم باسمائهم.

وروي ان عمارًا سئل عن ابي موسى، فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيمًا، سمعته يقول صاحب البرنس الاسود، صاحب البرنس الاسود، ثم كلح كلوحًا، علمت منه انه كان ليلة العقبة من ذلك الرهط[1].

الى أن قال: فأما ما تعتقده المعتزلة فيه، فانا اذكر ما قال أبو محمد ابن متويه في كتاب الكفاية، قال: فاما أبو موسى فانه عظيم جرمه بما فعله، وادى ذلك الى الضرر الذي لم يخف حاله، وكان علي عليه السلام يقنت عليه وعلى غيره، فيقول: اللهم العن معاوية اولاً، وعمروًا ثانيًا، وابا الاعور السلمي ثالثًا، و ابا موسى الاشعري رابعًا.

وروي عنه انه كان صبغ بالعلم صبغًا، وسلخ منه سلخًا، وابو موسى هو الذي يروي عن النبي ﷺ انه قال: كان في بني اسرائيل حكمان ضالان، وسيكون في امتي حكمان ضالان، فمن اتبعهما ضال[2].

ثم نقل انه جاء الى اميرالمؤمنين عليه السلام في مرض الحسن عليه السلام، فقال له: جئتنا عايدًا او شامتًا، فقال: بل عائدًا، وحدث بحديث في فضل العيادة[3].

وقال ابن متويه: هذه امارة ضعيفة في توبته، انتهى كلام ابن متويه.

وذكرته لك لتعلم انه عند المعتزلة من ارباب الكباير، وحكمه حكم

١- البحار ٣٢١/٢٨.

٢- مجمع الزوائد ٢٤٥/٧، كنز العمال ٧٩٤/٥.

٣- سنن الترمذي ٢٢٢/٢

امثاله ممن واقع كبيرة ومات عليها، انتهى[1].

أقول: هنا فوايد يرغم بها انف كل ناصب معاند:

احداها: قول ابن عبد البر فقد روي لحذيفة فيه كلام كرهت ذكره، والله يغفر له[2]، فانه فيه كما ترى زيادة تعصب لابي موسى الاشعري على الباطل حيث انه من المقربين عند الخلفاء الثلاثة بل الخواص لهم، فانه اذا كان حذيفة الذي اشتهر عنه بينهم انه كان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله في المنافقين وامينه على ذلك، فقد شهد بكفره وعداوته لله ولرسوله، ومن الظاهر بمعونة ما ذكرنا انما ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف كره ذلك، وما أحراه بقوله سبحانه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[3]، ولو كانوا يدورون مع الحق حيثما دار، ويبرؤن ممن برأ الله ورسوله منه كائنًا من كان لوجب عليه اظهار ما قاله حذيفة في هذا المكان، أرأيت أن هذا الضال المعدود عندهم من اكابر المحدثين، وانما هو بتخفيف الدال كما لا يخفى على الحاذق المكين، لم يسمع قوله سبحانه ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[4] الآية، حتى يكره ما قاله حذيفة، الراجع الى النبي صلى الله عليه وآله كما عرفت، اللهم الاّ ان يكذب حذيفة فيما قاله مع كونه من أجلاّء الصحابة

١- شرح نهج البلاغة ٣١٥/١٣ - ٣١٧.

٢- الاستيعاب لابن عبد البر ٣٠٠/١.

٣- محمد/٩.

٤- المجادلة/٢٢.

واعيانهم الذي لا خلاف فيهم، ولا مغمز عليهم، ثم بعد ذلك يدعو له بالمغفرة، فاذا كان هذه حالهم في مثل ابي موسى الاشعري، فكيف في مثل خلفائهم الذين يتهالكون على الحمية والعصبية لهم بجدهم و جهدهم، ونظير هذا ما ذكره في ترجمة الوليد بن عقبة اخي عثمان لامه، ان له اخبارًا فيها شناعة تقطع على سوء حاله، و قبح فعاله، غفر الله لنا وله، فلقد كان من رجال قريش طرفًا، وحلمًا، وشجاعة، وجودًا، وادبًا، انتهى[1].

وقد مر طرف من تلك الاخبار الشاهدة عليه بانه من رؤساء المنافقين والكفار، وهو يستغفر له، وقال في حق معاوية في ترجمة علي عليه السلام: وتخلف عن بيعته معاوية في جماعة اهل الشام، فكان منهم في صفين ما كان بعد الجمل، تغمدهم الله جميعهم بالغفران، انتهى[2].

فانظر الى هذا الدين الخرب، والمذهب المضطرب، والعقائد البائرة، والصفقة الخاسرة، لا يوالون لله سبحانه وليًا، ولا يعادون له عدوًا مع اقرارهم واعترافهم بعداوتهم لله عز وجل ورسوله، فهل يجوز لاحد من ذوي الاذهان والعقول ان يقلد مثل هولاء، ويتبعهم في معقول او منقول.

الثانية: تأييد ما ذكره الشارح في شأن حذيفة، وانه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله في المنافقين، لما قدمنا في مطاعن عمر في المقدمة نقلاً عن الغزالي في كتاب احياء العلوم انه سئل حذيفة هل ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله في المنافقين،

١- الاستيعاب ٤٩٢/١.

٢- الاستيعاب ٣٤٦/١.

فانه لولا معرفة نفسه انه منهم، وخوفه اذاعة الرسول ﷺ ذلك عليه الى حذيفة لما سأله.

الثالثة: ما تضمنه حديث عمار من خبر العقبة، وكون ابي موسى الاشعري منهم، وهذا الشارح الضال قد انكر حديث العقبة فيما تقدم، ونسبه الى متفردات الشيعة واختصاصهم بروايته، وفي الخبر المشهور ما اضمر احدكم شيئًا الاّ اظهره الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه، هذا وقد تقدم فيما نقلناه من حديث حذيفة الطويل عد ابي موسى الاشعري في جملة اصحاب العقبه كما ذكر هنا.

الرابعة: ما نقله عن اصحابه من اعتقادهم في ابي موسى الاشعري، وانه من اصحاب الكباير الذين ماتوا عليها، مما هو صريح في فسقه عندهم، والعجب منهم ومن ضلالهم انهم يصرحون بفسق مثل ابي موسى الاشعري، والمغيرة بن شعبة، وابي هرير، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وكل من حارب عليًا عليه السلام في وقعة الجمل وصفين عدا الثلاثة الذين ادعوا لهم التوبة، وهم طلحة، والزبير، وعايشة، وهذه كتب صحاحهم التي ينوهون بها، ويستندون اليها في جملة احكامهم مملوة بالروايات عنهم، وبمقتضى ما ذكروه لا يخلو الحال عن احد شيئين اما رد ما اشتملت عليه هذه الكتب من روايات هولاء، لظهور فسقهم وعدم معلومية الرواية بكونها قبل الفسق او بعده، وعدم الاعتماد عليها، وبه تخرج تلك الصحاح التي نوهوا بها الى الكذب الصراح، ولا أراهم يقولونه، واما الحكم بعدالة جميع الصحابة كما عليه الاشعرية وطائفة من

المعتزلة، فلا يجوز لهم اظهار مثل هذه الاقوال الموجبة لتفسيق الصحابة، وان لزم منه الرد على الله ورسوله فيما ثبت عنهما من الحكم بفسقهم بل كفرهم، وهذا الكفر الصراح الذي لا يحتاج الى بيان ولا ايضاح، انظر الى هولاء الضلال وما يهدرون به من المقال من غير تدبر لما فيه الفساد والاختلال.

قال: الاصل، ومن خطبة يذكر فيها آل محمد ﴿صلى الله عليه وعليهم﴾: هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لايخالفون الحق ولايختلفون فيه، هم دعائم الاسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق في نصابه، وانزاح الباطل عن مكانه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل رعاية ورعاية، لاعقل سماع ورواية، وان رواة العلم كثير، ورعاته قليل.

يقول بهم يحيى العلم، ويموت الجهل، فسماهم حياة ذاك، وموت هذا، انظر الى السببية يدلكم حلمهم وصفحهم عن الذنوب على علمهم وفضايلهم، ويدلكم ما ظهر منهم من الافعال الحسنة على ما بطن من اخلاصهم، ويدلكم صمتم وسكوتهم فيما لا يعنيهم عن حكمة منطقهم، ويروى ويدلكم صمتهم على منطقهم، وليس في هذه الرواية لفظة حكم، لا يخالفون الحق ولا يعدلون عنه، ولا يختلفون فيه كما يختلف غيرهم من الفرق وارباب المذاهب، فمنهم من له في المسئلة قولان او اكثر، ومنهم من يقول قولاً ثم يرجع عنه، ومنهم من رأى في اصول الدين رأيًا، ثم يتعقبه ويتركه، ودعائم الاسلام اركانه، والولايج جميع وليجة، وهي الموضع يدخل اليه ويتستر فيه ويعتصم به، وعاد

الحق في نصابه رجع الى مستقره وموضعه، وانزاح الباطل زال، وانقطع لسانه انقطعت حجته، عقلوا الدين عقل رعاية، اي عرفوا الدين وعلموه معرفة من رعى الشيء وفهمه واتقنه، ورعاته، الذي رعوا الدين وحفظوه وحاطوه، ليس كما يفعله غيرهم من سماع ورواية، فان من يروي العلم ويسنده من افواه الناس كثير، ومن يحفظ العلم حفظ فهم وادراك اصالة لا تقليدًا قليل، انتهى[1].

اقول: انظر الى هذا الشارح الضال، كيف غمض عينيه في هذه المقالة عما اشتملت عليه من اوصاف آل محمد صلى الله عليه وآله الصريحة في عصمتهم، وانهم القدوة للخلق، والقائمون باعباء الحق، الذين لا وجود للدين المحمدي الاّ عندهم، فمن اقتفى آثارهم، واتبع اخبارهم، فقد فاز ونجى، ومن انحاز عنهم، فقد ضل وهوى، وقد عرفت مما قدمناه، وان آل محمد هم الائمة الاثني عشر ﴿صلوات الله عليهم﴾.

ولنوضح ما قلناه في المقام بما يرفع عنه غشاوة الابهام، فان هذا الشارح لعناده، وكون هذا الكلام على خلاف اعتقاده، وغير مطابق لمراده، قد طوى البحث عن مزيد بيانه، وتشييد اركانه.

فنقول: انه عليه السلام قد وصف الآل ﴿عليهم صلوات ذي الجلال﴾ بصفات:

الاولى: انهم عيش العلم، أي حياته، وقد جعل العلم حياة ملاحظة لشبهه بالحي في وجوه الانتفاع به، ثم اطلق عليهم لفظة الحياة مجازًا، اطلاقًا لاسم السبب على المسبب، ولا ريب انهم اذا كانوا عليهم السلام هم سبب حياة العلم حتى

١- شرح نهج البلاغة ٣١٧/١٣.

بالغ واطلق ذلك عليهم، فقال هم حياة العلم، فهو اصدق دليل في ان ما خالف علومهم عليهم السلام واخذ عن غيرهم في اصول كان او فروع فهو ضلال محض، لا يجوز النظر اليه ولا الرجوع، فكيف ساغ لهذا الضال وامثاله ممن يطري عليًا اميرالمؤمنين عليه السلام ويفضله، ويدعي محبته وولايته، ويعترف بانه مع الحق، والحق معه، ان يعدل عن نص كلامه في امثال هذا المقام الى اجتهادات ابن الخطاب وقياساته، واجتهادات المذاهب الاربعة وامثالها من المذاهب المبتدعة، خلافًا على الله تعالى ورسوله، ثم انه لا يخفى ما في دلالة ذلك على عصمتهم وامامتهم.

أما الأول: فلأن حصر العلم فيهم، المفهوم من قوله هم حياة العلم، أي لا غيرهم، كما يدل عليه ما شرحناه، يدل على عدم جواز الخطأ عليهم، وهو عين العصمة.

وأما الثاني: فلأنه لو ساغ امامة غيرهم لساغ العدول الى علمه دونهم، وان خالفهم، وهو خلاف قوله عليه السلام.

الثانية: قوله عليه السلام موت الجهل، جعل الجهل اولاً موتًا باعتبار عدمه بهم، ثم اطلق عليهم لفظه مجازاً كالذي قبله، والتقريب معلوم مما سبق.

الثالثة: يخبر حلمهم عن علمهم، وذلك لعلمهم مواقع الخلق التي تليق به، فهم لا يحلمون الآ عن علم بمواقع الحلم، وفي ذلك اشارة الى تلازم فضيلتي العلم والحلم.

الرابعة: كون ما ظهر من افعالهم واقوالهم عليهم السلام دليل على باطنهم، ولا

ريب انه لم يظهر منهم ﴿صلوات الله عليهم﴾ في جميع احوالهم من اقوالهم وافعالهم باتفاق المؤالف والمخالف الاّ الحسن، بل الاحسن، وقد اتفقت على ذلك كلمة مخالفيهم فضلاً عن موالفيهم، كما قدمنا بيانه حتى انهم عليهم السلام مع كثرة اعدائهم، ومزيد بغضهم لهم وحسدهم، بل تقصدهم بالقتل غيلة، لم ينقلوا لهم طعنًا ولا مثلبة، ولم يضعوا عنهم عيبًا ولا رذيلة على ممر الايام، وهذه معجزة ظاهرة لمن هداه الله تعالى من الانام، ولا يكون الاّ لمن خصه الله منه بالعصمة من الذنوب والآثام، وزاده تشريفًا وقربًا بقطع الالسن عن الكذب عليه بين الخاص والعام.

ثم انه لا ريب في دلالة هذا الكلام الصريح في هذا المقام على ان ما ظهر من اولئك الخلفاء من المخالفات والمناقضة لرسول الله صلى الله عليه وآله في حياته وبعد موته، دليل على فساد بواطنهم، كما اسلفنا تحقيقه، وهذه الفقرة لم اجدها فيما حضرني من نسخ الكتاب الاّ في نسخة الشارح.

الخامسة: كونهم عليهم السلام يخبر صمتهم عن حكم منطقهم، قال بعض الشارحين ان ذلك اشارة الى ان سكوتهم يكون في موضع السكوت، وعما ينبغي السكوت عنه، وذلك يستلزم حكمة نفوسهم في منطقهم، اذا تكلموا، لان من علم مواضع السكوت، وما ينبغي ان يسكت عنه، علم مواضع النطق، وما ينبغي ان يتكلم به، ولو لم يعلم ذلك لجاز أن يتكلم بما لا ينبغي، و ذلك هو موضوع السكوت، فلا يكون عالمًا بمواضع السكوت، وقد فرض كذلك، هذا خلف، انتهى.

وحينئذ فاذا كان كل من صمتهم عليهم السلام ومنطقهم حكمة، فهو لا يكون البتة الاّ عن العصمة، كما هو ظاهر بيّن لكل عاقل فاهم غير أكمه.

السادسة: كونهم عليهم السلام لا يخالفون الحق، ولا يعدلون عنه في اقوالهم ولا افعالهم، و لا ريب ان ذلك لا يكون الاّ بالعصمة لهم من الله سبحانه عن المعاصي والآثام، والسهو والنسيان في كل مقام، فان ذلك خلاف مقتضى دواعي النفوس البشرية، وما ينضاف الى ذلك من الوساوس الشيطانية، كما لا يخفى على كل ذي فطنة وروية.

السابعة: كونهم عليهم السلام لا يختلفون في الحق، لان الاختلاف فيه انما يكون ناشيًا عن الجهل به، وقد فرض عليهم السلام معرفتهم به، والتقريب ما تقدم في سابق هذه الفقرة.

الثامنة: كونهم عليهم السلام دعائم الاسلام، قال بعض الشارحين: استقام لهم لفظ الدعائم باعتبار حفظهم له بعلمه، وحراسته وقيامه في الوجود بهم، كما يحفظ البيت الدعائم ويقوم بها انتهى.

وفيه كما ترى دلالة واضحة على امامتهم وعصمتهم ﴿صلوات الله عليهم﴾، لانه اذا كان الاسلام لا وجود له، فضلاً عن حراسته وحفظه الاّ بهم فهم البتة الخلفاء والائمة على الانام، والمرجع في جميع الاحكام، من امر ديني او دنيوي في كل مقام، وهم البتة معصومون في اقوالهم وافعالهم من الخطأ والزلل والآثام، والاّ فلو جاز عليهم شيء من ذلك لم يكونوا بهذا الوصف الذي ذكره عليه السلام.

التاسعة: كونهم عليهم السلام ولائج الاعتصام، أي انهم الذين يعتصم بهم الخلق في الدين والدنيا، فيلجأون اليهم في الاخذ بعلومهم وهدايتهم، ودلالتهم من الجهل ولواحقه، ومن عقاب الله الآخرة، كما يعتصم بالوليجة من دخلها للامن فيها، مما يخافه ويحذره، والتقريب في هذه الفقرة ما تقدم في سابقتها.

العاشرة: كونهم عليهم السلام بهم عاد الحق الى نصابه، اي استقر في موضعه ومكانه، ولفظ العود وان كان يشعر بالعدم اولاً الاّ ان الظاهر ان مراده عليه السلام انما هو ما ذكرنا، وهو الاشارة الى ان الحق معهم دائمًا دون غيرهم سواء كانوا قد اعطتهم الامة أزمة الانقياد والطاعة، وقالوا بخلافتهم وامامتهم ام لا، ويحتمل ايضًا ابقاء لفظ العود على معناه، بمعنى انه بخلافة من استخلف بعد النبي صلى الله عليه وآله وحكمه بخلاف الحق، فقد خرج عن نصابه، وبحكمهم عليهم السلام سواء وقت خلافتهم او لا، قد عاد الى محله ورجع الى مستقره، وهكذا في اعصار الائمة عليهم السلام، فانه بحكم خلفاء الجور وقضاة السوء في تلك الاوقات يحصل خروج الحق عن مستقره، وبحكمهم عليهم السلام وفتاويهم في الاحكام الشرعية يحصل عوده الى مستقره.

وأما ما ذكره بعض الشارحين من انه اراد الاشارة الى الاحكام التي كانت قبله في ايام عثمان جارية على غير قانون شرعي، لما نقل عنه من الاحداث واستيلاء بني امية في زمانه على بيت مال المسلمين، واكلهم له بغير حق، كما سبق شرحه، فعاد بولايته عليه السلام كل حق الى اهله، وهو اصله ومستقره، فالظاهر بعده.

أما أولاً: فلأن كلامه عليه السلام في وصف الآل كملاً، وان كان هو عليه السلام الاصل والمرجع الاّ انه ينبغي تطبق كل من هذه الصفات على الجميع بمقتضى ظاهر الكلام، وما ذكره لا يجري في غيره عليه السلام.

وأما ثانيًا: فلما ذكرنا من المعنيين اللذين يمكن حمل اللفظ على كل منهما، ويصح المعنى بهما، فلا ضرورة الى هذا التخصيص المخالف لظاهر كلامه عليه السلام.

وبالجمله فان الظاهر ان مراده عليه السلام انما هو الاشارة الى ان الاحكام الخارجة عن غيرهم كلها على خلاف الحق في جميع الازمنة والاوقات، وانما الحق فيما خرج عنهم عليهم السلام، ويكون الفرق بين قوله هنا وفيما تقدم من قوله لا يخالفون الحق هو التعريض هنا بغيرهم عليهم السلام، بانهم خارجون عن الحق، وانحصار الحق في احكامهم عليهم السلام خاصة كما يشعر به تقديم الظرف، ثم ان الظاهر ان تخصيص الشارح عثمان بالذكر دون من تقدمه، انما وقع تقية كما جرى عليه في ساير الشرح، لاتفاق الكل على الطعن في عثمان بما ذكره، والاّ فعثمان انما هو سيئة من سيّئات ابي بكر وابن الخطاب كما لايخفى على ذوي العقول والألباب، والتقريب في هذه الفقرة ما تقدم في امثالها.

الحادية عشرة: كونهم عليهم السلام بهم انزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه من منبته، أي ان بهم عليهم السلام زال الباطل عن موضعه، أي اهله، وانقطع لسانه، أي لسان الناطق به، والناصر له، فانه اذا ثبت انحصار الحق فيهم عليهم السلام وفي احكامهم وفتاويهم، وان ما خرج عن غيرهم فهو باطل، فالعارف العاقل لا

يقتدي بذلك الغير، ولا يتبعه في ذلك الباطل، ولا يقلده فيه، وبذلك حينئذ يتحقق زوال الباطل عن موضعه، وانقطاع لسان قائله، والتقريب ايضًا يعلم مما سبق.

الثانية عشر: كونهم عليهم السلام عقلوا الدين عقل رعاية ووعاية، لا عقل سماع ورواية، وهو اشارة الى كون علومهم ليست كعلوم غيرهم التي يأخذونها بالسماع من الاسانيد، والرواية عن المشايخ التي هي عبارة عن تصور معاني ما يلقى اليه خاصة، وسماع الفاظها، وبيان ذلك باوضح تفصيل ما ذكره بعض مشائخنا المحققين في معنى قوله عليه السلام لما قال له بعض اصحابه حين اخبر عن بعض الملاحم وما يقع في آخر الزمان لقد اعطيت يا اميرالمؤمنين علم الغيب، فضحك وقال للرجل وكان كلبيًا: يا اخا كلب ليس هذا بعلم غيب، وانما هو تعلم من ذي علم.

حيث قال قدس سره: ان المراد بعلم الغيب، هو العلم الذي لا يكون مستفادًا عن سبب يفيده، وذلك انما يصدق في حقه تعالى، اذ كل علم لذي علم عداه فهو مستفاد من جوده، اما بواسطة او بغير واسطة، فلا يكون علم غيب، وان كان اطلاعًا على امر غيبي، لا يتأهل للاطلاع عليه كل الناس، بل يختص بنفوس خصت بعناية إلهية، كما قال تعالى ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾[1].

و اذا عرفت ذلك ظهر لك ان كلامه عليه السلام مطابق لما اردناه، فانه نفى ان

١- الجن/٢٦-٢٧.

يكون ما قاله علم غيب، لانه مستفاد من وجود الله تعالى وقوله، وانما هو تعلم من ذي علم، اشارة الى وساطة تعليم الرسول صلى الله عليه وآله له، وهو اعداد نفسه على طول الصحبة بتعليمه وارشاده الى كيفيه السلوك واسباب التطوع والرياضة حتى استعد لانتقاش الامور الغيبية والاخبار عنها، وليس التعليم هو ايجاد العلم، وان كان امر قد يلزمه ايجاد العلم، فتبين اذًا ان تعليم رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن مجرد توقيفه على الصور الجزئية، بل اعداد نفسه بالقوانين الكلية، ولو كانت الامور التي تلقاها عن الرسول صلى الله عليه وآله صورًا جزئية لم يحتج الى مثل دعائه في فهمه لها، فان فهم الصور الجزئية امر ممكن، سهل في حق من له ادنى فهم، وانما يحتاج الى الدعاء واعداد الاذهان له بانواع الاعدادات والامور الكلية العامة للجزئيات، وكيفية انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها، واسباب تلك الامور المعدة لادراكها، ومما يؤيد ذلك قوله عليه السلام علمني رسول الله صلى الله عليه وآله الف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف باب، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله اعطيت جوامع الكلم، واعطي علي جوامع العلم، والمراد بالانفتاح ليس الاّ التفريع، وانشعاب القوانين الكلية عما هو اعم منها، وبجوامع العلم إلاّ ضوابطه وقوانينه، وفي قوله اعطي بالبناء للمجهول دليل ظاهر على ان المعطي لجوامع العلم ليس هو النبي بل الذي اعطاه ذلك هو الذي اعطى النبي صلى الله عليه وآله جوامع الكلم، وهو الحق سبحانه، انتهى كلامه زيد اكرامه.

وعين ما ذكره في المقام جار في اولاده الاحد عشر عليهم السلام، ومما يزيدك تأييدًا لذلك ما نقله بعض اصحابنا ﴿رضوان الله عليهم﴾ عن كلام الشيخ ابن

حجر العسقلاني في شرح البخاري في حديث اعتراض النبي صلى الله عليه وآله على الحسن عليه السلام ايام رضاعه، لما وضع تمرة من تمر الصدقة في فمه، فقال له: كخ كخ، اما تعلم ان الصدقة حرام علينا، فان الشيخ المذكور اجاب عن قول من استبعد اعتراض النبي صلى الله عليه وآله على الحسن عليه السلام في ايام رضاعه، وعدم كونه مكلفًا بعدم استواء حال الحسن عليه السلام وحال غيره، لان الحسن عليه السلام في ذلك الحال كان يطالع اللوح المحفوظ، انتهى[1].

والتقريب ايضًا في هذه الفقرة معلوم مما سبق، هذا آخر ما قصدنا الكلام عليه من الجزء الثالث عشر، ويتلوه ان شاء الله تعالى الكلام في الجزء الرابع عشر، والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

١- فتح الباري ١٠/ ٥٨٥.

محتويات الكتاب